

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦هـ

الجزء الثاني

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة ـ كتاب العلم والبيان ـ

كتاب الزهد

شرحه وضبطه وعلّق عليه وقدّم له ورتّب فهارسه

الدكتور يوسف علي طويل

أستاذ الأدب الأندلسي في الجامعة اللبنانية

دكتوراه دولة في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

كتاب
الطبائع والأخلاق المذمومة
تشابه الناس في الطبائع وذمّهم

حدّثني محمد بن عُبيد قال: حدّثنا يحيى بن هشام الغَسّانيّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصْعَب بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم. قال: وحدّثني حسين بن الحسن المروزيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال: قال أبو الدَّرْداء: «وجدْتُ الناسَ اخْبُرْتَقْلُهْ»(١).

قال: حدّثني محمد بن عُبيد قال: حدّثنا شُرَيحُ بن النعمان عن المُعَافى ابن‌عمر أن عمَر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بقوم يَتبعون رجلاً قد أُخِذَ في ريبةٍ فقال: لا مرحبا بهذهِ الوجوهِ التي لا تُرَى إلا في الشرّ.

قال: وحدّثني محمد بن داود قال: حدّثنا الصَّلْتُ بن مسعود قال: حدّثنا عَثّامُ بن عليّ عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبِيدَةَ أن الوليد السُّوائِيَّ قال: لَغَطَ قومٌ عند رسولِ الله، ﷺ، فقيل: يا رسولَ الله، لو نَهيتَهُمْ! فقال: لو نَهيتُهُمْ أن يأتوا الحَجُونَ(٢) لأتاه بعضُهم ولو لم تَكُنْ له حاجةٌ.

---

(١) خَبَرَهُ يَخْبُرُه: بلاه. وقَلاه: أبغضه. وهذا مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم أي وجدتهم مقولاً فيهم هذا. أي ما من أحدٍ إلاّ وهو مكروه الفعل عند الخبرة. والهاء في قوله «تَقْلُهْ» للسكت. وهو مجزومٌ في جواب الأمر ومعناه تبغض من فعل قَلِيَ يَقْلَى. يريد أنك إن خَبَرْتَهُمْ تبغضهم لسوء أفعالهم. وتحرير المعنى إني: وجدت الناس على هذه الحالة التي هي كراهتهم عند اختبارهم. فتكون جملة «أُخْبُرْ تَقْلَهْ» في محل النصب مفعولاً ثانياً لوجدْتُ.

(٢) الحَجُوْن: الكسلان وكل غزوة يُظْهر غيرها ثم يخالف إلى ذلك الموضع. وسِرْنا عقبةً حَجُونا أي بعيدة طويلة.

قال: وحُدِّثْنا عن عفَّانَ عن مهديّ بن ميمون عن غَيْلانَ بن جرير قال: قال مطرّف: هم الناس وهم النِّسْنَاس[١] وناسٌ غُمِسُوا في ماءِ الناس.

قال يونس بن عُبيد: لو أُمِرْنَا بالجَزع لَصَبَرْنَا.

وكان يقال: لو نُهِي الناسُ عن فَتِّ البَعْر لَفَتُّوه، وقالوا: ما نُهِيْنَا عنه إلا وفيه شيءٌ. وقال الشاعر: [وافر]

ولمـا أنْ أتيتُ بني جُـوَيْنٍ ... جلوساً ليس بينهُمُو جَلِيسُ
يَئِسْتُ مِنَ التي أقبلتُ أبغِي ... لديهُمُو، إنّني رجلٌ يَؤُوس[٢]
إذا مـا قلتُ أيُّهُمُو لأيٍّ ... تشابَهَتِ المناكبُ والرؤوسُ

ويقال: لا يزالُ الناسُ بخيرٍ مَا تباينُوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا[٣].

وقال آخر: [رجز]

النـاسُ أَسْوَاءٌ وشَتَّى في الشِّيَمْ ... وكُلُّهُمْ يَجمعُهُمْ بيتُ الأَدَمْ[٤]

وقال آخر: [طويل]

سَوَاءٌ، كأسنان الحمارِ فلا تَرَى، ... لِذِي شَيْبَةٍ منهُمْ على نَاشِيءٍ، فَضْلا[٥]

---

(١) النِّسناس، بكسر النون الأولى وفتحها، جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة. وفي الحديث أن حَيّاً من عاد عَصَوا رسولهم فمسخهم الله نسناساً لكل إنسان منهم يَدٌ ورِجْلٌ من شق واحد ينقزون كما يَنْقُز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم. محيط المحيط، مادة (نسنس).

(٢) اليَؤوس: الصَّبُورُ القَنِطُ.

(٣) أصل هذا المثل أنَّ الخير في النادر من الناس، فإذا آستوى النـاسُ في الشرِّ ولم يكن فيهم ذو خير كانوا من الَهلكى؛ قال ابن الأثير: معناه أنهم إنما يتساوَوْن إذا رَضُوا بالنقص وتركوا التنافس في طلب الفضائل ودَرْك المعالي، قال: وقد يكون ذلك خاصاً في الجهل، وذلك أن الناس لا يتساوَوْن في العلم وإنما يتساوَوْن إذا كانوا جُهّالاً. لسان العرب مادة (سوا).

(٤) أسواء: ج سَوَاء وهو المِثْلُ والمساوي؛ وسواء الشيء: مِثْلُهُ. وقد ورد صدر هذا البيت دون العجز في لسان العرب مادة (سوا) دون تغيير عما هنا.

(٥) هذا البيت لكثير كما في لسان العرب مادة (سوا) وورد هكذا:
سَواس كأسنان الحمار فما ترى... الخ.

وقال آخر:

«سَـوَاسِيـةٌ كـأسنـانِ الحِمـار»[١]

وكان يقال:

«المـرءُ تَـوّاقٌ إلى مـا لم يَنَـلْ»[٢]

والعجم تقول: كلُّ عزٍّ دخل تحت القُدْرَة فهو ذليل.

وقالوا: كلُّ مقدورٍ عليه مَملولٌ مَحقورٌ.

وقال الشاعر: [بسيط]

وزاده كَلَفاً بالحُبِّ أنْ مَنَعَتْ أَحَبُّ شَيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا[٣]

وقال آخر [طويل]

تَرَى الناسَ أسواءً إذا جلسوا معاً وفي الناس زَيْفٌ مثلُ زَيفِ الدّراهمِ

ويقالُ: الناسُ سيلٌ وأسرابُ طيرٍ يتبعُ بعضُها بعضاً.

وقال طَرَفَةُ: [سريع]

كلُّ خليلٍ كنْتُ خـالَلْتُهُ لا تَركَ اللّهُ له واضِحَـهْ
كلُّهُمُ أرْوَغُ مـنْ ثعـلبٍ ما أشْبَهُ اللّيلةَ بالبارِحَـهْ

---

(١) هذا مَثَلٌ أورده في لسان العرب مادة (سوا) فقال: هذا مثل قولهم: «لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا» مستشهداً بقول الفرزدق (وافر)

شبـابُهُـمُ وشِيْـبُهُـمُ سـواءٌ سَـواسِيَـةٌ كـأسنـان الحمـار

اذلك أن أسنان الحمار مستوية، ورُوي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «ما أشدَّ ما هَجَا القائلُ وهو الفرزدق: سواسيةٌ كأسنان الحمار.

(٢) كذلك ورد هذا المثل في لسان العرب مادة (توق) والتَّواق هو الذي تَتُوق نفسه إلى كل دناءة. كذلك انظر هذا المثل والمثل الذي قبله في مجمع الأمثال للميداني.

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب (حبب) وجاء فيه: «وحبَّ شيئاً» بدل «أحبُّ شيء». وموضع «ما» رفعٌ، أراد حَبُبَ فَأَدْغَمَ.

وقال آخر [وافر]

فإنكَ لا يَضرُّكَ بعد حَوْلٍ ... أظبيٌّ كان أمُّكَ أم حمارُ
فقد لَحِقَ الأسافلُ بالأعالِي ... وماج اللُّؤْمُ واختلطَ النُّجارُ
وعاد العبدُ مثلَ أبي قُبَيسٍ ... وسِيقَ معَ المُعَلْهَجَةِ العِشارُ[1]

يقول: سِيقَتِ الإبلُ الحوامِلُ في مهرِ اللئيمة.

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ عن أبيه قال: كنت عند الحسن فقال: أسْمَعُ حَسيساً ولا أرى أنيساً، صبيانٌ حَيارَى مَا لَهُمْ تَفَاقَدُوا عُقُولَهُم وفَرَاشُ نار وذِبّانُ طَمَع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعيّ: لو قَسمْتُ في الناس مائةَ ألِف درهم كان أكثرَ للائمتى مِن لوْ أَخَذتُها منهم.

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنْعُ الجميع أرْضَى للجميع.

وقال ابن بشير[2] (مجزوء المديد)

سَوْءةً للناسِ كُلِّهِمُ ... أنا في هذا مِن أوّلِهِمْ
لسْتَ تَدْرِي حِين تَنْسُبُهُمُ ... أينَ أدناهُمْ مِنَ افْضَلِهِمْ

وقال نهارُ[3] بن تَوْسِعَةَ (طويل)

عتبت على سَلْمٍ فلَما فَقَدْتُه ... وجَرَّبْتُ أقواماً بَكَيْتُ على سَلْمِ

---

(١) أبو قبيس جبل بمكة، والمراد به الرجل الشريف. والمعلهجة: المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب.

(٢) لم أحْظَ بترجمة لابن بشير إلاّ في الأعلام (ج ٦ ص ١٣٨) حيث يقول الزركلي محمد بن سعيد بن بشير المعافري الأندلسي المتوفي سنة ١٩٨ هـ. ولا أظن أنه نفسه الذي يترجم له ابن قتيبة.

(٣) نَهار بن تَوْسِعَة من بني بكر وائل، توفي سنة ٨٣ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٤٩.

وهذا مثل قولهم: ما بَكَيْتُ من زمان إلا بَكَيْتُ عليه.

وقال الأحنف[1] بن قيس (طويل)

وما مَرَّ يومٌ أرتَجِي فيه راحةً فَأَخْبُرَهُ إلاّ بَكَيْتُ على أمسِ

وقال آخر (طويل)

ونَعْتِبُ أحياناً عليه ولو مضى لكنّا على الباقي منَ الناس أعْيَبَا

وقال آخر (وافر)

سَبَكْنَـاهُ ونَحْسَبُـهُ لُجَينـاً فَأَبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

قال: وحدّثني أبو حاتم قـال: حدّثني الأصمعيّ عن ابن أبي الـزِّناد عن أبيه قال: لَا يزالُ في الناس بَقِيَّةٌ ما تُعُجِّبَ من العَجَب.

رجوعُ المتخلِّق إلى طبعه

بلغني أن أعرابياً رَبَّى جَرْوَ ذئبٍ حتى شَبَّ وظنّ أنه يكـون أَغْنَى عنه مِنَ الكلب وأقوى على الذبِّ عن المـاشية فلمـا قَوِيَ وَثَبَ على شـاةٍ فقتلها وأكـل منها فقال الأعرابيّ (وافر)

أَكَلْتَ شُـوَيْهَتِي ورَبِيتَ فينَا فَمَـا أدراكَ أَنَّ أبــاكَ ذِيْبُ

ويُروَى[2]:

وُلِـدْتَ بِـقَفْـرَةٍ ونَشَـأْتَ عنـدي

إذا كان الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ فليسَ بِنَـافِعٍ فيهـا الأديبُ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ١٠٢.

(٢) أي يُـرْوَي الشـطر الأول من البيت الأول، وقـد جعـل محقق الكتـاب نصف هـذا البيت، في فهرس القوافي ص ٢٩٧، على البسيط، وهو، كما نرى، على الوافر.

وقال الخُرَيميّ[(١)] [متقارب]

يُلاَمُ أبو الفضـل في جُودِهِ وهل يملك البحرُ ألاّ يَفِيضَا؟

وقال أبو الأَسَدِ[(٢)] [طويل]

ولاَئمةٍ لاَمَتْكَ يا فَيْضُ في النَّدَى فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللَّومُ في البحر؟
أرادتْ لِتَثْنِي الفَيض عن عادةِ الندى ومَنْ ذَا الذي يَثْنِي السَّحابَ عن القَطْرِ
مَواقِعُ جُودِ الفَيض في كُلِّ بَلْدَةٍ مَوَاقعُ ماءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ

وقال كُثَيِّر [طويل]

ومَنْ يَبْتَدِعْ ما ليس مِنْ سُوسِ نفسِهِ يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النّفس خِيمُها[(٣)]

وقال زهير [طويل]

ومَهما تكُنْ عند آمريءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

وأنشدني ابن الأعرابيّ لذي الإصبع[(٤)] العَدْوَانيّ [بسيط]

كـلّ امـرىءٍ راجـعٌ لِشيمَتِـهِ وإنْ تَخَلَّق أخـلاقـاً إلى حينِ

وقال آخر [بسيط]

ارْجِعْ إلى خُلْقِكَ المعروف دَيدَنُهُ[(٥)] إنَّ التخلُّقَ يـأبى دونَـه الخُلُقُ

وقال كُثَيِّر في خلاف هذا [طويل]

وفي الحِلْم والإسلامِ للمرءِ وازعٌ وفي تركِ أهواء الفؤادِ المتيَّمِ

---

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٥ من ص ١٣١، كما ورد بيته المذكور أعلاه في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤).

(٢) أبو الأسَد هو بناته بن عبد الله التميمي، من بني حِمّان من أهل الدينور. توفي نحو ٢٢٠هـ. الأعلام ج ٨ ص ٧.

(٣) الخِيْمُ: الطبيعة والسَّجِيَّة.

(٤) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٥ من ص ٢٤٧.

(٥) الدَّيْدَنُ: الدأب والعادة.

بصائرُ رُشْـدٍ للفتى مُستَبينَةٌ وأخلاقُ صِدْقٍ علمُها بالتعلُّم

ونحوه للمتلمِّس[١] [طويل]

تَجَاوَزْ عَنِ الأَدْنَيْنَ[٢] وآسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ولَنْ تَستطِيعَ الحِلْمَ حَتّى تَحَلَّمَا

وقال الطائيّ [كامل]

لَبِسَ الشَّجَاعَةَ إنها كانت له قِدْماً نَشُوعاً في الصِّبا ولَدُودَا[٣]
بَـأْساً قَبِلِيّـاً وَبـأسَ تَكَـرُّمٍ فينـا وبأسَ قـريحةٍ مَـولُوداَ

وقال أبو جعفر الشِّطْرَنجيّ مولى المهديّ في سَوْدَاءَ[٤] [سريع]

أَشْبَهَـكِ المسـكُ وأَشْبَهْتِـهِ قـائمـةً في لَـونِـهِ قَـاعِـدَهْ
لا شَـكَّ إذْ لَونُكُمـا واحـدٌ أَنَّكمـا من طِينـةٍ واحِـدَهْ[٥]

وقال أبو نُوَاس [كامل]

تَلْقَى النَّدَى في غيره عَرَضاً وتَـراه فيـه طَبيعـةً أَصْـلاَ
وإذا قَـرنْـتَ بِعاقلٍ أَمَـلاً كـانت نَتِيجَـةُ قَـولِـه فِعْـلاَ

وأنشدنا الرِّيَاشِيّ [منسرح]

لا تَصْحَبَن امـرءاً على حَسَبٍ إنّي رأيْتُ الأحسابَ قد دُخِلَتْ
مـالَـكَ مِنْ أن يُقَـالَ إنَّ لـه أبـاً كَـريمـاً في أُمَّـةٍ سَلَفَتْ

---

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٩٢، الحاشية رقم ٢.
(٢) الأدْنَوْن: أقرب العشيرة نسباً.
(٣) النَّشُوْعُ: الوَجور الذي يُوْجَرُه الصبيُّ أو المريض: والوَجُـور هو الـدواء الذي يُصَبُّ في الفم، ويُوْجَرُ: يُصَبُّ في الفم. واللَّدُود: الخصم الشديد الخصومة.
(٤) أي في جارية سوداء. والشطر نجي هـو عمر بن عبـد العزيـز، شُغف بالشـطرنج فنسب إليـه. توفي نحو ٢١٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٥٠.
(٥) هذان البيتان سيذكران في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٤٢.

بـل اصْحَبْنُهُ على طبـائعـه فكلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كما طُبِعَتْ

وقال العباس بن مِرداس[1] [متقارب]

إنكَ لم تكُ كـابن الشَّرِيـدِ ولَكِنْ أبـوكَ أبـو سـالِـم
حَملْتَ المِئِينَ وأثقـالَـهـا عـلى أُذُنَيْ قُـنفُـذٍ رَازِمِ[2]
وأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجُـدُو دِ والعِرْقُ يَسْرِي إلى النائِم

وقال بعض العبْديين [طويل]

وما يَستوي المَرْءَانِ هذا ابنُ حُرَّةٍ وهذا ابنُ أخرى ظَهْرُها مُتَشَرَّكُ
وأدرَكَـهُ خـالاتُـه فَـخَـذَلْـتَـهُ أَلَا إنَّ عِرْقَ السُّوءِ لا بُدَّ يُدْرِكُ

باب الشيء يُفْرِطُ فيَنتَقِلُ إلى غير طبعه

قرأت في كتاب للهند: لا ينبغي اللَّجاجُ في إسقاط الهمّة والرأي وإذالته فإنه إمّا شَرِسُ الطبع كـالحية إن وُطِئَتْ فلم تَلْسَعْ لم يُغْتَرَّ بهـا فيعادَ لـوطئها، وإما سُجَحُ[3] الطبع كالصندل[4] البارد إن أُفرِطَ في حكّه عاد حـارّاً مؤذياً. وقـال أبو نواس [منسرح]

قُـلْ لزهيـرٍ إذا حَدا وشَـدا أَقْلِلْ وأكْثِـرْ فـأنتَ مِهْـذَارُ
سَخُنْتَ مِنْ شدةِ البرودة حَتْـ ـى صِرْتَ عندي كأنك النارُ
لا يَعْجَبِ السامعونَ مِنْ صفتي كـذلـك الثَّلجُ بـاردٌ حَـارُ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول ٢٩٢، الحاشية رقم ٥.
(٢) المِئُونُ: ج مائة. والقُنْفُذ بضم الفاء وفتحها هـو دُوَيْبَّة ذو ريش حـادّ في أعلاه يقي بـه نفسه إذ يجتمع مستديراً تحته ويوجّه رؤوسه لمن أراد إيذاءه، والجمع مَنافذ.
(٣) سُجُحُ الطبع: اللَّيِّنُ السهل.
(٤) الصَّنْدَل: شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز ويحمل ثمراً في عناقيد له حَبٌّ أخضر.

ويقال: إنما مَلُحَ القِردُ عند الناس لإفراط قبحه. قال الطائيّ [بسيط]

أخرجتموه بِكُـرْهٍ مِنْ سَجيّتِـهِ والنار قد تُنْتَضَى من ناضر السَّلَمِ
أمِنْ عَمىً نَزَلَ الناسُ الرّبَى فَنجَوْا وأنتمُو نُصْبُ سيلِ الفتنةِ العَرِمِ[١]
أم ذاكَ مِن هِمَمٍ جاشَتْ فكم ضِعَةٍ حدا إليها غُلوُّ القوم في الهِمَمِ

وكان يقال: مِن التوقِّي تَرْكُ الإفراط في التوقِّي.

باب الحسد

قال: حدّثنا إسحاق بن راهْوَيهِ قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أميةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لَا يسلمُ منهن أحدٌ الطِّيَرَةُ والظَّنُّ والحسد قيل: فما المخرَجُ منهنّ يا رسول الله؟ قال: إذا تَطَيَّرْتَ فلا تَرجعْ وإذا ظَنَنْتَ فلا تُحَقِّقْ وإذا حَسدْتَ فلا تَبْغِ». وقال بكر بن عبد الله: حِصَّتُكَ من الباغي حسنُ المُكَاشَرَة، وذنبُكَ إلى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك. وقال رَوْحُ بن زِنْبَاعٍ الجُذَامِيّ: كنتُ أرَى قوماً دُونِي في المنزلة عند السلطان يدخلونَ مداخلَ لا أدخلها فلما أذهبْتُ عنيّ الحسدَ دخلتُ حيثُ دخلوا. وقال ابن حُمَام [طويل]

تمنّى لِيَ الموتَ المعجَّلَ خالدٌ ولا خيرَ فِيمَنْ ليس يَعرِفُ حاسِدَهْ[٢]

وقال الطائيّ [كامل]

وإذا أراد اللّهُ نَشْرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ

---

(١) العَرِمُ: السيل الذي لا يُطاق دَفْعُهُ، وعلى هذا يكون سَيْلُ العَرم من باب إضافة الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين.
(٢) ورد هذا البيت في المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٩١ من جملة أبيات لأبيّ بن حمام بن قراد بن مخزوم، العبسي الشاعر الفارس.

لولا آشتِعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ ما كان يُعرَفُ طِيْبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوّفُ للعواقبِ لم تَزَلْ للحاسدِ النّعْمَى على المحسودِ

وقالِ عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرِفُ عيبَ نفسه فَعِبْ نفسَكَ قال: أَعْفِنِي يا أمير المؤمنين. قال: لتَفعلنّ. قال: أنا لَجُوجٌ حَقُودٌ حسود، قال عبد الملك: ما في الشيطان شرٌّ مما ذكرْتَ. قال بعض الحكماء: الحسدُ مِن تَعادِي الطبائع واختلافِ التركيب وفساد مِزَاج البِنْيةِ وضَعْفِ عَقْد العقل والحاسدُ طويلُ الحَسَرات.

قال ابن المقفع: أقلُّ ما لِتارِكِ الحسد في تركه أنْ يَصْرِفَ عن نفسه عذاباً ليس بِمُدْرِكٍ به حظّاً ولا غائظ به عدوّاً، فإنا لم نَرَ ظالماً أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد، طولُ أسفٍ ومحالفةُ كَآبةٍ وشِدّةُ تَحرُّقٍ، ولا يبرَحُ زارِياً على نعمة الله ولا يَجِدُ لها مَزَالاً ويُكدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَعْماً ولا يزالُ ساخطاً على مَنْ لا يترضّاه ومُتَسَخِّطاً لِمَا لَنْ يَنالَ فوقه، فهو مُنغَّصُ المعيشة دائمُ السَّخْطَةِ محرُومُ الطَّلِبَةِ، لا بما قُسِمَ له يَقْنَعُ ولا على ما لم يُقْسَمْ له يَغْلِبُ، والمحسود يتقلَّبُ في فضل الله مُباشِراً للسّرور مُنتفِعاً به مُمَهَّلاً فيه إلى مدّة ولا يَقدرُ الناس لها على قَطْعٍ وانتقاصٍ.

قيل للحسن البصري: أيَحْسُدُ المؤمنُ أخاه؟ قال: لا أبَا لَكَ[1]، أنسِيتَ إخوةَ يوسُفَ؟ وكان يقال: إذا أردْتَ أن تَسْلَم مِن الحاسد فَعَمِّ عليه أُمُورَكَ. ويقال: إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوّا لا يرحَمُه سلَّطَ عليه حاسداً. وقال العُتْبِيُّ[2] ـ وذكر ولده الذين ماتوا ـ [متقارب]

(١) لا أَبَا لَكَ: شتْمٌ يقال لمن له أبٌ ولمن لا أب له.
(٢) العُتْبي هو محمد بن عبيد الله ابن عتبة، بصري راوية للأخبار والأدَب. تتابعت عليه مصائب بالذكور من ولده في الطاعون الكائن بالبصرة سنة ٢٢٩ هـ وقبل ذلك فمات منهم ستة فرثاهم =

وحتّى بَكى لِيَ حُسّـادُهُمْ وقد أقْرَحُوا بالدّموعِ العُيونَا
وحَسْبُكَ من حادثٍ بامرئٍ يَـرَى حاسِـدِيْهِ لـه راحِمِيْنَا

قيل لسفيان بن معاوية: ما أسْرَعَ حَسَدَ الناسِ إلى قومك! فقال:

[بسيط]

إنَّ العَرَانِينَ تَلقاها مُحَسَّدَةً ولا تَرَى لِلِئَامِ الناسِ حُسَّادَا

وقال آخر: [كامل]

وتَرَى اللبيبَ مُحَسَّداً لم يَجْتَرِمْ شَتْمَ الرجال وعِرْضُهُ مَشْتُومُ
حسَدُوا الفتى إذْ لم يَنَالُوا سعْيَهُ فـالقومُ أعـداءٌ له وخُصُـومُ
كضرائرِ الحسْنَاءِ قُلْنَ لَوجْهها حَسَـداً وظُلمـاً إنـه لذمِيمُ

وقال يحيى بن خالد: الحاسد عدوٌ مَهِينٌ لا يُدرِك وِتْره إلا بالتمنّي. قيل لبعضهم: أيُّ الأعـداءِ لا تُحِبُّ أن يعودَ لـك صديقـاً؟ قال: مَنْ سَببُ عَـدَاوتِه النعمـةُ. وقـال الأحنف: لا صَديقَ لِمَلُولٍ[1] ولا وَفـاءَ لِكَـذُوبٍ، ولا راحـةَ لحسُـودٍ ولا مروءةَ لبخيـلٍ ولا سُؤدُدَ لسيِّءِ الخلق. وقال معـاوية: كـلَّ الناس أستطِيعُ أن أُرْضِيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فإنه لا يُرضِيه إلا زوالُها. وقال الشاعر:

[بسيط]

كُلُّ العَدَاوةِ قد تُرْجَى إماتَتُهَا إلا عداوةَ مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ[2]

وفي بعض الكتب يقول الله: «الحاسدُ عدوٌّ لِنعمَتي مُتَسخِّطٌ لقضـائي غيرُ رَاضٍ بِقَسْمِي بين عبادي». وكان يقـال: قد طلبـكَ مَنْ لا يُقَصِّـرُ دون الـظَّفَرِ

= بمرات كثيرة، منها قوله أعلاه. أنظر معجم الشعراء ص ٤٢٠.

(١) المَلُولُ: ذو المَلَل؛ يقال: رجلٌ مَلُوْلٌ وامرأة ملول.

(٢) ذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٢١) هذا البيت ضمن ثلاثة أبيات نسبها لابي المبارك.

وحسَدَكَ مَنْ لا ينامُ دون الشِّفَاءِ. وخطب الحجاج يوماً بِرُسْتُقْبَاذَ بقول سُويد[1] ابن أبي كاهل [رمل]

كيف يَرْجُونَ سِقَاطِي بعدما ... جَلَّلَ الرأسَ بياضٌ وصَلَعْ
رُبَّ مَنْ أنضجْتُ غيظاً صَدْرَهُ ... قد تمنَّى لِيَ مَوْتاً لم يُطَعْ
ويَراني كالشَّجَا في حَلْقِهِ ... عسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ
مُزْبِداً يَخْطِرُ ما لَمْ يَرَني ... فإذا أسْمَعْتُهُ صَوْتِي آنقمَعْ
لم يَضِرْنِي غَيْرَ أنْ يَحْسُدَني ... فهو يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ[2]
ويُحَيِّيْنِي إذا لا قيْتُهُ ... وإذا يَخْلُو له لَحْمِي رَتَعْ
قد كَفَانِي اللَّهُ ما في نفسه ... وإذا مَا يكْفِ شَيئاً لَمْ يُضَعْ

وقال آخر[3] [بسيط]

إن تَحْسُدُوني فإنّي لا أَلُومُكُمُ ... قَبْلي مِنَ الناس أَهلُ الفضل قد حُسِدُوا
فدامَ لِي ولَكُمْ ما بي وما بِكُمُ ... وماتَ أكثرُنا غيظاً بما يجِدُ
أنا آلذي تَجِدوني في حُلوقِكُمُ ... لا أرتَقِي صُعُداً فيها ولا أَرِدُ

وقال بعضهم: الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللَّهُ به في السماءِ، يعني حسدَ إبليسَ آدَمَ، وأوّل ذَنْبٍ عصي اللَّهُ به في الأرض، يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتله. وأنشدني شيخٌ لنا عن أبي زيد الأعرابيّ [سريع]

---

(١) سُوَيْد بن أبي كاهل اليشكري شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام. توفي بعد ٦٠ هـ. وأشهر شعره عينيّة كانت تسمى في الجاهلية «اليتيمة» وهي من أطول القصائد، حفظ الرُّواة منها نيفاً ومئة بيت. ومنها هذه الأبيات التي بين أيدينا. ومطلع هذه العينية:

أَرَّقَ العينَ خيالٌ لم يَدَعْ ... من سليمى ففؤادي مُنْتَزَعْ

انظر الأعلام ج ٣ ص ١٤٦. وإذا كان الحجاج قد وقّع خطبته بهذا الشعر، فإن عبد الملك بن مروان وقّع كتاباً بالبيت الأول كما في العقد الفريد (ج ٤ ص ٢٠٨).

(٢) الضُّوَعْ: طائرٌ ليليٌّ.

(٣) ورد هذا الشعر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٢٤) باختلاف يسير عما هنا.

لا تَقبلُ الرُّشْدَ ولا تَرْعَـوِي ثَـانِيَ رأسٍ كـابنِ عَـوَّاءِ[١]
حَسَدْتَنِي حين أَفَدْتُ الغِنى مـا كُنْتَ إلا كـابن حَـوَّاءِ
غادى[٢] أخاه مُحْرِماً مُسْلِماً بطعنةٍ في الصلب نَجْلاءِ
وأنت تَقْلِينِي[٣] ولا ذَنْبَ لِي لَـكِنَّـني حَـمَّـالُ أَعْبَـاءِ
مَنْ يـأخُذِ النـارَ بـأطـرافِـه يَنْضَحْ على النار مِنَ المـاءِ

مرَّ قيسُ بن زُهير ببلاد غَطَفَانَ[٤] فرأى ثَرْوَةً وجماعاتٍ وعدداً فَكَرِه ذلكَ، فقال له الربيع بن زياد: إنه يَسوءُكَ ما يَسُرُّ الناسَ! فقـال له: يـا أخي، إنكَ لا تَـدْرِي، إنَّ مع الثـروةِ والنعمة التحـاسدَ والتخـاذلَ، وإنَّ مع القِلّةِ التحـاشُـدَ والتناصُرَ.

قال الأصمعيّ: رأيت أعرابياً قد أتتْ له مائـةٌ وعشرون سنـةً، فقلت له: ما أطْوَل عمرَكَ! فقال: تركْتُ الحسَدَ فبقِيْتُ. وقال زيد[٥] بن ٱلحكم الثقفيّ [طويل]

تَمَـلأْتَ مِنْ غيظ عليّ فلم يَـزَلْ بك الغيظُ حتّى كِدْتَ بالغيظ تَنْشَوِي
وما بَرِحَتْ نفسٌ حَسُودٌ حُشِيْتَها تُذِيبُكَ حتى قِيلَ هل أنتَ مُكْتَوِي
وقـال النِّطاسِيُّـون إنكَ مُشْعَـرٌ سُلاَلاً ألا بلْ أنت من حَسَدٍ جَوِي[٦]
بَدَا منك غِشٌّ طَالَمَا قد كتَمْتَهُ كما كَتَمَتْ داءَ ابنِها أُمُّ مُدَّوِي
جَمَعْتَ وفُحشـاً غِيبَـةً ونميمـةً حِلالاً ثلاثاً لستَ عَنها بِمُرْعَوِي

---

(١) إرْعَوَى الرجلُ عن القبيح والجهل: كفَّ عنه فهو مُرْعَوٍ. والعَواء: الكلب يعوي كثيراً.
(٢) غاداه مغاداة: باكره.
(٣) تقليني: تبغضني؛ من قلاه: أبغضه.
(٤) غَطَفَان: حيّ من قيس بن جهينة. جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٤ - ٤٤٦.
(٥) لم أقف له على ترجمة.
(٦) جَوِي: من الجَوَى وهو السلُّ وداء في الصدر.

وكـان يقال: ستَّـةٌ لا يَخْلُونَ مِنَ الكآبـة: رجلٌ آفتقـرَ بعـد غِنىً، وغَنيٌّ يخافُ على مَالـه التَّوَى(١)، وحَقـودٌ، وحسودٌ، وطـالبُ مَرتَبـةٍ لا يبلُغها قَـدرُهُ، ومُخَالِطُ الأُدَباءِ بغير أدبٍ.

باب الغِيبة والعُيُوبْ

قـال: حدّثني أحمـد بن الخليل قـال: حدّثنـا عبـد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن خُثَيْم عن شَهرِ بن حَوْشَب عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال: «ألا أُخْبِرُكُم بِشـرَارِكُم(٢)» قـالـوا: بلى، قـال: مِنْ شِـراركم المشَّـاؤُونَ بالنَّميمةِ المفْسِدُون بينَ الأحبّةِ الباغُونَ البُرَآءَ العَنَتَ».

قـال: وحدّثني حُسينُ بن الحسن المـروزيُّ قـال: حـدّثنـا عبـد الله بن المبارك قال: أخبرنا الأجلحُ عن الشّعبيّ قـال: سمْعتُ النعمانَ بن بَشِيـرٍ يقول على المنبر: يا أيُّها الناسُ خُذُوا على أيدي سُفَهائكم، فإنّي سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ قوماً رَكِبُوا البحرَ في سَفِينة، وآقتَسمُوها فأصابَ كُلُّ واحدٍ منهم مَكَانٌ، فأخذَ رجلٌ مِنهمُ الفأسَ فنقر مَكانَه، فقـالوا: مـا تَصنعُ؟ فقـال: مَكانِي أصْنعُ به ما شِئْتُ، فإنْ أخذُوا على يديه نَجا ونَجَوْا، وإنْ تركوه غَرِقوا وغَرِقَ».

بلغني عن حمّاد بن زيد عن ابن عَوْن قال: قـال أبو الـدرداء؛ ليس من يـوم أُصبحُ فيـه لا يَرمِينِي النـاسُ بـداهيـة إلا كـان نعمـةً من الله عليَّ. وقـال حسان: قلْتُ شِعراً لم أقلْ مثلَه [طويل]

وإنَّ امْرءاً أَمَسى وأصْبحَ سالماً   من الناس إلا ما جنى لَسَعِيدُ

---

(١) المال التَّوَى: المال الذي هلك؛ يقال: تَوِيَ المالُ يَتْوَى: هلك فهوتَوٍ وتاوٍ.

(٢) الشِّرارُ: ما يتطاير من النار.

وبلغني عن آبن عيينة قال: قال مِسْعَرٌ: ما نصحتُ أحداً قطُّ إلّا وجدْتُه يُفَتِّشُ عن عيوبي. وقال بعضهم: مَنْ عَابَ سَفِلَةً(١) فقد رفعه، ومَنْ عاب شريفاً فقد وضَعَ نفسَه. وقال عمر بن الخطاب: أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ أَهْدَى إليَّ عُيوبِي.

أحمد بن يونُسَ عن الفُضَيل أنه سمعه يقول: إن الفاحشةَ لتَشِيعُ في الذين آمنوا حتى إذا صارتِ إلى الصالحين صاروا لها خُزَّاناً. قال وسمعته يقول أيضاً: حسناتُكَ مِنْ عَدوّكَ أكثرُ منها مِنْ صَدِيقكَ، لأن عدوّكَ إذا ذُكِرْتَ عنده يغتَابُكَ وإنما يَدفَع إليكَ المِسكينُ حسناتِهِ.

محمد بن عبد الله الأنصاريّ قال: حدّثنا آبن عون قال: مرَّ آبنُ سيرينَ بقوم فقام إليه رجل فقال: يا أبا بكرٍ، إنا قد نِلْنَا منك فَحَلِّلْنَا، فقال: إني لا أُحِلُّ لك ما حرّم اللّهُ عليك، فأما ما كان إليّ فهو لكَ.

محمد بن مسلم الطائفيّ قال: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: بلغني أنك نِلْتَ مِنّي، فقال: نفسِي أعزُّ عليّ من ذلك.

الوليدُ بن مسلم عن الأوزاعيّ عن بلال بن سعد قال: أخٌ لك كلَّما لقيكَ أخبرك بعيبٍ فيكَ خيرٌ لك مِنْ أخ لك كلَّما لقيك وضَعَ في كفِّك ديناراً.

شَريكٌ عن عَقِيلٍ قال: قال الحسن: لا غِيبة إلا لثلاثة: فاسقٍ مجاهرٍ بالفِسقِ، وذِي بدْعةٍ، وإمام جائرٍ. وكان يُقَالُ: مَنْ آغتَابَ خَرَقَ ومَنِ آستغفرَ الله رَفَأَ(٢) وفي بعض الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا عَابَ أحَدُكم أخاه

---

(١) السَّفِلَةُ: السُّقّاط من الناس. قال الجوهري: يقال: هو من السَّفِلَة، ولا يقال هو سَفِلَة لأنها جمع. ثم أورد ابن منظور حكاية وقال: فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِلَة. لسان العرب مادة (سفل).

(٢) ورد هذا المثل في لسان العرب (رفأ) ومعناه: خَرَقَ دينه بالإغتياب ورفأه بالاستغفار أي أصلحه بالاستغفار.

فَلْيَستغِفِر الله». كان يقـال: إياكَ ومـا يُصِمُّ الأذنَ. العتبيّ قال: قـال الوليـد بن عتبـة بن أبي سفيان: كنت أُسَـايِرُ أبي ورجـلٌ يقع في رجـل، فالتَفت إليَّ أبي فقال: يا بُنيَّ نَزِّهْ سمعَكَ عن آستماع الخنى[1] كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به، فإن المستمِعَ شـريكُ القـائل، ولقـد نظر إلى أخبثِ مـا في وِعَائـه فأفـرغه في وعَائك، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل في فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّها كما شَقِيَ قَائِلُها.

فُضَيلُ بن عِياض قال: حدّثنا عبد الله بن رجاء عن موسى بن عُبيـدَةَ عن محمد بن كعب قال: إذا أراد اللَّهُ بعبد خيراً زهّده في الدنيـا وفقّهه في الـدّين وبصَّره عيوبَهُ. قال فضيل: وربما قـال الرجـلُ: لا إله إلا الله؛ أو سبحـان الله فأخشَى عليه النـارَ، قيل: وكيف ذلـك؟ قال: يُغتَـابُ بين يديـه ويُعْجِبه ذلـك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعَه، إنّما مـوضعُ هـذا أن يَنصَحَ لـه في نفسه ويقول له: اتَّقِ اللَّهَ.

في الحـديث المرفـوع أنَّ آمرأتين صـامتا على عهـد النبيّ عليه السـلام وجعَلتَا تَغتَابانِ الناسَ، فـأُخبرَ النبيُّ ﷺ بـذلك فقـال: «صَامَتَـا عمّا أُحِـلَّ لهما وأَفْطَرَتَا على ما حَرّمَ اللَّهُ عليهما»، وقال حمّادُ بنُ سلمةَ: ما كنتَ تَقولـه للرجل وهو حاضرٌ فقلْتَه مِنْ خَلْفِه فليسَ بغِيبةٍ.

عاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف فقال لـه: قد آستـدلَلْتُ على كثرة عُيوبكَ بما تُكثِرُ من عيب الناس، لأنَّ الطالبَ للعيوب إنّما يطلُبها بقدر ما فيـه منها. قال بعض الشعراء [وافر]

وأَجْـرأُ مَنْ رأيتُ بَـظَهْـرِ غَيْـبٍ   على عَيْب الرجال ذَوو العُيُوبِ

وأنشد ابن الأعرابيّ [سريع]

(١) الخَنَى: الفحش في الكلام.

اسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ خَيَّابْ[1] كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وأَنتَ عَيَّابْ

وأنشدني أيضاً [سريع]

رُبَّ غَريبٍ نَاصِحِ ٱلجَيْبِ وٱبنِ أَبٍ مُتَّهَمِ ٱلغَيْبِ[2]
وكُلُّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوبِ على العَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يَصبِرُ، ثم تَركَ ذلك، فقيل له: أَتَرَكْتَها؟ قال: نعم، على أنّي واللهِ أُحِبُّ أن أسمَعَها.

أتى رجلٌ عمرَو بنَ مَرْثَدٍ فسأله أن يُكَلِّم له أميرَ المؤمنين، فوعده أن يفعلَ، فلما قام قال بعضُ مَنْ حضر: إنه ليس مُستحِقا لِما وعدْتَه، فقال عمرو: إن كنتَ صَدقْتَ في وصْفِك إياه فقد كذبتَ في ٱدّعائك مودَّتَنا؛ لأنه إن كان مُستحِقّاً كانت اليدُ موضعَها، وإن لم يكن مُستحِقا فما زِدْتَ على أنْ أعلَمْتَنَا أنَّ لنا بمغِيبنا عنك مثلَ الذي حضرْتَ به مَنْ غاب مِنْ إخواننا.

وفي الحديث: «إنَّ الغِيبةَ أشدُّ من الزنا. قيل: كيف ذلك؟ قال: لأنّ الرجلَ يزني فيتوبُ، فيتوبُ الله عليه، وصاحبُ الغِيْبةِ لا يُغْفَرُ له حَتّى يَغْفِرَ له صَاحِبُها».

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إنّي اغتبْتُ رجلًا وأُريدُ أنْ أستَحِلَّه، فقال له: لم يَكْفِكَ أنِ اغتبْتَه حتى أرَدْتَ أنْ تَبْهتَه. إغتابَ رجلٌ رجلاً عند قتيبةَ بن مسلم فقال له قتيبةُ: أَمْسِكْ أيها الرجلُ، فواللّهِ لقد تلمَّظْتَ بِمُضغَةٍ طَالَمَا لَفَظَهَا الكِرامُ.

---

(١) الخَيَّابُ: القِدْح الذي لا يُوري، ويجوز أن يكون من الخيبة وقد يُعْني به أنه مِثْلُ هذا القدح الذي لا يوري.

(٢) الجَيْبُ: القلب والصدر، وناصحُ الجيب: الأمين. وقد ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣١٤).

مرَّ رجلٌ بجارَيْنِ له ومعه رِيبةٌ، فقال أحدهُما لصاحبه: أَفَهِمْتَ ما معه منَ الرِّيبةِ؟ فقال الآخرُ: غُلامِي حُرٌّ لوجه الله شكراً له إذا لم يُعَرِّفْنِي مِنَ الشرِّ ما عرَّفكَ.

شعبةُ عن يحيى بن الحصين عن طارق قال: دارَ بين سعدِ بن أبي وقّاصٍ وبينَ خالدِ بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ لِيَقَعَ في خالد عند سعدٍ، فقال سعدٌ: مَهْ، إن مَا بينَنا لم يَبلُغْ دينَنَا. أي عداوةٌ وشرٌّ. وقال الشاعر[1] [متقارب]

ولسْتُ بِذِي نَيْرَبٍ في الكرام، ومَنَّاعَ خَيْرٍ، وسبَّابَهَا[2]
ولا مَنْ إذا كان في جانب[3] أَضَاعَ العَشيرَةَ وٱغتَابَهَا
ولكنْ أُطاوِعُ سَادَاتِهَا ولا أَتَعَلَّمُ[4] ألقَابَهَا

وقال آخرُ [بسيط]

لا يَأمُلُ الجارُ خيراً مِنْ جوارِهُمُ ولا مَحَالَةَ مِنْ هُزْءٍ وألْقَابِ

وقال الفرزدقُ [طويل]

تَصَرَّمَ مِنِّي وُدُّ بَكْرِ بنِ وائلٍ وما خِلْتُ عَنِّي وُدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَأتِيْنِي ويَحتقِرُونَها وقد يَملأُ القَطْرُ الإناءَ فَيُفْعَمُ[5]

---

(١) هو عَدِيُّ بن خُزاعي بن عوف ابن ثقيف، إسلامي. معجم الشعراء ص ٢٥٣.

(٢) أورد ابن منظور هذا البيت في اللسان مادة (نرب) ونسبه أيضاً لعدي بن خزاعي، وأورد «في الصديق» بدلاً من «في الكِرام». والهاء في «سبَّابَها» عائدة للعشيرة. ثم قال: قال ابن بري: وصواب إنشاده:

ولَسْتُ بذي نَيْرَبٍ في الكلام ومَنَّاعِ قومي، وسبَّابَها

والنَّيْرَب: الشرُّ والنميمة؛ يقال: نَيْرَبَ الرجلُ: سَعَى ونَمَّ.

(٣) في لسان العرب: «في معشر».

(٤) في لسان العرب: «ولا أعلم».

(٥) ورد هذا البيت في لسان العرب مادة (قرص) وجاء فيه: «وتحتقرونها» بدل: «ويحتقرونها». والقوارص: ج قارصة وهي الكلمة المؤذية.

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّبِّيين [طويل]

ألا رُبَّ مَنْ يَغْتـابُنِي وَدَّ أنّنِي أبوه الذي يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ من أمـه أو لِغَيّـةٍ فيغلبها فحلٌ على النسل مُنْجِبُ
فَبِالخيرِ لا بالشرِّ فاطلُبْ مودّتي وأيّ آمرىءٍ يَغتالُ منه الترهُّبُ

وقال آخرُ في نحوه: [طويل]

ولما عَصَيْتُ العاذِلين ولم أُبَلْ مَلاَمَتَهُم أَلْقَوا على غاربي حَبْلي
وهـازِئـةٍ مِنِّي تَوَدُّ لو ابنُهَـا على شِيمَتِي أو أنَّ قَيِّمَهَا مِثْلي

قيل لبُزُرْ جمْهِـر: هل من أحدٍ ليس فيه عيبٌ؟ قال: لا، إن الذي لا عيب فيه لا ينبغي أن يموتَ. وقال في مثل هذا مُوسَى[١] شَهَوات [خفيف]

ليس فيماَ بَدا لنا مِنْكَ عيْبٌ عـابَهُ النـاسُ غَيْـرِ أنـكَ فـانِي
أنتَ خيرُ المَتاع لو كنْتَ تبقى غيــرَ أنْ لا بقــاءَ لــلإنســانِ

وقال أبو الأسود[٢] الدؤليّ: [كامل]

وتَرَى الشَّقيَّ إذا تكاملَ غَيُّهُ يُرْمَى ويُقْرَفُ[٣] بالذي لم يَفْعَلِ

---

(١) هو موسى بن يسار مولى بني تيم قريش، من أهل أذربيجان. نشأ وعاش المدينة ثم نزل الشام فكان من شعراء سليمان بن عبد الملك. اختلفوا في سبب تلقيبه «شهوات» فقيل: سمي بذلك لقوله في يزيد بن معاوية (خفيف).

لـسْـتَ مـنـا وليس خـالـك مـنـا يـا مُـضِيْـعَ الصـلاة بـالشَّهَـوَات

وقيل: سمي بذلك لتشهِّيه على عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب الطعام فلقِّب به. توفي نحو ١١٠ هـ. معجم الشعراء ص ٣٧٧ والأعلام ج ٧ ص ٣٣١. والشعر والشعراء ص ٤٨١ - ٤٨٢ وجاء فيه: «أنتَ نِعْمَ المتاعُ» بدل «أنت خيرُ المتاع».

(٢) أبو الأسود الدُّؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني، واضع علم النحو. أدرك حياة الرسول ﷺ، وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب وولي إمارتها في أيام عليّ عليه السلام. يقال: هو أول من نقَّط المصحف. مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ.
معجم الشعراء ص ٢٤٠ والأعلام ج ٣ ص ٢٣٦.

(٣) يُقْرَفُ: يُعاب ويُتَّهَمُ.

لَقِيَ بكرُ بنُ عبد الله أخاً له فقال: إذا أَردْتَ أنْ تَلْقى مَنِ النِّعمَةُ عليكَ أعظمُ منها عليه وهو أشكرُ لِلنّعمةِ لَقِيْتَه، وإذا شِئتَ أن تَلْقى مَنْ أنتَ أعظمُ منه جُرْماً وهو أخْوَفُ للَّهِ منكَ لَقِيْتَه. أرأيتَ لو صحِبكَ رجلانِ: أحدهُما مَهتوكٌ لك سِتْرُه ولا يُذْنِبُ ذنباً إلا رأيتَه ولا يقول هُجْراً إلا سمِعتَه فأنتَ تُحبّه على ذلك وتُوافقه وتَكرهُ أن تُفارِقَه، والآخر مَستورٌ عنك أمرُه غيرَ أنك تَظُنُّ به السوءَ فأنتَ تُبْغِضُه، أَعَدَلْتَ بينهُما؟ قال: لا؛ قال: فهل مَثَلي ومَثَلُك ومَثَلُ مَنْ أنتَ راءٍ مِنَ الناس إلا كذلك؟ إنا نعرِفُ الحقَّ في الغيب مِنْ أنفسنا فنحبُّها على ذلك، ونَتَظنَّنُ الظُّنُونَ على غيرِنا فنُبْغِضُهمْ على ذلك. ثم قال: أنزِلِ الناسَ منك ثلاثَ مَنازِلَ، فاجعلْ مَنْ هو أكبرُ مِنكَ سِنّاً بمنزلةِ أبيكَ، ومَنْ هو تِرْبُكَ بمنزلة أخيكَ، ومَنْ هو دونكَ بمنزلة ولدكَ، ثم انظر أيُّ هؤلاء تُحِبُّ أن تَهتِكَ له سِتراً أو تُبدِيَ له عَوْرَةً!.

سعيدُ بن واقد المُزَنيّ قال: حدّثنا صالح بن الصَّقْر عن عبد الله بن زُهَير قال: وفَدَ العلاءُ[1] بنُ الحَضْرميّ على النبيّ ﷺ فقال: «أتقرأُ من القرآن شيئاً؟ فقرأ عَبَسَ وزاد فيها من عنده؛ وهو الذي أخرجَ من الحُبْلَى، نَسَمَةً تَسْعَى، مِنْ بين شَراسِيفَ[2] وحَشى؛ فصاح به النبيّ ﷺ وقال له: كُفَّ فإنَّ السورة كافِيَةٌ». ثم قال: هل تَرْوِي مِنَ الشِّعر شيئاً فأنشده: [طويل]

حَيِّ ذَوِي الأَضْغانِ تَسْبِ قلوبَهُمْ تَحِيَّتَكَ القُربَى فقد تُرقع النَّعَلْ
وإنْ دَحَسُوا[3] بالكرهِ فاعْفُ تكرُّماً وإن خَنَسُوا[4] عنكَ الحديثَ فلا تَسَلْ

(١) العَلاءُ بن الحَضْرمي صحابيٌّ ولاّه رسول الله ﷺ البحرين سنة ٨ هـ. ويقال: هو أول مسلم ركب البحر للغزو. توفي سنة ٢١ هـ. معجم الشعراء ص ٢٩٦ والأعلام ج ٤ ص ٢٤٥.

(٢) الشَّراسيف: ج شُرْسُوف وهو غضروفٌ معلَّقٌ بكل ضلع.

(٣) دَحَسَ بين القوم: أفسد بينهم.

فإنَّ آلذي يُؤذِيـكَ منه سَمَـاعُه   وإنَّ آلذي قالوا وراءكَ لم يُقَلْ[1]

فقال النبي عليه السلام: «إنَّ مِن الشِّعرِ حِكَما وإنَّ مِنَ البيان سِحْراً».

وحدّثني أبو حـاتم عن آلأصمعيّ: قال: قـال رجل لبكـر بن محمد بن عَلْقَمـة: بلغني أنك تقعُ فيّ؛ قـال: أنتَ إذاً أكـرمُ عليّ مِنْ نفسي!. وقـال بعض الشعراء: [بسيط]

لا تَلتمِسْ مِن مَسَاوِي الناس ما سَتَروا   فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْراً عن مَسَاوِيكَا
وآذكرْ مَحاسِنَ ما فيهِمْ إذا ذُكِروا   ولا تَعِبْ أحداً منهمْ بما فيكَـا

وقال أبو آلدرداء: لا يُحْرِزُ آلإنسانَ مِنْ شِرار الناس إلا قبرُه.

قال عمر بن عبـد العزيـز لمُزَاحمٍ مـولاه: إن الوُلاةَ جَعلوا العيـونَ على العوامّ وأنا أجعَلُكَ عيني على نفسي، فـإنْ سمعْتَ مِنّي كلمةً تَـرْبأُ بِي عنهـا أو فَعَالاً لا تُحبّهُ فعِظْنِي عنده وانْهَنِي عنه.

العُتْبيّ قال: تَنقَّصَ ابنٌ لعامر بن عبد الله بن آلزبير عليَّ بن أبي طـالب عليه السلام؛ فقال له أبوه: لا تَتَنَقَّصْهُ يا بُنيَّ، فإنَّ بَنِي مَروانَ ما زالوا يَشْتُمونه ستّين سنةً فلم يَزِده الله إلا رفعةً، وإن الدِّينَ لم يَبْنِ شيئاً فهدَمَتْـه آلدنيـا، وإن آلدنيا لم تَبْنِ شيئاً إلا عادتْ على ما بَنَتْ فهدمتْه. وقال بعض الشعراء[2]: [كامل]

إبْدأْ بنفسك فـآنهَهَا عن غَيِّهَا   فـإذا آنتهَتْ عنه فـأنتَ حَكِيمُ

---

(١) وردت هذه الأبيات في معجم الشعراء ص ٢٩٦ بآختلاف بسيط عما هنا.

(٢) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشـل الليثي، من شعراء «الحماسة». شـاعر مشهـور، كان على عهد معاويـة. المؤتلف والمختلف للآمـدي ص ١٧٩ ومعجم الشعراء للمـرزباني ص ٤٠٩ - ٤١٠ والأعلام ج ٥ ص ٢٧٥.

فَهناكَ تُعذِرُ إنْ وَعَظْتَ ويُقتَدَى   بـالقـول منـك ويُقْبَـلُ التعليمُ
لا تَنْـهَ عن خُلُقٍ وتــأتِيَ مثلَه   عارٌ عليكَ،إذا فعلْتَ، عظيمُ(١)

وقال آخر: [طويل]
ويأخُذُ عيْبَ الناس مِنْ عَيْبِ نفسِه   مُـرَادٌ لَعَمْـرِي مـا أراد قـريبُ

وقال آخر: [طويل]
لَكَ الخيرُ، لُمْ نَفْساً عليك ذُونوبُها   ودَعْ لَوْمَ نَفسٍ ما عليك تُلِيمُ(٢)
وكيف تَرَى في عين صاحبك القَذَى   ويَخْفَى قَذى عينيك وهو عظيمُ

كان رجلٌ مِنَ المتـزَمِّتِينَ(٣) لا يزالُ يَعِيبُ النبيـذَ وشَرَابَـه فإذا وَجَـدَه سِرّاً شَرِبَهُ؛ فقال فيه بعضُ جيرانه: [طويل]
وعَيَّـابَةٍ للشُّـرْبِ لو أَنَّ أُمَّـه   تبولُ نبيذاً لم يزلْ يَسْتَبِيلُهَا

قال رجل لعمرو بن عُبَيد: إني لأَرْحَمُـك مما تقـولُ الناسُ فيـك؛ قال: أفتسمَعُنِي أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا؛ قال: إيّاهُم فَارحَمْ.

قال أعرابيّ لامرأته: [متقارب]
وإمّا هَلَكْتُ فلا تَنْكِحِي   ظَلُومَ العَشيرَةِ حَسَّادَهَـا
يَـرَى مَجْدَه ثَلْبَ أعـراضها   لـديه ويُبْغِضُ مَنْ سَـادَهَا(٤)

(١) ورد البيت الأول والثالث في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٥) وذكر الزركلي في الأعلام (ج ٥ ص ٢٧٥) أن بيته الأخير مشهور شعر المتوكل، كذلك ورد البيت الأخير في المؤتلف والمختلف ص ١٧٩ ومعجم الشعراء ص ٤١٠.
(٢) تُلِيمُ: من ألامَ الرجلُ إذا أتى ذَنْباً يلام عليه.
(٣) من تَزَمَّتَ إذا توقَّر في مجلسه، ومنه الزِّمِيت أي الوَقُور الساكن القليل الكلام، والزِّمِّيت: أو قر منه.
(٤) هذان البيتان لحسان بن ثابت كما في ديوانه من قصيدة مطلعها:
أَلَـمْ تَـذْرِ الـعـيـنُ تـسـهـادهـا   وجَـرْيَ الـدمـوع وإنـفـادهـا
وقد ورد البيتان المذكوران في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ١٥.

باب السِّعَاية

روى وكيع عن أبيه عن عَـطَاء بن السائب قـال: قَدِمْت مِنْ مكـة فلقيني الشعبيُّ فقال: يا أبا زيد أطْرِفْنَا ممـا سمعتَ؛ قلتُ: سمعتُ عبدَ آلـرحمن بنَ عبد الله بن سَابِط يقول: لا يَسْكُن مكّةَ سافِكُ دمٍ ، ولا آكـلُ رِباً، ولا مَشَّـاءٌ[1] بنميم؛ فعجبْتُ منـه حين عَدَلَ النميمـةَ بسَفْـكِ آلـدمـاء وأكْـلِ آلـرِّبـا؛ فقـال الشعبيّ: وما يُعجِبُك مِنْ هذا؟ وهل تُسفَكُ آلدِّماءُ وتُركب العظَائمُ إلا بالنميمة؟

عاتب مُصْعَب بن آلزبير الأحنفَ بن قَيس على شيءٍ بلغه عنـه، فاْعتـذَر إليـه الأحنفُ مِن ذلك ودَفَعـه؛ فقـال مُصعَبٌ: أخبـرني بـذلـك الثِّقـةُ؛ فقـال الأحنفُ: كلّا أيها الأميرُ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ. قال الأعشى: [طويل]

وَمَنْ يُطِعِ الواشِينَ لا يترُكُوا له صَديقاً وإن كانَ آلحبيبَ المقرَّبَا

وذُكِرَ السِّعَاةُ عند المأمون فقال رجلٌ ممن حضـر؛ يا أميـر آلمؤمنين، لو لم يَكُنْ مِنْ عيبِهم إلاّ أنَّهم أصـدقَ ما يكـونـونُ، أبغضُ مـا يكـونـون إلى الله لَكَفاهُمْ.

سعى رجـلٌ إلى بلالِ بن أبي بُـرْدَةَ برجـل؛ فقـال لـه: إِنصـرِفْ حتى أسأَلَ عمّا ذَكَرْتَ، وبَعث في المسألة عن السَّاعي فإذا هو لغير أبيه الذي يُدْعَى له، فقـال بلالٌ: أخبـرنا أبـو عمرو قـال: حدّثني أبي قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «السَّاعي بالناس لغير رِشْدَة»[2]. وقال الشاعر: [وافر]

إذا الوَاشِي نَعَى يوماً صديقاً فلا تَدَعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِي[3]

---

(١) مشّاءُ بنميم: الذي يمشي بـالنميمة ليفسـد ما بين الأصـدقاء من صـلات. وهذا من قـول الله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلّاف مهين هَمّازٍ مَشّاء بنميم﴾ سورة القلم ٦٨، الآيتان ١٠ و١١.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب مادة (رشد) ما نصُّه: في الحديث: من ادَّعى ولداً لغيـر رِشْدةٍ فلا يرثُ ولا يورث. يقال: هذا ولدُ رِشْدَةً إذا كان لنكاح صحيح، أي لزواج صحيح.

(٣) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٣) ونَعَى: أي نعى الصداقة التي بينك وبينه.

أَتى رجلٌ الوليدَ بنَ عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لأبيه، فقال: للأمير عندي نصيحةٌ؛ فقال: إن كانت لنا فأَظْهِرْها، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها؛ قال: جارٌ لي عَصَى وفَرَّ مِنْ بَعثِه؛ قال: أمّا أنتَ فتخبر أنكَ جارُ سوء، فإنْ شئْتَ أرسَلْنا معك، فإنْ كنتَ صادقاً أقْصيْناكَ، وإن كنتَ كاذباً عاقبْناك، وإن شئْتَ تارَكْنَاكَ؛ قال: بل تارِكْنِي.

وقال عَبْدَةُ بنُ الطّبيب[1]: [كامل]

وآعصُوا آلذي يُسْدِي النميمةَ بينكُمْ ... مُتَنَصِّحاً وهو السِمّامُ[2] آلمُنقَعُ
يُزْجِي عَقارِبَهُ لِيبْعَثَ بينكُمْ ... حَرْباً كما بَعَثَ العُرُوقَ آلأخدَعُ[3]
حَرّانُ لا يَشْفِي غَليلَ فُؤادِهِ ... عَسَلٌ بماءٍ في آلإناء مُشَعْشَعُ[4]
لا تأمَنُوا قوماً يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ ... بين القبائل بالعَدَاوة يُنْسَعُ[5]
إن آلذين تَرَوْنَهُمْ خُلاَّنَكُمْ ... يَشْفِي صُدَاعَ رُؤوسِهِمْ أنْ تُصْرَعُوا
فَضَلَتْ عَدَاوتُهمْ على أحلامهمْ ... وأَبَتْ ضِبَابُ[6] صدورهِمْ لا تُنزَعُ
قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ[7] عليهِمُ ... حَدَجُوا قَنافِذَ بالنميمة تَمْزَعُ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٢ من ص ٢٨٧.
(٢) السِّمامُ: ج السُّم.
(٣) يُزْجي عقاربه: يسوقها. والأخدع: عزف في العنق في موضع الحجامة.
(٤) حَرّانَ: عطشان. ومُشَعْشَعُ: ممزوج.
(٥) يَنْسَعُ: يؤذي جيرانه.
(٦) الضِباب: ج ضَبّ، والمراد به الغِلّ الممعن في الصدر إمعان الضبّ في جحرهِ والضبُّ أيضاً: وَرَمٌ في صدر البعير، والغيظ والحقد الخفي.
(٧) دَمَسَ الظلامُ: اشتدَّت ظلمته. وحَدَجُوا قنافذَ: رحلوا، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والإحتيال في الشرِّ كما يسهر القُنْفُذ الذي يسير ولا ينام ليله أجمع. وتَمْزَعُ: تُسْرِعُ.

وقال أبو دَهْبَلٍ[١] آلجُمَحِيُّ: [طويل]

وقد قَطَعَ الواشونَ ما كان بيننا ... ونحن إلى أنْ يُوصَلَ آلحبلُ أحْوَجُ
رَأَوْا عَـوْرَةً فآستقبلوهـا بِأَلْبهِمْ[٢] ... فَراحُوا على ما لا نُحِبُّ وأَدْلَجُوا
وكانوا أنـاساً كنْتُ آمَنُ غيبَهمْ ... فلم يَنْهَهُمْ حِلمٌ ولم يَتَحـرَّجُوا

وقال بشّارٌ: [خفيف]

تَشتَهي قُـربَكَ الرَّبابُ وتَخْشَى ... عَيْنَ واشٍ وتَتَّقِـي أسمَـاعَـهْ
أنتَ مِنْ قلبهـا مَحَـلُّ شَـرَابٍ ... تَشتَهِي شُرْبَهُ وتَخشَى صُـدَاعَهْ

وقال أبو نُوَاس: [منسرح]

كنتُ من الحبّ في ذُرَى نِـيْقِ ... أَرُودُ منـه مَـرَادَ مَـوْمُـوقِ[٣]
حتى ثَنَـانِي عـنـه تَخَـلُّقُ وا ... شٍ كِـذْبَـةً لَفَّهَـا بِتَـزْوِيقِ
جُبْتُ قَفَـا مـا نَمَتْـه مُعْتَـذِراً ... منـه وقـد فُزْتُ بعـد تخـريق
كقَـول كسـرى فيمـا تَمَثَّله ... مِنْ فُرَصِ آللِّصِّ ضَجَّةُ السُّوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قَلَّمَا يُمْنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه، فإن آلماءَ أَلْيَنُ من القول والحجرَ أصلب من القلب، وإذا آنحدَر عليه وطال ذلك أثّر فيه، وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فَتَنبُتُ ويُقطعُ آللحمُ بالسيوف فيندمِلُ وآللسانُ لا يندملُ جُرحُه، والنُّصُولُ تَغِيبُ في آلجوف فتُنْزَعُ والقولُ إذا وصل إلى القلب لم يُنزَعْ، ولكلّ حريقٍ مُطفِيءٌ: للنار الماءُ، وللسمّ آلدواءُ، وللحزن الصبرُ، وللعشق الفُرقةُ، ونارُ آلحِقدِ لا تَخْبُو.

---

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٥ من ص ٢٧٨.
(٢) بِأَلْبهم: بجمعهم.
(٣) النِّيْقُ: المرتفع. وأَرُدْهُ: أطلب؛ من راده يَرُوْدُهُ رَوْداً.

وقال طَرَفَةُ بن العبد: [كامل]

وتَصُدُّ عنك مَخِيلَةَ الرجُلِ الـ ـعِرِّيض[1] مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ
بِحُسَامِ سيفكَ أو لسانِكَ والـ ـكَلِمُ الأصِيلُ كَأوسَعِ الكَلْمِ[2]

ونحوه قوله: [بسيط]

والقــولُ يَنفُــذُ مــا لا يَنفُــذُ ٱلإبَــرُ

وقال ٱمرؤ القيس: [متقارب]

وجَــرْحُ ٱلـلِّســانِ كَـجَــرْحِ الـيــدِ

سأل رجلٌ عبدَ ٱلملك بن مروان ٱلخَلْوَةَ؛ فقال لأصحابه: إذا شِئتم تَنَحَّوْا؛ فلما تَهَيَّأ ٱلرجلُ للكلام قال له: إياكَ وأنْ تمدَحني فإني أعرَفُ بنفسي منكَ، أو تَكْذِبَني فإنه لا رأْيَ لكَذُوبٍ، أو تَسعَى بأحدٍ إليَّ، وإن شئْتَ أنْ أُقيلَكَ أَقَلْتُكَ؛ قال: أَقِلْنِي.

وقال ذو الرياستين: قبول السِّعايةِ شرٌّ من السِّعايةِ، لأن السعايةَ دِلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شيءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ، فـٱمْقُتِ الساعِيَ على سِعَايَتِه وإنْ كان صادقاً لِلُؤْمِه في هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ ٱلحرمةِ، وعاقِبْهُ إن كان كاذباً لجمعهِ بين هَتْكِ العورة وإضاعةِ ٱلحرمةِ مُبَارزةً لِلَّهِ بقول البهتان والزور.

وقال بعضُ المُحْدَثين لعبد الصمد[3] بن ٱلمعذَّل: [طويل]

لَعَمْرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عَدُوُّه ولكنّما سَبَّ الأميرَ المبلِّغُ

(١) العِرِّيضُ: الرجل الذي يتعرَّض الناس بالشرّ.
(٢) هذان البيتان وردا في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٧٩.
(٣) عبد الصمد بن المُعَذَّل من بني عبد القيس وهجّاء من شعراء الدولة العباسية ولد ونشأ في البصرة وتوفي نحو ٢٤٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١١.

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك: إنَّ فلاناً شَتمكَ؛ فأكبّ ثم قـال: أُراهُ شتَمكَ. وأتى رجلٌ آبنَ عمرَ فقال له: إن فلانـاً شتمكَ؛ فقـال له: إنّي وأخي عاصِماً لا نُسَابُّ أحداً.

عَوانةُ قال: كان بين حاتم طيء وبين أَوْس[1] بن حارثـة ألطفُ مـا يكون بين آثنين؛ فقال النعمانُ بنُ آلمنذِر لجلسائه: والله لأُفْسِدَنَّ مـا بينهما؛ قـالوا: لا تَقـدِرُ على ذلك؛ قـال: بلى، فقلّمـا جَـرتِ الـرجـالُ في شيء إلا بَلَغَتْـه؛ فدخل عليـه أوسٌ؛ فقال: يـا أوسُ، ما آلـذي يقولُ حـاتمٌ؟ قال: ومـا يقولُ؟ قال: يقول إنه أفضلُ منك وأشرفُ؛ قـال: أبيْتَ اللّعْنَ، صَدَقَ! واللّهِ لـو كنتُ أنا وأهلي وولدي لحاتم لأَنْهَبَنا في مجلسٍ واحدٍ، ثم خرج وهو يقولُ[2]: [طويل]

يقولُ لِيَ النعمانُ لا مِنْ نصيحةٍ ... أرى حـاتماً في قـوله مُتَـطَاوِلَا
لـه فَوقَنـا باعٌ كمـا قال حـاتمٌ ... وما النُّصْحَ فيما بيننا كان حَاوَلَا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثلَ مقالته لأوسٍ؛ قال: صَدَقَ، أين عسى أن أَقَعَ مِن أوس! له عشرةُ ذكورٍ أَخَسُّهم أفضلُ مِنّي، ثم خرج وهو يقول: [طويل]

يُسائِلُني النعمانُ كَيْ يَسْتَـزِلَّني ... وهَيهات ليْ أنْ أُستضَامَ فَأُصْرَعَا
كَفَانِيَ نَقْصاً أن أُضيمَ عَشِيرتي ... بقـولٍ أُرَى في غيره مُتَـوَسِّعـا

فقال النعمانُ: ما سمِعْتُ بأكرمَ من هذَيْنِ الرجلين.

ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع آلمهديّ أنه وافاه في يوم واحدٍ ثمـانون

---

(١) أوس بن حارثة من الأزْد وَجدُّ قبيلة الأوس، جاهلي. الأعلام ج ٢ ص ٣١.
(٢) هو الشاعر أوس بن حارثة الذي مرّ ذكره آنفاً ومرت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٢٣ من هذا الجزء.

رُقعةً كُلّها سعايةٌ، منها ستون لأهل البَصْرة، وعشرون لسائر البلاد.

وَشَى وَاشٍ برجلٍ إلى ٱلإسكندر؛ فقال له: أَتُحِبُّ أنْ أقبلَ منك ما قُلتَ فيه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك؟ قال: لا؛ قال: فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفَّ عنك الشَّرُّ.

كتب بعضُ إخواننا من الكُتَّاب إلى عاملٍ وكان سُعِيَ به إليه: لست أنفكُّ فيما بيني وبينك من إحدى أربع: إما كنْتَ مُحسِناً وإنك لكذلك فأَرْبُبْ، أو مُسِيئاً ولسْتَ به فأبْقِ، أو أكونُ ذا ذنبٍ ولم أتعمَّدْ فتغمَّدْ، أو مقروفاً وقد تَلحَقُ به حِيلُ الأشرار فتثبَّتْ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[1].

باب الكذب والقِحَة[2]

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثنا سليمان بن داود عن مَسْلَمَةَ بنِ علقمة عن داود بن أبي هندٍ عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن الزِّبْرِقَان عن النَّواسِ بن سَمْعَانَ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَصلُحُ الكذبُ إلا في ثلاثةِ مواضعَ: الحربِ فإنها خُدْعةٌ والرجلِ يُصلِحُ بين آثنين والرجلِ يُرْضِي آمرأته».

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا بَرْبرُ بنُ هارونَ قال: أخبرنا سفيانُ ابنُ حسين عن الزهريّ عن حُميدِ بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لم يَكْذِبْ مَنْ قال خيراً وأصلَحَ بين آثنين».

---

(١) سورة القلم ٦٨، الآيتان ١٠ و ١١. والمعنى: لا تُطعْ كثير الحَلْف بلا ضرورة؛ لأنه يشعر من أعماقه بآتهام الناس له وآرتيابهم بأقواله. والهَمّازُ: كثير الطعن في أعراض الناس. ومَشَّاء بنميم: الذي يمشي بالنميمة ليفسد ما بين الإخوان والجيران من صلات. التفسير المبين.

(٢) القِحَةُ: قلة الحياء؛ من وَقحَ يَوْقَح وُقُوحَةً وقِحَةً.

قال: حدّثني عَبْدَةُ بن عبد الله قال: حدّثنا أبو داود عن عِمران عن قتادة قال: قال أبو الأسود الدؤليّ: إذا سَرَّكَ أن تُكْذِبَ صاحِبَك فَلَقِّنْه.

حدّثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال: قيل للنبيّ ﷺ: «أيكونُ المؤمن جباناً؟ قال: نعم قال: أفيكون بخيلاً؟ قال: نعم قال: أفيكون كذّاباً؟ قال: لا». قال: حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال: عاتب إنسانٌ كذّاباً على الكذب؛ فقال: يا آبن أخي، لو تَغْرغَرْتَ[1] به ما صَبَرْتَ عنه. قال: وقيل لكذوب: أصَدَقْتَ قطُّ؟ قال: أكره أن أقول لا فأصْدُقَ. وقال آبن عبّاس: الحدثُ حَدَثانِ: حدثٌ مِن فِيكَ وحدثٌ مِن فَرْجِكَ. وقال مديني: مَنْ ثَقُلَ على صديقه خَفَّ على عدوّه، ومَنْ أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون. ومثلُه قول الشاعر: [سريع]

ومَنْ دَعا النـاسَ إلى ذَمِّـهِ ذَمُّـوه بـالحقّ وبـالبـاطـلِ
مَقَـالَـةُ السّـوءِ إلى أهلهـا أسْـرَعُ مِن مُنحَدِرٍ سـائـلِ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: كلّ ما أصابَ الصائمُ شَوىً[2] ما خلا الغِيْبةَ والكذِبَ. وقال سليمان بن سعد: لو صَحِبَني رجلٌ فقال: اشترطْ خَصلةً واحدة لا يزيد عليها، لَقُلْتُ لا تَكْذِبْني. كان آبن عبّاس يقول: الكذبُ فُجور، والنميمة سحرٌ، فمن كذب فقد فجَر، ومن نمّ فقد سحَر. وكان يقال: أسْرِعْ الاستماعَ وأبطىء التحقيق. قال الأحنف: ما

---

(١) تَغَرْغَرْتَ به: رَدَّدْتَهُ في حلقك.

(٢) الشَّوَى: الشيء اليسير الهَيِّنُ. وأصل الشَّوَى: الأطراف؛ ومعنى الحديث أن كل شيء أصابه الصائم هَيِّنٌ لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقاتل، ما عدا الغِيْبَة والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. وفي سورة المعارج ﴿نَزَّاعَةً للشَّوَى﴾ رقم ٧٠ آية ١٦. والمعنى: تنتزع الأعضاء من أماكنها وتشويها، ثم إلى الحياة كما كانت، وهكذا دوالبك، التفسير المبين.

خانَ شريفٌ ولا كـذَبَ عاقلٌ ولا آغتابَ مُؤمِنٌ. وكـانوا يحلِفـون فيحنَثـون[١] ويقولون فلا يكذِبون. ذمّ رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعـةُ العَقْعَق[٢] يعني السَّـرقَ، وروَغـانُ الثعلب يعني الخبّ، ولمعَـانُ البـرق يعنِي الكـذبَ. ويقال الأذِّلاء أربعة: النمّـامُ والكذّاب والمَـدِيْن والفقير. قـال آبن المقفّع: لا تَهاوَنَنَّ بإرسال الكِذْبة في الهَزْل فإنها تُسـرِعُ في إبطال الحقّ. وقـال الأحنف: اثنـان لا يجتمعان أبـداً: الكـذبُ والمـروءةُ. وقـالـوا: مِن شـرف الصِّـدق أنَّ صاحبَهَ يُصَدَّق على عدوّه. وقال الأحنف لابنه: يـا بُنيّ، اتّخِذ الكـذِبَ كَنْزاً؛ أي لا تُخرجه. وقيل لأعرابيّ كان يُسهِبُ في حديثه: أَمَا لحـديثك هـذا آخِرٌ؟ فقال: إذا آنقطع وصلْتُه. وقال آبن عمر: زعموا زاملةُ[٣] الكـذب. كان يقـال: عِلّة الكَذوب أقبحُ عِلَّة، وزَلّة المتـوقِّي أشدُّ زَلَّة. كان المهلَّب كذّاباً وكان يقـال له: راحَ يَكذِب. وفيه يقول الشاعر[٤]: [وافر]

تَبَـدَّلَتِ المنابـرُ من قُـريشٍ   مَـزُونيّـاً بفَقْحَتِـهِ[٥] الصليبُ
فـأصبَحَ قـافـلاً كَـرَمٌ وجُـوْدٌ[٦]   وأصبـح قادِمـاً كَـذِبٌ وحُـوبُ

قال رجل لأبي حنيفة: ما كذبتُ كِذْبةً قَطّ؛ قال: أمَّا هذه فواحدةٌ يُشهَـدُ

(١) خَنِثَ الرجلُ: مال من باطل إلى حقّ، وعكسه.
(٢) العَقْعَقُ: طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ويقال له: القعقع، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل في السرقة والخيانة والخبث.
(٣) الزاملة: الدابة التي يُحْمَلُ عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطيَّة الكذب ومركبه.
(٤) هو البعيث بن عمرو بن مُرَّة بن وُدٍّ بن زيد بن مُرَّة اليَشْكُري؛ قال هذا الشعر يهجو المهلَّب بن أبي صُفْرة لما قدم خُراسان كما مرّ في لسان العرب مادة (مزن) مورداً بيتاً ثالثاً هو:

فـلا تـعـجـبْ! لـكـل زمـانِ سـوءٍ   رجـالٌ، والـنـوائـبُ قـد تَـنُـوبُ

(٥) المـزوني هو المُهَلَّب بن أبي صُفْـرَة نسبة إلى المَـزُون، وهي أرض عُمان. والفَقْحَـةُ: حلقـة الدُّبُر أو الواسعة منها لانفتاحها عند الحاجة.
(٦) في لسان العرب: «ومَجْدٌ» بدل «وجُودٌ».

بها عليك. قال ميمون بن ميمون: مَنْ عُرِف بـالصدق جـاز كذبُـه، ومَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَجزِ صدقُـه. قال أبـو حَيّة النُّمَيْـريّ ـ وكان كـذّاباً ـ: عنَّ لي ظَبيٌ فرميْتُه فراغ عن سهمي فعارضه واللَّهِ السهمُ، فراغ فراوغَه السهمُ حتى صرعه ببعض الخَبَارات[١]. وقال أيضـاً: رميْتُ ظبيةً فلمـا نفَذ السهمُ ذكـرْتُ بالـظبية حبيبةً لي فشددتُ وراء السهم حتى قبضْتُ على قُذَذِه[٢]. وصَفَ أعرابيّ آمـرأة فقيل: ما بلغَ من شِدّة حُبّك لها؟ قال: إني لأذْكُرها وبيني وبينها عقبةُ الطائف فأجِدُ من ذكرها ريحَ المسك.

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك: [وافر]

ثـلاثٌ واثنتـانِ فهنَّ خَـمْسٌ وسَـادسةٌ تميـلُ إلى شِمَـامِ[٣]
فبِتْنَ بِجَـانِـبَيَّ مُـصَـرَّعَـاتٍ وبتُّ أُفُضُّ أغـلاقَ الخِتَـامِ
كـأنَّ مَفَـالِقَ الـرمَّـان فيهـا[٤] وجَمْرُ غَضاً قَعَدْنَ عليه حَامِي[٥]

فقال له سليمـان: ويحك يـا فرزدقُ، أَحْللتَ بنفسـك العقوبـةَ، أقْررْتَ عنـدي بالـزنا وأنـا إمامٌ ولا بـدَّ لي من أن أَحُدَّكَ؛ فقـال الفرزدقُ: بـأيِّ شيء أوجبْتَ عليّ ذلك؟ قال: بكتاب الله؛ قال: فإن كتابَ الله هو الذي يَـدْرأُ عنّي الحدَّ؛ قال: وأين؟ قال: في قوله: ﴿ وَٱلشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوونَ أَلَمْ تَـرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وَادٍ يهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾[٦] فأنا قلتُ: يا أميرَ المؤمنين،

(١) الخَبَـارَاتُ: ج خَبَارَة وهي مـا لان وآسترخى من الأرض وسـاخت فيها القـوائم، وفي المثـل: «من تَجَنَّب الخَبارَ أَمِنَ العَثَار».
(٢) القُذَذُ: ج قُذَّة وهي ريش السَّهْم.
(٣) الشِّمامُ: القُبَلُ والرَّشْفُ.
(٤) في الأصل: «فيها».
(٥) ستذكر هذه الأبيات في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ١٠٧.
(٦) سـورة الشعـراء ٢٦، الآيـات ٢٢٥ و ٢٢٥ و ٢٢٦. ومعنى الآيـة الأولى: «﴿والشعراء يَتَّبِعُهُم =

ما لم أفعل؛ وقول الشاعر: [رجز]

وإنما الشاعـرُ مجنونٌ كَلِبْ أَكثرُ ما يأتي على فِيهِ الكذِبْ

وقال الشاعر: [مجزوء الكامل]

حَسْبُ الكذوب مِن البَلِيْـ ـيَةِ بعضُ ما يُحْكى عليْه
مهمـا سمِعْتَ بِكِـذْبــةٍ مِنْ غيــره نُسِبَتْ إليــه

وقال بشّار: [كامل]

ورَضِيتُ من طُولِ العَناءِ بيأسِه واليأسُ أيْسَرُ مِنْ عِدَاتِ[١] الكاذبِ

والغرب تقول: «أَكذَبُ مِنْ سَالئةٍ[٢]» وهي تكذب مخافة العين على سَمْنها. و «أكذَبُ مِن مُجَرِّب» لأنه يخاف أن يُطلَبَ من هِنائه[٣]. و «أكذبُ مِنْ يَلْمَـعٍ» وهو ٱلسراب. منصور ٱبن سَلَمة الخُزَاعيّ قال: حدّثنا شبيبُ بن شيبة أبو مَعْمَر الخطيب قال: سمعت ٱبن سِيرين يقول: الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ. وقال في قول الله عـزّ وجلّ: ﴿لَا تُؤَاخِـذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[٤] لم يَنْسَ ولكنهـا من

= الغاوون﴾: قال المشركون عن محمد ﷺ من جملة ما قالوا: إنه شاعرٌ، فردَّ عليهم سبحانه أن الشعراء يتّبعهم أهل الجهل والضلال، والذين آمنوا بمحمد وأتّبعوه إنما اتبعوه عن علم بصدقه ودليل على نبوَّته. ومعنى: ﴿ألم تَرَ أنهم في كل وادٍ يَهيمُون﴾ أن الشعراء يتخيلون وينظمون كلاماً لا أساس له إلّا ما يدور في رؤوسهم. ومعنى الآية الأخيرة: إذا كان الشعراء يقولون ما لا يفعلون فإن محمداً يقول ما يفعل ولا يقول ما لا يفعل. التفسير المبين.

(١) العِداتُ: ج عِدَة وهي الوعد؛ من وَعَدَهُ يَعِدُهُ عِدَةً.

(٢) السـالئة: هي التي تَسْلأ السَّمْنَ أو تطبخـه وتعالجـه فيذوب زُبْـدُهُ. قال الميداني في مجمع الأمثال: وكذبها أنها تقول: قد أرتجن، قد أحترق، والإرتجان إلّا يخلص سَمْنُها.

(٣) الهِناءُ: القطران.

(٤) سـورة الكهف ١٨، آية ٧٣. والقـول في الآية هـو لموسى يـردُّ فيه على الخضـر الذي خـرق السفينـة بلا مبـرِّر. وتدل هـذه الآية بـظاهرهـا أن النسيان في غيـر التبليغ عن الله جـائـز على الأنبياء، أما فيه فمحال؛ لأن النبي ﷺ في هذه الحال بالخصوص هو لسان الله وبيانه.

معاريض الكلام. وقال القينيُّ: أَصْدُقُ في صِغار ما يضـرُّني لأُصَدَّقَ في كبـار ما ينفعُني. وكان يقول: أنا رجل لا أبالي مـا آستقبلْتُ به الأحـرارَ. نافـرَ رجل من جَرْم رجلاً من الأنصـار إلى رجل من قـريش، فقال للجَـرْمِيِّ: أبالجـاهليّةِ تُفاخِرُهُ أمْ بالإسلام؟ فقال: بالإسلام؛ فقال: كيف تُفاخِره وهم آوَوْارسـولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلامَ؟ قال الجرميّ: فكيف تكون قِلّةُ الحيـاء. وقال آخـر: إنما قَـوِيْتُ على خصومي بـأنّي لم أستتِـر قطُّ بشيء من القبيح. وذكـر أعرابيّ رجلاً فقـال: لو دُقَّ وجهُـه بالحجـارة لرضّهـا، ولو خـلا بأستـار الكعبة لسَرَقها. قيـل لرجـل من بني أسد: بـأيِّ شيء غلبْتَ النـاسَ؟ قـال: أَبْهَتُ الأحياءَ وأستشهِدُ الموتى. وقال طُرَيْحٌ[1] الثقفيُّ يذمّ قوماً: [بسيط]

إن يَعلَمُـوا الخيرَ يُخْفُـوْهُ وإن عَلِمـوا شَـرّاً أُذِيْـعَ وإنْ لم يَعْلَمُـوا كَـذَبُـوا

وكان يقال: اثنان لا يتّفقانِ أبـداً: القناعـةُ والحسدُ، واثنـان لا يفترقـان أبداً: الحِرص والقِحة، وقال الشاعر: [مجزوء الكامل]

إنْ يبخلو أو يَـغْـدِرُوا أو يَـفْـخَـرُوا لا يَـحْـفِـلُوا
يَغْـدُوا عليـك مُـرَجِّليـ[2] ـنَ كـأنّـهُـمْ لـم يَـفْـعَـلُوا
كـأبي بَـراقِشَ[3] كُـلَّ لَـوْ نٍ لَـوْنُـه يَـتَـخَـيَّـلُ

هَجَا أبو الهولِ الحميريُّ الفضـلَ بنَ يحيى ثم أتاه راغبـاً إليه؛ فقـال له

---

(١) طُرَيْح الثقفي شـاعر الـوليـد بن يـزيـد الأمـوي وخليله. تـوفي سنـة ١٦٥ هـ. الأعـلام ج ٣ ص ٢٢٦.

(٢) جَزَمَ الشاعرُ: «يغدوا» لأنه بدل من «لا يحفلوا» غدوّهم مُرَجَّلين هـو في معنى أنهم لم يحلفوا. والترجيل هو إرسال الشَّعْر.

(٣) أبو بَرَاقش: طائر يتلوّن ألواناً شبيـهٌ بالقُنْفُذ أعلى ريشه أغبـر وأوسطه أحمـر وأسفله أسود فـإذا انتفش تغيرً لونه ألواناً شتّى.

الفضل: ويلكَ بأيِّ وجه تلقاني! قال: بالوجه الـذي ألقى به ربّي وذنـوبي إليه أكثرُ؛ فضحك ووصله.

ومن أمثال العرب في الوَقَاحِ «رَمَتْنِي بدائِهَا وٱنسَلَّتْ». وقال الشاعر:

[طويل]

أَكُولٌ لِأرزاقِ العباد إذا شَتَا صَبُورٌعلى سُوءِالثَّنَاءِ[1] وَقَاحُ

قـال رجلٌ لقـوم يغتابـونَ ويكذِبـونَ: تَوضَّـأوا فـإنَّ مـا تقـولـون شـرٌّ من الحَدَث. وبلغني عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمد قال: قلْتُ لعَبِيدَةَ: ما يوجبُ الوضوءَ؟ قال: الحدَثُ وأذى المسلم. روى الصَّلْتُ بنُ دينار عن عُقْبـةَ عن أَنَس بن مـالك قـال: بعثني أبو مـوسى الأشعـريّ من البصـرة إلى عمـرَ؛ فسـألني عن أحوال النـاس ثم قـال: كيف يَصلُحُ أهل بلدٍ جُـلُّ أهلِهِ هَـذَانِ الحَيَّانِ: بكرُ بن وائل وبنو تميم، كَذَبَ بكرٌ وبَخِلَ تميمٌ. ذكر بعضُ الحكمـاء أعاجيبَ البحر وتَـزَيُّدَ البحْـرِيِّينَ فقال: البحـرُ كثيرُ العجـائب، وأهلُه أصحابُ تَـزَيُّدٍ، فـأفسَدُوا بقليـل الكذب كثيـرَ الصِّدق، وأَدخَلوا مـا يكونُ فيمـا يكادُ لا يكـونُ، وجعلوا تصـديقَ النـاس لهم في غـريب الأحـاديث سُلَّمـاً إلى ٱدِّعـاءِ المُحَالِ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: كان يقال: الصِّدقُ أحياناً مُحرَّمٌ.

حدّثني شيخٌ لنا عن أبي معاويةَ قال: حدثنا أبـو حنيفةَ عن معن بن عبـد الرحمن عن أبيه قال: قال عبدُ الله بن مسعود: مـا كذبتُ على عهـد النبيّ ﷺ إلا كَذْبةً واحدةً، كُنتُ أُرَحِّلُ لـرسول الله ﷺ فجـاء رجلٌ من الـطائف فقلت: هذا يَغْلِبُني على الرَّحَـال؛ أيُّ الرِّحـال أحبُّ إلى رسول الله؟ فقلت: الـطائفيّة

(١) يستعمل الثناء في ذكر المرء بالخير أو ذكره بالشرّ.

المكيّةُ، فرحَّل بها؛ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَحَّلَ لَنا هَـذا» فقالـوا: الطائفيّ؛ فقال: «مُرُوا عبدَ الله فليُرَحِّلْ لَنَا» فعُدْتُ إلى الرِّحال.

باب سوء الخُلُق وسوء الجوار والسِّبَابِ والشرّ

حـدَّثني زياد بن يحيى قـال: حدّثنـا أبو داود عن صـدقة بن مـوسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: قـال رسول الله ﷺ: «خَصْلَتَان لا تَجتَمِعانِ في مُؤْمنٍ سُوءُ الخُلُقِ والبُخلُ».

قـال: وحدّثني أحمـد بن الخليل عن أَزْهـر بن جميل عن إسمـاعيل بن حَكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكـدِر عن جابـر قال: قيـل: يا رسولَ الله ما الشؤمُ؟ قال: «سُوءُ ٱلخُلُقِ».

قال: وحدّثني أبو الخطّاب قـال: حدّثنـا بِشْر بن المفضَّـل قال: حـدّثنا يونس عن الحسن قال: قـال رسول الله ﷺ: المُسْتَبَّانِ ما قـالاَ فَعَلَى البادىء منهما مَا لَمْ يَعْتَدِ المظلومُ».

قـال: وحدّثني سهـل بن محمد عن الأصمعيّ قـال: حدّثني شيـخ بمِنىً قال: صَحِبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فآذاه الرجلُ بسوء خُلقه؛ فقال أيوبُ: إنّي لأرحمُه لسوء خلقه.

قـال: وحدّثني عبـد الرحمن عن الأصمعيّ قـال: قال أبـو الأسـود: لـو أَطَعْنَا المساكينَ في أموالنا كُنّا أسوأَ حالاً منهم. وأوصَى بنيْهِ فقـال: لا تُجاوِدُوا اللّهَ فـإنه أَمجـدُ وأجودُ، ولـو شاء أن يُـوسِّعَ على النـاس كُلِّهم حتى لا يكـونَ محتاجٌ لَفعلَ، فـلا تَجهَدُوا أَنفُسَكم في التـوسُّعِ فتَهلِكُـوا هُزْلاً. قـال: وسمع رجـلًا يقول: مَن يُعَشِّي الجـائـعَ؟ فقـال: عليَّ بـه، فعشاه ثم ذهب لِيخـرجَ؛ فقال: أين تريد؟؛ قال: أُرِيدُ أهلي؛ قال: هيهـاتَ، عَلَيَّ ألاّ تُؤذِيَ المسلمينَ

اللَّيلة، ووضعَ في رجلهِ الأدهمَ حتى أصبح. قال: وأكل أعرابيّ معه تمراً فسقطَتْ مِن يدِ الأعرابيّ تمرةٌ فأخذها وقال: لا أدَعُها للشيطان؛ فقال أبو الأسود: لا واللّهِ ولا لجبريلَ. نظر ٱبنُ[1] الزبير يوماً إلى رجل وقد دَقَّ في صدور أهل الشام ثلاثةَ أرماحٍ فقال: اعتزِلْ حَرْبَنا فإنَّ بيتَ المال لا يقومُ لهذا، وذكر أبو عبيدة[2] أنه كان يأكل في كلّ سبعة أيام أَكْلَةً ويقول في خطبته: إنما بطني شبرٌ في شِبرٍ وما عسى أن يكفيني. وقال أبو وَجْزَة[3] مولى آل الزبير:

[بسيط]

لو كان بطنُكَ شِبْراً قد شَبِعْتَ وقد   أفضلت فضلاً[4] كثيراً لِلمساكينِ
فإنْ تُصِبْكَ مِنَ ٱلأيّام جائِحةٌ[5]   لَانْبُكِ[6] منكَ على دُنيا ولا دِينِ

وفيها يقول: [بسيط]

ما زِلْتَ في سُورة الأعرافِ تَدْرُسُها   حتّى فُؤادُكَ مِثْلُ الحُزِّ في اللّينِ

وفيها يقول:

إنَّ ٱمرأً كنتُ مولاهُ فَضَيَّعنِي   يَرجُو الفلاحَ لَعِندي حَقُّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر: [طويل]

رأيتُ أبا بكرٍ - وربُّك غالبٌ   على أمره - يَبْغِي ٱلخلافةَ بالتمْرِ

---

(١) هو عبد الله بن الزبير، الذي عدّه ابن عبد ربه في العقد (ج ٦ ص ١٧٦) من البخلاء وقال: كانت تكفيه أكلةٌ لأيام.

(٢) أبو عبيدة هو نفسه ابن الزبير.

(٣) أبو وَجْزَة هو يزيد بن عبيد السلمي السعدي، شاعر محدث مقرىء. سكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير. توفي سنة ١٣٠ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٨٥.

(٤) في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٧٦): «أَبْقَيْتَ خبراً كثيراً».

(٥) الجائحة: الشدة والمصيبة العظيمة التي تجتاح المال أي تستاصله كلّه.

(٦) في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٧٦): «لم نَبْكِ».

هذا حين قال: أكلتُم تمري وعصيتُم أمري. وقال بعضُ الشعراء: [كامل]

مِنْ دون سَيبِك لونُ ليلٍ مُظلمٍ ... وحَفيفُ نافجةٍ وكلبٌ مُوسَدُ[1]

وأخوكَ مُحتمِلٌ عليك ضَغينةً ... ومُسِيفُ[2] قومِك لائمٌ لا يَحْمَدُ

والضَّيفُ عندك مثلُ أَسْودَ سالخٍ[3] ... لا بل أحبهُما إليكَ الأَسودُ

ومَدَحَ أعرابيٌّ سعيد[4] بن سَلم فقال: [طويل]

أَيا سارِياً باللَّيلِ لا تَخْشَ ضِلَّةً ... سَعِيدُ بنُ سَلْمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلَادِ

لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سيِّدٍ ... جَوَادٌ حَثَا في وجه كلِّ جوادِ[5]

فلم يُعْطِهِ شيئاً، فقال يهجُوه: [طويل]

لِكلِّ أخي مدحٍ ثوابٌ يُعِدُّه ... وليس لِمدْحِ الباهليِّ ثَوابُ

مَدَحْتُ آبنَ سلمٍ والمديحُ مَهَزَّةٌ ... فكان كَصَفْوَانٍ عليه ترابُ[6]

وقال فيهم الممزِّقُ الحَضْرَميّ[7]: [وافر]

إذا ولَدَتْ حليلةُ باهليٍّ ... غلاماً زِيْدَ في عَدَدِ اللِّئامِ

---

(١) السَّيْبُ: العطاء. والنافجةُ: الريح الشديدة. ومُوْسَدُ: من أُوْسَدَ الكلبَ بالصيد: أغراه به.

(٢) المُسِيْفُ: مَنْ هلك مالُهُ فافتقر.

(٣) الأسود السالخ: الأفعى، وُصِف بالسالخ لأنَّ جلده ينسلخ كل عام.

(٤) هو سعيد بن سَلْم بن قتيبة.

(٥) يريد القول: حَثَا الترابَ في وجوه الأجواد وذلك كناية عن تقصيرهم عن الممدوح في العطاء، فهو جوادٌ سابقٌ يثير الغبار في وجوه الخيل اللاحقة به.

(٦) يقتبس الشاعر عجز هذا البيت من قوله تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عليه ترابٌ﴾ سورة البقرة ٢، آية ٢٦٤. والمعنى: مَثَلُهُ مَثَلُ صخرٍ أملس أو حجر أملس.

(٧) المُمَزِّقُ الحضرمي، ، بكسر الزاي، متأخِّرٌ عن ممزَّق العبدي، بفتح الزاي وقد وردت هذه الأبيات في المؤتلف والمختلف ص ١٨٦ وجاء في البيت الثالث: «مساولة الكرام» بدلاً من «مُساماةِ الكرام».

وعِرْضُ الباهِليِّ وإن تَوَقَّى عليه مِثلُ مِنديلِ الطّعامِ
ولو كان الخليفةُ باهِليّاً لقَصَّرَ عن مُسامَاةِ الكِرَامِ

ودخل قُدامةُ بنُ جَعْدة على قُتَيبةَ بنِ مسلم فقال: أصلحَ اللَّهُ الأميرَ، بالباب أَلأَمُ العرب؛ قال: ومن ذاك؟ قال: سَلُوليٌّ رسولُ مُحاربيٍّ إلى باهليٍّ؛ فضَحِك قتيبةُ. وقال آخر [بسيط]

قَومٌ إذا أكَلُوا أخْفَوْا كلامَهُم وآستوثَقُوا مِنْ رِتَاجِ[1] الباب والدّارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهُمْ فضلَ نارِهِمُ ولا تُكَفُّ يدٌ عن حُرمةِ الجارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائيّ من أهل حِمْص: [بسيط]

سُمْتُ المديحَ رِجالاً دون قِدْرِهِمُ صَدٌّ قبيحٌ ولفظٌ ليسَ بالحسَنِ
فلم أَفُزْ مِنهموُ إلا بما حَمَلَتْ رِجْلُ البعوضةِ مِن فَخّارةِ اللَّبنِ.

وقال آخر: [طويل]

أَلاَمُ وأُعطِي والبخيلُ مُجَاوِري إلى جَنْبِ بيتي لاَ يُلاَمُ ولا يُعْطِي

ونحو هذا قولهم: مَنْعُ الجميع أَرْضَى للجمِيع. وقال بشّار: [كامل]

أَعْطَى البخيلُ فما آنتفعتُ به وكذاك مَنْ يُعطِيكَ مِنْ كَدَرِهْ[2]

قيل لخالد بن صَفْوان: مالك لا تُنفق فإنَّ مالَكَ عَرِيضٌ؟ قال: الدهرُ أعرضُ منه: قيل له: كأنك تأمُلُ أن تعيشَ الدهرَ كلّه؟ قال: ولا أخَافُ[3] أن أموتَ في أوّله.

---

(١) رِتاجُ الباب: غَلَقُهُ.
(٢) كَدَرُهُ: من كَدِرَ الشيء يَكْدُرُ كَدَراً: نقيض صَفَا.
(٣) جاء خبر خالد بن صَفْوان في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٩٧) هكذا: «قيل لخالد بن صَفْوان: مالك لا تنفق... كله؟ قال: لا، ولكن أخاف ألّا أموت في أوله».

قال الجاحظ: قلتُ مَرّةً للحِزَاميّ: قد رضيتَ بقول الناس: عبدُ الله بخيل؛ قال: لا أعدَمَنِي الله هذا الاسمَ؛ قلت: كيف؟ قال: لأنه لا يقال فلانٌ بخيلاً إلا وهو ذو مال، فَسَلِّمْ لِي المالَ وآدعُني بأيّ آسمٍ شِئْتَ؛ قلت: ولا يقال سخيّ إلا وهو ذو مال، فقد جمعَ هذا الإسمُ المالَ والحمدَ وجمعَ هذا الاسمُ المالَ والذمَّ؛ قال: بينهما فرقٌ؛ قلتُ: هاته: قال: في قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المال في مِلْكِهِ، وفي قولهم: سخيّ إخبارٌ عن خروج المال عن ملكه، وآسم البخل آسمٌ فيه حزم وذمّ، وآسم السخاء آسم فيه تضييعٌ وحمد، والمال راهن[1] نافع ومُكرِمٌ لأهله مُعِزٌّ، والحمدُ رِيحٌ وسُخْرِيَةٌ وآستماعهُ ضَعفٌ وفُسُولَةٌ[2]، وما أقلَّ، واللّهِ، غَنَاءِ الحمد عنه إذا جاعَ بطنُه وعَرِيَ جِلدُه وضاعَ عيالهُ وشَمِتَ عَدُوُّهُ!

وكان محمد بن الجَهْم يقول: مِنْ شأن مَن آستغنَى عنكَ ألّا يُقيمَ عليكَ، ومَن آحتاج إليك ألّا يَذْهَبَ عنك، فمن ضَنَّ بصديقه وأحبّ الاستكثار منه وأحب التمتعَ به آحتال في دوام رغبته بأن يُقيمَ له ما يقوته ويمنَعَه ما يُغنِيه عنه، فإنَّ من الزهد فيه أن تُغنيَه عنك ومن الرغبة فيه أن تُحوِجَه إليك؛ وإبقاؤكَ مع الضنّ به أكرمُ من إغنائكَ له مع الزهد فيه؛ وقيل في مثل: «أجْعِ كلبَكَ يَتبعكَ». فمَنْ أغنَى صديقَه فقد أعانه على الغدْر وقطع أسبابه من الشكر؛ والمعينُ على الغدر شريكُ الغادرِ، كما أن مُزَيِّنَ الفجور شريكُ الفاجر. قال: وأوصى عند موته وقال في وصيّته: يزعمون أن رسول الله ﷺ قال: «الثلث، والثلث كثير»؛ وأنا أزعمُ أن ثلثَ الثلثِ كثيرٌ، والمساكينُ حقوقُهم في بيت المال، إن طلبوا طلبَ الرجالِ أخذوه، وإن جلسوا جلوسَ النساء

---

(١) راهنٌ نافعٌ: دائم باقٍ.
(٢) الفُسُولَةُ: النذالة وقلة المروءة.

مُنِعُوه، فلا يُرغِمُ اللَّهُ إلا أنفَهُم ولا يَرحَمُ اللَّهُ مَنْ يرحَمُهُم.

تقدّم رجلانِ من قريش إلى سَوَّارٍ أحدهما يُنازعُ مولىً له في حدّ أرض أقطعها أبوه مولاه؛ فقال سوّار: أتُنازع مولاكَ في حدّ أرض أقطعها أبوك إياه!؛ فقال: الشُّحيحُ أعذرُ من الظالم؛ فرفع سوّار يده ثم قال: اللّهمَّ ارْدُدْ على قريش أخْطَارَها(١).

وقال الخَزْرَجِيّ (٢): [خفيف]

إنَّ جُوْدَ المكِّيِّ جُودُ حجازِيْـ ـيٍّ وجودُ الحجاز فيه اقتصادُ
كيف ترجو النوالَ مِن كفِّ مُعْطٍ قد غَذَتْهُ الأقراصُ والأمدادُ

نَظر سليمان بنُ مُزَاحِم إلى دِرهم فقال: في شِقٍّ «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله» وفي وجه آخر «اللَّهُ لا إله إلا هُو الحيُّ القيّومُ»، ما ينبغي أن يكون هذا إلا مَعَاذَةً وقذَفَه في الصُّندوقِ. أنشدنَا عبدُ الرحمن بن هانىء صاحبِ الأخفش عن الأخفش للخليل(٣): [متقارب]

كفَّاهُ لم تُخلَقَا لِلنَّدَى ولم يَكُ بُخْلُهما بِدْعَهْ
فَكَفٌّ عن الخيرِ مقبُوضَةٌ كما نَقَصَتْ مِائةٌ(٤) تِسْعَهْ

---

(١) الأخطار: ج خَطَر وهو الشَّرَفُ.

(٢) الخزرجي: هو عمرو بن امرىء القيس، من بني الحارث بن الخزرج، شاعر جاهلي. توفي نحو ٥٠ ق هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٣.

(٣) في لسان العرب مادة (شرع): وأنشد الخليل يَذمُّ رجلاً:

كفَّاك لم تُخْلَقا للندى ولم يَكُ لُؤْمُهما بِدْعَةْ
فكفٌّ عن الخير مقبوضةٌ كما حُطَّ عن مائةٍ سَبْعَةْ
وأخرى ثلاثةُ آلافِها وتِسْعُمِئيها لها شِرْعَةْ

يقال: وهذا شِرْعَةُ ذلك أي مثاله.

(٤) قيل: إن لعرب الجاهلية حساباً خاصاً غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع وقد وضعوا كلًّا منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً، فيشار

وكـفُّ ثـلاثـةُ آلافِـهـا وتِسْعُمِئِيهَـا لهـا شِـرْعَـهْ[١]

قل أبو عليّ الضرير[٢]: [وافر]

لعمـرُ أبيـك مـا نُسِبَ المُعَلّى إلى كَـرَمٍ وفي الـدنيـا كـريمُ

ولكنَّ الـبـلادَ إذا آقشـعـرّتْ وصَـوَّحَ نبتُهـا رُعِي ٱلهشـيمُ

وقال آخر: [متقارب]

أَمِنْ خـوف فقـرٍ، تعجّـلْتَـه وأخّـرْتَ إنفـاقَ مـا تَجمـعُ

فصِـرْتَ الفقيـرَ وأنتَ ٱلغَنِيُّ وهل كُنتَ تَعدُو الذي تَصنعُ؟[٣]

خوّف رجلٌ رجلاً جواداً الفَقْرَ وأمره بالإبقاء على نفسِه؛ فكتب إليه: إني أكره أنْ أتركَ أمراً قد وقع، لأمر لعله لا يَقَعُ. وقال أبو الشَّمَقْمق[٤]: [وافر]

رأيتُ الخبـزَ عَـزَّ لـديـكَ حتى حَسِبْتُ الخبـزَ في جَـوِّ السَّحـابِ

= عن الواحد مثلاً بقبض الخِنْصَر وعن الاثنين بقبض البِنْصِر (الإصبع بين الوسطى والخِنْصَـر، والخنصر الإصبع الصغـرى) وهكذا، فـالعدد الـذي أراده الشاعـر وهو ثـلاثة وتسعـون تقضي قواعدهم في هذا الحساب بـأن تقبض الخِنْصَر والبِنْصِـر والوسـطى من اليد اليمنى لتـدل على عدد ثلاثة وتجعل السَّبّابة (الإصبع التي تلي الإبهام) حلقة غير مجوّفة لتدلّ على عدد تسعين، وهذا يوافق ما ذكره ابن منظور في روايته فنرجِّح روايته على رواية ابن قتيبـة. انظر بلوغ الأدب في أحوال العرب (ج ٣ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٨).

(١) تقضي قواعد العـرب في عدّ الآلاف بـأن تقبض من اليد اليسـرى الخِنْصَرَ والبِنْصِـرَ والوسـطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سَبَّابة اليسرى حلقة غير مجوّفة لتـدل على عدد تسعمـائة. المرجع السابق ص ٣٩٩.

(٢) أبو علي الضرير هو الفضل بن جعفر بن يونس، ورغم كونه ضريراً فقد لقِّب بالبصير لذكائه، كان يتشيّع. توفي سنة ٢٥١ هـ. قال هـذين البيتين في المُعَلّى بن أيوب انـظر معجم الشعراء ص ٣١٤.

(٣) ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٧).

(٤) ورد في كتـاب البخلاء للجـاحظ (ص ٧٢ ـ ٧٣) ما نصـه: قال الشَّمَقْمق هـذين البيتين يعيب بهما طعام جعفر بن أبي زهير، وكان له ضيفانٌ في ضيافة جعفر. كما تقدمت ترجمة الشمقمق في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ٢٤٥.

ومـا رَوَّحْـتَـنَـا لِـتَـذُبَّ عـنّـا ... ولكن خِفْتَ مَـزْرِئَةَ الـذُّبـاب[١]

وقال دِعْبِلٌ: [بسيط]

صَـدِّقْ أَلِـيَّتَـهِ إذ قـال مُـجتـهـداً ... لا والـرغيفِ، فذاك البِـرُّ مِنْ قَسَمِهْ!

قـد كـان يُعْجِبُنِي لـو أنَّ غَيْـرَتَـهُ ... على جَـرَاذِقِـهِ[٢] كـانتْ على حَـرَمِـهْ

فـإنْ هَمَمْتَ بـه فَـآفْتِكْ بِخُبْـزَتِـه ... فـإنَّ مَـوْقِعَهـا مِنْ لَحْـمِـه ودَمِـهْ[٣]

وقال الشاعر: [مجزوء الكامل]

أُرفُقْ بحَـفْصٍ حيـن تَـأْ ... كُـلْ يا مُعَـاوِيَ مِن طَعامِـهْ

الـمـوتُ أيسـرُ عـنـده ... مِن مَضْـغ ضَيْفٍ وٱلتقامِـهْ

وتـراهُ مِن خـوف النْـزيـ ... ـلِ بـه يُـروَّعُ في منـامِـهْ

سِيَّـانَ كَسْـرُ رغـيـفـه ... أو كسـرُ عظم من عِـظامِهْ

لا تَـكْسِـرَنَّ رغـيـفَـه ... إن كنْتَ تَـرغَبُ في كلامِـهْ

وإذا مَـرَرْتَ بـبـابـه ... فٱحفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غُـلامِهْ

وقال أبو نُوَاس[٤]: [مجزوء الرمل]

خُبـزُ إسمـاعيـلَ كـالـوشـ ... ـيِ إذا مـا آنشَقَّ يُـرْفَـا[٥]

---

(١) هذان البيتان سيذكران في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٧.

(٢) الجراذق: ج جَرْذَق أو جرذقة، وهو الرغيف، فارسي معرَّب «كرده».

(٣) ستذكر هذه الأبيات في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٦. كما وردت في العقد الفـريد (ج ٦ ص ١٩٠) دون أن يـذكر اسم قـائلها. ولكنهـا وردت لأبي تمـام في ديـوانـه (ج ٤ ص ٤٢٤) تحت عنوان: «وقال يهجو عَيّاشاً» اختلاف يسير في بعض الكلمات.

(٤) قـال أبو نـواس هذا الشعـر في إسماعيـل بن لوبخت بعـد أن نصب إسماعيـل في صحن داره طارمةً (بيت كالقبة من خشب، فارسي معرَّب) وآصطبح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس. وكانت بلغت نفقـة إسماعيـل آنذاك أربعين ألف درهم. وسـوف ترد هـذه الأبيات في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٨.

(٥) يُرْفا: أصلها «يرفأ» وقد حذفت الهمزة الأصلية للضرورة الشعرية.

عجباً من أثر الصَّنعـ ـعَةِ فيه! كيف يَخفى؟
إنَّ رَفَّاءَكَ هذا أحذقُ الأُمَّة كَفًّا
فإذا قابلَ بالنِّصْـ ـف من ٱلجَرْدق[1] نِصفَا
أحكَم الصَّنعةَ حتّى لا تَرَى موضعَ[2] إشفى
مثل ما جاء من التَّنُّـ ـنُورِ ما غادر حَرْفا
وله في الماء أيضاً عملٌ أبدعُ ظَرْفَا
مَزجُه العذبَ بماء آلـ ـبئرِ كَيْ يزدَادَ ضِعْفَا
فهو لا يشربُ[3] منه مثلَ ما يَشْرَبُ صِرْفا

باب ٱلحُمْق

قال الشعبيُّ لرجل آستجهله: ما أحْوجَكَ إلى مُحَدْرَجٍ شَديدِ الفَتْل جَيِّدِ الجِلاَزِ عظيمِ الثمرةِ لَدْنِ المَهَزَّة يأخذُ منك فيما بين عَجْبِ الذَّنَب[4] ومَغرِزِ العُنُقِ فَتكثُر له رَقَصَاتُك مِن غير جَذَل؛ فقال: وما هذا؟ فقال: بعضُ الأمرِ.

قال: حدّثني القُومَسِيّ عن محمد بن الصَّلْت الأَسَديّ عن أحمدَ بن بَشِير عن الأعمش عن سَلَمةَ بن كُهَيل عن عَطَاء عن جابر قال: كان في بني إسرائيل رجل له حمارٌ، فقال يا ربِّ، لو كان لك حمارٌ لَعَلَفْتُه مع حماري هذا؛ فهمَّ به نبيٌّ، فأوحى الله إليه: إنما أُثِيبُ كلَّ إنسان على قَدْرِ عقله.

(١) الجَرْدَقُ: الرغيف، معرَّب.
(٢) الإشْفى: المثقب. وفي ديوان أبي نواس (ص ٥١٦): «مغرزَ إشْفى».
(٣) في ديوان أبي نواس: (ص ٥١٦): «لا يسقيكَ».
(٤) المُحَدْرَجُ: السَّوْط. والجِلاَزُ: جودة الفتل. وثمرة السَّوْط: عقد أطرافه. ولَدْن المَهَزَّة: لَيِّن المهزّة. وعَجْبُ الذَّنَب: العظم الذي في أسفل الطب عند العجز.

حدّثني محمد بن خالد بن خِدَاش عن أبيه عن حَمّاد بن زيد عن هِشَام ابن حَسّان عن محمد بن سيرين أنَّ رجلاً رأى في آلمنام أنَّ له غنماً وكأنه يُعطَى بها ثمانيةً ثمانيةً، ففتَح عينَه فلم يَرَ شيئاً، فغمَّضَ عينَه ومدَّ يدَه وقال: هاتوا أربعةً أربعةً.

مرّ رجل من العُبّاد وعلى عنقه عصا في طرفيها زَبِيلانِ[1] قد كادا يَحْطِمَانه، في أحدهما بُرٌّ وفي الآخر ترابٌ، فقيل له: ما هذا؟ قال: عدلتُ البُرَّ بهذا التراب، لأنه كان قد أمالَني في أحد جانبيّ فأخذ رجلٌ زبيلَ التراب فقلَبه وجعل البُرَّ نصفين في الزبيلين وقال له: احمِل الآن؛ فحمله، فلما رآه خفيفاً قال: ما أعقلكَ مِن شيخ! حَفرَ أعرابيّ لقوم قبراً في أيام الطاعون بدرهمين، فلما أعطَوْه الدرهمين قال: بِأبي دَعُوهُما عندكم حتى يجتمعَ لي ثمنُ ثوب. كانت أمُّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن جُمْعة السَّدوسيّ عند عثمان بن عفّان، وكانت حمقاءَ تجعلُ الخُنْفُسَاءَ في فيها ثم تقول: حَاجَيْتُكَ ما فِي فَمِي؟ وهي أمّ عمرو وأبان آبْنَي عثمانَ.

إبراهيم بن آلمنذر قال: حدّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال: رأيتُ طارقاً وهو والٍ لبعض آلخلفاء من بني أميّةَ على المدينة يدعو بالغداءِ فيتغدَّى على منبر رسول الله ﷺ، ويكون فيه العظمُ المُمِخُّ فينكُته على رُمّانة آلمنبر فيأكله.

قال أمّ غَزْوَانَ الرَّقَاشيّ لابنها ـ ورأته يقرأ في المصحف ـ: يا غزوانُ،

(١) الزبيلان: مثنى زبيل وهو القُفّة.

أما تجدُ فيه بعيراً لنا ضَلَّ في الجاهليّة؟ فما كَهَرها[١] وقال: يا أمّهْ، أجدُ والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

سفيان بن عُيينة عن أيوبَ بن موسى قال: قال آبن أبي عَتِيق لرجل: ما آسمُكَ؟ قال: وثّابٌ؛ قال: فما كان آسم كلبك؟ قال: عمرو؛ قال: واخِلاَفاه!

قال أبو الدَّرْداء: علامةُ الجاهل ثلاثٌ: العُجْبُ، وكثرةُ المنطق فيما لا يَعْنِيهِ، وأن يَنْهَى عن شيء ويأتيه. أُغْمِيَ على رجل من الأزد فصاحَ النساءُ وآجتمعَ آلجيرانُ وبعثَ أخوه إلى غاسِل الموتى فجاء فوجده حيّاً بعدُ: فقال أخوه: اغسِلْه فإنك لا تَفْرُغُ مِن غَسْلِه حتى يَقْضِيَ. وقال أَرْدَشِيرُ: بِحَسْبِكُمْ دلالةً على عيب آلجهل أنَّ كلّ إنسان يَنتفِي منه ويَغضَبُ إذا نُسِبَ إليه. وكان يقال: لا يَغُرَّنَّكَ من آلجاهل قرابةٌ ولا أخوّة ولا إلفٌ فإنَّ أحقَّ الناسِ بتحريقِ النار أقربُهم منها.

قال عمر بن عبد العزيز: خَصْلتَان لاَ تَعْدَمانكَ من الجاهل: كثرةُ الإلتفاتِ وسرعةُ الجواب. وقال عمر بن الخطاب: إيّاكَ ومؤاخاةَ الأحمق فإنه يريدُ أن يَنفعَك فيضرُّك. وقال بعضُهم: لأَنْ أُزاوِلَ أحمقَ أحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أُزاوِلَ نصفَ أحمقَ، يعني الأحمقَ المتعاقلَ. وقال هشام بن عبد الملك: يُعرَفُ حمقُ الرجلِ بأربعةٍ: بِطُولِ لِحيته، وبِشناعةِ كُنيته، ونَقْشِ خاتمه، وإفراطِ شهوتِهِ؛ فدخل عليه ذاتَ يوم شيخٌ طويلُ العُثْنُون[٢]، فقال هشام: أمّا هذا فقد جاء بواحدة، فآنظروا أينَ هو من الثلاث؛ فقيل له: ما كنيتُك؟ فقال:

(١) كَهَرَها: إنْتَهرَها.
(٢) العُثْنُون: اللّحية، والجمع عثانين.

أبو الياقوت؛ وقالوا: ما نَقْشُ خاتِمِكَ؟ قال: ﴿وجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ[١]﴾. وفي حكاية أخرى ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[٢]؛ فقيل له: أيّ الطعام تَشتَهِي؟ فقال: جَلَنْجَبِين[٣]، وفي حكاية أخرى مَصاصة[٤].

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادي رجلاً: يا أبا العُمَرين، فقال: لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما. وقال أبو العَاج يوماً لجلسائه ـ وكان يلي واسِطَ ـ: إنّ الطويلَ لا يخلُو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث: أنْ يَفْرَق الكلابَ، أو يكونَ في رجلهِ قُرحةٌ، أو يكونَ أحمقَ، وما زِلتُ وأنا صغيرٌ في رجلي قُرحَةٌ، وما فَرِقَ الكلابَ أحدٌ فَرَقِي، وأما الحمقُ فأنتمْ أعلمُ بوَاليكم. ويقال: الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقل بشأن غيره. وقال بشّار: [طويل]

خليليَّ إن العُسْرَ سوف يُفِيقُ وإنَّ يَساراً في غدٍ لخَلِيقُ
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا صَحَوْتُ وإنْ ماقَ الزمانُ أمُوقُ[٥]
ذَرِيني أُشَبْ همّي براحٍ فإنّني أَرَى الدهرَ فيه كُربةٌ ومَضِيقُ

وقال رجل: فلانٌ إلى مَنْ يُداوي عقلَه أحوجُ منه إلى مَنْ يُداوِي بدنَه. قيل لبعض الحكماء: مَتى يكون الأدبُ شرّاً من عدمه؟ قال: إذا كَثُر الأدبُ ونقص العقلُ.

(١) سورة يوسف ١٢، آية ١٨. والهاء في «قميصه» تعود إلى يوسف.
(٢) سورة النمل ٢٧، آية ٢٠. والمعنى: هل أخطأ بصري؟
(٣) الجَلَنْجَبِين: الورد المربَّى بالعسل أو السكر أو معجون يعمل من الورد والعسل، فارسي معرّب عن «كل» ومعناه ورد «وانكنبين» ومعناه عسل.
(٤) لعلها محرّفة عن مَصُوص بفتح الميم وضم الصاد وهو طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة.
(٥) سيرد هذا الشعر في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤.

وقرأت في كتاب للهند: مِنَ ٱلحُمْقِ ٱلتماسُ الرجلِ الإخوانَ بغير وفاءٍ، والأجرَ بالرياءِ، ومودّةَ النساءِ بالغِلْظَةِ، ونفعَ نفسه بضرّ غيره، والعلمَ والفضلَ بالدّعة والخَفْض. وفيه: ثلاثةٌ يُهزأ بهم: مُدَّعِي الحرب ولقاءِ الزُّحوف وشِدّة النِّكايةِ في الأعداء وَبَدنُه سليمٌ لا أثرَ به، ومُنتَحِلُ علمِ الدِّين والاجتهادِ في العبادة وهو غليظُ الرقبة أسمنُ من الأَئمة، والمرأةُ الخَليّةُ تَعيبُ ذاتَ الزوج. وفيه: مَنْ يَعْملُ بجهلٍ خمسةٌ: مُستعمِلُ الرَّمادِ في جَنَّتِه بدلاً من الزِّبل، ومُظهِرُ مَستُورِ عورته، والرجلُ يَتزَيّا بِزِيّ المرأة والمرأةُ تتزيّا بزيِّ الرجل، والمتمّلكُ في بيت مُضِيفِه، والمتكلّمُ بما لا يَعنِيه ولا يُسألُ عنه. وفيه: الأدبُ يُذهِبُ عن العاقل السّكر ويَزيدُ الأحمقَ سُكرا، كما أن النهارَ يزيدُ كلَّ ذي بَصَر بصراً ويزيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصر. وكانوا يكرهون أنْ يزيدَ منطقُ الرجلِ على عقله.

قال الشاعر في جاهل: [منسرح]

ما لِي أرَى الناسَ يأخذونَ ويُعْـ ـطُونَ ويَستَمتِعونَ بالنَّشَبِ[1]
وأنتَ مِثلُ الحمارِ أبْهَمُ لا تَشكُو جِراحاتِ ألسُنِ العَرَبِ

سمع الأحنف رجلاً يقول: ما أُبالي أَمُدِحْتُ أم هُجيتُ، فقال الأحنف: إسْتَرَحْتَ مِنْ حيثُ تَعِبَ الكرامُ.

كان عامرُ بن كُرَيز أبو عبد الله بن عامر من حَمْقَى قريش، نظر إلى ٱبنه عبد الله وهو يخطب فأقبل على رجل إلى جانبه وقال: إنه والله خرجَ مِنْ هذا وأشار إلى ذَكَرِه[2].

---

(١) النَّشَبُ: المال والعقار.
(٢) الذَّكَرُ: العضو الذي تبول منه الذكور، والجمع ذكور ومذاكير.

ومن حَمْقَى قريش العاصُ بن هشام أخو أبي جَهْل وكان أبو لَهَب قَامَره فقمَره مالَه ثم دارَه ثم قليلَه وكثيرَه وأهلَه ونفسَه فاتّخذه عبداً وأسلمه قَيناً، فلما كان يومُ بَدْرٍ بعثَ به عن نفسه فقُتِلَ ببدر كافراً، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمَر. ومن حمقى قريش الأحوصُ بن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث، قال له يوماً مُجَالِسُوه: ما بالُ وجهك أصفرَ! أتشتكي شيئاً؟ وأعادوا عليه ذلك، فَرَجَعَ إلى أهله يلومهم ويقول لهم: أنا شاكٍ ولا تُعْلِمُونني! ألقُوا عليّ الثيابَ وآبعثوا إلي الطبيب. وتَمارَضَ مرةً فعاده أصحابُه وجعل لا يتكلمُ، فدخل شُرَاعةُ بن عبيد الله بن الزَّنْدَبُوذ وكان أملحَ أهل الكوفة، فعرفَ أنه متمارضٌ فقال: يا فلانُ، كنا أمس بالْحِيرَة فأخذنا الخمرَ ثلاثينَ قِنِّينة بدرهم، والخمرُ يومئذ ثلاثُ قَناني بدرهم، فرفع الأحوصُ رأسه وقال: كذا منيّ في كذا من أمّ الكاذب، وآستوى جالساً، فنثر أهلُه على شُراعة السكَّرَ؛ فقال له شراعة: اجلس لا جلَسْتَ وهاتِ شرابَكَ، فشربا يومَهما.

ومن حمقى قريش بَكَّارُ بن عبد الملك بن مروان، وكان أبوه ينهاه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاويةَ لِمَا يعرفُ مِن حُمقِ آبنه، فجلس يوماً إلى خالد، فقال بكّار: أنا والله كما قال الأوّل: [بسيط]

مُـرَدَّدٌ في بني اللَّخْنـاء تَـرْديـدَا

وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطة: أَغْلِقْ أبواب المدينة لئلا يخرجَ البازِي.

ومن حمقى قريش معاويةُ بن مروان أخو عبد الملك بن مروان. بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحَّان نظر إلى حمار الطّحان يُدَوِّرُ الرحا وفي عنقه جُلْجلٌ، فقال للطحان: لِمَ جعلْتَ في عنق الحمار

جُلجلاً؟ فقال: ربما أدركتني سامةٌ أو نَعْسةٌ فإذا لم أسمع صوتَ الجلجلِ علمتُ أنه قام فَصِحْتُ به؛ فقال معاويةُ: أرأيتَ إنْ قام وحرّك رأسَه ما عِلْمك أنّه قائم؟ قال الطحان: ومَنْ لحماري بمثل عقل الأمير!. وقال معاوية هذا لأبي آمرأته؛ مَلأتنا آبنتُك البارحةَ بالدم؛ فقال: إنها مِن نسوة يَخبأنَ ذلك لأزواجهنَ. وقال له أيضاً يوماً آخر: لقد نكحْتُ آبنتَكَ بِعُصَبة ما رأتْ مثلَها قطّ؛ قال: لو كنتَ عِنّيناً ما زوّجناكَ.

ومن حمقى قريش سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك، قال يوماً لعن اللّهُ الوليدَ أخي فإنه كان فاجراً، والله لقد أرادني على أن يفعلَ بي؛ فقال له قائل: أسكُتْ فوالله لئن كان همَّ لقد فعلَ.

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشةَ بنت عثمان على أخيه، فقالت: هو أحمق لا أتزوّجه أبداً، له بِرْذَوْنَانِ[1] أشهبانِ فهو يحتمل مؤونة آثنين وهما عند الناس واحدٌ. وأخبرني رجل أنه كان له صديق له بِرْذونان في شِيَةٍ[2] واحدة فكنا لا نظنّ إلا أنّ له بِرْذونا واحداً، وغلامان يُسَمَّيانِ جميعاً بفَتْح، وكان إذا دعا واحداً قال: يا فَتْحُ الكبيرُ، وإذا دعا الآخرَ قال: يا فتحُ الصغيرُ.

قال أبو عُبَيدة: أرسل آبنٌ لِعِجْل[3] بن لُجَيم فرساً له في حَلْبَة فجاء سابقاً، فقال لأبيه: يا أبتِ، بأيّ شيء أُسَمِّيه؟ فقال: إفقأْ إحدى عينيه وسَمِّه الأعورَ. وقال الشاعر: [طويل]

رَمَتني بنو عَجلٍ بداءِ أبيهِمُ وأيُّ عِبادِ اللّهِ أنْوكُ مِنْ عجلِ!

---

(١) البِرْذَوْنُ: الدابة.

(٢) في شِيَةٍ واحدة. في لون واحد، والشِّيَةُ: بياض في سواد أو سوادٌ في بياض والجمع شِيات.

(٣) في العقد الفريد (ج د ٦ ص ١٥٦) جعل آبن عبد ربه عِجْل بن لُجَيْم من النَّوْكَى، والنوكى ج أنوك وهو ذو النَّوك أي الأحمق.

ألـيسَ أبــوهُـمْ عــارَ عَـيْـنَ جَــوادِهِ ... فأضْحَتْ به الأمثالُ تُضرَبُ في الجهلِ (١)

ومِن عِجْلٍ دُغَةُ(٢) التي يُضربُ بها المثلُ في الجهل، فيقال: هي دُغَةُ بنتُ مَغْنَج؛ ويقال: دُغـةُ لقبٌ، وآسمها مـارِيَةُ بنتُ زَمْعَـةَ. قال أبـو اليقظان: ومن عِجْلٍ حَيّانُ بن غَضْبان ورِثَ نصفَ دار أبيه فقال: أُريدُ أن أبيـعَ حِصَّتي من الدار وأَشْتَرِيَ النصفَ الباقِي فتصيرَ كُلُّهَا لي.

ومن القبائل المشهورِ فيها الحُمق الأَزْدُ. قال رجلٌ منهم في المهلَّب بن أبي صُفْرَةَ: [رجز]

نِـعْمَ أمـيـرُ الـرُّفقــةِ الـمهـلَّبْ ... أبـيضُ وضَّــاحُ كـتَـيْسِ الـحُـلَّبْ(٣)

يَنْقَضُّ بـالقـومِ آنقضَـاضَ الكـوكَبْ

فلما أنشده المهلّبَ قال: حسبُك رحمك الله!.

ومن أشعارهم: [بسيط]

(١) ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٥٧):.

(٢) دغة: اسم آمرأة من عِجْلٍ تُحَمَّقُ، قال ابن بري: هي ماريـة بنت مَغْنَج؛ يقـال: فلان أحمق من دُغَـة. ولها قصـة تتلخص في أنها وَلَـدَتْ في «بَلْعَنْبَر» وذلـك أنهـا خـرجت وقـد ضـربهـا المخاض فظنَّته غائـطاً، فلما جلستْ للحـدث وَلَدَتْ فـأتت أُمَّها فقـالت: يا أُمَّتَ، هـل يفتح الجَعْرُ فاه؟ ففهمت عنهـا فقالت: نَعَمْ ويـدعـو أبـاه. وتميم تسمي بلعنبر الجَعْـرَاء لـذلـك. والجعراء: الاسْتُ. ولذلك ضرب بها المثل في الجهـل فيقال: «أحمق من دُغة» انظر لسـان العرب، مادّتـا (دَغا) و (جَعَـر) كذلـك ورد هذا المثـل في مجمع الأمثـال للميداني (ج ٢ ص ٢١٩ رقم ١١٧٨) وقال: زُوِّجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم، فحملت... الخ.

(٣) يقـال: تَيْسُ حُلَّبٍ وتيسٌ ذو حُلَّب. والحُلَّب بقلة جعدة غبـراء في خضـرة تنبسط على الأرض، يسيل منها اللبن إذا قطع منها شيء؛ وهي تنبت في القيظ بالقيعان وشُطْآن الأودية.

يـا رُبَّ جاريـةٍ في الحيّ حـالِيـةٍ   كـأنها عُـومَـةٌ(١) في جَـوْف رَاقـودِ

وقال آخر منهم: [طويل]

زيـادُ بنُ عمـروٍ عينُـه تحت حـاجِبـهْ   وأسنـانـهُ بيْضٌ وقـد طَـرَّ(٢) شَـاربُـهْ

وقال عمر بن لَجَإ يصف إبلا(٣):

تَصْطَكُّ أَلْحِيْهَا عـلى دِلاَئِهَـا(٤)   تـلاطـم الأَزْد عـلى عـطائـهـا

وقال أبو حَيَّة النُّميري: [كامل]

وكـأنَّ غَلْيَ دِنَانِهِمْ في دُورهم   لَغَطُ العَتِيك(٥) على خِوَانِ زيادِ

كتب مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك إلى يزيدَ بن المهلَّب: والله ما أنتَ بصاحب هذا الأمر، صاحبُ هذا الأمر مَغْمورٌ موتورٌ وأنتَ مشهورٌ غيرُ مَوْتُورٍ؛ فقـام إليه رجل من الأَزْد فقال: قَدِّم آبنكَ مَخْلداً حتى يُقتلَ فتصيرَ مَوْتُوراً.

قـام رجل من الأزد إلى عُبيـد الله بن زياد فقـال: أصلح اللّهُ الأميرَ، إنَّ امرأتي هَلَكتْ وأردْتُ أن أتزوّجَ أمّها وأُزوِّجَ آبني آبنتَها وهذا عَرِيفِي(٦)، فأَعِنِّي في الصَّدَاق؛ فقال: في كم أنتَ من العطاء؟ قال: في سَبعِمـائةٍ؛ قـال: حُطَّا عنه أربعمَائةٍ، يَكْفِيكَ ثلثمائةٍ.

ومن حمقى الأَزْد قَبِيصَةُ بن المهلّب، رأى جراداً يطيرُ فقال: لا يَهُولَنَّكُم

---

(١) العُوْمَةُ: دُوَيْبَّةٌ تسبح في الماء.

(٢) طَرَّ شاربه: طلع.

(٣) عمر بن لَجَإ التيمي من شعراء العصر الأمـوي، كان بينه وبين جريـر مفاخـرات ومعارضـات. مات بالأهـواز نحو ١٠٥ هـ. الأعـلام ج ٥ ص ٥٩. وفي لسان العـرب، مادة (لجأ) قال ابن منـظور: عمر بن لجإ التميمي وليس «التيمي». وقال في العقـد الفـريـد (ج ٥ ص ٣٧١) مـا نصُّه: اجتمع جرير بن الخطفي وعمر بن لجإ التيمي عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة، فأنشده عمر أرجوزته التي يقول فيها البيت المذكور أعلاه، مع فارقٍ يسير عما هنا. وانظر هذا البيت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٢٤).

(٤) الأَلْحِي: ج لَحْي وهو منبت اللحية. والدِّلاء ج دَلْو وهي التي يُسْتَقى بها، مؤنث وقد يذكّر.

(٥) العتيك: فخذ من الأزد والنسبة إليه عَتَكِيّ.

(٦) العريف: القيِّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم.

ما تَروْنَ فإنَّ عامّتها موتَى. وقال يوماً: رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيت. وقال لغلامه: اذهب إلى بَيَّاضِ المُلاَءِ.

ومن حَمْقَى العرب كِلابُ بن صَعصَعةَ، خرج إخوتُه يَشترُون خيلاً وخرج معهم كِلابٌ فجاء بِعِجْل يَقُودُه؛ فقال له إخوتهُ: ما هذا؟ قال: فرسٌ اشْتريتُه؛ قالوا: يا مائقُ، هذه بقرةٌ أمَا ترى قَرنَيْها! فرجع إلى بيته فقطع قَرْنَيها، فأولادُه يُدْعَوْنَ «بَني فارس البقرة». قال الكُمَيْتُ[1]: [طويل]

ولـولا أميـرُ المؤمنين وذَبُّـهُ بِخَيْلٍ عن العِجْلِ المبرقَعِ[2] ما صَهَلْ

وكان شَذْرَةُ بنُ الزِّبْرِقَان من الحَمْقَى، دخل يوم الجمعة المسجدَ فأخذَ بِعِضَادَتي[3] الباب ثم قال: السلامُ عليكم، أيَلِجُ شَذْرَةُ؟ فقالوا له: هذا يومٌ لا يُستَأذنُ فيه؛ قال: أفَيَلِجُ مثلي على جماعة مثلِ هؤلاءِ ولا يُعْرفُ مكانُهُ؟

عَوانةُ قال: استعملَ معاويةُ رجلاً من كَلْب؛ فذكر المجوسَ يوماً فقال: لعَنَ اللّهُ المجوسَ يَنكِحُون أُمهاتِهم، والله لو أُعْطِيْتُ عَشرةَ آلاف ما نَكَحْتُ أُمّي؛ فبلغ ذلك مُعاويةَ، فقال: قَبَّحَهُ اللّهُ! أتُرَوْنَهُ لو زَادُوه فعلَ! وعزَله.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: سأل القومُ الحارثَ بنَ جِرَان أن يُعِينَهُم في تأسيس مسجد؛ فقال: قَيِّرُوهُ وعليّ الوَدَعُ.

خطب والي اليمامة فقال: إن الله لا يُقَارُّ على المعاصي عبادَه، وقد أهلكَ أُمَّةً عظيمةً في ناقة ما كانت تُسَاوِي مائتي درهم؛ فسُمِّي مُقَوِّمَ الناقة.

شرَد بعيرٌ لهبَنَّقَةَ، واسمه يزيد بنُ ثَرْوانَ، فقال: مَنْ وجدَ بعيري فهو

---

(١) هو الكميت بن زيد، وقد مرَّت ترجمته في الجزء الأول، الحاشية رقم ١ من ص ٣٥.

(٢) المُبَرْقَعُ: الذي أخذتْ غُرَّتُهُ جميعَ وجهه.

(٣) عِضادتا الباب: الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله.

له؛ فقيل له: وما يَنفعُكَ مِن هذا؟ قال: إنكم لا تَدرُونَ ما حَلاوةُ الوِجْدَانِ.

وقال المنصور للرَّبيع: كيف تَعرِفُ الريحَ؟ قال: أَنظرُ إلى خاتَمي فإن كان سَلِساً فهي شَمَالٌ وإلّا فهي جَنُوبٌ؛ فسأل القاسمَ بنَ محمد الطَّلْحيّ عن ذلك؛ فقال: أَضرِبُ بيدي إلى خُصْيَتَيَّ فإن كانتا قد قَلَصَتا فهي شَمالٌ وإن كانتا مُتَدَلِّيتينِ فهي جَنُوبٌ.

قال أبو كعب القاصُّ في قَصَصِه: إن النبيَّ ﷺ قال في كَبِدِ حمزَةَ: ما قد علمتُم فآدعوا الله أن يُطعِمَنا مِن كَبِد حمزةَ. وكان يقول في قَصَصِه: ليس فيّ خيرٌ ولا فيكم، فَتبلَّغُوا بي حتى تجدوا خيراً مِنّي. وقال هو أو غيره في قصصه: كان آسم الذئب الذي أكلَ يوسفَ كذا وكذا؛ قالوا: فإنَّ يوسفَ لم يأكله الذئبُ؛ قال: فهذا آسم الذئب الذي لم يأكل يوسفَ.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه قال: كان قاصٌّ يَقُصُّ في المسجد فيقول: مَثَلُ الكافر مَثَلُ قَصْرِ الإسكافِ خارجُه حَسَنٌ وداخلُه مَخْرَأةٌ، ومَثَلُ المؤمن مَثَلُ قَصْرِ زَرْبيٍّ[1] جدارُه كالحٌ وداخلُه زَهْرَةٌ. ويقول: وما الدنيا! أخزَى اللّهُ الدنيا! إنما مَثَلُها مَثَلُ أَيْرِ حمارٍ، بينا هو قد أَنْعظ[2] إذ طَفِىءَ. وقال: المؤمنُ غِذاؤه فِلْقَةٌ وسَمَكَتُهُ شِلْقَةٌ ودواؤه عُلْقةٌ ومَرَقَتُه سِلْقَةٌ[3].

أصابت داودَ المصابَ مُصيبةٌ فآغتمَّ؛ فقال له صاحبٌ له: لا تَتَّهِم اللّه

(١) هو قصر بالبصرة في سكة المِرْبد لمسلم بن عمرو بن الحُصَيْن بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له: زَرْبي.

(٢) أَنْعَظَ: قام وآنتشر شَبَقاً.

(٣) الفِلْقة: الكِسْرة. والشِّلقُ: شيء على خِلْقة السمكة صغيرٌ له رِجْلان عند ذنبه كرجل الضفدع، بدون يَدَيْن، ويكون في أنهار البصرة وليست بعربية. انظر لسان العرب. والعُلْقة: شجر يبقى في الشتاء تتبلَّغُ به الإبل حتى تدْرِكَ الربيع. والسِّلْقة: الجرادة، لعله يريد أن يجتزىء من المرق بالقليل منه حتى أنه ليكفيه مرق جرادة واحدة.

في قضائه؛ فقال داود: أَقُولُ لك شيئاً وتكتمهُ؟ قال: نعم: قال: والله ما صاحِبي غيرُهُ. وآستشاره رجل في حمل أمّه إلى البصرة، وقال: إنْ حَمَلْتُها في البرّ خِفْتُ عليها اللُّصُوصَ، وإن حملْتُها في الماء خِفتُ عليها الغرَق؛ فقال: خُذْ بِها سُفْتَجَةً(١).

دعا بعضُ السلاطينِ مَجْنُونَيْنِ ليضحَك منهما، فأسمعاه فغَضِبَ فدعا بالَسيفِ؛ فقال أحدهُما للآخر: كنّا آثنين وقد صِرْنا ثلاثةً. قال رجل لابن سَيابةَ مولى بني أسد: ما أُرَاكَ تَعرِفُ اللَّه؛ قال: أتُراني لا أُعْرِفُ مَنْ أجاعَني وأعرَاني وأخزَاني.

قيل لأعرابيّ: كيف بِرُّكَ بأمّكَ؟ قال: ما قَرَعْتُها سَوْطاً قطّ. وقيل لآخر وهو يضربُ أمَّه: ويْحَكَ! تضربُ أُمّك! فقال: أُحِبُّ أن تَنْشَأَ على أدبي. وقال بعض الشعراء: [طويل]

جُنونُكَ مَجنونٌ ولستَ بواجدٍ طبيباً يُداوِي من جُنُونِ جُنُونِ

وقال آخر: [طويل]

وكيف يُفِيقُ الدّهرَ كعبُ بنُ نَاشبٍ وشَيطانُهُ بين الأهلَّةِ يصْرَعُ

وقال أعرابيٌّ وذَكَرَ الله عزَّ وجلّ: [كامل]

خلقَ السماءَ وأهلَها في جمعةٍ وأبوكَ يَمدُرُ حَوضَه(٢) في عامِ

كان أبو العَاج والِيَ واسِطَ، وأتاه صاحبُ شرطته بقَوَّادَةٍ فقال: أصلح اللّهُ الأميرَ، هذه قَوادةٌ؛ قال: وأيَّ شيء تَصْنعُ؟ قال: تجمعُ بين الرجال

(١) السُّفْتَجَة: أن تعطي مالاً لرجل له في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطاً لمن عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشيء المحكم. سمي به هذا القرض لإحكام أمره.

(٢) مَدَرَ الحوضَ يمدره: أصلحه بالمَدَرَ وهو قطع الطين اليابس.

والنساء؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتَني بها لتُعرِّفَها منزلي! خَلِّ عنها لعنكَ الله. وأتاه يوماً بمُخَنَّثٍ؛ فقال له: ما هذا؟ قال: مُخنَّثٌ؛ قال: وما يصنعُ؟ قال: يُنكَحُ كما تُنكَحُ المرأةُ؛ قال: يَبْذُلُ هذا آستَه وأَحْظُرُ أنا عليه! اذْهَبْ يا آبنَ أخي فَآرتَدَّ لها.

خطَب وَكِيعُ بنُ أبي سُوْدٍ بخُراسانَ فقال: إن اللَّهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستة أشهرٍ؛ فقيل له: إنها ستَّةُ أيام؛ فقال: والله لقد قُلْتُها وأنا أستقِلُّها.

تغدّى رجلٌ عند سليمانَ بنِ عبد الملك وهو يومئذ وليُّ عهدٍ وقُدّامة جَدْي، فقال له سليمان: كُلْ من كُلْيتهِ فإنها تزيد في الدّماغ؛ فقال: لو كان هذا هكذا كان رأسُ الأمير مثلَ رأسِ البغلِ.

أبو عبيدة: أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ فجعل رجل من النَّظَّارة يُكبِّر ويَثِبُ من الفرح؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه: يا فَتى، هذا الفرسُ فرسُكَ؟ قال: لا ولكنّ اللِّجامَ لي. دخل أبو عَتّاب على عمرو بن هدَّاب وقد كُفَّ بصرهُ والناسُ يُعزُّونه، فقال: يا أبا زيدٍ، لا يَسُوءَنَّكَ ذَهَابُهُما، فإنك لو رأيتَ ثوابَهما في ميزانك تمنَّيْتَ أنَّ الله قطعَ يديكَ ورِجْلَيْكَ ودَقَّ ظهركَ. كان رجلٌ يقودُ أعمى بِكِراءٍ، فكان الأعمى ربما عثَر فيقول: اللهم أَبدِلني به قائداً خيراً منه؛ ويقول القائد: اللَّهم أبدلني أعمى خيراً منه.

ادَّعَى أبو بكر الشَّيبانيّ إلى العرب ذاتَ ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فثارتْ به مِرَّةٌ، فجعل يَحُكُّ جسدَه بأظفاره خَمْشاً ويقول: إنما نحن إبل؛ فقال له قائل: والله إنك تُشبِهُ العربَ؛ فغضِبَ وقال: أيقال لي

هـذا! إنا والله حِـرْبـاءُ تَنْضُبَـةٍ[١]، يَشهـدُ لي سـوادُ لـوني وغؤُورُ[٢] عَينيَّ وحُبيِّ للشمس.

قيل لأبي السَّفّاح عنـد موتـه: أوصِهْ؛ فقـال: إنّا لَكِـرَامُ قوم طِخْفَـةَ[٣]؛ قالوا: قل خيراً يا أبا السفّاح؛ فقال: إن أحبَّت آمرأتي فأَعْطُوها بعيـراً؛ قالـوا: قل خيراً؛ قال: إذا مات غلامي فهو حرّ. وقيل لرجل عند موته: قل لا إلـه إلا الله، فأعرض، فأعادوا عليه مراراً، فقال: أَخْبِرُوني عن أبي طـالب أَقالَهـا عند موته؟ قالوا: ومـا أنتَ وأبو طـالب! قال: لا أرغَبُ بنفسي عنـه. ولما احْتُضِـرَ العُجَيْرُ السَّلُوليّ قال لقوم عنده: أنا في آخر يـوم من أيام الـدنيا وأوّلِ يـوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدْتُ لي عند الله مـوضعاً لأكلمَنّـه فيكم. وقيل لأوْس ابن حارثة عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: لم يَأْنِ لها بعدُ. وقيل لآخر عند موته: ألا تُوصِي؟ قال: أنا مغفورٌ لي؛ قالوا: قل إن شاء اللّهُ، قـال: قد شـاء الله ذلكَ، قالوا: لا تَدَعِ الوصيّةَ، فقال لبني أخيه: [رجز]

بَنِي حُـرَيثٍ آرفعا وِسَـادِي وآحْتَفِظَا بالجِلّةِ الجِلاَدِ
فـإنـمـا خَـولَـكُـمـا الأعـادِي

قال سَهْل بنَ هـارون: ثلاثـةٌ من المجانين وإن كـانوا عقـلاءَ: الغضبانُ

---

(١) التَّنضُبَـةُ: واحدة التَّنضب وهـو شجر ضخم تتخـذ منه السِّهـام، تـألفـه الحَـرَابِيُّ (ج حِـرْبـاء) والحرباء دُوَيْبَّة تتلون ألواناً بحرِّ الشمس، معرَّبة حربا بالفارسية ومعناها: حافظ الشمس. قـال أبو داود في هذا المعنى (بسيط).

أنّـي أتِـيْـحَ لـه حِـرْبـاءُ تَـنْـضُـبَـةٍ لا يُـرْسِـلُ السـاقَ إلاَّ مُمْسِكـاً سـاقـا

أنظر لسان العرب مادة (نضب) ومحيط المحيط للبستاني مادة (حرب).

(٢) غارتْ عينه غَوْراً وغُؤُراً: دخلت في الرأس وآنخسفت.

(٣) طِخْفَة: بكسر الطاء وفتحها، موضع بعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة. معجم البلدان. ومنه يوم طِخْفَة لبني يَرْبُوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء انظر لسـان العرب مـادة (طخف) والعقد الفريد (ج ٥ ص ٢٣٤).

والغَيْرانُ والسكرانُ؛ قالوا: فما تقول في المُنعِظِ[1]؟ فَضَحِكَ وقال: [وافر]

وما شرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمروٍ بصاحبكِ الذي لا تَصْبَحِينَا[2]

قال الوليد: ألا إنَّ أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول: إنَّ الحجّاج جِلْدَةُ ما بين عينيَّ، ألا وإن الحجاجَ جلدةُ وجهي كُلِّه.

خطب عَتَّابُ[3] بنُ وَرْقاءَ فحَثَّ على الجهاد وقال: هذا كما قال الله تعالى: [خفيف]

كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وقال آخر في الرَّبيع والي اليمامة: [طويل]

شهِدْتُ بأن اللَّهَ حَقٌّ لِقَاؤهُ وأنَّ الربيعَ العامِرِيَّ رَقِيعُ
أقادَ لنا كلباً بِكلب ولم يَدَعْ دِماءَ كلابِ المسلمين تَضِيعُ

دخل شابٌّ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مات رحمه اللَّهُ يوم كذا وكذا، وكان مرضُه رضي الله عنه كذا وكذا، وتركَ عفا اللَّهُ عنه من المال كذا وكذا؛ فأنتهره الربيع وقال: أبيْنَ يدَيْ أميرِ المؤمنين تُوالِي الدعاءَ لأبيك؟ فقال الشابّ: لا ألومُكَ، إنك لم تَعْرِفْ حلاوةَ الآباء؛ فما عُلِم أنَّ المنصور ضَحِكَ مِثلَ ضَحِكِهِ يومَئذٍ. وكان الربيعُ لقيطاً.

دخل رجلٌ من بني هاشم على المنصور فآستَجْلَسه ودعا بغَدَائِه فقال للفتى: أدنُهْ؛ فقال: قد تَغَدَّيْتُ؛ فلما خرج آستخفَّ به الربيعُ ودفع في قَفَاه،

(١) المُنْعِظ: من أنْعَظَ ذكرُ الرجل: وانتشر شبقاً.
(٢) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم. لا تَصْبَحِيْنا: لا تسقينه الصَّبُوحَ.
(٣) عتّاب بن وَرْقاء اليربوعي التميمي قائدٌ من الأبطال؛ توفي سنة ٧٧ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٠٠ والمؤتَلف والمختلف ص ١٦٠

وقال: هذا كان يُسَلِّمُ من بعيدٍ ويَنصرِفُ، فلمّا آستـدْناه أميرُ المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه إلى طعامِه تبَذَّلَ بين يديه فبلغ من جهل بفضيلة المنزلة التي صَيَّره فيها أن قال: قد تَغذَّيْتُ، وإذاً ليس عنده لِمن تَغدَّى مع أميرِ المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجُوع.

يونسُ الهَجَرِيُّ قال: مات رجلٌ من جُنْدِ أهل الشام فحضر الحجّاجُ جَنَازَته، وكان عظيمَ القَدْرِ، فصلَّى وجلس على قبره وقال: لِيَنْزِلْ قبرَه بعضُ إخوانِه؛ فنزلَ نفرٌ منهم، فقال أحدهُم وهو يُسَوِّي عليه: رحمكَ اللَّهُ أبا فلانٍ! إن كنتَ ما عَلِمْتُكَ لَتُجِيدُ الغِناءَ وتُسرِعُ رَبَّ الكأسِ، ولقد وقعْتَ في موقعِ سُوءٍ لا تخرج منه إلى الدَّكَّة[1]؛ فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر، وكان لا يُكثِرُ الضحكَ في جِدٍّ ولا هَزْلٍ، ثم قال له: لا أمَّ لكَ! هذا موضعُ هذا! قال: أصلح الله الأميرَ، فرسِي حَبِيسٌ لو سَمِعَه يَتَغَنَّى: [مديد]

يا لُبَيْنَى أَوْقِدِي النارَا[2]

لانتشرَ الأميرُ على سَعْنَةَ[3]، وكان الميّت يلقّبُ سَعْنَةَ، وكان من أوحَشِ خلق الله صورةً وأدَمِهم؛ فقال الحجاج: إنا لله! أَخرِجُوه عن القبر، ثم قال: ما أَبْيَنَ حُجَّةَ أهل العراق في جَهلِكم يا أهلَ الشام. ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا آستفرغ ضَحِكاً.

تبع داودُ بنُ المُعْتَمِر آمرأةً ظنّ أنها من الفواسد، فقال لها: لولا ما رأيتُ عليكِ مِنْ سِيما الخيرِ لم أَتْبَعْكِ؛ فضَحِكَت المرأةُ وأسندَتْ ظهرها إلى الحائطِ

(١) الدَّكَّةُ: بناء يسطح أعلاه ويقعد عليه أو ما آستوى من الرمل وسَهُلَ، والجمع دِكاك.
(٢) شطر بيت على المديد المجزوء.
(٣) السَّعْنَةُ: المباركة الميمونة؛ يقال: ما له سَعْنَةٌ ولا مَعْنَةٌ، أي ما له شيء.

ثم قالت: إنما يَعتَصِمُ مِثلي مِن مثلِكَ بِسِيْمَا الخير، فإذا صار سِيما الخير هو الدالَّ لمثلك على مِثلي فاللَّهُ المستعانُ. كان بَهْلُوْلُ المجنونُ يتغنّى بِقيراطٍ ولا يسكتُ إلا بدانِقٍ[1]. وكان رجل يَهْوَى جاريةً تَختلفُ في حوائج أهلها، وكانت إذا خرجَتْ إلى السوق ولم يَعْلَم بخروجها ثم رَجَعَتْ فرآها قال وهو يُسْمِعُهَا: ﴿لَو كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[2]، وإنْ وعَدَتْهُ شيئاً فأخلفتْ قال: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3]، فإن تَغَضَّبتْ لشيءٍ بلغها عنه قال: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاءٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[4].

مرَّ بعضُ الحمْقَى بآمرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهي تبكي، فرقّ لها وقال: مَنْ هذا الميِّتُ؟ قالت: زوجي؛ قال: فما كان عَمَلُهُ؟ قالت: يَحفِرُ القبورَ؛ قال: أبعدَه اللَّهُ أَمَا عَلِمَ أن مَنْ حَفَر حُفرةً وقع فيها! أحدثَ رجلٌ من الحمقَى ليلةً على بابَ رجلٍ، فلما خرج الرجلُ زَلِق ووقع على ذراعه فآنكسرتْ، وآجتمعَ الجيرانُ وجعلوا يَختصمون ويُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةً يَسمعُ كلامَهم، فلما أكثروا قال: [وافر]

رأيتُ الحربَ يَجْنِيهَا رجالٌ ... ويَصْلَى حَرَّها قومٌ بُرَاءُ

فأخذوه وقالوا: أنتَ صاحبُنَا. قال داود المصاب: رأيتُ رؤيا نِصْفُها حقٌّ ونصفُها باطلٌ، رأيتُ كأنّ على عنقي بَدْرَةً[5] فَمِنْ ثِقْلِها أحْدَثْتُ فآستيقَظْتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أرَ البَدْرَةَ. رُئي أعرابيّ يبكي بكاءً شديداً، فسُئل عن سبب

---

(١) القيراط نصف الدانِق. والدانق سدس الدينار.
(٢) سورة الأعراف ٧، آية ١٨٨. والمعنى: لا أُقْدِمُ إلّا على ما ينفع. التفسير المبين.
(٣) سورة الصف ٦١، آية ٢. والمعنى: كيف تدعون الإيمان وتكذبون في الوعد وغيره؟.
(٤) سورة الفتح ٤٨، آية ٦. وهذه الآية تدل على حرمة الأخذ بقول الفاسق دون التمحيض والتثبُّت من صدْقه. التفسير المبين.
(٥) البَدْرَةُ: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. لسان العرب.

بُكَائه فقال: بلغني أنّ جالوتَ قُتِلَ مظلوماً. رأى رجلٌ أحمقُ شيخاً في الحمّام أَعْكَنَ(١) البطن، فقال له: يا عَمّ، إني أشتهي أن أضَعَ هذا ـ يَعني ذَكَرَه ـ في سُرَّتِكَ؛ فقال له الشيخ: يا آبن أخي، فأين يكونُ آستُكَ حينئذ. نزل يهوديّ على أعرابيّ فمات عنده، فقام الأعربيُّ يُصَلّي عليه فقال: اللّهم إنه ضيفٌ وحَقُّ الضيفِ ما قد علمْتَ، فَأَمهِلْنَا إلى أن نَقْضي ذِمَامَه ثم شَأْنَكَ والكلبَ.

وحدّثني عبدُ الرحمن عن الأصمعيّ قال: كان بين آثنينِ عبدٌ فقام أحدُهما فجعَل يَضرِبُه؛ فقال له الآخرُ شريكهُ: ما تَصْنَعُ! قال: إنما أضرِبُ حِصَّتِي. قال أعرابيٌّ لرجل: ما آسمُكَ؟ قال: عبد الله، قال: آبنُ مَنْ؟ قال: آبن عُبيدِ الله، قال: أبوُ مَنْ؟ قال: أبو عبد الرحمن، قال: أَشهدُ إنك لتَلُوذُ باللّهِ لِوَاذَ يتيمٍ جبانٍ. قال بعضهم: رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مُوَيْس يتنازعانِ في العِنب النيروزيّ والرازقيّ: أيّهمَا أطيبُ، فجرى بينهما كلامٌ إلى أن تواثبا، فقطع الكوفيُّ إصبعَ البصريّ وفَقأ البصريُّ عينَ الكوفيِّ، ثم لم أَلبَثْ إلا يسيراً حتى رأيتُهما مُتَصافِيَين مُتَنَادِمَين.

قال: وقال ثُمَامةُ: مررْتُ في غِبِّ سماءٍ والأرضُ نَدِيَةٌ والسّماء مُتَغَيِّمةٌ والريح شَمَالٌ وإذا شيخٌ أصفرُ كأنه جرادةٌ، وقد قعد على قارعةِ الطريق وحَجّامٌ يَحْجِمُهُ على كاهله وأَخْدَعيهِ بمحاجمَ كأنها قِعابٌ وقد مَصَّ دمَه حتى كادَ يَستَفرِغُه؛ فوقفْتُ وقلتُ: يا شيخُ لِم تَحتَجِمُ؟ قال: لمكان الصَّفار الذي بي. أتى الطَّمَحَانُ قوماً يعودُ عليلاً لهم فعزَّاهُم به؛ قالوا: إنه لم يَمُتْ؛ فَرَجَعَ وهو يقول: يموتُ إن شاء اللّهُ، يموت إن شاء اللّهُ.

أبو حاتم عن الأصمعيّ عن نافع قال: كان الغَاضِريُّ مِنْ أحمقِ الناس؛

(١) أَعْكَنُ البطن: في بطنه عكَنٌ وهي ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سِمَناً.

فقيل له: ما حُمْقُه؟ فجعل يتربَّثُ[1]، فلما أكْثرَ عليه قال: قال لي مرّةً: البحرُ مَنْ حَفَره؟ وها حُفِرَ فأينَ نبيثته[2]؟ أتُرى أميرَ المؤمنينَ يَقدِرُ على أن يَحْفِرَ مثلَه في ثلاثةِ أيام؟

دخل رجلٌ من الحَمْقَى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ في نسبه، فقال: إني قد آمتدحتُكَ بشعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بأنفعَ لكَ منه؛ قال: ما أحْوجَني إلى المنفعة فهاتِهِ؛ فقال: [سريع]

سألْتُ عن أصلك فيما مضى   أبناءَ سبعينَ وقد نَيَّفُوا
فكُلُّهمْ يُخبِرُني أنَّهُ   مُهذَّبٌ جوهَرُهُ يُعرقُ

فقال له: قُمْ في لعنة الله وفي سُخْطِه! لعنك اللّهُ ولعنَ مَنْ سألتَ ومَنْ أجابكَ.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: : جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمِّه فقال: يا عمُّ إنَّ وَلَدَ جاريةِ آلِ فلانٍ مِنّي فآفتَدِهِ، ففعل؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل ذلك؛ فقال له عمُّه؛ لو عَزَلْتَ! قال: بلغني أن العَزْلَ مكروهٌ.

قال: وحدّثنا الأصمعيّ قال: بَلَغني عن شيخ جَزِعَ على ميْتٍ جَزَعاً شديداً؛ فقيلَ له في ذلك؛ فقال: نحن قومٌ لم نَتعَوّد الموتَ.

أبو الحسن الجعفريّ قال: قيل لكَرْدَمٍ السَّدُوسِيِّ: كُلْ؛ قال: ما أُرِيدُ؛ قيل: ولِمَ؟ قال: أكَلْتُ قليلَ أُرْزٍ[3] فأكثرتُ منه. ضَلَّ بعيرٌ لأعرابيّ فجعل يَنْشُدُه إلى أن دخل الإمارةَ فأخذَ منها بعيراً؛ فقيل له: إنّ بعيركَ كان أعرابيّاً؛ قال: إنه لما أكَلَ مِن مالِ الإمارة تَبَخَّت[4].

(١) يَتربَّثُ: يَتلبَّثُ.
(٢) النَّبِيثَةُ: تراب البئر والنهر.
(٣) الأرْزُ: الأَرُزُّ.
(٤) تَبَخَّتَ: صار بُخْتِيّاً، والبُخْتِيُّ واحد البُخْت (الإبل الخراسانية) والأنثى بُخْتِيَّة، والجمع بَخاتَى وبَخاتِيُّ.

الهيثم عن ٱبن عبّاس قال: لما وَلِيَ مَروانُ وجَّهَ جيشَ حُبَيْش بنِ دُلْجَةَ القَينِيّ إلى المدينة وكان يصعَدُ المنبرَ ومعه الكُتلةُ من التمر فيأكلُها ثم يُلْقي النّوى على وجوه أهل المدينة يميناً وشِمَالاً، ثم يقول: يا أهلَ المدينة، إني لأعلمُ أنّ هذا المكان في حرمته وموضعه ليس موضعَ أكلٍ ولا شربٍ، ولكني أُحِبُّ أن أريكم هَوانَكُم. قيل لمعلّم بن معلّم: مالكَ أحمقَ؟ قال: لو لم أكن أحمَقَ كنتُ ولَدَ زِناً. قال بعضُ الشعراء [طويل]

فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعاً ... فصِرْتُ إذاً بعد المشيبِ مُعَلِّمَا

وقال آخر: [طويل]

وكيف تُرَجِّي العقلَ والرأيَ عند مَنْ ... يَروحُ على أُنثَى ويَغدُو على طِفلِ

ابن المدائنيّ قال: تحوّل أبو عبد الله الكَرْخيّ إلى الخُرَيبة[1] فادّعى الفِقْهَ وظنَّ أنَّ ذلك يجوز لمكان لِحيته وسَمْتِه، فألقى على باب داره البوارِي[2] وجلس فجلس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم: يا أبا عبد الله، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعَه في أنفه فخرج عليها دمٌ، أي شيءٍ يَصنعُ؟ قال: يَحتجِمُ رحمك الله؛ فقال له السائلُ: ظننْتُ أنّك فقيهٌ ولم أدرِ أنكَ طبيبٌ. قال رجلٌ للشَّعْبيّ: إني أجدُ في قَفَايَ حِكَّةً فتَرَى لي أنْ أَحتجِمَ؟ فقال الشعبيُّ: الحمد لله الذي نَقَلَنا مِن الفقهِ إلى الحِجامةِ. وقال له آخر: رجلٌ آستمنَى في يومٍ من شهر رمضان هل يُؤْجَرُ؟ قال: أَوَمَا يرضَى أن يُفْلِتَ رأساً برأسٍ. نازع التيميَّ رجلٌ من بني عمّه في حائطٍ بينهما فبعَث إلى قومٍ يُشْهِدُهُم، فأتاه جماعةٌ من القبائل، فوقَفَ بهم على ذلك الحائطِ وقال: أُشْهِدُكم جميعاً أنَّ

(١) الخُرَيْبَةَ: موضع بالبصرة.

(٢) البَواري: ج بارية وهي الحصير المنسوج.

نصفَ هذا الحائِط لي. وقَدّمَ آخرُ رجـلاً إلى القاضي في شيء يـدّعيه عليـه، فأنكر الرجلُ، فقال: أيها القاضي، أكتُب إنكارَه؛ فقـال القاضي: الإنكـارُ في يدكَ متى شئْتَ.

قال مَسْعَدةُ بن طارق الذَّرَّاع: إنّا لوقوفٌ على حدود دارٍ لِنَقْسِمَهـا ونحن في خصـومة، إذ أقبـلَ سيِّدُ بني تميم ومُـوسِـرُهم والمصلّي على جنـائـزهم، فأمسكنا عن الكلام؛ فقال: حَدِّثُوني عن هـذه الدارِ هـل ضَمَّ منها بعضُنـا إلى بعضٍ أحداً؟ قال مسعـدةُ: فأنـا منذ ستين سنـةً أُفَكِّرُ في كـلامه فمـا أَدْرِي ما عَنَى. أتت جاريةٌ أبا ضَمْضَمٍ فقال: إنّ هَذا قَبَّلَني؛ فقال: يـا فَتى، أَدْعِنْ لها بحقِّها، قَبِّلِيه عافاكِ الله كما قَبَّلَكِ، فإن الله يقول: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[1].

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: أُلْقِيَتْ على رجلٍ فريضةٌ فٱشتدَّتْ عليه فجعل يَحْسُبُ غيرَها؛ فقالوا له في ذلك؛ فقال: عسى أن يكونَ تَـرَكَ غيرَ ما ذَكَرُوا.

حـدّثني محمـد بن عمـر عن ٱبن كُنَـاسَــةَ قـال: قـال بعضُ الـطالبيّين لأَشْعَبَ: لـو رَوَيْتَ الحديثَ وتـركت النوادرَ كـان أنبـلَ لـكَ؛ قـال: والله قـد سمِعْتُ الحديثَ ورويتُه؛ قال: فَحدِّثْنَـا؛ قال: حـدّثني نافـعٌ عن ٱبن عمرَ أنَّ رسـولَ الله ﷺ قال: «خَلَّتَانِ مَنْ كانتَـا فيه كـان مِنْ خَـالصـةِ اللَّهِ»؛ قـال: هـذا حـديثٌ حسن فما هُمـا؟ قال: نَسِيَ نـافعٌ واحدةً ونسيتُ أنا الأخـرى. وكـان بـالبَصْرة ثـلاثةُ إخـوة مِن وَلَدِ عَتّـابِ بن أَسِيـدٍ كـان أحـدُهم يَحُـجُّ عن حَمْـزَةَ ويقـول: أسْتُشْهـد قبـل أن يحـجّ، وكـان الآخـر يُضَحِّي عن أبي بكـر وعمـر ويقـول أخطآ السنـة في ترك الأضحِيةِ، وكان الآخـر يُفْـطِرُ عن عـائشـةَ أيـامَ

---

(١) سـورة المائـدة ٥، آية ٤٥. والمعنى: كـل الجروح تـوجب القِصاص بشـرط إمكان المماثلة والمساواة وإلاّ تتحوّل العقوبة من القصاص إلى الدِّية.

التشريقِ ويقول: غَلِطَتْ في صومِها أيـامَ العيد، فمنْ صـامَ عن أبيهِ وأمِّـه فأنـا أُفْطِرُ عن أمّي عائشةَ.

قال ثُمَامةُ: كنّا في منـزل رجل من الـدَّهاقين(١) وفينـا شيخٌ منهم، فـأتى رَبُّ البيتِ بِدُهْنٍ طِيبٍ فدهَنَ بعضُنا رأسَه وبعضُنـا لِحيتَه ومَسـحَ بعضُنا شـارِبَه وبعضُنا يديهِ، فقال أحدُهم: آدْهُنُوا أَستَاهَكم(٢) تَأْمَنُوا الحَزَازَ(٣)، وأَمِـرُّوها على وجوهكم؛ فأخـذ شيخٌ منهم بـطَرَف إصبعِه فـأدخله في أنفِه ومسـحَ حاجبيـه، فعَمَدَ الشيخُ إلى بقية الدّهن فصبّه في أذنه؛ فقلنا له: ويحك! هل رأيتَ أحداً أتِيَ بدهنٍ طيْبٍ فصبّه في أذنه؟ قال: إنه مع هذا يضرُّني.

قال عبد الله بن المبارك: كان عندنا رجلٌ يُكْنَى أبا خـارجةَ، فقلتُ لـه: لِمَ كَنَوْك أبا خارجَة؟ قال: لأني وُلِدتُ يوم دخل سليمانُ بن عليّ البَصرةَ. قال عمرو بن بَحْر: ذكَر لي ذاكرٌ عن شيخٍ من الإباضِيّة أنه جَرى ذكرُ الشيعة عنده فأنكَر ذلك وآشتد غضبُه؛ فقلتُ له: مـا أنكرتَ؟ قـال: أُنكِرُ مكـانَ الشّين في أوّل الكلمة لأني لم أجدهـا قطُّ إلا في مَسخوطٍ عليـه مثل شُؤم وشَـرٍّ وشيطانٍ وشُـحٍّ وشَغْبٍ وشَيْبٍ وشَكٍّ وشِـرْكٍ وشَتْم وشِيعَـةٍ وشِـطْرَنْـج وشَـاكِي وشـانىء وشِجَج وشَوْصَة(٤) وشابشتي وشَكوى؛ فقلت: ما تقوم بهؤلاء قائمةٌ أبداً. قال: وسمعتُ رجلًا يقول: عجِبْتُ لمن يأخذه النومُ وهو لا يـزعم أنَّ الاستطاعـةَ مع الفعـل؛ فقلت لـه: مـا الـدليـلُ على ذلـك؟ فقـال: سبحـان الله! الأشعــارُ الصِّحاحُ؛ قلت: مثل ماذا؟ قال: مِثْلُ قول رُؤْبَة(٥): [رجز]

مـا إنْ يَـقَـعْـنَ الأرضَ إلا وَفْـقَـا

(١) الدهاقين: ج دِهْقان وهو رئيس الإقليم.

(٢) الأَسْتاهُ: ج سَتْه بفتح السين وكسره، وهو العُجْز.

(٣) الحَزازُ: هِبْرية في الرأس كأنه نُخالة، واحدته حزازة.

(٤) الشَّجَجُ: أثر الشَّجّة في الجبين. والشَّوْصَةُ: وَجَعٌ في البطن.

(٥) هـو رؤبة بن العجّـاج، أحد بني مـالك بن سعـد بن زيد بن منـاة بن تميم. هو وأبـوه راجزان =

وقوله(١): [رجز]

يَـهْـوِيْـنَ شَـتَّـى ويَـقَـعْـنَ وَفْـقَـا(٢)

وقوله: [طويل]

مِكَرٍّ مِفَـرٍ مُقْبِـلٍ مُـدْبِـرٍ معـاً(٣)

وقولهم في المثل: «وَقَعَا كَعِكْمَيْ(٤) عَيْر» ثم قال: هل في هذا مَقْنَعٌ؟ قلتُ: بلى وفي دُونِ هذا.

وعَد رجلٌ رجلاً من الحَمْقى أن يُهْدِيَ له من مكة نعلاً، فطال عليه الإنتظارُ، فـأخذَ قـارورةً فبال فيهـا ثم أتى بها الـطبيبَ ثم قال: أنـظُر في هذا المـاءِ هل يُهدِي لِي بعضُ إخواني نعـلاً حَضْرَميـةً؟. وقال الـزّيادِيّ: مـرّ أشعبُ برجـلٍ يعمَلُ طَبَقاً وقال له: زِدْ فيه طوقاً؛ قال: ولِمَ؟ قال: لعلّه يُهْدَي لِي فيه شيءٌ.

أبـو حاتم عن الأصمعيّ قـال: حدّثنـا إبـراهيمُ بن القَعْقَـاع قـال: رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفةٌ قـد ذهب خَمْلُهَا وهـو يقول: مَنْ يَشتَـرِي مِنّي

= مشهـوران. كان أكثر مقامه في البصرة. مـات في البـاديـة وقـد أسنَّ وذلـك سنـة ١٤٥ هـ. المؤتلف والمختلف ص ١٢١. ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥، والأعلام ج ٣ ص ٣٤.

(١) الوَفْقُ: كل شيء يكون متفقاً على نمط واحد.

(٢) القول لرؤبة نفسه: وقد ورد هذا الشـطر في لسان العـرب مادة (وفق) وأورده ابن عبـد ربه في العقد (ج ١ ص ١٧٥) قائلاً: وقد غلط رؤبة في وصف قوائم الفرس، وذكر نصف البيت.

(٣) هو صدر بيت لامرىء القيس يصف فيه سرعة فرسه:

مـكَرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مـعـاً كجُلْمُـوْدِ صخرٍ حطَّه السيـلُ من عَلِ

مكرٌّ ومقبلٌ: في نفس المعنى والمفرُّ هو المدبر. انظر ديوان امرى القيس ص ١٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

(٤) العِكْمان: عِدْلان يُشدّان على جانبي الهوْدجِ بثوب، والجمع أعْكام. ولقد ورد هذا المثـل في لسانِ العرب مادة (عكم) هكذا: «همـا كعِكْمَيْ العَيْر». يقـالِ للرجلين يتساويـان في الشَّرَف، ويروي هذا المثل عن هَرِم بن سِنان أنه قـاله لعلقمـة وعامـر حين تنافـرا إليه فلم يُنَفِّـرْ واحداً منهما على صاحبه.

الرَّمْدَةَ[1]؟ فأتاه رجلٌ فسَاومَه؛ قال: أبـرأُ إليكَ من عيبٍ فيهـا؛ قال: ومـا هو؟ قال: تَحترِقُ إنْ أنتَ لبِسْتَها.

سقط أعرابيّ من بعيرٍ لـه، فآنكسـرت ضِلَعٌ من أضلاعـه فأتى الجـابـرَ يستوصفُه؛ فقال: خُذْ تمراً جيّداً فآنزعْ أقماعَه ونواه وآعجِنه بسمنٍ ثم آضمـدْه عليه؛ قال: أي بِأَبي أنتَ مِن داخلٍ أم من خارجٍ؟ قال: مِنْ خارج؛ قال: لا أبَا لشَانِئِكَ هو من داخل أنفعُ لي؛ قال: ضَعْه حيثُ تعلمُ أنّه أنفعُ.

مات آبنٌ صغير لأعرابيّ، فقيل له: نَرجُو أن يكون لـك شفيعاً؛ فقـال: لا وكَلَنا اللّهُ إلى شفاعته، حَسْبُه المِسكين أن يقومَ بأمر نفسِه.

جاء أعرابيّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ، فقال لبعض القوم: ما هـذا؟ قال :يدعونَ الناسَ إلى الطعام؛ قال: فما يقول صاحبُ المنبر؟ قـال: يقول مـا يَـرْضَى الأعرابُ أن يـأكلوا حتى يحمِلُوا معهم؛ فتخطّى الأعـرابيّ الناسَ حتى دنا من الوالي فقال: يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤُنا.

أخذ الحجاجُ لِصّاً أعرابيّاً فضربه سبعَمائةِ سَوْط فكلّما قرعه بسوطٍ قـال: اللّهم شكـراً؛ فأتـاه آبنُ عمٍّ له فقـال: والله ما دعـا الحجّاجَ إلى التمـادي في ضربك إلا كثرةُ شكرِكَ، لأن الله يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ﴾[2]؛ فقال: إنّ هذا في كتاب الله؟ فقال: اللهمّ نعم؛ فأنشأ الأعرابيُّ يقول: [رجز]

يـا رَبِّ لا شُكْـرَ فَـلَا تَـزِدْنِي أسْرَفْتُ في شكركَ فآعفُ عَنِّي
بـاعِـدْ ثـوابَ الـشـاكـريـن مِـنّـي

فبلغ الحجاجَ فخلّي سبيلَه. جاء أعرابيّ إلى صَيْرَفيّ بدرهم؛ قال: هذا

(١) الرِّمْدَةُ: الكُدْرَة التي صارت كلون الرماد.
(٢) سورة إبراهيم ١٤، آية ٧، أي لَأَزِيْدَنَّكم من ثواب الآخرة. التفسير المبين.

سُتُّوقٌ(١)؛ فقال الأعرابيّ: وما هو السَّتُّوقُ بأبي أنتَ؟ قال: داخِلُه نُحَاسٌ وخارجُه فضّة؛ قال: ليس كذلك؛ قال: أَكْسِرْهُ فإنْ كان كذلك فأنا منه بريء؟ قال: نعم؛ فكسره فلما رأى النحاسَ قال: بأبي أنتَ، متى أموتُ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيبَ.

لما حضرتْ الحُطَيئةَ الوفاةُ قال: احملوني على حمار فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطُّ فلعلي أن أبقَى، ثم تمثّل: [طويل]

لِكلِّ جديدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنّني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لَذِيذِ

المدائنيّ قال: دعا رجلٌ بمكة لأمّه؛ فقال له قائل: فما بالُ أبيكَ؟ قال: هو رجلٌ يحتالُ لنفسه. قيل لأشعبَ: أرأيتَ أحداً قطّ أطمَعَ منك؟ قال: نعم خرجْتُ إلى الشام فنزلْتُ أنا ورفيقٌ لي بَدَير فيه راهبٌ، فتلاحيْنا في أمرٍ فقلتُ: الكاذبِ مِنَّا كذا من الراهب في كذا مِن أُمّه، فأتى الراهبُ وقد أنعظَ(٢) وهو يقول: بأبي مَنِ الكاذبُ منكما؟. مرَّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بن عليّ الهاشميّ بِقَاصٍّ وهو يقرأ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾(٣) فتنفّس ثم قال: اللهمَّ آجعلْنا ممن يَتجرّعهُ ويُسِيغُه.

الأصمعيّ عن أبيه: قلتُ لأعرابيّ: أفيكُمْ زِناً؟ قال: بالحرائر؟ ذاكَ عند الله عظيمٌ، ولكن مُسَاعاةٌ بهذه الإماءِ. موسى بن طلحةَ قال: جاءنا عليّ بن أبي طالب رحمه الله ونحن في المسجد شَبَابٌ من شَبَابِ قريش، فنحَّيْنا له عن الأُسطوانة وقلنا: ها هنا يا عمّ؛ فقال: يا بني أخي، أنتم لشيوخكم خيرٌ

(١) السُّتُّوق: بفتح السين وضمها: زيف بَهْرَجٌ ملبَّس بالفضة أو هو أردأ من البَهْرَج.

(٢) أَنْعَظَ الرجل والمرأة: علاهما الشَبَقُ وتاقت نفسهما للنكاح، والشَّبَق هو شدَّة الشَّهْوة.

(٣) سورة إبراهيم ١٤، آية ١٧. أي لا يُسِيغُهُ لِنَتْنِهِ (نَتْنُ ماء الصديد، والصديد خليط من قيح ودم) وقذراته وحرارته ومرارته، فإذا بلغ الأمعاء قطعها. انظر التفسير المبين.

مِن مَهْرَةَ[1] فإنه إذا كبِرَ الشيخُ فيهم شَدُّوه عِقالاً ثم يُقالُ له: ثِبْ فيه، فإن وَثَب خلُّواسبيلَه وقالوا: فيه بقيّـةٌ من عُلالـةٍ، وإن لم يَثِبْ قدّمـوه فضربـوا عِلاَوَتـه[2] وقالوا: لا يُصِيبُكَ عندنا بلاءٌ.

قيل لبحر بن الأحنف: ما يمنَعكَ أن تكـون مثلَ أبيـك؟ قال: الكسـلُ. وقال يومـاً لِزَبْـراءَ جاريـةِ أبيه: يـا زانيةُ؛ فقـالتْ: لو كنتُ كـذلك جئتُ أبـاكَ بمثلكَ. أبو الحسن قال: جاء قومٌ إلى رجل من الـوجوه فقـالوا لـه: مات جـارُكَ فلانٌ فمُرْ لنا بكفنٍ؛ فقال: ما عندنا اليومَ شيءٌ ولكن تعودونَ؛ قالـوا: أفَنُمْلي إلى أن يتيسر عندك شيءٌ!. وأتى رجل رجلاً فقال له: أصلحـكَ اللّهُ، تُعِيرُنـا ثوباً نُكفِّنُ فيه ميتاً؟. قال قاسمُ التّمارُ في كلام له: بينهما كمـا بين السماء إلى قريب من الأرض. وقال أيضاً: رأيْتُ إيوانَ كِسـرى فإذا هـو كأنمـا رُفِعت اليدُ عنه أوّلَ مِنْ أمسِ.

كان عبد الملك بن هلال الهينابيّ له زَبِيلٌ[3] مملوء حصاً للتسبيح، فكان يُسَبِّح بواحدةٍ واحدةٍ، فإذا مَلَّ طرحِ ثِنتين ثِنتين ثم ثلاثـاً ثلاثـاً، فإذا زاد مَـلالُه طرحه قَبضةً قَبضةً وقـال: سبحان الله عَـدَدَكَ، فإذا ضَجِـرَ أخذ بِعُرَى الزَّبيـلِ وقال: الحمد لله بعددِ هذا كلِّه. دخل قومٌ منـزلَ الرُّستُمِيِّ لأمـرٍ وقع، فحضـر وقتُ صلاة الظهر فقالوا: كيف القِبلَةُ في داركَ هذه؟ فقـال: إنما نـزلناهـا منذُ شهر.

المـدائنيّ عن عليّ بن مجاهـد عن حميـدِ بن أبي البَخْتَرِيّ أن الشعبيّ

---

(١) مَهْرَةُ: حيٌّ من العرب وإليهم تنسب الإبل المهريّة. وهو مَهْرَة بن حَيْدان بن عمـرو بن الحافي بن قضاعة. جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٠ و ٤٨٥.
(٢) عِلاوَةُ الرجل: أعلى رأسه وعنقه.
(٣) الزَّبِيْلُ: السِّرقين، أي الزِّبْلُ.

قـال: مَرِضْتُ فلقيْتُ آبن الحُـرّ فأمـرني أن أمشي كل يـوم إلى الثَّوِيّـة، فكنت أغدو كلّ يوم إليها، فآنصرفْتُ ذات يوم فلّما كنت في جُهَينة الظاهـرة إذا شيخٌ منهم قـاعد على طَنْفَسَـة(١) مُتّكيءٌ على وِسادة، فسلَّمْتُ ثم ألقيْتُ نفسي على الرمل؛ فقال: لقد جلسْتَ جِلسة عاجز أو ضعيف؛ قلت: قد جمعتُهما؛ قال: أدام الله لك ذلك. ثم قال: إنَّ أهلي كانوا يتخوّفون عليّ ثلاثاً؛ نقصان البصر وتـرك النساء والقِـطَاف في المشي، فـوالله إنهم ليـرون الشخص واحـداً وأراه آثنين، ولقد تركت النسـاء فما لي فيهن من حـاجة، وإني لأمشي فـأُهَمْلِج(٢)؛ قلت: أدام الله لك ذلك.

قـال المدائنيّ: ركب يـزيد بن نَهْشَـل النهشليّ بعيراً وقـال: اللّهم إنّك قلت: ﴿وَمَـا كُنَّا لَـهُ مُقْرِنِينَ﴾(٣) وإنّي لبعيـري هذا لمُقْـرِن؛ فنفَر بـه فـطرحـه وبقيَتْ رجله في الغَرْز، فجعل يضرب برأسه كلَّ حَجرٍ ومَدَرٍ(٤) حتى مات.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: اختصمت الطُّفَـاوة وبنُو راسِب(٥) في رجل يدّعيه الفريقـان إلى آبن عِرْبـاض، فقال: الحُكْمُ بينكم أبينُ من ذلـك، يُلْقى في النهر فإن طفا فهو لطِفَاوة، وإن رسب فهو لبني راسِب.

المدائنيّ قال: لما حضَرت الحُـطَيئة الـوفاةُ قيـل له: أُوْصِ؛ قـال: بم أوصِي! مالي للذكور دون الإناث؛ فقالوا: إن الله لم يأمر بهذا؛ فقـال: لكني

---

(١) الطَّنْفَسَةُ: الحصير من سَعَفٍ عَرْضُهُ ذراع.

(٢) هَمْلَجَ البِرْذَوْنُ هَمْلَجَةً: مشى مشية سهلة في سرعة. والبِرْذَوْن دابة أو فرسٌ غير أصيل.

(٣) سورة الزُّخْرُف ٤٣، آية ١٣. والمعنى: وما كنّا له مستطيعين. التفسير المبين.

(٤) المَدَرُ: التراب المتلبِّدُ أو قطع الطين اليابس، واحدته مَدَرَة.

(٥) الطُّفَاوَةُ وبنو راسب بطنـان من العرب؛ فـالبطن الأول ينسب إلى الـطُّفاوة بنت جَـرْم بن رَبّان، وينسب البطن الثاني إلى راسب بن مالك بن مَيْدَعَان بن مـالك بن نصـر بن الأَزْد بن الغَوْث. جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٤ و ٣٨٦.

آمُر به، ثم قال: ويلٌ للشعر من راوية الشعر؛ فقيل له: أوص يا أبا مُلَيكة للمساكين بشيء؛ قال: أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تَبُوْرَ. قيل: أعْتِقْ عبدَ يَسَاراً؛ قال: اشهدوا أنه عبد ما بقي. قيل: فلانٌ اليتيم ما تُوصي فيه؟ قال: أُوصي أن تأكلوا ماله وتَنيكوا أمّه؛ قالوا: ليس إلا هذا! قال: احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلّي أنجو؛ ومات مكانه.

لمّا حضرت سعدَ بن زيد الوفاة جمع ولده وقال: يا بَنِيَّ، أوصيكم بالناس شرّاً كلِّموهم نَزْرا، وانظروا إليهم شَزْرا، ولا تقبلوا لهم عُذْرا؛ قَصِّروا الأعِنّة، وآشحَذُوا الأسِنّة، تأكلوا القريب، ويرهَبْكم البعيد. ولمّا حضرت وكيعاً الوفاةُ دعا بَنيه فقال: يا بَني، إنّي لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أقْرحوا جِباههم وعرَّضوا لِحاهم يدّعون أنَّ لهم على أبيكم دَيناً فلا تَقْضُوهم، فإنّ أباكم قد حَمل من الذُّنوب ما إنْ غفر الله له لم تضرُرْه، وإلاّ فهي مع ما تقدّم.

تقدّم رجل من بني العَنْبر إلى سَوّار فقال: إنَّ أبي مات وتركني وأخاً لي، وخطَّ خطّين ناحيةً، ثم قال: وهَجِيناً لنا، ثم خط خطّاً آخر ناحيةً، ثم قال: كيف ينقسم المال بيننا؟ فقال: المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارثٌ غيركم؛ فقال له: لا أحسبك فهمْتَ، إنه تركني وأخي وهجيناً لنا؛ فقال سوّار: المال بينكم سواء؛ فقال الأعرابيّ أيأخذ الهجينُ كما آخذ ويأخذ أخي؟ قال أجَلْ! فغضِبَ الأعرابيّ وقال: تعلم والله أنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء[1]؛ فقال سوّار: إذاً لا يضرُّني ذلك عند الله شيئاً.

---

(١) الدَّهناء: الفلاة وموضع كله رَملٌ، أو أرض في نجد لبني تميم. محيط المحيط. وقال في اللسان مادة (دهن): إنها موضع من بلاد بني تميم مسيرة ثلاثة أيام لا ماء فيه، يُمَدُّ ويقْصَر.
وقال في المنجد: الدهناء: هي صحراء النفود الصغرى بالمملكة العربية السعودية تمتدُّ من =

قال بعض العُمَّال الأعرابيّ: ما أحسبُك تدرِي كم تصلّي في كلّ يوم وليلة؛ فقال: أرأيتَ إنْ أنبأتُك بذلك تجعلْ لي عليك مسألة؟ قال: نعم: قال الأعرابيّ: [رجز]

إن الصَّلاة أربعٌ وأربعُ ثم ثلاثٌ بَعدهنَّ أربعُ
ثم صلاةُ الفجرِ لا تُضَيَّعُ

قال: قد صدقْتَ، فسَلْ؛ قال: كم فَقَارُ ظهرك؟ قال: لا أدري؛ قال: أَفَتَحْكُمُ بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟.

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجَهْم البرمكيّ أنه دخل عليه رجل يكتب في حوائج له؛ فقرأها ووعَده قضاءها؛ فنهَض وهو يدعو له وقال: أبقاك الله وحفِظك وأتمّ نعمتَه عليك؛ فقال له محمد بن الجهم: كتابي إليك وأنا في عافية.

• طبائع الإنسان

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعِم عن أبيه عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه وجد في التَّوْراة: إنّي حين خلقتُ آدم ركَّبْتُ جسده من أربعة أشياء ثم جعلْتها وِراثة في ولده تنمِي في أجسادهم ويَنمُون عليها إلى يوم القيامة: رطْب ويابس وسُخْن وبارد، وذلك لأني خلقْتُه من ترابٍ وماء ثم جعلت فيه نفساً ورُوحاً، فَيُبُوسَةُ كلّ جسدٍ من قِبَل التراب، ورُطوبتُه من قبل الماءِ، وحرارته من قبل النفسِ، وبرودته من قِبل الروح، ثم خلقت الجسد بعد هذا الخَلْق الأوّل أربعةَ أنواعٍ من الخَلْق الآخر وهي مِعلاكُ الجسدِ بإذني وقِوامُه، لا يقوم

= صحراء النفوذ الكبرى إلى الربع الخالي جنوباً، ورمال الدهناء حمراء لكثرة أكسيد الحديد. والخالات: ج خالة وهي أخت الأم. والمعنى: إنك قليل المعرفة قليل العَون.

الجسد إلا بهنَّ ولا تقوم واحدة إلا بهنَّ، المِرّة الصفراء والمِرّة السوداء والدّم والبَلْغَم، ثم أسكنْتُ بعضَ هذه الخِلَق في بعضٍ فجعلت مَسْكَن اليبوسة في المِرة السوداء ومسكنَ الرطوبة في الدم ومسكنَ البرودة في البلغم ومسكنَ الحرارة في المِرّة الصفراء، فأيُّما جسدٍ آعتدلَتْ فيه هذه الفِطَرُ الأربعُ فكانت كلّ واحدةٍ منهنّ رُبُعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحتّه وآعتدل بُنيانه، وإن زادتْ واحدة منهنّ غلبتْهُنَّ وقهرْتهنَّ ومالت بهن ودخل على أخواتها السَّقَم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت ناقصةً تقلّ عنهنَّ مِلْنَ بها وعلَوْنَها وأدخلْنَ عليها السّقم من نواحيهنَّ لقلَّتها عنهنَّ حتى تضعُف عن طاقتهن وتعجِزَ عن مُقاومتهن. قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشَرَهَه في كُلْيته، وغضبَه في كَبِده، وصَرامتَه في قلبه، ورُعبه في رِئته، وضَحِكَه في طِحَاله وحزنه وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلثمائةٍ وستين مَفصِلا.

قال: حدّثني زيد بن أخزم قال: حدّثنا بِشر بن عمر عن أبي الزِّناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «كلّ آبنِ آدم تأكل الأرضُ إلا عَجْبَ الذنب منه خُلِقَ وفيه يُركَّب». وقالت الحكماء: الخَنَث يعتري الأعراب والأكراد والزِّنج والمجانين وكلّ صنف إلا الخِصْيان فإنه لا يكون خَصِيٌّ مُخنَّث. وقالوا: كلّ ذي ريح مُنتنة وذفَر كالتيس وما أشبهه، إذا خُصِي نقص نَتْنُه وذهب صُنانه[1] غير الإنسان فإنَّ نَتْنَه يشتدّ وصُنانه يَحِدّ وعرقَه يخبُث وريحه. وكلُّ شيء من الحيوان يُخصَى فإنَّ عَظْمه يدقّ، فإذا دقّ عظمُه آسترخى لحمه وتبرّأ من عظمه خلا الإنسانَ فإنه إذا خُصِي طال عظمه وعرُض. وقالوا: الخصيّ والمرأة لا يَصْلَعان، والخصيّ تطول قدمه وتعظُم. وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم بِرذَوْنٌ رقيق الحافر فخَصَاه فجاد حافرُه، اعتبر ذلك

(١) الصُّنانُ: دَفَرُ الإبْط، والجمع أصِنَّة.

بالإنسان إذا خُصِي عظُمت رِجله. قالوا: والخصيّ يشتدّ وقعُ رجله لأن معاقد عَصَبه تسترخِي، ويعتريه الاعوِجاج والفَدَع(١) في أصابعه، وتُسرع دَمعته، ويتخدّد(٢) جلده، ويُسرع غضبُه ورضاه، ويضيق صدره عن كتمان السرّ. ويزعم قوم أنَّ أعمارهم تطول لترك الجماع، قالوا: وتلك عِلّةُ طول عمر البغل. وقالوا: عِلّةُ قِصَرِ عمرِ العُصْفُور كثرةُ سِفَاده(٣). قالوا: وشأن الغريق إذا كان رجلاً ثم ظهر على الماء أن يظهر على قَفَاه، وإن كان امرأةً أن تظهر على وجهها. والرجل إذا ضُرِبَتْ عنقُه سقط على وجهه ثم يقلِبه ذَكَرُه إذا آنتفخ. قالوا: وفي الغِلمان من لا يحتلم أبداً، وفي النساء من لا تحيض أبداً، وذلك عيب. وفي الناس من لا يسقط ثَغْره ولا يستبدِل منه، منهم عبد الصَّمَد بن عليّ ذكروا أنه دخل قبرَه برواضِعه(٤). والضَّبّ لا تسقط له سنّ. وكذلك الخنزير لا يُلقي شيئاً من أسنانه. ولذلك تقول العرب في مَثَلٍ لها: لا آتيك سِنَّ الحِسْل(٥) يريدون لا آتيك أبداً. وتقول الأطبّاء: إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أدِيم السماء الا الإنسان، وذلك لكرامته على الله. ويقول بعضهم؛ إن الجَنِينَ يغتذي دم الحيض يسيل إليه من السُّرّة بغذائه؛ وقالوا: لذلك لا تحيض الحوامل. وقد رأينا من الحوامل من تحيض.

(١) الفَدَحُ: إعْوجاج الرُّسْغ من اليد أو الرِّجْل.

(٢) تَخَدَّد جلده أو لحمه: تَشَنَّج.

(٣) سِفادُ الطير: نَزْو الذكر على الأنثى، وهو بمثابة الجماع عند الإنسان.

(٤) برواضعه: أي بأسنان الرَّضاع، والمعنى: مات دون أن تسقط سنٌّ من أسنانه.

(٥) الحِسْل: ولد الضَّبّ حين يخرج من بيضه، والجمع أحسال. ومعنى المثل: لا اتيك أبداً؛ قيل لأن الحِسْل لا تَسقط له سِنٌّ حتى يموت. والنصب في «سِنّ» على النيابة عن الظرف المحذوف أي مدة بقاء سِنّ الحِسْل. أنظر محيط المحيط للبستاني مادة (حسل) والمنجد. حرف الهمزة من باب الأمثال ص ٩٧٠.

والعرب تقول: حَمَلَتْ فلانةُ سَهْواً، إذا حاضت على الحمل. قال الهُذَليّ[1] يمدح رجلاً: [كامل]

ومُبَّرإٍ من كلّ غُبَّرِ حَيْضةٍ ورَضاعِ مُغْيلَةٍ وداءٍ مُعضِلِ[2]

فأعلَمك أنها لم تَرَ عليه دم حَيْض في حَمْلها، ودلَّ على أنه قد يكون.

قالوا: فإذا خرج الجنين من الرَّحِم دفعت الطبيعة ذلك الدمَ الذي كان يغتذيه إلى الثَّدْيين، وهما عُضوان ناهِدان عصَبيّان فغيَّراه وجعلاه لَبناً. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾[3]. قالوا: والإنسان يعيش حيث تحْيا النار ويتلَف حيث لا تبقى النار. وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نَفَق في بطن الأرض أو مَغارة قدّموا شَمْعة في طَرَف قَناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلّا أمسكوا. والعرب تتشاءم بِبكْر ولد الرجل إذا كان ذكراً. وكان قيس بن زهير أزرق بكْراً بين بكرين.

حدّثني محمد بن عائشة عن حمّاد عن قَتَادة عن عبد الله بن الحارث بن

---

(١) هو أبو كبير عامر بن الحُلَيْس الهذلي كما ورد في اللسان مادة (غبر) وكما في ص ٦٥ من هذا الجزء. وأبو كبير من بني سهل بن هذيل، شاعر فحل من شعراء الحماسة. قيل: أدرك الإسلام وأسلم، الأعلام ج ٣ ص ٢٥٠.

(٢) الغُبَّرُ: بقية دم الحيض، وغُبَّرُ المرضِ: بقاياه. والمُغْيْلَةُ: الحُبْلى أو التي تُغْشى وهي تُرْضع؛ يقال: أغيلت المرأة فهي مغيل. ولقد ورد عجز هذا البيت في لسان العرب هكذا: وفَسادِ مُرْضعة وداءٍ مُغِيلِ وأضاف ابن منظور قائلاً: وقوله: (ومُبَرَّإ) معطوف على قوله في صدر بيت متقدم في القصيدة وهو: ولقد سَرَيْتُ على الظلام بِمِغْشَمٍ.

(٣) سورة النحل ١٦، آية ٦٦. والأنعام: الإبل والبقر والغنم. والعبرة: دلالة على قدرة الخالق وحكمته. نُسْقيكم مما في بطونه: أي من بعض الأنعام وهو الإناث لأن الذكور لا لبن فيها. في بطونه: أي في بطون بعض الأنعام. والفَرْث: ما يتبقى في الكرش بعد الهضم. ويقول العارفون: إذا هضمت معدة الحيوان الغذاء طردت الفضلات الضارة إلى الخارج، وتمتصّ العصارة النافعة، فتتحول إلى دم يسري في العروق والغدد التي في ضرع الأنثى، ويصبح لبناً خالصاً من رائحة الفرث والدم ولونهما وطعمهما.

نوفل قال: بِكْر البِكرين شيطان مخلّد لا يموت إلى يوم القيامة؛ يعني من الشياطين. قالوا: وآبنُ المذكَّرة من النساء والمؤنَّث من الرجال أخبثُ ما يكون، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أُمّه. والعرب تذكُر أنَّ الغيرى لا تُنجِب. قال عمرو[١] بن مَعْدِ يكَرِب: [متقارب]

ألستَ تصيرُ إذا ما نُسِبْـ ـتَ بين المُغَارة[٢] والأحمقِ

وقال بعض الحكماء: كُلُّ آمرأة أو دابّةٍ تُبطىء عن الحَبَل، إذا واقَعها الفحلُ في الأيام التي يجري الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله. قال عُبيد الله بن الحسن: إذا أردْتَ أن تُذْكِرَ المرأةُ فأَغْضِبْها ثم قَعْ عليها. وقال الحارث ابن كَلَدة: إذا أردت أنْ تحبَل المرأة، فمشِّها في عَرْصَة الدار عشرةَ أشواط فإنَّ رَحِمَها ينزل فلا تكاد تُخلِف. والعرب تقول: إن المرأة إذا لقِحَتْ في قُبُل الطُّهر[٣] في أوّل الشهر عند تبلّج الفجر ثم أذْكَرَتْ[٤] جاءت به لا يطاق. قال الشاعر وجمع هذه المعاني: [خفيف]

لَقِحتْ في الهلال عن قُبلُ الطُّهـ ـر وقد لاحَ للصباح بشيْرُ

ويقولون: إذا أكره الرجلُ المرأةَ وهي مذعورة ثم أذْكَرَتْ أنجبت. قال أبو كبير الهذليّ: [كامل]

حَمَلتْ به في ليلة مَزْؤُودةٍ[٥] كُرْهاً وعَقْدُ نِطاقها لم يُحلَلِ

---

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول، الحاشية رقم ٢ من ص ١٢٧.

(٢) المُغارة: من أغارها زوجها بتزوُّجه عليها.

(٣) قُبُلُ الطُّهْر بضم الباءِ وسكونها: أول الطهر.

(٤) أذْكَرَتِ المرأةُ: وَلَدَتْ ذَكَراً، فهي مُذْكِرٌ.

(٥) مَزْؤُودَةٌ: مذعورةٌ، نُسِبَ الذعرُ إلى الليلة لوقوعه فيها من باب الإسناد المجازي كما في قولهم: «نهارُهُ صائمٌ وليله قائمٌ» فإن الصوم والنوم واقعان في الليل والنهار لا منهما. وعليه قوله في البيت الذي يليه ومعناه: جاءت بذلك الولد ذكيَّ الفؤاد ضامر البطن قليل النوم. وذلك إذا نام البطيء الثقيل في ليله، فأسند النوم إلى الليل كما ترى. كما يجوز أن تكون: =

فَـأَتَتْ به حُـوشَ الفؤاد مُبَطَّنـاً سُهُداً،إذا ما نام ليلُ الهَوجَلِ [١]
ومُبَـرّإٍ من كـلّ غُبَّـرِ حَيْضَـةٍ ورَضَـاعِ مُغْيلةٍ وداءٍ مُعضِـلِ [٢]

يقول: لم تَرَ عليه في حملها دماً باقياً من حَيْضةٍ ولا حملته وهي تُرضع ولا أرْضَعَتْهُ وهي حامل؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبّ به. وقـال رسول الله ﷺ: «لقد همَمْتُ أنْ أنْهَى عن الغِيلة[٣] ثم ذكْرتُ أن فارسَ والرومَ يفعلونـه فلا يَضرّهم» وفي حديث آخر: «إنه ليُدرك الفارسَ فيُدَعْثِره» أي يطرحه.

حدّثني إسحاق بن راهْوَيه قـال: أخبرنـا يحيى بن آدم عن الحسن قال: رأيت جَـدّةً ٱبنةَ إحـدى وعشرين سنـة. قال: وأوّلُ أوقـاتِ حمل المـرأة تسـعُ سنين، وهو أوّل وقت الوَطْء. ودخـل رسول الله ﷺ بعـائشة وهي بنت تسـع. وقال عبد الله بن صالح: حدّثني اللّيث عن ٱبن عَجْلان أنّ ٱمرأته حملت لـه مـرّة وأقامت خمس سنين حـاملاً ثم ولـدت له، وحملتْ لـه مرّة أخـرى ثلاث سنين ثم ولدت. قال اللَّيث: وحملت مـولاة لعمر بن عبـد العزيـز ثلاثَ سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولـدت غلامـاً، قال الليث: ورأيْتُ أنـا ذلـك الغلام وكـانت أمه تـأتي أهلنا. وفي بعض الحـديث أن عيسى بن مريم عليـه السلام ولـدته أُمّـه لثمانيـة أشهر، ولـذلك لا يـولَد مـولود لثمـانية أشهـر فيعيش. وروى زيـد بن الحُبَاب عن ابن سِنَـان قال: حـدّثني ثابت بن جـابان العِجْليّ أن الضَّحّاك بن مُزاحم وُلد وهو ٱبن ستـة عشر شهـراً. فأمـا يزيـد بن هـارون فإنـه رَوَى عن جُوَيْبـر أن الضحّاك وُلـد لسنتين. ووُلـد شُعْبـة لسنتين.

= «مزْؤودةً» بالنصب حالاً من المرأة.

(١) حُـوشُ الفؤاد: حديـده، أي ذكيُّ الفؤاد. وضامـر البـطن: خميصـه. وسُهُـداً: قليـل النـوم. والهَوْجَلُ: البطيء الثقيل. أنظر لسان العرب مادة (حوش).

(٢) تقدم هذا البيت في الصحيفة ٦٤ من هذا الجزء.

(٣) الغِيْلَةُ: أي أن يمسَّ الرجلُ ٱمرأته وهي ترضع.

حدّثنا الرياشيّ أو رجل عنه قال: حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مُؤمَّل عن آبن أبي مُلَيكة أن عمر رحمه الله قال: يا بَني السائب، إنكم قد أضْوَيْتُم فآنْكِحوا في النزائع(١). قال: وقال الأصمعيّ: قال رجل: بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوسَ الأبطال كآبن عَجَمِيّة. والعرب تقول: اعتربوا لا تُضْوُوا، أي آنكِحُوا في الغرائب فإنَّ القرائب يُضْوين الأولادَ. قال الشاعر: [رجز]

إنَّ بِلالاً لم تَشِنْهُ أُمّهُ ... لم يتناسبْ خالُه وعَمُّه

وقال آخر: [طويل]

تَنَجَّبْتُها للنَّسْل وهي غريبةٌ ... فجاءت به كالبَدْر خِرْقاً(٢) مُعَمَّما

فلو شاتَم الفِتيانَ في الحيّ ظالماً ... لما وجدوا غير التكذُّب مَشْتَما(٣)

وكان يقال: أنجبُ النساءِ الفَرُوك(٤)، لأن الرجل يغلِبها على الشَّبه لزهدها في الرجال.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ أن المُنجِبة التي تَنزِعُ بولدها إلى أكرم الجَدّين. أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا حَرْب بن قَطَن قال: يقال: إن الرجل يستفرغ ولد آمرأتين، يُولد له وهو آبن تسعين سنة. وقالت عائشة: لا تلد آمرأةٌ بعد خمسين سنة. قالت الحكماء: الزَّنج شِرارُ الخلق وأَرْدَؤُهُمْ تركيباً؛ لأنَّ بلادهم سخُنت فأحرقتهم الأرحامُ، وكذلك من بَرَدت بلاده فلم

(١) أضْوَى الرجلُ: ولد له غلامٌ ضاويّ، والضاوي: الضعيف. والنزائع: ج نزيعة وهي المرأة التي تُزَوَّجُ من غير عشيرتها.
(٢) الخِرقُ: الفتى الحسن الكريم الخليقة.
(٣) يردُّ الشاعر هنا عجز البيت على صدره كما تقتضيه صناعة البلاغة.
(٤) الفَرُوك من النساء: المرأة التي تبغض زوجها.

تَطبُخه الأرحام، وإنما فَضَل أهلُ بابِلَ لعلّة الاعتدال؛ قالوا: والشمسُ شيَّطت[١] شعورَهم فقَبَّضتها، والشَّعَرُ إذا أدْنَيْته إلى النار تجعّد، فإن زِدْتَه تفلْفل، فإن زدته آحترق. وقالوا: أطيب الأُمم أفواهاً الزَّنج وإن لم تستنّ[٢]؛ وكل إنسان رَطْبِ الفم كثيرِ الريق فهو طيّب الفم؛ وخُلوفُ فم الصائم يكون لخُثُورة[٣] الريق؛ وكذلك الخُلوف في آخر الليل. وقالت الحكاء. كلّ الحيوان إذا أُلقِيَ في الماء سبَح إلا الإنسانَ والقِرْدَ والفرسَ الأعسرَ[٤]، فإن هذه تَغْرَقُ ولا تسبَح إلا أنْ يتعلّم الإنسان السِّباحة. قالوا: والرجل إذا ضُربتْ عنقُه فأُلقِيَ في الماء قام في وسَط الماء وآنتصب ولم يلزم القعر جارياً كان الماء أو ساكناً، حتى إذا جيَّف آنقلب وظَهَر بدنُه كلّه مستلقياً إلَّا المرأة فإنها تظهر مُنْكَبَّةً على وجهها. وقالوا: كل مَنْ قُطِعَتْ يداه لم يُجِد العدْوَ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجِد الطيرَان. قالوا: وليس في الأرض هاربٌ من حرب أو غيرها يَستعمِل الحُضْرَ[٥] إلّا أَخذ عن يساره إلَّا أنْ يترك عَزْمَهُ أو سَوْمَ طبيعته. ولذلك قالوا: فجاءك على وَحْشيِّة[٦]، وأنحى[٧] على شُؤْمَى يديه. وقالوا: كلّ ذي عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشيّة والإنسية فإنما الأشفارُ لَجفْنه الأعلى إلا الإنسانَ فإنَّ الأشفار ـ نعني الهُدْبَ ـ لجفنيه: الأعلى والأسفل. قالوا: ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرَب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شِعْره وولده. قال الطائيّ: [كامل]

---

(١) شَيَّطَتِ الشمسُ شعورهم: أحرقتها.
(٢) تَسْتَنُّ: تَسْتاكُ، أي تَتَدَلَّكُ بالمِسْواك.
(٣) الخُثُورَةُ: ضد الرقّة.
(٤) الأعسر: الذي يعمل بالشمال دون اليمين.
(٥) الحُضْر: إرتفاع الفرس في عَدْوه.
(٦) الوَحْشِيُّ من الإنسان أو الحيوان: الجانب الأيسر أو الأيمن
(٧) أنحى على شُؤْمَيْ يَدَيْه: اعتمد عليها، وشُؤْمَى اليدين اليدُ اليسرى.

ويُسيءُ بالإحسانِ ظَنّاً لا كمنْ هــو بــآبنــه وبِشِعْــرِهِ مفتــونُ

وقالوا: كلّ ذي جِلْد فإنَّ جلدَهُ يَنْسلخ إلا جلدَ الإنسـان؛ فإنـه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبَعه.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن آبن أبي طَرفة الهُذَليّ عن جُنْدَب بن شُعَيب قال: إذا رأيتَ المولودَ قبل أن يغتـذيَ من لبن أُمّه فعلى وجهـه مصباحُ من البيان[١]؛ يريد أن ألبان النساء تُغيِّره؛ ولذلك قـولهم: اللبن يُشتَبه عليـه؛ يراد أنه يَنزِعُ بالمولود في شبه الظِّئْر[٢]. قال الشاعر: [بسيط]

لم أرضَع الدهرَ إلّا ثَدْيَ واحدةٍ لِواضِحِ الوجه يحمي ساحةَ الدارِ

وحدّثني الزياديّ قال: حدّثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أنَّ عُمر أُتي بآمرأة وَلَدَتْ لستة أشهر فهمَّ بها؛ فقال له عليّ: قـد يكون هـذا، قال الله عـزّ وجلّ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَـالُهُ ثَـلاَثُون شَهْـراً﴾[٣] وقال: ﴿وَالْـوالِـدَاتُ يُـرْضِعْنَ أوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٤].

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: اختصم رجلان في غلامٍ كلاهما يدَّعِيْـه؛ فسأل عمرُ أُمَّـه؛ فقالت: غَشِيني أحـدُهما ثم هَـرَقْتُ دما، ثم غشِيني الآخـر،

(١) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق.

(٢) الظِّئْرُ: العاطفة على ولد غيرها المرضعةُ له، في الناس وغيرهم.

(٣) سورة الأحقاف ٤٦، آية ١٥. قال ابن كثير في تفسيره: إن علي بن أبي طالب (ع) أول من استنبط من القـرآن أن أقلَّ مـدة الحمل ستـة أشهر. وكـان رجلٌ قـد شكا لعثمـان بن عفان أن زوجته ولدت لستة أشهر، فأمر برجمها فرجمت حتى الموت، فأتاه الإمـام علي وقال لـه: أما تقرأ القرآن؟ قـال: بلى. قال علي: إن الله يقـول: ﴿وحمله وفصالـه ثلاثـون شهراً﴾ ويقـول: ﴿والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادهنَّ حَوْلين كاملين﴾ وبذلك يبقى من الثلاثين شهـراً ستة أشهـر فقط. التفسير المبين.

(٤) سورة البقرة ٢، آية ٢٣٣. والمعنى: لِتُرْضِع الأمهاتُ أولادهنَّ سنتين كـاملتين، ويسوغ تـرك الرضاع إلى غذاء آخرلا يقلُّ نفعه عن حليب الأم، فإن حليبها وسيلة لا غاية. المصدر السابق والحاشية رقم ١ من هذه الصفحة.

فدعا عُمر قائفَين [١] فسألهما؛ فقال أحدهما: أُعْلِنٌ أم أُسِرَّ؛ قال: إشتركا فيه؛ فضربه عمر حتى آضطجع ثم سأل الآخر، فقال مثل قوله؛ فقال: ما كُنْتُ أرى أنَّ مثل هذا يكون. وقد علمْتُ أن الكَلْبة يَسْفِدُها [٢] الكلابُ فتُؤدّي إلى كلّ فحل نجلَه. ورُكَبُ الناس في أرجلهم ورُكَبُ ذوات الأربع في أيديها، وكل طائر كفُّه في رجليه.

ما نَقص خَلْقُه من الحيوان

حدّثني أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال: الفَرَسُ لا طِحَال له، والبعيرُ لا مَرارة له، والظليمُ [٣] لا مُخّ لعَظْمه. قال زهير: [وافر]

كأن الرَّحْلَ منها فوق صَعْلٍ [٤] من الظُّلْمان جُؤجؤه [٥] هواءُ

وكذلك طيرُ الماء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدْمغة. وصَفْن [٦] البعير لا بَيضة فيه. والسَّمَكة لا رِئة لها ولذلك لا تتنفّس، وكل ذي رِئة يتنفّس.

المشتركاتُ من الحيوان

الراعي [٧] بين الوَرَشَان [٨] والحمامة. والبَخَاتيُّ [٩] من الإبل بين العِرَاب [١٠]

---

(١) القائف: الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه.

(٢) سَفَدَ الذكرُ على الأنثى يسفد: نَزَا عليها ووثب؛ قيل هو خاص بغير الإنسان من الحيوان. وقد يستعمل للإنسان مجازاً.

(٣) الظليم: الذكر من النَّعام، والجمع ظُلمان بضم الظاء وكسرها.

(٤) الصَّعْلُ: الطويل.

(٥) الجُؤْجُؤ: الصدر.

(٦) الصَّفْنُ: وعاء الخصية.

(٧) الراعي: طائر متولد بين الوَرَشان والحمام كثير النسل يعيش طويلاً، وهو أَلُوفٌ.

(٨) الوَرَشانِ: طائرٌ شِبْهُ الحمامة، والأنثى وَرَشانة والجمع ورْشان بكسر الواو، وهو ذكر القَمَارِيِّ لأن الأنثى قُمْرِيَّةٌ.

(٩) البَخَاتيُّ: ج بُخْتِيّ وهو واحد البُخْت (الإبل الخراسانية).

(١٠) الإبلُ العراب: الكرائم السالمة من الهجنة، والواحد عربي.

والفَوَالج(١). والحمير الأَخْدَرِيّة من الأَخْدَر وهو فرس كان لأردشير توحّش فحَمى عانَاتٍ(٢) من الحمير فضرب فيها، وأعمارُها كأعمار الخيل. والزَّرَافة بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الضِّبْعان(٣)؛ وآسمها آشْتُرْكَا وْپَلَنْكَ(٤) أي بين الجمل والكركند(٥)؛ وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفِدُ الناقةَ فتجيء لولد خَلْقُه بين الناقة والضَّبُع، فإن كان ولدُ الناقة ذَكَراً عَرَض للمهَاة(٦) فألقحها زَرَافة. وسُمِّيت زرافة لأنها جماعة وهي واحدة كأنها جمل وبقرة وضَبُع؛ والزَّرافة في كلام العرب الجماعة. وقال صاحب المنطق: الكلاب تسفِدها الذِّئاب في أرض سَلُوقيّة(٧) فيكون منها الكلام السَّلُوقيّة.

المتعادياتُ

بين البُوم والغُراب عداوة. وبين الفأْرة والعَقْرَب عداوة. وبين الغراب وآبن عِرْس(٨) عداوة. وبين الحِدَأة والغُدَاف(٩) عداوة. وبين العنكبوت وبين العَظَاءة(١٠) عداوة. وبين الحيّة وبين آبن عِرْس عداوة. وبين آبن آوَى(١١)

(١) الفوالج: ج فالج وهو جمل ضخم ذو سَنامَيْن يُحْمَل من السند للفِحْلة.
(٢) العانات: ج عانة وهي القطيع من حُمُرَ الوحش.
(٣) الضِّبْعان: الذكر من الضباع.
(٤) كلمة فارسية مركبة من «أشتر» أي البعير «وكاو» أي البقر و«پلنك» أين النمر.
(٥) الكركند: حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكَرْكَدَّن، وأكثر ما يوجد في بلاد الهند والنوبة، وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل.
(٦) المَهَاةُ: البقرة الوحشيّة.
(٧) نسبة إلى سَلُوْق وهي قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب.
(٨) ابنِ عِرْس: دُوَيْبَّة كالفأرة أَشْتَرُ أَصْلَمُ، والجمع بنات عِرْس.
(٩) الحِدَأَةُ: طائر يصطاد الجرذان، والجمع حدَأ وحِداء وحِدْآن. والغُداف: الغراب، وخصَّ بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين.
(١٠) العَظَاءَةُ: دُوَيْبَّة ملساء تعدو وتتردَّد كثيراً، لا تؤذي وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل.
(١١) ابن اوى: حيوان طويل المخالب والأظفار، يأكل الطيور، وخوف الدجاج منه أشدُّ من خوفها =

والدَّجاج عداوة. وبين السِّنَّور والحمَام عداوة. وبين البُوم وبين جميع الطير عداوة، لأن البُومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يَقْوَ عليها شيء، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصِبُها للطير. وبين الحمار وبين عُصفور الشوك عداوة، ومتى نَهَقَ الحمار سقط بَيض عصفور الشوك. وبين الحمار وبين الغراب عداوة. وبين الحيّة والخنزير عداوة. والغراب مصادق للثعلب. والثعلب مصادق للحيّة. والجمل يكره قُرب الفرس أبداً ويقاتله. وبين الأسد وبين الفيل عداوة. ويقال: إنَّ الأسد والنِمرِ مختلفان، والأسد والبَبِرْ[1] متّفقان.

الأمثال المضروبة بالطبائع

يقال: فلان «أَسْمَعُ من قُراد[2]»؛ والقِرْدان تكون عند الماء فإن قَرُبَتِ الإبل منها تحرّكت وانتعشت، فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل. و «أسمعُ من فرس». و «أحزم من فرخ العُقاب»، وذلك أنه يكون في عُرْض الجبل فلا يتحرّك فيسقط. و «أحلم من حيّة». و «أهدى من قَطَاةٍ وحَمامة». و «أخَفّ رأساً من الذئب». و «أنوم من فَهْدٍ». و «أظلم من حيّةٍ»، وذلك لأنها تدخل جِحَرَةَ الحَشَرات وتُخرجها. و «أحذرُ من غراب». و «أصنع من تَنَوُّطٍ»، وهو طائر يصنع عُشّاً مُدَلّىً من الشجر. و «أصنع من سُرْفةٍ»، وهي دُوَيْبّة تعمل بيتاً من قطَع العِيدان. و «أسرق من زَبَابةٍ»، وهي فأرة بَرِّيّة. و «أسرق من كُنْدُشٍ»

= من الثعلب، ويذكر الدّميري أن ابن آوى إذا مرَّ تحت الدجاج، وهي على الشجرة أو الجدار، تساقطت وإن كانت عدداً كثيراً.

(١) البَبْرُ: بفتح الباء الأولى وسكون الثانية أو كسرها، هو الأسد الهندي والجمع بُبُور، معرَّب.

(٢) القُراد: ج قرادة وهي دويبّة تتعلق بالبعير ونحوه. قيل: إنه يسمع أخفاق الإبل من مسيرة يوم فيتحرك. المنجد في اللغة والأعلام مادة (سمع) من باب «في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب».

وهو العَقْعَق؛ ويقال أيضاً: «أحمق من عَقْعَقٍ» لأنه من الطير الذي يُضيّع فِراخَه. و «أخرقُ من حمامةٍ»، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ فربما وقع البيض فآنكسر. قال عَبِيدُ بن الأبرص[1]: [مجزوء الكامل]

عَيُّوا بأمرهمو كما عَيَّتْ بَبيضتها الحَمامَهْ
جعلَتْ لها عُودَيْنِ من نَشَمٍ وآخرَ من ثمامَهْ[2]

يقول: قَرَنَت النَّشَمَ بالثُّمام وهو ضعيف فتكسّر ووقع البيض فآنكسر. وفي الإنجيل أنَّ المسيح عليه السلام قال للحَواريّين: كونوا حُلَماء كالحيّات وبُلْهاً كالحمام. و «أعقّ من ضَبّ»، لأنه يأكل ولده من الجوع. و «أبرَّ من هِرّة»، وهي تأكل ولدها من شدّة محبّته. و «أروغُ من ثَعْلَبٍ». و «أَمْوَقُ من رخَمةٍ». و «أزهَى من ذُبابٍ» لأنه يقع على أنف الملك وتاجه. و «أصنعُ من الدَّبْر»، وهي النَّحل. و «أسمحُ من لافظةٍ»، ويقال: هي العَنْز تسمحُ بالحَلْب، ويقال: الرّحا، لأنها تلفِظ ما تطحَنه لا تحبس منه شيئاً. و «أصْرَدُ من عين حِرْباء[4]». و «ألحّ من الخُنْفَساء». و «أخْيلُ من مُذَالةٍ»، وهي الأَمَة تُهان وهي تتبختر. و «أحلم من فرخ الطائر». و «أكيسُ من قِشّةٍ»، وهي القِرْدة. و «أجْبَنْ من صافِرٍ[5]»، وهو ما صَفَرَ من الطير، ويقال: هو الصّافر

(١) عَبِيْدُ بن الأبرص الأسدي شاعرٌ من دهاة الجاهلية وحكمائها. عمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر في يوم بؤسه نحو ٢٥ ق هـ. المؤتلف والمختلف ص ٥٠ و١٥٣، والأعلام ج ٤ ص ١٨٨.
(٢) النَّشَمُ: شجر جبلي تتخذ منه القسيّ. والثمامة: واحدة الثمام: نبت ضعيف.
(٣) أَمْوَقُ: أحمق، من المُوق وهو الحمق. والرَّخَمَةُ: واحدة الرَّخَم، وهو طائر أبقع يشبه النَّسْر في الخلقة ويقال له الأخوف يختار لبيضة أطراف الجبال الشاهقة ومواضع الصدوع وخلال الصخور ليَعْسُرَ الوصولُ إليه. والعامة تسميه الشُوح.
(٤) أَصْرَدُ من عين حِرْباء: مثل يضرب لمن أصابه بَرْدٌ شديد، لأن الحِرْباء يدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستجلب إليه الدفء؛ يقال: صَرِدَ الرجلُ يَصْرَدُ صَرَداً: وجد البردَ سريعاً.
(٥) الصافر: هو كل ما يَصْفِرُ من الطير، والصفير لا يكون في سباع الطير بل في ما يُعاد منها. =

بالمرأة للريبة. و «أنمّ من صُبْح». و «أبعد من بَيض الأَنُوق»، والأنوق: الرَّخَمة تبيض في أعالي الجبال والشواهق حيث لا يبلغه سَبُع ولا طائر. و «أشجع من لَيثِ عِفِرِّين»[١]، قال بعضهم: هو الأسد، كأنه قال: أشجع من ليثِ لُيوث تعفِر من نازعها وتصرَعه، وقال الأصمعيّ: هو دابّة مثل الحِرْباء يتحدّى الراكبَ ويضربه بذَنَبه. و «أحنُّ من شارِفٍ»، وهي الناقة المُسِنّة. و «أسرع من عَدْوَى الثُّؤَباء»[٢]. و «أروَى من النَّقّاقة»، وهي الضَّفادع. و «أزْنَى من قِرْدٍ»، ويقول بعضهم: إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزنّا. و «أخدعُ من ضَبّ». و «أشأم من الزَّرْقاء»[٣] وهي ناقة.

الأنعام

حدّثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهليّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خلقَ الله دابّة أكرم عليه من النَّعْجة وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها».

وقال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهَاب بن عُمَيْر قال: كان لنا جمل يعرِف كَشْحَ الحامل من غير أن يُشمّهَا. قيل لابنة الخُسّ[٤]: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: قِنىً؛ قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غِنىً؛ قيل:

= وذكر محمد بن حبيب أن الصافر هو طائر يأخذ غصن شجرة برجليه ويتدلّى منكوساً ويصفر طول الليل مخافة أن ينام فَيُؤْخَذَ. وقال الحريري في مقامته التَّبْرِيزيَّة إن المراد بالصافر من يصفر بالمرأة لريبةٍ فإنه يجبن عند صفيره مخافة أن يظهر أحدُ على أمره.

(١) الليث العِفِرِّين: الأسد.

(٢) الثُّؤَبَاءُ: فترة تعتري الشخص فيفتح عندها فاه واسعاً وهو تنفس ينفتح له الفم مليّاً من دون قصد.

(٣) الزَّرقاء: ناقة نفرت براكبها فذهبت في الأرض، فجرى بها المثل في الشُّؤْم.

(٤) ابنة الخُسّ؛ امرأة من إياد جاءت عنها الأمثال وأسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة

فمـائة من الإبـل؟ قالت: مُنىً. والعـرب تضرب المثـل في الصَّـرَد بـالمِعْـزَى فتقول: «أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء»(١). وسئل دَغْفَلٌ عن بني مخزوم، فقال: مِعْزَى مَطِيرة، عليها قُشَعْريرة، إلا بني المُغِيرة؛ فإنَّ فيهم تشادُقَ الكـلام، ومُصاهَـرة الكِرام.

وقـالت العرب فيمـا تقول على ألسِنـة البهائم: قـالت المِعْزَى: الاسْتُ جَهْوَى(٢)، والذَنبُ ألْوَى؛ والجِلدُ رُقَاق، والشعـر دُقاق. قـالوا: والضـأن تضع مرة في السنة وتُفرِد ولا تُتْئِمُ(٣)، والماعِز قد تلد مرتين في السنة، تضع الثلاثـة وأكثر وأقل، والنَّماء والبَركة والعدد في الضّأن؛ وكذلـك الخنازيـر تضع الأُنثى منها عشرين خِنَّوْصاً ولا نَمَـاء فيها. ويقـال: الجَوَاميس ضأنُ البقر، والبُخْتُ ضـأن الإبل، والبـراذِيْن ضأنُ الخيـلَ، والجِرذان ضـأنُ الفأر، والـدُّلْدُل ضـأنُ القنافذ، والنمل ضأن الذَّرّ. ويقول الأطبّـاء في لحم الماعـز: إنّه يـورث الهمّ ويحرِّك السَّوداء ويُورِث النِّسيانَ ويُخَبِّل الأولادَ ويُفسد الدّم، ولحمُ الضأن يضرّ بمن يُصْـرَع من المِرة(٤)إضـرارا شديـداحتى يصرعهم في غيـر أوانِ الصَّرْع. وأوانُ الصـرع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهـور؛ وهذان الـوقتان همـا وقت مَدّ البحـر وزيادة المـاء والدّم. ولـزيادةِ القمـرِ إلى أن يصير بـدراً أثرٌ في زيـادةِ الدّمِ والـدمـاغ وجميع الرُّطوبات؛ قال الشاعر(٥): [وافر]

---

(١) أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء: مثل يضرب لمن يبرد كثيراً؛ لأن العنـزة الجربـاء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها ورقة جلدها، فالبرد أضرُّ لها.

(٢) جَهْوَى: مكشوفة.

(٣) تُتْئِمُ: تلد آثنين فصاعداً في بطن واحد من أتْأَمَتِ الأمُّ إتاماًفهي متئمٌ.

(٤) المِرَّةُ: مادة صفراء تتكون في المرارة.

(٥) هـو غيلان بن عقبـة العدوي المضـري المعروف بـذي الرُّمَّـة المتوفي سنـة ١١٧ هـ، كما في اللسان مادة (نعج) وآنظر كذلك الأعلام ج ٥ ص ١٢٤.

كـأنَّ القـوم عُشُّـوا لحمَ ضـأنٍ فهُمْ نَعِجُـونَ قد مـالتْ طُـلاَهُمْ[١]

وفي الماعزة: إنها ترتضع من خِلْفِها[٢] وهي مُحَفَّلة حتى تأتيَ على كلّ ما فيه؛ قال آبن أحمرَ: [بسيط]

إني وَجَـدْتُ بني أَعْيَـا وجـامِلَهُمْ كالعَنْزِ تَعْطِفُ رَوْقَيْها فَتَـرتَضِـعُ[٣]

وإذا رعت الضائنةُ والماعزة في قصيرِ نَبتٍ لم يَنْبُتْ ما تأكله الماعـزة لأنّ الضائنة تَقرضه بأسنانها والماعـزةَ تقتلعه وتجـذبه فتنثِـرُه من أصله. وإذا حمل على الماعزة فَحَملَتْ أنـزلت اللَّبن في أوّل الحمل إلى الضَّـرْع، والضائنـة لا تُنـزل اللبنَ إلا عند الـوِلَاد، ولذلك تقـول العـرب: «رَمَّـدَتِ المِعْـزَى فَـرنِّقْ رَنِّق»[٤] و «رمَّدَت الضأنُ فربِّقْ رَبِّق»[٥].

وذكـورُ كلّ شيء أحسنُ من إنـاثه إلاّ التُّيـوسَ فإنهـا أقبح من الصَّفَـايا.

(١) يريد أنهم قـد آتَّخَمُوا من كثـرة أكلهم الدَّسَمَ فمالت طُلاهم (ج طُلْيـة وهي العنق) ونَعِجُون: ج نَعِج أي الخالص البياض. لسان العرب مادة (نعج) وسوف يرد هذا البيت في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٨١.

(٢) الخِلْفُ: حَلَمَةُ الضرع. والمُحَفَّلَةُ: التي تُرك حلْبُها أياماً ليجتمع اللبن في ضرعها.

(٣) بنو أَعْيا: بطن من أسد، والنسبة إليهم أَعْيَوِيٌّ كما في اللسان. وفي جمهرة أنساب العرب ص ١٩٥: أَعْيـا هـو الحـارث بن طـريف بن عمـرو بن قعين بن الحـارث بن ثعلبـة بن دُوان. والجـامل: قـطيع الجمـال برعـاتِهِ وأربـابه. والرَّوْقُ: القَرْن. وآرتضعت العَنْزُ: شـربت لبن نفسهـا. والعَنْزُ: الانثى من المَعَـز أو إذا أتى عليهـا حَـوْلٌ والمعنى إنهم لا يحتلبـون نيـاقهم وإنمـا يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم.

(٤) رَمَّدَت المِعْزى: عظم ضرعها. ورَنِّق: انتظر. والمعنى: إن عِظَمَ ضرع المـاعزة لا يـدل على قرب ولادتها.

(٥) اي هَيِّء لأولادها الأرباق (ج رِبْق وهـو حبل فيـه عدة عُـرَى يُشَدُّ بـه إليهم: كل عـروةٍ رِبْقَة) والمعنى: أن عِـظَم ضروع الضـأن يدل على ولادتهـا، وهو مثـل يضرب لمـا لا يُنتَظَرُ وقـوعه آنتظاراً طويلاً على عكس المثل الأول.

وأصوات الذكور من كلّ شيء أجهرُ وأغلظ إلا إناثَ البقر فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها.

قيل لأعرابيّ: بأيّ شيءٍ تعرف حَمْل شاتِك؟ قال: إذا ورم حَياؤها ورجَّتْ شِعْرتُها وآستفاضت خاصرتها.

قال الأصمعيّ: لبني عقيل ماعِزة لا ترِد، تجترِىء بالرَّطب. وقرأت في كتابٍ من كتب الروم: إن أردْتَ أن تعرف ما لونُ جنينِ النعجة فآنظر إلى لسانِها فإنّ الجنين يكون على لونه. وقرأت فيه أنَّ الإبل تَتَحامَى أمّهاتِها وأخواتها فلا تسفِدها.

قالوا: وكلُّ ثور أفطسُ[١]، وكلّ بعير أعلمُ[٢]، وكل ذُباب أقرح[٣]. وقالوا: البعير إذا صعُب وخافه الناس آستعانوا عليه حتى يُبْرَك ويُعْقَل ثم يركَبه فحلٌ آخر فيذِلّ. والعرب تعرف البعير المُغدّ[٤] بسقوط الذباب عليه. ويقولون: بعير مَذْبوب إذا عَرَض له داء يدعو الذباب إلى السقوط عليه. وقال بعض القُصّاص: مما فضَّل الله به الكَبْشَ أن جعله مستور العَورة من قُبُل ومن دُبُر، ومما أهان به التَّيس أن جعله مهتوكَ السِّتر مكشوف القبل والدّبر.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أُميّة عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه قال: كان في مناجاة عُزَيْرٍ: اللّهم إنك آخترْتَ من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحُبْلة[٥]، ومن البيوت بكَّة[٦] وإيلياء، ومن إيلياءَ بيت

(١) الأفطس: الذي تَطَأْمَنَتْ قصبة انفه وآنتشرت أو آنشرم أنفه وآنفرش في وجهه.
(٢) الأعلم: المشقوق المشفر الأعلى.
(٣) الأقرح: الذي بوجهه قرحة تظهر كالغرّة.
(٤) البعير المُغَدُّ: الذي أصيب بالغدّة وهي طاعون الإبل.
(٥) الحُبْلَةُ: تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكَرْم وعلى شجر العِضاه.
(٦) بَكّة: مكة. وإيلياء: اسم مدينة بيت المقدس.

المَقـدِس. وفي الحديث أنَّ آمـرأة آتت النبي عليه السـلام فقالت: يـا رسـول الله، صلى الله عليـك، إني آتخـذتُ غنمـاً أَبتغي نَسلهـا ورِسْلهـا[١] وإنهـا لا تنمو فقال رسول الله ﷺ. «ما ألـوانها»؛ قـالـت: سُود، فقـال: «غَفِّري»، «وبَعثَ إلى الرُّعيان «من كانت له غَنَمٌ سُود فليخلِطْها بعُفْـر فإنّ دمَ عَفْـراءَ[٢] أزكَى من دم سَوداوَين». وقال: «الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أقبلت. والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يـأتي نفعها إلا من جـانبها الأشأم»[٣]. والأُقْطُ[٤] قد يكون من المِعْزَى؛ قال آمرؤ القيس: [وافر]

لـنـا غَنَـمٌ نُسَـوِّقـهُـا غِـزارٌ كـأنَّ قُـرونَ جِلَّتهـا[٥] عِصِيُّ
فتمـلأُ بيتنـا أَقْـطاً وسَمْـنـاً وحَسْبُكَ مِنْ غِنىً شِبَعٌ ورِيُّ[٦]

وقالوا: شِقْشِقة البعير: لَهَاتُه يُخرجها. ومن أحسن ما قيل في الغنم قول مُخارِق[٧] بن شِهاب في تَيْس غنمه: [طويل]

---

(١) الرِّسْل: اللبن.
(٢) عَفِّري: من العُفْر وهو البياض.
(٣) الأَشْأم: الشمال.
(٤) الأُقْطُ: الجُبْن المتَّخذ من اللبن الحامض، والجمع أُقْطان.
(٥) الجِلَّة: ج جليل وهو المُسِنُّ من الغنم وغيرها. وهنا ذكر الغنم لأن المِعْزَى أدناها وأَقلُّها.
(٦) ورد هذان البيتان في ديوان امرىء القيس (ص ١٣٦ - ١٣٧) على الوجه التالي:

أَلَا إنْ لا تـكـنْ إبـلٌ فَـمِـعْـزَى كـأنَّ قـرونَ جِـلَّتـهـا الـعِـصِـيُّ
فـتُـوْسِـعُ أهـلـهـا أَقْـطاً وسَـمْـنـاً وحَـسْـبُـك مـن غِـنـىً شِبَعٌ ورِيُّ

وهنا ذكر الإبل لأنها أفضل أموالهم وأنفسها.
(٧) ورد أسم مُخارق بن شهاب في لسان العرب مادة (لبب) مع ذكر البيت الأول فقط. ووردت هذه الأبيات في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٤٨٩ - ٤٩٠) بـاختلاف بسيط في بعض الكلمات. وأضاف الجاحظ قائلاً: هو مُخارق ابن شهاب المازني، وكان سيداً كريماً، وكان شاعراً. وقال محقق الكتاب في الحاشية رقم ٤ نقلاً عن دعبل: أن مخارق شاعر إسلامي.

وراحتْ أُصَيلانا كأنّ ضُرُوعَها دِلاءٌ وفيها واتدُ القَرْن لَبْلَبُ[١]
له رعَثاتٌ كالشُّنوف وغُرّةٌ شَديخٌ ولونٌ كالوَذِيلة مُذهَبُ[٢]
وَعينَا أحمِّ المُقْلَتَيْن وعُصْمةٌ يواصلها دانٍ من الظِّلْفِ مُكْنَبُ[٣]
إذا دَوحةٌ من مُخْرِف الضّالِ أذْبَلَتْ عطاها كما يَعْطو ذُرى الضال قَرهَبُ[٤]
أبو الحُور والغُرّ اللواتي كأنّها من الحسن في الأعناق جَزْعٌ مُثقَّبُ[٥]
ترى ضَيْفها فيها يبيت بِغبطةٍ وضيفُ آبن قيسٍ جائعٌ يتحوّبُ[٦]

فوفَدَ آبن قيس هذا على النُّعمان فقال: كيف المُخارق فيكم؟ قال: سيِّدٌ كريمٌ من رجل يمدح تَيْسَه ويهجو آبن عمّه. قال العجّاج في وصف شاةٍ: حمراء المُقدَّم شعراء المؤخَّر إذا أقبلت حسبْتَها نافراً، وإذا أدْبَرَتْ حسبتها ناثراً، أي كأنها تَعْطِس، يريد من أيّ أقطارها رأيْتَها وجدْتها مُشرقة.

---

(١) الدِّلاءُ: ج دِلْو وهي وعاء يُسْتقي بها، مؤنث وقد يذكر. وواتد القرن: منتصبه. واللَّبْلَب: المراد بِهِ كما في لسان العرب مادة (لبب) شَفَقَتُهُ على المِعْزى التي أُرْسِلَ فيها، فهو، ذو لَبْلَبَة عليها أي ذو شفقة.

(٢) رعثتا الشاة: زَنَمَتاها تحت الأذنين، وهما هَنَتَان تليان الشحمة وتقابلان الوترة. والشُّنُوْف: ج شنْف وهو القُرْط. وغُرَّةٌ شَدِيخ وشادخة: أي غشت الوجه من الناصية إلى الأنف. والوَذِيلة: المرآة أو قطعة من الفضة مجلوَّة.

(٣) أَحَمُّ المقلتين: أسود المقلتين. والعُصْمَةُ: البياض في ذراعَيْ الظبي أو الوَعْل. والظِّلْف: ظفر كل ما آجترَّ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبههما. ومُكْنَب: غليظ، من الكَنَب وهو غِلَظٌ يعلو الرِّجْل والخفَّ والحافر واليد.

(٤) الدوحة: الشجرة العظيمة. والضال: شجر السِّدْر من شجر الشوك فإذا نبت على شط الأنهار قيل له: «العِبْرِيُّ» واحدته ضَالَةٌ. والمُخْرِف: الذي حان خِرافه أي حان وقت أقتطاف ثمرة في فصل الخريف، يقال: خُرِفَ القومُ: أصابهم مطر الخريف. والقَرْهَبُ: الثور المُسِنُّ أو الكبير الضخم. ويعطو: يتناول. وذُرَى الضَّال: أعلى أغصانها. ومعنى البيت: إذا أذبلت الدوحةُ وسقط ثمرها يكون تناول ثمارها كما يتناول القرْهَبُ ذُرَى الضّال.

(٥) الجَزْعُ: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض.

(٦) يَتَحَوَّبُ: يتوجَّع.

قال الأصمعيّ: قال أعرابيّ يهزَأ بصاحبه: اشتَـر لي شاة فَقْمـاء[١] كأنهـا تضحَك، مُندلِقـةً[٢] خاصِـرتاهـا، لها ضِـرْعُ أَرقَط[٣] كأنّـه جَيْب؛ قال: فكيف العَطَل؟ قال: إنّي لهذا عطل! العطل: العُنق. يقول: مِنْ سِمَنِهـا يُحسب أنه لا عُنق لها.

ومما تقوله العرب على ألسنة البهائم. قالت الضائنة: أُوَلَّد رِخَالا[٤] وأُجَزّ جُفَالا وأُحلَب كُثَباً ثِقالا ولم تَر مثْلي مالا حُفَالاً. تقول: أُجَزّ مرّة وذلك أنَّ الضائنة إذا جُزّت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يُؤتي عليه؛ والكُثَب جمع كثْبة وهي الدَّفعةُ من اللبن، تقول: أُحْلَبُ دُفَعاً ثقالاً من اللبن، وذلك لأن لبنها أدسَم وأختَر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السِّباع أطيبَ أفواهاً من الكلام، ولا في الوحوش أطيب أفواهاً من الظِّباء. ويقال: ليس شيء أشدّ بَخرا من أسد وصَقْر، ولا في السباع أسبح من كلب. وليس في الأرض فَحْلٌ من جميع أجناس الحيوان لذَكَره حَجْم ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الرُّوم: إن الأسد يُذْعَر بصوت الدِّيك ولا يدنو من المرأة الطامِث[٦]. والأسدُ إذا بال شغرَ

(١) الشاة الفَقْماء: التي تقدمت ثناياها فلا تنطبق على السُّفْلى.
(٢) إندلقت خاصرتاها أو آندلق بطنه: إسترخى وخرج متقدّماً.
(٣) الأرقط: ذو الرّقْطة وهي سواد يشوبه نقط بياض أو عكسه.
(٤) الرِّخال: ج رِخْل وهي الأنثى من ولد الضأن.
(٥) الحُفال: العظيم.
(٦) المرأة الطامث: التي هي في الحَيْض.

كما يشغَرَ الكلب(١) ؛ وهو قليل الشرب للماء، ونَجْوُه(٢) يشبه نَجو الكلب، ودواء عَضّته دواء عضّة الكَلْب الكلِب. وقالوا: العيون التي تضيء بالليل عيونُ الأُسْد والنُّمور والسّنانير والأفاعيّ. والعرب تقول هو «أحمقُ من جَهِيزَةَ» وهي الذِّئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبعُ. ويقولون: الضَّبعُ إذا صِيْدت أو قُتِلَتْ عالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم؛ قال الكُمَيْت: [طويل]

كما خامَرتْ في بيتها أمُّ عامرٍ لذي الحَبْل حتى عَالَ أَوْسٌ عِيالها(٣)

أوسٌ: الذئب.

وقالوا: ثلاثة من الحيوان ترجع في قَيئها: الأسدُ والكلب والسِّنَّوْر، ويقال الضّبّ أيضاً. وأمراض الكلاب ثلاثة: الكَلَب وهو جنون، والذُّبحَة والنِّقْرِس. والعرب تقول: دماء الملوك شِفاء من عَضّةِ الكَلْب والجنونِ والخَبَلِ ؛ قال الفرزدق: [طويل]

من الدارميِّين الذين دِماؤهُمْ شفاءٌ من الداءِ المَجَنَّةِ والخَبْلِ

وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال: دواء عضّةِ الكَلْبِ الكَلِبِ الذَّراريحُ(٤) والعدَس والشارب العتيق يُصنع؛ وقد ذَكر كيف صَنْعته وكم يُشرَب منه وكيف يُتعالج به، والكَلْبُ الكَلِبُ إذا عضّ إنساناً فربما أحاله نباحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجْرٍ(٥) صغار تراها علَقا في صُوَر الكلاب.

قال أبو اليَقظان: كان الأسود بن أوس بن الحُمَّرة أتى النجاشيّ فعلَّمه

---

(١) شَغَر الكلبُ: رفع إحدى رجليه بال أو لم يَبُلْ.
(٢) النَّجْوُ: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط.
(٣) أم عامر: كنية الضبع. وذو الحَبْل: الصائد الذي يعلق الحبل في عرقوب الضبع. وغالَ عيالها: إغتالها أي أكل جِراءها (ج جَرْو وهو ولد الكلب والأسد).
(٤) الذَّراريح: ج ذَرُّوح وهي دُوَيْبَّة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئاً.
(٥) الأَجْرُ: ج جَرْو.

دواء الكَلَب، فهو في ولده إلى اليوم. فمن ولده المُحِلّ، وقد داوى المِحلُّ عُتَيبةَ بن مِرداس فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقاً، قال ابن فَسْوَة(١) حين بَرأ: [طويل]

ولولا دواءُ ابنِ المُحِلّ وعِلْمُه هَرَرْتُ إذا ما الناس هرّ كَلِيْبُها
وأخرجَ بعدَ الله أولادَ زارعٍ مُوَلَّعةً أكتافُها وجُنوبُها(٢)

الكليب: جمع كلبٍ على غير قياسٍ مثل عبد وعبِيد.

وعضّ رجلاً من بني العنبر كلبٌ كَلِبٌ فبال علَقا في صُوَر الكلاب، فقالت امرأته: [طويل]

أبَالكَ أدْرَاصاً(٣) وأولادَ زارعٍ وتلك لَعَمْرِي نُهْيَةُ المتعجِّبِ

ويزعمون أنه يطلب الماء أشدّ طلبٍ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته: لا أريد لا أريد، أو شيئاً في معنى ذلك. قالوا: وتمام حَمل الكلْبة ستّون يوماً، فإن وضَعت في أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش. وإناث الكلابِ تحيض في كل سبعةِ أيامٍ؛ وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَفْر(٤) الكلبة ولا تُريد السِّفادَ في ذلك الوقت. وذكُورُ السَّلُوقيّة تعيش عشرين سنة، والإناثُ تعيش اثنتي عشرةَ سنة. وليس يُلقى الكلب شيئاً من أسنانه سوى النابَيْن.

قالوا: وعلامةُ سرعةِ الكلب أن يطولَ ما بين يديه ورجليه ويكونَ قصيرَ الظهر. ويوصف الكلب بصغر الرأسِ وطول العنُق وغِلظها وإفراط الغَضَفِ(٥)

---

(١) ابن فَسْوَة لقب لِعُتَيْبَة بن مِرداس، من بني كعب بن عمرو بن تميم. شاعر هجاء مُقِلّ، أدرك الجاهلية والإسلام. المؤتلف والمختلف ص ٣٢، والأعلام ج ٤ ص ٢٠١.

(٢) زارع: اسم كلب، ومنه قيل للكلاب: أولاد زارع. ومولّعَة: فيها ضروب من الألوان.

(٣) الأدْراص: ج دَرْص وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرّة ونحوها.

(٤) الثَّفْرُ، بفتح الثاء وضمها، للسباع وذوات المخالب كالحياء للناقة أو مسلك القضيب منها.

(٥) الغَضِفُ: استرخاء الأذن.

وزَرَق العينين وعِظم المقلتين وطول الخَطْم[١] مع اللطافة وسَعة الشِّـدقين ونُتوء الحدقة ونتوء الجَبْهة وعِرَضها، وأن يكون الشَّعر الذي تحت حَنَكه طـاقةً طـاقةً ويكـونَ غليظاً، وكـذلك شعـر خَدّيـه، ويكونَ قصيـرَ اليدين طـويـل الـرجلين عريض الظهر طويل الصدر، في ركبته آنحناء. ويكـره للذكور طـول الأذنابِ. ومن علامةِ الفَراهة التي لا تكاد تَخَلَّف أن يكون على سـاقيه أو على أحـدهما أو على رأس الـذنب مِخْلَبٌ، وينبغي أن يُقطَع من السـاقين. وسـودُ الكـلاب أعقرُها. ولذلك أُمر بقتلها.

قـالوا: وإذا هَـرِم الكلبُ أُطعِمَ السَّمْنَ مِراراً فـإنه يعـود كـالشـابّ، وإذا حفي[٢] دُهِنت آسته وأُجِمَّ[٣] ومُسِح على يديه ورجليه القَطِرانُ. وإذا بلغ أن يَشْغَر فقـد بلغ الإلقاحَ. والكلب من الحيـوان الذي يحتلم. قـالوا في الكلبـة: إنـه يَسْفِـدهـا كلب أسـود وكلب أبيض وكلب أصفـر فتؤدّي إلى كـلّ سـافـدٍ شكلَه وشبهَه.

قعد جماعة من أصحابنا يعدُّون مـا جاء في الكلب من الأمثـال فحفظت منـه: «ألأمُ من كلبٍ على عَـرْق»[٤] و«أجِـعْ كلبـك يَتْبَعْـك» و«نَعِيم كلبٍ في بُؤس أهله»[٥] و«أسمِنْ كلبـك يـأكلْك» و«أحـرصُ من كلبٍ على عِقْي[٦] صبيٍّ»

---

(١) الخَطْمُ: مقدَّم الأنف.

(٢) حَفِيَ: رقَّتْ رِجْلاه من كثرة المشي.

(٣) أُجِمَّ: تُرِكَ ليستعيد قُوَّته.

(٤) العَرْقُ: العظم أكل لحمه، أو العظم بلحم.

(٥) أصل هذا المثل: «نَعِمَ كلبٌ من بؤس أهله» وأصله أن قومـاً من العرب كـانت لهم ماشيـة من إبل وغنم، فوقع فيها الموت وأخذت كلابهم تأكـل من لحومهـا فسمنت المنجد مـادة (نعم) والمثل الذي قبله يضرب للئيم تذلُّه فيطيعك.

(٦) العِقْيُ: أول ما يخرج من بطن الصبيِّ يخرؤه حين يـولد، أي قبـل أن يأكـل، وهو شيء لـزج أسـود. ولقد ورد هـذا المثل في اللسـان مادة (عقـا) وعلق عليه ابن منـظور فقال: «وهـو الرَّدَجُ من =

و «أجوعُ من كلبةِ حَـوْملَ»[١] و «أبْـولُ من كلبٍ» و «جلس فلانٌ مَـزْجَر الكلب» و «الكلابَ على البقر»[٢] و «الكلبُ أحبّ أهلِه إليه الظاعن» و «هو كالكلب في الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابّة تعتلف» .

الذئب

الذئب إذا سفَد الذئبة فالْتحم الفَرْجان وهجم عليهما هاجِمٌ قتلهما كيف شاء، إلا أنهما لا يكـادان يوجـدان كذلـك، لأن الذئب إذا أراد السِّفـاد تَوخّى موضعاً لا يطؤه أنيس خوفاً على نفسه. وتقول الروم: إن الـذئب إذا نَهَش شاة ثم أُفْلِتَتْ منه طاب لحمها وخفَّ وسلِمت من القِرْدان. قالوا: والـذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان أبَحّ الـذئبُ صوتَ ذلـك الإنسان. وقـالوا: في طبـع الـذئب محبّة الـدّم، ويبلغ به طبعُـه أنّه يـرى الذئب مثلَه قـد دَمِي فيثِب عليه فيُمَزِّقه؛ قال الشاعر[٣]: [طويل]

وكنْتَ كـذئب السَّوء لمّـا رأى دَماً بصـاحبه يـوماً أحـال[٤] على الدّم

قالوا: والفرس إذا وطِىء أثرَ الـذئب ثقُلت قائمتـه التي وطِىء بها. وفي كتاب عليّ رضي الله عنه إلى آبن عبّاس: لمّا رأيتَ العدوَّ على آبن عمّك قـد

= السَّخْلَة والمُهْر». والرَّدَج هو ما يخرج من بطن السَّخلة (ولد الشاة) أو المهر قبل الأكـل وهو بمنـزلة العِقي من الصبي.

(١) حَوْمَل آمرأة من العَرب كان لها كلبة تربطها في الليل لتحرس بيتها وتطردهـا في النهار لتلتمس لها طعاماً، فلما طال عليها ذلك أكلتْ ذنبها من الجوع فصارت مثلاً. المنجد مادة (جاع).

(٢) مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة مجمع الأمثال للميداني. وقال ابن منظور في اللسان مادة (زجر): زَجَرَ الكلبَ وزجر بـه: نَهْنَهَهُ. وهـو مني مَزْجَـرَ الكلب: أي هو بتلك المنزلة.

(٣) هو الفرزدق كما في ديوانه (ص ٢٦ طبع باريس سنة ١٨٧) والعقد الفريد (ج ٦ ص ٢٤٢).

(٤) أحال على الدم: أقبل عليه.

حَرِب، والزمان قد كلِب، قَلَبْتَ لابن عمّك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين، وخِذْلاَنه مع الخاذلين، وآختطَفْتَ ما قدَرتَ عليه من الأموال آختطافَ الذئب الأزَلّ[1] دامية المِعْزَى. ويقولون؛ إنّ الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حُمَيْد بن ثَوْر[2]: [طويل]

ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي ... بأُخرى المنايا، فهو يَقْظانُ هاجعُ

والذئب أشدُّ السِّباع مطالبة، وإذا عجز عَوَى عُوَاء آستغاثةٍ فتسامعتِ الذِّئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكلَه؛ وليس شيء من السِّباع يفعل ذلك.

الفيل

قالوا: لِسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُه إلى داخل. والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلّم. والفيل إذا ساء خُلُقه وصَعُب عَصَبوا رجليه فسكَن. وليس في جميع الحيوان شيء لذكوره ثَدي في صدره إلا الإنسانُ والفيلُ. والفيل المغتلِم إن سمع صوت خِنَّوص[3] من الخنازِير آرتاع ونفَر. والفيل يفزَع من السِّنَّور. وتزعم الهند أن نابَيْ الفيل هما قَرْناه يخرُجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرُجا أعْقفين. وقال صاحب المنطق: ظهر فيل عاش أربعمائة سنة. وقال: حدّثني شيخ لنا قال: رأيت فيلاً أيام أبي جعفر قيل: إنه سجد لسابور

(١) الذئبُ الأزَلّ: الأرسح أي الخفيف الوركين.
(٢) حُمَيْد بن ثور العامري شاعر مخضرم، عاش زمناً في الجاهلية. أسلم ومات نحو ٣٠ هـ. وبيته المذكور في وصف الذئب مشهور. الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣. وذكر ابن عبد ربه هذا البيت في العقد (ج ٦ ص ٢٤٢) على قافية الميم.

ينام بإحدى مُقْلَتَيْه ويَتَّقي ... بأخرى المنايا، فهو يَقْظانُ هاجِعُ

(٣) الخِنَّوْصُ: ولد الخنزير والصغير من كل شيء، والجمع خناصيص.

ذي الاكتاف ولأبي جعفر، والفِيلة تضعُ في سبع سنين.

الفَهْد

قالوا: السِّباع تشتهي رائحةَ الفَهْد، فإذا سمِن الفهد عرَف أنّه مطلوب وأنّ حركته قد ثُقلت فأخفى نفسه حتى ينقضيَ الزمان الذي تسمَن فيه الفُهود. ويَعتري الفهدَ داءٌ يقال له خانقةُ الفهود، فإذا آعتراه أكل العَذِرة[١] فبرَأ. والوحشيّ المُسنّ منها في الصيد أنفع من الجَرْو المُربَّب[٢].

الأرنَب

قالوا: الأرنب تَحيض ولا تسمَن إلا بزيادةِ اللحم. وقَضيب الذّكَر من الأرانب ربما كان من عَظْم، وكذلك قضِيب الثعلَب. والأرنب تنامُ مفتوحةَ العين. وإنْفَحة[٣] الأرنب إذا شربتها المرأةُ من بعد أن تطهرُ من المحيض مُنِعت من الحَبَل. والكَلَف[٤] إنْ طُلِي بدمِ الأرنب أذهبه.

القِرْد والدُّبّ

قال: حدّثني محمد بن خالد بن خِدَاش قال: حدّثني سَلْم بن قُتَيبة عن هشام عن حُصَين وأبي بَلْج عن عمرو بن ميمون قال: زَنت قِرْدَةٌ في الجاهليّة فرجَمها القرود ورجمتْها معهم. قالوا: وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغَيرة

(١) العَذِرَةُ: الغائط.
(٢) المُرَبَّبُ: الذي يُرَبُّونَهُ لأن الجرو يخرج خبّاً ويخرج المسنُّ على التأديب صبوراً غير خب.
(٣) الإنْفَحَةُ: شيء يخرج من بطن الأرنب أو الجَدْي أصفر يعصر في صوفة مبتلّة في اللبن فيغلظ كالجُبْن، أو كَرِشُ الحَمَل أو الجَدْي ما لم يأكل، فإذا أكل فهو كَرِشٌ.
(٤) الكَلَفُ: شيء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش.

إلا الإنسانُ والقِردُ؟ قالوا: والدَّيْسَم جَرْو الـدُّبّ تضعه أمّـه وهو كَفِـدْرَة[١] لحم فتهرُب به في المواضع العالية من الذَّرّ والنّمل حتى تشتدّ أعضاؤه.

مصايد السباع العادِيَة

السبـاع العاديَة: تُصـطاد بالـزُّبَى والمُغَـوَّيـات[٢] وهي آبـار تُحفـر في أَنْشـاز[٣] الأرض، فلذلـك يقـال: قـد «بلغ السيـلُ الـزُّبَى»[٤]، قـال صـاحب الفِلاَحة: ومما تُصاد به السباعُ العادية أن يؤخذ سَمَك من سمـك البحر الكِبـار السِّمـان فتقطع قِـطعا ثم تُشـرَّح ثم تُكتَّل كُتَـلا ثم تُؤَجَّـج نـارٌ في غـائط[٥] من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكُتل في النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُتَار[٦] تلك الكتل في تلك الأرض ثم تُطرح حـولَ تلك النار قَطعٌ من لحم قد جعل فيها الحَرْبَق[٧] الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا تُرَى فيه حتى تُقبِل السباع لريح القُتار وهي آمنة فتـأكل من قـطع اللحم ويُغشَى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا.

النَّعَام

قالوا في الظَّليم: إن الصيف إذا أقبل وآبتـدأ البُسْر[٨] في الحمـرة آبتداء

---

(١) فِدْرَةُ لحم: القطعة منه.
(٢) المُغَوَّيَاتُ: ج المُغْواة وهي حفرة كالزبْيَة تحتفر للأسد.
(٣) الأَنْشاز: ج نَشْز وهو المكان المرتفع.
(٤) الزُّبى: ج زُبْيَة وهي الرابية لا يعلوها ماء، وهي كذلك حفرة للأسد. ويضرب هذا المثل لما جاوز الحدّ وعند آشتداد الأمر. المنجد مادة (بلغ).
(٥) الغائط: المطئن الواسع من الأرض.
(٦) القُتارُ: ريح الشواء.
(٧) الحَرْبَقُ: نبت كالسم يُغْشى على آكله ولا يقتله.
(٨) البُسْرُ: التمر قبل إرطابه.

لون وَظيفيه[1] بالحمرة ولا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة إلى أنْ تنتهي حمرة البُسْر، ولذلك قيل له: خاضب. وفي الظليم: إنّ كل ذي رجلين إذا آنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلَعٍ غيرَه فإنه إذا آنكسرت إحدى رجليه جَثَم، ولذلك قال الشاعر في نفسه وأخيه: [طويل]

فإنّي وإيّاهُ كرِجْلَيْ نَعامةٍ على ما بِنا من ذي غنىً وفقيرِ

يقول: لا غنى بواحد منّا عن الآخر. وقال آخر: [طويل]

إذا آنكسرتْ رِجْلُ النعامة لم تَجِدْ على أختها نَهْضاً ولا بآستها حَبْوا[2]

قالوا: وعِلّة ذلك أنه لا مُخّ له في ساقيه، وكلُّ عظم فهو ينجبر إلا عظماً لا مخّ فيه؛ وزَماخِرُ[3] الشّاءِ لا تنجبر؛ قال الشاعر: [طويل]

أَجِدَّكَ لم تَظلَعْ بِرِجْلِ نعامةٍ ولسْتَ بنهّاضٍ وعَظْمُكَ زَمْخَرُ

أي أجوف لا مخّ فيه. والظليم يغتذِي المَرْوَ[4] والصَّخْرَ فتُذيبه قانِصتهُ[5] بطبعها حتى يصيرَ كالماء؛ قال ذو الرمّة يذكره: [بسيط]

---

(١) الوظيف: مستدقُّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما، والجمع أَوْظِفَةٌ ووُظُفٌ.

(٢) ورد عجز هذا البيت في العقد الفريد (ج ٦ ص ٢٣٧) هكذا:

على أختها نَهْضا ولا دونها صَبْرا

(٣) الزَّماخِرُ: ج زَمْخَرَة وهي كل عظم أجوف لا مخّ فيه.

(٤) المَرْوُ: حجر أبيض رقيق براق يُوري النار أو أطلب الحجارة وهي كالسكاكين يُذْبَحُ بها، ويعرف بالصَّوّان.

(٥) القانصة للطير كالمصارين لغيرها، والجمع قوانص.

أَلْـهَـاهُ آءٌ وتَـنُّـومٌ وعُـقْـبَـتُـه   من لائح المَرْو والمَـرْعَى له عُقَبُ[1]

قال أبو النجم[2]: [رجز]

والمَـرْوُ يُلقِيـه إلى أمعـائِـه   في سَرْطَمٍ[3] هادٍ على ٱلتـوائِه

والـظليم يبتلع الجَمرة وربمـا أُلقي الحَجَر في النـار حتى إذا صار كـأنّه جمرة قُذِفَ به بين يديـه فيبتلعه وربمـا ٱبتلع أوزانَ الحديـد. وفي النعامـة إنها أخـذت من البعيـر المَنْسِم والـوظيفَ والعُنُق والخِـزَامـةَ؛ ومن الـطائـر الـرِّيشَ والجناحين والمنقاعر فهو لا بعير ولا طائر؛ وقال أوس[4] بن حَجَر: [طويل]

وتَنْهَى ذوي الأحـلام عنيّ حُلومُـهُمْ   وأرفَـعُ صـوتي للنَّعـام المخـزَّم

جعله مخـزَّماً للخَـرْقَيْن اللذين في عَرْض أنفـه في موضـع الخِزَامـة من البعير. قال يحيى بن نَوْفَل[5]: [وافر]

ومِثْـلِ نعـامـةٍ تُـدعَى بعيـراً   تُعَـاصِيْنـا إذا مـا قِيـلَ طِيْـري

فـإنْ قيل احملي قـالت فإني   من الـطير المُـرِبَّة[6] في الـوُكُور

وتقول العرب في المثل: هذا «أَموقُ من نعامةٍ» وذلك أنها ربما خرجت

---

(١) الآءُ: شجر له ثمر يأكله النعـام. والتَّنُّوم: شجـر له حمـل صغار كمثـل حب الخروع، ويتفلق عن حب يأكله أهل البـادية، وكيفمـا زالت الشمس تبعها بـأعراض الـورق، وواحدتـه تَنُّومَـة. وعُقْبَةُ الماشية في المرعى أن تـرعى الخُلَّة عُقْبة ثم تحـوَّل إلى الحَمْض، فالحمض عُقْبَتهـا، وكذلك إذا حوِّلت من الحَمْص إلى الخُلَّة، فالخلَّة عُقْبتها. وبمعنى آخر: فـالعقبة هي النـوبة والبدل.

(٢) أبو النجم هو الفضل بن قدامة العجلي، من بني بكر بن وائـل ومن أكابـر الرُّجُـاز. توفي سنـة ١٣٠ هـ. معجم الشعراء ص ٣١٠ والأعلام ج ٥ ص ١٥١.

(٣) السَّرْطَمُ: البلعوم.

(٤) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٤ الحاشية رقم ٣.

(٥) يحيى بن نـوفل الحميـري شاعـر هجّاء، يكـاد لا يمدح أحـداً. أصله من اليمن وشهـرتـه في العراق. توفي نحو ١٢٥ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٦) المُرِبَّةُ: المقيمة.

لطلب الطُّعْم فمرّت ببَيض نعامة أُخرى فَحَضَنَتْه وتركت بيضها؛ ولذلك قال الشاعر وهو آبن هَرْمَةَ[١]: [متقارب]

وإني وتَرْكي ندى الأكرمين   وقَدْحِي بكفي زَنْداً شَحَاحاً
كتارِكَةٍ بَيْضَها بالعَرَاء   ومُلْبِسةٍ بَيْضَ أخرى جَناحاً[٢]

وقال سَهْم بن حَنْظَلة[٣]: [متقارب]

إذا ما لَقِيْتَ بني عامرٍ   رأيْتَ جفاء ونُوكاً[٤] كبيراَ
نَعامٌ تَمُدُّ بأعناقها   ويَمْنَعُها نُوكُها أنْ تَطِيْراَ

ويُضربُ بها المثل في الشِّرادوالنِّفَار؛ قال بِشر بن أبي خازم[٥]: [متقارب]

وأمّا بنو عامرٍ بالنِّسار[٦]   فكانوا غَداةَ لَقُونَا نَعاما

يُريد: مَرّوا منهزمين. وربما حَضَنَتِ النعامةُ أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت ثلاثين رَأْلا؛ قال ذو الرمّة: [بسيط]

---

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول، الحاشية رقم ١ من ص ٨٩.

(٢) يصف الشاعر النعامة التي تحضن بيض غيرها وتضيع بيضها. وقد ورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٧) «ومُلْحِفَةٍ» بدل و «ملبسة».

(٣) سَهْمُ بن حنظلة الغنوي فارس شاعر من أهل الشام، أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام إلى أن توفي نحو ٧٠ هـ. المؤتلف والمختلف ص ١٣٦، والأعلام ج ٣ ص ١٤٤.

(٤) النُّوك: الحمق.

(٥) بِشْرُ بن أبي خازم شاعر جاهلي فحل، من شجعان بني أسد بن خزيمة. توفي نحو ٢٢ ق هـ. المؤتلف والمختلف ص ٦٠، ومعجم الشعراء ص ٢٢٢، والأعلام ج ٢ ص ٥٤.

(٦) النِّسارُ: جبال صغيرة، وقيل: ماء لبني عامر بن صعصعة ابن هوازن كما في معجم البلدان. ومنه يوم النِّسار لبني أسد وطيء وغطفان على بني عامر، وذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٥ ص ٢٤٨) أن بني تميم غضبت لقتل بني عامر، فتجمعوا ولحقوا بحلفائهم، فكان أن قُتلت تميم أشد مما قتلت عامر يوم النِّسار، فقال في ذلك بشر بن أبي خازم (كامل).

غضبتْ تميمٌ أنْ تَقَتَّلَ عامر   يوم النِّسار فأُعْيبُوا بالصِّلْمِ

والصِلم هو السيف.

كـأنه خـاضبٌ بالسِّيِّ[١] مَرْتَعهُ   أبـوُ ثَلاثين أمْسَى وهـو مُنقلِبُ

والبواقي من بيضها الذي لا تَنْقُفه[٢] يقال لها: التَّرَائِكُ. وأشدُّ ما يكون الظليم عَدْوا إذا ٱستقبل الريح لأنه يضع عُنقه على ظهره ثم يَخْرِق الريح وإذا ٱستدبرها كبتَه من خلفه. والنعامة تضع بيضها طولاً ثم تغطّيها كلَّ بيضةٍ بما يصيبها من الحضن؛ قال ٱبن أحمر[٣]: [وافر]

وُضِعْنَ وكُلُّهنَّ على غِرَارِ

وقال آخر: [رجز]

على غرارٍ كٱستواء المِطْمَرِ

والمِطمَر خيط البَنَّاء، إلا أن ثعلبة بن صُعَير[٤] خالف ذلك فقال يذكر الظليم والنعامة: [كامل]

فتذكَّراَ ثَقَلاً رَثِيدا بعد ما   ألْقَتْ ذُكاءُ يمينَها في كافرِ[٥]

والرثيد: المنضود بعضه على بعض. قالوا: الوَحش في الفلَوات ما لم تَعرف الإنسانَ ولم تره ولا تَنفِرُ منه إذا رأته خلا النعامَ فإنه شارد أبداً؛ قال ذو الرمّة: [طويل]

وكلّ أحَمّ المقلتين كأنّه   أخو الإنس من طُوْل الخَلاءِ المغفّل[٦]

---

(١) السِّيُّ: الفلاة.

(٢) نَقَفَتْ النعامة البيضة: ثقبتْها وٱستخرجت ما فيها.

(٣) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٧ من ص ٥٧.

(٤) ثعلبة بن صُغَيْر التميمي شاعرٌ جاهلي من بني مرة ومن شعراء «المفضليات» الأعلام ج ٢ ص ٩٩.

(٥) الثَّقَلُ: متاع المسافر وحشمه. وذُكاء: الشمس. والكافر هو الليل، من ! الكفر وهو الستر والتغطية، يريد أنهما تذكّرا متاعهما بعد الغروب.

(٦) أَحَمُّ: أسود. والمُغفَّلُ: المجهول.

يريد: أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه في خَلاء ولم ير أحداً قبل ذلـك. وقال الأحيمـر السعـديّ: كنتُ حين خلعني قــومي وأطـلَّ السلطان دَمِي وهــرَبْتُ وتردَّدْتُ في البوادي ظننتُ أني قد جُزْتُ نخْل وَبَار أو قـريب منها، وذلـك أني كنت أرى النَّوى في رَجْع الذئاب وكنت أغشَى الظباءَ وغيرَها من بهائم الوَحش فلا تنفِرُ منيّ؛ لأنها لم تر أحداً قبلي وكنت أمشي إلى الظبي السّمين فآخذُه، وعلى ذلك رأيتُ جميعَ تلك الوحوش إلا النعامَ فإنه لم أره قطّ إلا نافِراً فَزِعاً.

الطير

قال: حدّثني زياد بن يحيى قال: حدّثنا أبو عَتَّاب قال: حدّثنا طلحة بن يزيد الشاميّ عن بقيّة بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيـه قال: كـان النبيّ عليه السلام يُعجبه أنْ ينظر إلى الأُتْرُجّ وإلى الحَمام الأحمر.

حـدّثني الـريـاشيّ قـال: ليس شيء يغيبُ أذنـاه إلا وهـو يبيض؛ وليس شيء يـظهـر أذناه إلا وهـو يلِد، وروى ذلــك عن عليّ بن أبي طـالب عليــه السلام.

حـدّثني محمد بن عبيـد عن معاويـة بن عمرو عن أبي إسحـاق عن آبن جـريج قـال آبن شهاب: قـال رسول الله ﷺ: «أربع لا يُقتَلْنَ: النملةُ والنحلةُ والهُـدهُد والصُّرَد»[1]. بلغني عن مكحول قـال: كان من دعـاء داود النبيّ عليه السـلام: يا رازقَ النَّعّـاب في عُشّه. وذلـك أن الغـراب إذا فَقَص عن فِـراخـه خرجت بِيضًا فإذا رآها كـذلك نَفر عنها فتفتـحُ أفواهَهـا ويُرسِـلُ الله لها ذُبـاباً

(١) الصُّرَدُ: طائر أبقع أبيض البطن أخضرالظهر ضخم الرأس والمنقار، له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى أبا كثير.

فيدخلُ في أجوافها فيكون غِذاءَها حتى تسودّ، وإذا آسودّت عاد الغراب فغَذَّاها ويرفعُ اللَّهُ عنها الذبابَ.

قال: حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك بن يحيى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَطرُقوا الطيرَ في أوكارها فإنَّ الليلَ أمانُ الله».

حدّثني أبو سفيان الغَنَويُّ عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن مَعْدانَ عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «الدِّيك الأبيضُ صَدِيقي وصديقُ صدِيقي وعدوّ عدوّ الله يحرسُ دارَ صاحبه وسبْعَ أَدْوُر، وكان النبيّ عليه السلام يُبيته معه في البيت».

قالوا: الطير ثلاثة أضرب، بهائمُ الطير وهو ما لقط الحبوبَ والبزورَ؛ وسباعُ الطير وهي التي تغتذِي اللحم؛ والمشتركُ وهو مثلُ العصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذي مِخْلب ولا مِنْسَرٍ[1] وإذا سقط على عود قدّم أصابعه الثلاث وأخر الدَّابرة. وسباعُ الطير تُقدّم إصبعين وتُؤخّر إصبعين ويشارك سباعَ الطير بأنه يُلْقِمُ فراخَه ولا يَزُقّ وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجرادَ والنملَ.

قالوا: والعصفورُ شديدُ الوطء، والفيلُ خفيفُ الوطء، والورَشَانُ يُصرَعُ في كلّ شهر مرةً. قالوا: وأسوأ الطير هِدايةٍ الأسودُ، والأبيض لا يجيء من الغاية[2] لضعف قوّته وأجودُها هِدايةً الغُبْر والنُّمْر.

قال صاحب الفِلاحة: الحَمام يُعجَبُ بالكَمّون ويألفُ الموضعِ الذي يكون فيه الكمُّونُ، وكذلك العدَسُ ولا سيما إذا أُنقِعَا في عصير حلو. ومما

(١) المِنْسَرُ: المِنْقار.
(٢) الغاية: الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل.

يَصلُحْنَ عليه ويكثُرْنَ أنْ تدخَنَ بيوتُهنْ بالعِلْك؛ وأسلم مواضعها وأصلحُها أن يُبنَى لها بيتٌ على أساطين خشَب ويُجعلَ فيه ثلاثُ كُوىً: كُوّة في سَمْك البيت وكُوّة من قِبل المشرِق وكوّة من قِبل المغرِب، وبابان من قِبل مَهبّ الجَنوب. قال: والسَّذَاب[١]، إذا أُلقي في البرج تَحامتْه السَّنَانِيرُ البَرِّية.

حدّثني آبن أبي سَعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدّثني الكلبي أن أسماء كَنائن[٢] نوح إذا كُتبْن في زوايا بيت حَمام نَمت الفروخُ وسلِمت من الآفات. قال هشام: قد جرَّبْتُه أنا وغيري فوجدْتُه كما قال أبي. قال: وآسم آمرأة سام بن نوح «مَحْلَثْ مَحْو»، واسم آمرأة حام «أَذْنَف نشا»، وآسم آمرأة يافث «زَدْقَت نبث»[٣].

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكُبَادُ[٤] والخُنَانُ والسّلُ والقُمَّلُ، فدواء الكُبَادِ الزعفرانُ والسكّر[٥] الطَّبَرْزَذُ وماء الهِنْدِباء يُجعلُ في سُكُرُّجةٍ[٦] ثم يُمَجّ في حلقه قبل أن يلتقطَ شيئاً ودواءُ الخُنَانِ أن يُلَيَّن لسانُه يوماً أو آثنين بِدُهْنِ البَنَفسجِ ثم بالرّماد والمِلح ويُدلَك بهما حتى تَنْسَلِخَ الجلدةُ العليا التي غَشِيَت

---

(١) السَّذاب: نبات يقارب شجر الرمان ورقه كالصعتر وزهره أصفر ورائحته بجملته مكروهة. ويقال له الفيجن أيضاً.

(٢) الكنائن: ج كَنَّة وهي آمرأة الابن أو الأخ.

(٣) قال ابن عبد ربه في العقد (ج ٦ ص ٢٣٩): اسم امرأة سام بن نوح «محلت محم» وآسم آمرأة حام «نف نسا» وآسم آمرأة يافت «فالر».

(٤) الكُبادُ: وجع الكبد. والخُنان: داء يأخذ الطير في حلوقها.

(٥) السكّر الطَّبَرزَذ: الأبيض الصلب.

(٦) السُّكُرُّجَة: الصَّحْفَةُ، معرَّب سُكُرَهْ بالفارسية، والصفحة قَصْعة كبيرة منبسطة تُشْبِع الخمسة، والجمع صِحاف. والهِنْدِباءُ، بكسر الدال وفتحها، بقلٌ معروف، وهو صنفان بريّ وبستاني.

لسانَه ثم يُطْلَى بِعَسلٍ ودهنِ وَرْدٍ حتى يبرأ. ودواء السّلِّ أن يُطعمَ الماشَ[١] المقشورَ ويُمجّ في حلقه لبنٌ حليبٌ ويُقطَع من وظيفيه عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المَفصِل. ودواء القُمَّلِ أن تُطلَى أصولُ ريشه بالزَّنْبَق[٢] المخلوط بدهن البنفسَج، يُفعلُ به ذلك مراراً حتى يسقطَ قملُه، ويُكنسُ مكانُه الذي يكون فيه كنساً نظيفاً.

قالوا: والطيرُ الذي يخرجُ من وَكْره بالليل البومةُ والصَّدَى والهامةُ والضُّوَعُ[٣] والوَطواطُ والخُفَّاشُ وغرابُ الليل. قالوا: إذا خرج فرخُ الحمامةِ نفخ أبواه في حلقه الريحَ لتتسعَ الحَوْصَلة من بعد آلتحامها وتَنبثقَ، فإذا آتسعت زَقّاه عند ذلك اللعاب ثم زقّاه سورج[٤] أصول الحيطانِ ليدبُغا به الحوصلةَ، ثم زقّاه بعدُ الحَبَّ.

قال المُثَنَّى بن زهير: لم أَرَ شيئاً قطُّ في رَجُلٍ وآمرأة إلا وقد رأيته في الحمام، رأيت حمامةً لا تريد إلا ذكرها، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور، ورأيت حمامةً لا تَزيفُ[٥] إلا بعد شدّة طلب، ورأيت حمامة تَزيفُ للذكر ساعةَ يطلُبها، ورأيت حمامة وهي تُمكّن آخَرَ ما تَعدُوه، ورأيت حمامة تَقمُطُ حمامةً، ورأيت حمامة تَقْمُط الذكرَ، ورأيت ذكراً يَقْمُطُ الذكرَ، ورأيت الذكر يقمطُ ما لَقِيَ ولا يُزاوجُ، ورأيت ذكراً له أنثيان يحضُنُ مع هذه وهذه ويزُقّ مع هذه وهذه.

---

(١) الماشُ: حب مدوّر أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخاً وأجوده الهنديّ ثم اليمني وأردؤه الشاميّ.
(٢) الزَّنْبَقُ: دهن الياسمين.
(٣) الضُّوَعُ: طائر من طير الليل، قيل هو الكروان، وقيل هو ذكر البوم.
(٤) السَّوْرَجُ: كلمة فارسية معناها الملح يكون في أصول الحيطان.
(٥) تَزيْفُ الحمامةُ بين يَدَيْ الحمام الذكر: تمشي مُدِلَّةً.

البيض

قالوا: والبيض يكونُ من أربعة أشياءَ: منه ما يكونُ من السِّفاد؛ ومنه ما يكون من التراب؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها؛ ومنه شيء يعتري الحَجَل[1] وما شاكله في الطبيعة، فإنَّ الأنثى منه ربما كانت على سُفَالةِ الريح التي تهُبُّ من شقّ الذكر في بعض الزمان فتَحتشِي من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجنب الفُحَّال[2] وتحت ريحه فتلقَحُ بتلك الريحةِ وتكتفي بذلك، والدّجاجةُ إذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مُحّ لم يُخلَق فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طُعْم يغذوه؛ والفرخ والفرّوج يُخلَقَان من البياض وغذاؤهما الصُّفرةُ، وإذا باضت الدجاجةُ بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا نُتف ريشُه آحتبس بيضُه وإذا سَمِع صوتَ الرعدِ الشديدِ.

الخُفَّاشُ[3]

قالوا: عجائبُ الخُفَّاشِ أنه لا يُبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتَحبَلُ وتَلِد وتَحِيضُ وتُرضعُ وتَطيرُ بلا ريش، وتحملُ الأنثى ولدَها تحت جناحها وربما قَبضتْ عليه بفيها خوفاً عليه، وربما ولدت وهي تَطير. ولها أذنانِ وأسنانٌ وجناحان متصلان برجليها، وأبصارُها تصحّ على طول العمر، وإنما يظهر في القمر منها المسنّاتُ؛ وقال بعض الحكماء: الخفّاش فأرٌ يطير.

---

(١) الحجل؛ طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرِّجْلين ويسمى دجاج البَرِّ.
(٢) الفُحّالُ: ذكر النخل.
(٣) الخُفّاش: الوطواط سمِّي به لصغر عينيه وضعف بصره، والجمع خفافيش. ومنه يقال لمن يُبْصِرُ في الليل دون النهار أخفش لأن الخُفّاش يعمى في النهار ويُبْصِرُ في الليل.

الخُطَّافُ والزُّرزُورُ[١]

قالوا: الخُطَّاف والزُّرزُورُ يتبعُ الربيعَ حيث كان. قالوا: وتُقلَعُ إحدى عينيه فترجعُ. والزُّرزورُ لا يَمشي ومتى وقع بالأرض لم يَستقلّ[٢] وأُخِذ، وإنما يُعشِّشُ في الأماكن المرتفعة فإذا أراد الطيرانَ رمى بنفسه في الهواء فطار، وإذا أراد أن يشربَ الماءَ آنقضَّ عليه فشرب منه آختلاساً من غير أن يَسقُطَ بالأرض.

العُقَابُ والحِدَأَةُ

قالوا: العُقابُ تبيض ثلاثَ بيضات في أكثر حالاتها فإذا فرَّخت غذَّتِ آثنين وباعدت عنها واحداً فيتعهدُ فرخَها طائرٌ يقال له: كاسرُ العظام[٣]، ويغذُوه حتى يَكْبَرَ ويَقوَى. وقال صاحب الفلاحة: العُقَابُ والحِدَأَةُ[٤] يَتَبدّلانِ فتصيرُ العقابُ حِدَأَةً والحِدَأةُ عقاباً، قال: وكذلك الأرانبُ تتبدّل فيصيرُ الذكر منها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكراً. قال صاحب المنطِق: العُقاب إذا آشتكت كَبِدَها مِنْ رفعها الثعلبَ والأرنبَ في الهواء وحَطِّها لذلك وأشباهه تعالَجتْ بأكل الأكباد حتى تَبرأ.

---

(١) الخَطّافُ: العصفور الأسود، وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة. والزُّرْزُوْر: طائر من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته أي تصويته.

(٢) اي لم ينهض.

(٣) كاسر العظام: طائر يسمى «المكلّفة» لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلقي واحداً منها فيأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به.

(٤) الحِدَأَةُ: طائر يصطاد الجِرْذان، والجمع حِداءٌ وحِدأ وحِدْآن.

الغراب

الغِربانُ لا تقرَبُ النخلَ المواقيرَ(١) وإنما تسقطُ على النخل المصـرومة(٢) فتلقُّط ما يسقط من التمر في القِلَبـةِ(٣) وأُصول الكَـرَب(٤). وعلى إناث الغِـربان الحَضْنُ وعلى الذكور أن تـأتيَ الإناثَ بـالطُّعْم والإوَزَّةُ دون الـذكر(٥) والغـربانُ أكتم شيء للسِّفاد.

القَطا

قالوا: والقَطا لا تضعُ بيضَها أبداً إلا أفراداً؛ قال أبو وَجْزَةَ(٦): [بسيط]

وهنّ يَنسُبْنَ وَهْنـاً كـلَّ صـادقـة   بـاتتْ تُباشِـرُ عُرْمـاً(٧) غيـرَ أزواجِ

الحيوانُ الذي لا يصلُحُ شأْنُهُ إلا بـرئيس أو رقيب: الناسُ، والغـرانيقُ(٨)، والكَراكِي والنحل؛ فأما الإبلُ والبقر والحمير فتتخِذُ رئيساً من غير رقيب.

باب مَصايد الطير

قال صاحب الفلاحة: مَنْ أراد أن يحتـالَ للطير والـدّجاج حتى يتحيَّـرْنَ ويُغشَى عليهنَّ حتى يَصِيدَهُنَّ عَمَد إلى الحِلتِيت(٩) فـدافَه بـالماء ثم جعـل في

(١) النخلُ المواقيرُ: الكثيرة الحمل.
(٢) النخل المصرومة: من صرم النخلَ إذا جـزَّه وقطعه.
(٣) القِلَبَةُ: ج قُلْب وهـو شحمة النخل ولبُّه أو أجود خُوْصه (الخُوْص: ورق النخل).
(٤) الكَرَبُ: أصول السعف (جريدة النخل أو ورقه) الغِلاظ العِراض.
(٥) هذه الجملة لا علاقة لها بالسياق، ولعلها زائدة من الناسخ.
(٦) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٣١ من هذا الجزء.
(٧) العُرْمُ: بيض القطا.
(٨) الغرانيق: الذكور من طيور الماء سودٌ وقيل بيضٌ وهي في قَدْر البطّ.
(٩) الحِلْتيتُ: صمغ الانْجُذان بفتـح الهمزة وضم الجيم وهـو نبات أسـود وأبيض وأصله أغلظ من الإصبع يتفرَّع كثيراً وله قرون كقرون اللوبياء فيها بذْرٌ كالعدس أسودُ حارٌّ وأبيضُ لطيفٌ.

ذلك الماءِ شيئاً من عَسل ثم أنقعَ فيه بُرّاً يوماً وليلة ثم ألقى ذلك البُرَّ المطير فإنها إذا آلتقطته تحيرّت وغُشِي عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسْقَى لبنا خالطه سَمْنٌ. قال: وإن عُمِد إلى طَحِين بُرٍّ غيرِ منخول فعُجِنَ بخمر ثم طُرِحَ للطير والحَجَل فأكلنَ منه تحيرنَ. وإن جُعِل خمرٌ في إناء وجُعِلَ فيه بَنْجٌ فشرْبنَ منه غُشِيَ عليهنَّ. قال: ومما يُصادُ به الكراكي وغيرها من الطير أن يُوضِعَ لهنَّ في مواقعهن إناءٌ فيه خمر وقد جُعِلَ فيه خَرْبَقٌ[١] أسودُ وأُنقِع فيه شعيرٌ فإذا أكلنَ منه أخذهنّ الصائدُ كيف شاء.

قال غيره: ومما تُصادُ به العصافيرُ بأسهلِ حيلةٍ أن تُؤخذَ شبكة في صورة المحبرة اليهودية المنكوسة وتُجعلَ في جوفها عصفورٌ فتنقضَّ عليه العصافيرُ ويَدْخُلْن عليه وما دخل منها لم يَقْدِرْ على الخروج فيصيدُ الرجلُ في اليوم الواحد مائتين وهو وادِعٌ. قال: ويُصادُ طيرُ الماء بالقَرْعَة وذلك أن تُؤخذَ قَرْعَةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيُرمَى بها في الماء فإنها تتحرّك فإذا أبصرها الطيرُ تتحرّك فزِعَ فإذا كثُر ذلك عليه أنِسَ حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذ قَرعةٌ فيُقطعَ رأسُها ويُخرقَ فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلَ الصائدُ رأسَه فيها ويَدخُلَ الماءَ فيَمشِي إليها مشياً رُويداً فكلّما دنا من طائر أدْخلَ يده في الماء فقبضَ على رجليه ثم غَمسه في الماء ثم دَقّ جناحَه وخَلاّه فبقي طافياً فوق الماء يَسبَحُ برجله ولا يُطِيقُ الطيران، وسائرُ الطير لا يُمكنُ آنغماسُه فإذا فَرَغ من صيد ما يُريد رَمَى بالقَرعةَ ثم يَلْتقِطُها ويَحمِلُها.

الحَشَرات

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا عبد الله بن آلربيع قال: أخبرنا هشام

---

(١) الخَرْبَقُ: نباتٌ ورقه كلسان الحَمَلِ ابيض وأسود،وهوسمٌّ للكلاب والخنازير.

ابن‌عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الفأرةُ يهوديةٌ ولو سقيتَها ألبانَ الإبل وما شَرِبَتْها، والفأر أصناف: منهنّ الزَّباب[1] وهو أصمّ؛ قال الحارثُ[2] بنُ حلِّزةَ: [مجزوء الكامل]

وهُمُ زَبابٌ حائِرٌ   لا تسمعُ الآذانُ رَعْداً[3]

والخُلْدُ وهو أعمى؛ وتقول العرب: هو «أسرقُ من زَبابَةٍ»، وفأرة البِيْش، والبِيْش سمٌّ قاتل؛ ويقال: هو قرونُ السُّنبل، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره، ومن غير هذا فأرةُ المِسك وفأرةُ الإبل فاحَتْ[4] أرواحُها إذا عَرِقت. قالوا: ومن الحيات ما يقتُل ولا يخطىء: الثُّعبانُ والأفعى والهِنديَّةُ؛ فأما سِوى هذه فإنما يقتُل بما يُمدّه من الفزع، لأنه إذا فَزِع تَفتّحت مَنافسه فوَغَل السّم إلى مواضع الصَّمِيم وعُمْقِ البدن، فإنْ نَهَشت النائمَ والمُغمَى عليه والطِّفلَ الصغيرَ والمجنونَ الذي لا يَعقِلُ لم تَقتل.

وأذناب الأفاعي تُقطَع فتَنبتُ ونابها يُقطعُ بالعُكّاز[5] فينبُتُ حتى يعود في ثلاث ليال؛ والحيّة إنْ نُفِث في فيها حُمّاض الأُتْرُجّ وأُطبِق لَحيها على الأعلى على الأسفل لم تَقتُلْ بعضّتها أياماً صالحة. ومن الناس من يبصُق في فم الحية فيقتلُها بريقه، والحيّات تكره ريحَ السَّذابِ والشِّيحْ، وتُعجَبُ باللُّفّاح والبِطِّيخِ والحُرْف والخَردل المُوخَفِ[6] واللبن والخمرِ وليس في الأرض

(١) الزَّبابُ: ج زَبابَة وهي فأرة بريّة تسرق ما تحتاج إليه وما تستغني عنه.
(٢) الحارث بن حِلِّزَة شاعر جاهلي وأحد أصحاب المعلّقات. توفي نحو ٥٠ ق هـ. المؤتلف والمختلف ص ٩٠ والأعلام ج ٢ ص ١٥٤.
(٣) أي لا تسمع آذانُهم صوتَ الرعد.
(٤) أي فاحت منها رائحة طيبة.
(٥) العُكّازُ: عصا ذات زُجّ.
(٦) المُوْخَفُ: المعجون. والحُرْفُ: حَبُّ الرشاد. واللُّفّاح: نبات يقطينيٌّ أصفر شبيه بالناذنجان طيب الرائحة. والسَّذاب نبات (أنظر شرحه في الحاشية رقم ٢ من ص ٩٠ من هذا الجزء)

حيوانٌ أصبرُ على جـوع من حيةٍ؛ ثم الضَّبُّ بعـدها، فـإذا هرِمت صغُـرت في بدنها وأقنعَها النسيم ولم تشته الطعامَ، ولذلك قال الراجز: [رجز]

حـــارِيَــةٌ(١) قــد صَغُــرَتْ من الـكِبَــرْ

وقال صاحب الفلاحة: إنَّ الحية إن ضربتَها بقَصَبة مرة أو هَنَتْها القَصبةُ في تلك الضربة وحيَّرتْها، فإن ألْحَحْتَ عليها بـالضرب آنسـابت ولم تكترث. قال: ومن جَيّد ما يُعالَجُ به الملسوعُ أن يُشَقَّ بطنُ الضِّفدَع ثم يُرفَد به مـوضِعُ لَسْعَة العقرب. والضِّفدَع لا يَصيحُ حتى يُدخِلَ حنكـه الأسفلَ في المـاء، فإذا صار في فِيه بعضُ الماء صاح، ولذلك لا تَسمع للضفادع نقيقاً إذا خرجْنَ من الماء، قال الراجز: [رجز]

يُدخِلُ في الأشداق ماءً يُنْصِفُهْ(٢) حـتى يَـنِقَّ والـنقـيقُ يُـتـلِفُـهْ

يريد أن النقيقَ يدل عليه حيةَ البحر، كما قال الآخر: [طويل]

ضَفـادعُ في ظلماءِ ليـلٍ تجاوبتْ فـدلّ عليها صـوْتُهـا حيّـةَ البحـرِ

وقـال في السَّبَخ(٣): إنـه إن آنخرق فيـه خرق بمقـدار منخر الثـور حتى تدخلَه الريحُ آستحال ذلك السَّبَخ ضفادعَ. والضَّفادع لا عِـظام لها، ويُضـرب بهـا المثـلُ في الـرَّسَـح(٤)؛ فيقـال: «أرسـحُ من ضِفْـدَع» و«أجحظُ عيناً من ضِفدعٍ».

= والشِّيح: نبات، وهو نوعان: أصفر الزهر يشبه السَّذاب في ورقه وهو الارمني، وأحمر غليظ الورق وهو التركي، وكله طيب الرائحة، الواحدة شِيْحة.

(١) الحارية: اسم للأفعى لأن جسمها قد حَرَى أي نقص من طول العُمرُ.

(٢) أي حتى يبلغ نصف فكّه الأعلى.

(٣) السَّبَخُ: المكان يَسْبَخُ فينبت الملح وتسوخ فيه الأقدام.

(٤) الرَّسحُ: خفة لحم العَجُز والفخذين.

قالوا: وكل شيء يأكل فهو يحرّك فكّه الأسفل إلا التمساح فإنه يُحرّكُ فكه الأعلى. وبمصر سمكٌ يقال له الرَّعَّادُ، مَنْ صاد منه سمكةً لم تزل يده تَرعَدُ وتَنتفِضُ ما دام في شبكته أو شِصِّه[١]. والجُعَلُ[٢] إذا دفَنْتَه في الوَرْد سَكَنَتْ حركتُه حتى يَتَوهّم مَن رآه أنه قد مات، فإذا أعَدْتَه إلى الروث تحرّك ورجع في حِسّه. والبعيرُ إذا ابتلع في علَفه خُنْفَساءَ قتله إن وصلت إلى جوفه حيةً. وأطولُ شيءٍ ذَمَاءً[٣] الخُنْفَسَاءُ فإنها يُسرَجُ على ظهرها فتصبرُ وتَمشِي.

والضبُّ[٤] يُذْبَحُ فيمكث ليلة ثم يُقرَّبُ من النار فيتحرّك. والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياماً تتحرّك وإن وطِئها واطىء نَهَشَتْه، ويُقطَعُ ثلثُها الأسفلُ فتعيشُ ويَنبُت ذلك المقطوعُ. والكلبُ والخنزيرُ يُجرَحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ.

قالوا: وللضَبِّ[٥] ذكرانِ وللضبّة حِرانِ، خبّرني بذلك سهل عن الأصمعيّ أو غيره. قال: ويقال لذكره نِزْك وأنشد: [طويل]

سِبَحْلٌ له نِزْكَانِ كانا فضيلةً ... على كلّ حافٍ في البلاد ونَاعِلِ[٦]

---

(١) الشِّصُّ: حديدة عقْفاء يصاد بها السمك، وهي المعروفة بالصارة.

(٢) الجُعَلُ: دُوَيْبَّة تعضّ البهائم في فروجها فتهرب، وهي أكبر من الخُنْفَسَاء، شديد السواد، في بطنه لون حمرة، يوجد كثيراً في مُراح البقر والجواميس ومواضع الروث، ويتولد غالباً في أخثاء البقر، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها. ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الرَّوْث تحرك وعاش.

(٣) الذَّمَاءُ: بقية النَّفْس.

(٤) يُسْرَجُ: يُوْقَدُ.

(٥) الضَّبُّ: دُوَيْبَّةٌ على حدّ فرخ التمساح الصغير وذنبه كثير العقد كذنبه، ولهذا قالوا: أعقد من ذنب الضَّبّ، والجمع أَضُبّ وضِباب. قالت العرب: لا أفعله حتى تَرِدَ الضبُّ لأن الضبَّ لا يَرِدُ الماء.

(٦) سِبَحْلٌ: ضخمٌ. وفي لسان العرب مادة (نزك) ذكر ابن منظور هذا البيت ضمن أبيات قالها حُمْران ذو الغُصَّة يصف بها ضِباباً أهداها لخالد بن عبد الله القسريّ.

وكذلك الجِرذَونُ.(١) والذِّبَّانُ (٢) لا تَقربُ قِدْراً فيها كَمأةٌ(٣). وسَامُّ أبرصَ لا يدخل بيتاً فيه زعفرانٌ. ومَنْ عَضّه الكلبُ الكَلِبُ احتاج إلى أنْ يستر وجهه من الذّباب لئلا يسقطَ عليه. وخُرطومُ الذباب يده، ومنه يُغَنّي، وفيه يُجرِي الصوتَ كما يُجرِي الزامرُ الصوتَ في القصبةِ بالنفخ.

قالوا: ليسَ شيء يَدْخَرُ إلا الإنسانُ والنملةُ والفأرةُ. والذَّرَّةُ(٤) تَدّخرُ في الصيف للشتاء فإذا خافت العُفَنَ على الحبوب أَخْرَجَتْها إلى ظاهرِ الأرض فشَرَّرَتْها(٥)، وأكثرُ ما تَفعلُ ذلك ليلاً في القمر. فإن خافت أن ينبتَ الحبُّ نقرت وسطَ الحبة لئلا تنبتَ. والسُّلَحْفَاةُ إذا أكلت أفْعى أكلت سَعْتَرا جَبَليا(٦). وآبنُ عِرْسٍ (٧) إذا قاتل الحيةَ أكل السَّذَابَ. والكلابُ إذا كان في أجوافها دود أكلت سُنبلَ القَمحِ. والأيِّلُ إذا نهشته الحيةُ أكل السَّراطينَ(٨). قال آبن ماسويه: فلذلك يظُنّ أن السراطينَ صالحة لمن نُهِشَ من الناس. والوَزَغ(٩) يُزاقُّ الحيّاتِ ويُقارِبُها، ويكرع في اللبن والمَرَق ثم يَمُجّ في الإناء. وأهلُ

---

(١) الجِرْذَوْن: دُوَيْبَّة شبيهة بالضب، وقيل هو ذكر الضب، له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى أنامل.

(٢) الذبّان: ج الذُّباب.

(٣) الكَمَأةُ: نبات يقال له شحم الأرض، وقيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق، لونه إلى الحمرة، يوجد في الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم، وأنواعه كثيرة، يؤكل نيئه ومطبوخه.

(٤) الذَّرَّةُ: واحدة الذرّ وهي صغار النمل.

(٥، ٦) شرَّرَتْها: نشرتها في الشمس لتجف. السعتر: نبات طيِّب الرائحة حِرِّيفٌ، زهره أبيض إلى الغُبْرة، م ويقال له الصعتر بالصاد، وهي اللغة الجيدة، والعامة تبدّل السين زاياً.

(٧) ابن عِرْس: دويبة كالفأرة أشتر أصلم.

(٨) الأَيِّلُ: ذكر الأوعال وهي التيوس الجبلية. والسراطين: ج سرطان وهو حيوان مائي ويعيش في البرِّ أيضاً، وهو جيد المشي سريع العَدْو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد.

(٩) الوَزَغُ) ج وَزَغَة وهي حشرة من جنس «سام أبرص».

السُّجْنِ يعملون من الـوَزَغ سمّاً أنفـذَ من سم البِيشِ[١] ومن ريق الأفـاعي، وذلـك أنهم يُدخلون الـوزغةَ قـارورةً ثم يَصُبُّـون فيهـا من الـزيت مـا يغمُـرهـا ويضعونها في الشمس أربعينَ يوماً حتى تتهرَّأ[٢] في الزيت، فـإنْ مُسِحَتْ على اللُّقمةَ منه مَسحةٌ وأكله آكلٌ مات من يومه.

والجرادُ إذا طَلع فعُمِدَ إلى التُّرْمُس والحَنظَل فطُبخا بماء ثم نُضحَ ذلـك المـاءُ على زرع تنكّبـه الجـرادُ. وإذا زُرِع خَرْدَلٌ في نـواحـر زَرْعَ نجـا من الدبى [٣]. وإذا أُخذ المُـرْدَاسَنْجُ[٤] فعُجِن بعجين ثم طُـرح للفأر فـأكلتـه مُوّتن عنه، وكذلك بُرايةُ الحديد. وإذا أُخِذ الأَفْيون والشُّونيز[٥] والبارزذ[٦] وقَرْنُ الأُيَّـل وبَابُونَج وظِلفُ من أظلاف المعز فَخُلِط ذلك جميعـاً ثم دُقَ وعُجِن بخلٍ عتيق ثم قُطِعَ قطعاً فدُخِّن بقطعة منه نفرت لذلك الحيّاتُ والهوامُّ والنملُ والعقاربُ، وإن أُحرِقَ منه شيء ودُخِّن به هرب ما وجَدَ منهـا تلك الريـحَ. والنملُ تهـرُبُ من دُخَان أصول الحَنْـظَل. وإن عُمِدَ إلى كبـريت وسَذَابٍ وخَـرْبقٍ فَدُقَّ ذلـك جميعـاً وطُرِحَ في قـريـة النمـل قتلهـا ومنعهـا ظهـورهن من ذلـك المـوضـع. والبعـوضُ تهرُب من دخـان القَلْقَدِيس [٧] إذا دُخِّن بـه ومعـه حبُّ السـوس[٨]، وتهرُب من دخان الكبريت والعِلْك.

---

(١) البِيْش: نبات كالزنجبيل رطباً ويابساً وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان.

(٢) تتهرَّأ: من تهرّأ اللحُم إذا طبخ حتى يتفسَّخ:

(٣) الدَّبى: أصغر الجراد والنمل.

(٤) المُرْدَا سَنْجُ: معرَّب سنك ومعناه الحجر الخبيث.

(٥) الشُّونيز: الحبة السوداء.

(٦) البارزذ: صمغ نبات يشبه القنـا في شكله وينبت في أرض سوريـة، وهو من النبـاتات النـافعة لأمراض عدة.

(٧) القلقديس: كلمة يونانية معرّبة معناها في الكيمياء الحديثة: كبـرتيات الحـديد؟ وقيـل معناهـا الصبغة السوداء لصانعي الأحذية.

(٨) السوس: شجر في عروقه حلاوة وفي فروعه مرارة.

وقالت الأطباء: لحمُ آبن عِرْس نافعٌ من الصّرْع. ولحمُ القُنفذ نافع من الجُذام والسّلّ والتشنُّج ووجع الكُلَى، يُجفَّفُ ويُشرب ويُطعَمُه العليلُ مطبوخاً ومشوياً ويُضمدُ به المتشنِّج. والعقرب إذا شُقَّ بطنُها ثم شُدّ على موضع اللسعة نفعت. وقد تجعل في جوف فَخّار مشدود الرأس مُطَيّن الجوانب ثم يوضع الفخّارُ في تَنُّور، فإذا صارت العقربُ رَماداً سُقيَ منْ ذلك الرمادِ مَن به الحصاة مقدارَ نصف دانق وأكثر فيُفَتِّت الحصاةَ من غير أن يضرَّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط(١)، وقد تَلسعُ العقربُ مَنْ به حُمَّى عتيقةٌ فتقلعُ؛ وتلسعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالج، وتُلْقَى في الدُّهْن وتُترك فيه حتى يأخذَ الدُّهنُ منها ويَجتذبَ قُواها فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفرِّقاً للأورام الغليظة. ومن طبع العقرب أنك إنْ ألقيتها في ماء غَمْرٍ بقيت في وسط الماء لا تَطفو ولا تَرسُبُ؛ وهي من الحيوان الذي لا يَسبَحُ. وعينُ الجرادة وعينُ الأفعى لا تَدوران. وإنما تَنسُجُ من العناكب الأنثى، والذكر هو آلخَدْرَنقُ. وولد العنكبوت يَنسُجُ ساعةَ يولدُ. والقَمْلُ يُخلق في الرؤوس على لون الشعر إن كان أسودَ أو أبيضَ أو مخضوباً بالحِنّاء. الحُلكاء(٢) دُوَيْبَّة تغوص في الرمل كما يغوص طائرُ الماء في الماء. وبناتُ النّقا كذلك، وهي التي يُقال لها: شحمةُ الأرض. وأُمُّ حُبَيْنٍ(٣) لا تُقيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ، والسُّرْفَةُ(٤) دويبَّة يُضربُ بها المثلُ في الصّنعة فيقال: «أصْنَعُ مِنْ سُرْفَةٍ».

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء: الدم والبلغم والصفراء والسوداء.

(٢) الحَلْكاء: بضم الحاء وفتحها دُوَيْبَّة تسكن الرمل كأنها سمكة، ملساء فيها بياض وحمرة.

(٣) أم حُبَيْن: دويبة على خلقة الحِرْباء عريضة الصدر عظيمة البطن؛ وقيل: دويبة على قَدْر الخُنْفَساء يلعب بها الصبيان.

(٤) السُّرفة: دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان وتدخله فتموت فيه.

ومن أحسنِ ما قيل في الأفعى قول آمرأة من الأعراب: [كامل]

خُلِقَتْ لَهَـازِمُـه عِـزَينَ، ورأْسُـهُ كالقُرْص فُرْطِحَ من دقيقِ شعيـرِ[١]

وكـأن مَـلْقَـاهُ بـكـلّ تَـنُـوفَـةٍ مَلْقـاكَ كفَّةَ مِنْجَـلٍ مـأطـورِ[٢]

ويُـديرُ عينـاً للوِقـاع، كـأنهـا سمـراءُ طاحتْ من نَفِيض بَـرِيْرِ[٣]

قيل لما سرجويـه: نَجِدُ ملسـوعَ العقرب يُعـالَج بـالاسفيوش[٤] فينفعـه، وآخر يُعالج بالبندق فينفعه، وآخر يَشـربُ الأنقاس[٥] فتنفعـه، وآخر يـأكُل التّفـاحَ الحامضَ فينفعهُ، وآخر يَطليه بالقِلْي[٦] والخلِّ فيحمَدُه، وآخر يَعْصِبُ عليه الثومَ الحارَّ المطبوخَ، وآخر يُدخِلُ يـدَه في مِرْجَـلٍ حارٍّ لا مـاء فيه فيحمَـدُه، وآخر يعالجه بالنُّخَالـة الحارّة فيحمَـدها، وآخـر يَحجُم ذلك المـوضعَ فيحمَـده، ثم رأيناه يتعالج بعدُ بذلك الشيء لِلَسْعَـةٍ أخرى فـلا يحمده! فقـال: لما آختلفت السّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر والزمان، وبآختلاف مـا لاقاه آختلفَ الـذي يوافقه على حسب آختلافه. قالوا: وأشدّ ما تكون لَسْعَتُها إذا خرج الإنسانُ من الحمّام، لتفتُّح المنافسَ وسَعَةِ المجاري وسُخُونة البدن.

---

(١) اللهَازِمُ: واحدتها لِهْزِمةٌ وهي عظم ناتىء في اللَّحْي تحت الأذن، وهما لهـزمتان. وعِـزين: متفرقة. وفَرْطَحَ الشيءَ: عَرَّضه. وقال ابن بري: صوابه: «فُلْطِحَ» باللام.

(٢) التَّنوفَةُ: الأرض الـواسعة البعيـدة الأطراف. والمِنْجَلُ: آلـة حديـد معوجـة يقطع بهـا الزرع وغيره. ومأطور: من الأطر وهو عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه.

(٣) النفيض: من النفض وهـو التحريـك. والبَرِيْـر: ثمـر الأراك عـامـة. وفي لسـان العـرب مـادة (فرطح) بعد هذا البيت.

وكـأن شِـدْقَيْـه، إذا آستَـقْبَـلْتَـهُ شِـدْقـاً عجـوزٍ مَضْمَضَـتْ لِـطُهُـوْرِ

ولقد أورد آبن منظور بيتين آخرين غير هذا البيت وهما الأول والثالث. وورد «من طحين شعير» بدلاً من «من دقيق شعير» وورد «للوداع» بـدلاً من «للوِقاع» و «من نقيص بـرير» بـدلاً من «من نقيض برير».

(٤) الأسفيوش: كلمة فارسية معناها «بزرقطونا» (نبات دقيق الأوراق والساق).

(٥) الأنقاس: ج نِقْس وهو المِداد، وقيل الحوامض.

(٦) القِلْيُ: شَبٌّ العُصْفُر له منافع كمنافع الملح إلاّ أنه أحدُّ منه.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قال أبو بكر البحريّ: ما من شيء يضرّ إلا وفيه منفعة. وقيل لبعض الأطباء: إنَّ قائلاً قال: أنا مثلُ العقرب أَضُرّ ولا أنفعُ. فقال؛ ما أقلّ علمَه بها. إنها لتنفع إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّت على موضع اللّسعة؛ وقد تُجعل في جوف فَخّار مشدودِ الرأس مُطيّنِ الجوانب ثم يُوضعُ الفخّار في تَنُّور فإذا صارت العقربُ رَماداً سُقِي من ذلك الرمادِ مقدارَ نصف دانق أو أكثر قليلاً مَنْ به الحصاةُ ففتَّها من غير أن يضرَّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط. وقد تَلسَعُ العقربُ منْ به الحُمَّى العتيقةُ فتُقلِعُ عنه. ولَسعَتِ العقرب رجلاً مفلوجاً فذهب عنه الفالج. وقد تُلقَى العقربُ في الدهن وتترك فيه حتى يأخذَ الدهنُ منها ويَجتذبَ قواها فيكون ذلك الدّهنُ مُفرّقاً للأورام الغليظة.

قال أبو عبيدة: ولَسَعَتْ أعرابياً عقربٌ بالبصرة، وخِيفَ عليه فاْشتدّ جزعُه، فقال بعضُ الناس له: ليس شيء خيراً مِنْ أن تُغْسَلَ له خُصْيَةُ زِنجيّ عَرِقَ ففعلوا، وكان ذاك في ليلةٍ وَمِدَةٍ، فلما سَقَوْه قَطَب؛ فقيل له: طَعْمَ ماذا تَجِدُ؟ قال: أجدُ طعمَ قِرْبَةٍ جديدةٍ.

قال المأمون: قال لي بَخْتَيَشُوع وسلمويه وآبن ماسويه: إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لَسْعَةِ الزُّنبور هَدَأ وسكن الألمُ، فلسعني زُنبورٌ فحككْتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن الألمُ إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبقَ في يدي منهم إلا أن يقولوا: كان هذا الزُّنْبُوْرُ حنقاً غاضباً، ولولا ذلك العلاجُ قتلكَ. قالوا: ومما ينفع من اللسعة أنْ يُصيروا على موضعها قطعةَ رَصاصٍ رقيقةً وتُشدّ عليه أياماً. وقد يُمَوِّهُ بهذا قوم فيجعلونه خاتَماً فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهِشَ في إصبعه.

(١) ليلةٌ وَمِدَةٌ: ليلة شديدة الحرّ.

قال محمد بن الجَهْم: لا تتهاونوا بكثير مما تَرَوْن من علاج العجائز، فإنَّ كثيراً منه وقع إليهن من قدماء الأطباء، كالذِّبّان يُلْقَي في الإثمِد[١] فيسحقُ معه، فيزيدُ ذلك في نور البصر ونفاذِ النظر وتشديدِ مراكز الشعر في حافات الجفون. قال: وفي أُمّة من الأمم قومٌ يأكلون الذِّبّانَ فلا يرمَدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرهُم فِراخَ الزنابير.

وقال ابن ماسويه: المجرَّبُ لِلَسْعِ العقرب أن يُسقَى من الزَّراوَند[٢] المدحرجِ ويُشربَ عليه ماء بارد، ويُمضغَ ويوضعَ على اللسعة. قال: وللسع الأفاعي والحيّات وَرَقُ الآس[٣] الرطب يُعْصَرُ ويُسقَى من مائه قَدْرَ نصف رطل، وكذلك ماء المَرْزَنْجُوش[٤] وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويُضمد الموضعُ بورق التفاح المدقوق. وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين والسَّذابُ يُطعم ذلك العليلُ. قال: والثُّوم والملح وبَعَر الغنم نافع جدّاً إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحيّة إلا أن تكون أَصَلةً، فإن الأَصَلَةَ تُوضعُ على لسعها الكُلْيتان جميعاً بالزيت والعسل. والخِطْميُّ[٦] إذا أُخِذَ ورقُه فدُقّ ثم وُضع على لسع قَملة[٧] النّسر كان دواء له. وإنْ طَلَى أحد به يديه أو

(١) الأثمِدُ والأثْمُدُ: حجرٌ يُكْتَحَلُ به سريع التفتُّت، وإذا تفتَّت كان لفتاته بريق ولمعان.

(٢) الزَّراوَنْدُ: نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشيء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، وله فوائد. والمدحرج أردأ أنواع الزراوند.

(٣) الآس: نبات يزرع كثيراً بأرض العرب بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً وله زهرةٌ بيضاء طيبة الرائحة وثمرةٌ سوداء إذا أنيعت تحلو وفيها مع ذلك علقمة.

(٤) المَرْزَنْجُوْشُ: ويقال له مرزجوس ومردقوس: فارسي، والعرب تسميه السُّمْسُق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة.

(٥) الأَصَلَةُ بفتح الهمزة والصاد واللام: حيَّةٌ كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله.

(٦) الخِطْمِيُّ: نبات كبير الزهر، زهره أحمر وقد يكون أبيض، وكلاهما مُلَيِّن ينفع الأمراض الصدرية، واحدته خِطْميَّة.

(٧) قملة النَّسْر: دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت، وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت بذلك لأنها تخرج من النَّسْر.

جسدَه لم يلدغْ ذلك الموضعَ منه زُنْبورٌ. وإن لَدغَ أحداً زنبورٌ فآذاه فشرب من مائه نفعه. والبشكول وهو الطرشَقـوقُ إن دُقّ فضُمد بـه لسعةُ العقـرب نفع إذا أُغلي أو شُرِب من عصيره. قالوا: وإن أَخَذَ مَنْ حَذَر على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونِيز على الريق وَقاه.

النبات

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قـال: حدّثنـا قريشُ بن أنس عن كُلَيْب أبي وائل رجل من المُطّوِّعة قـال: رأيتُ ببلاد الهنـد شجراً لـه ورد أحمر مكتوب فيـه ببياض «محمد رسول الله». والعـرب تقول في مثـل هذا هـو: «أشكر من البَرْوَقَة»[1]، وهـو نبت ضعيف ينبت بـالغيم. ويـزعم قـوم أن النارَجيلَ هو نخل المُقْل قَلبه طِباعُ البلد. وقال صاحب الفلاحـة: بين الكُرنْب وبين الكَـرْم عداوةٌ، فـإذا زُرِعَ الكرنبُ بحضـرة الكَرْم ذَبـلَ أحدهمـا وتشنَّج، ولـذلـك يُبـطيء السُّكـرُ عمن أكـل منـه وَرَقـاتٍ على ريق النفس ثم شـرب. وقُضبان الرمّان إذا ضُرِبَ بها ظهرُ رجل آشتدّ عليه الألم. قالوا: وكلّ زَهر ونَوْرٍ فـإنه ينحـرفُ مع الشمس ويُحَـوِّل إليها وجهَـه؛ ولذلـك يقال: هـو يُضـاحِـكُ الشمسَ. قال الأعشى: [بسيط]

مـا روضَةٌ من ريـاض الحَزْنِ مُعشبـةٌ … خضـراءُ جَـادَ عليهـا مُسْبِـلٌ هَـطِلُ[2]
يُضاحكُ الشمسَ منهـا كوكبٌ شَـرِقٌ … مُـؤَزَّرٌ بِعَـميـم النَّبـتِ مُـكْـتَـهِـلُ[3]

---

(١) البَرْوَقَةُ: شُجَيْـرَةٌ تخصب بأقـلّ مطر، وقـد تخضرُّ من غيـر مطر بـل تنبت إذا نشأ السَّحاب، يضرب بها المثل لمن يقابل المعروف عاجلاً بالشكر والثناء أو لمن يتحرّك لسانُهُ بالإمتنان لأقلّ نعمة يحصل عليها المنجد مادة (شكر).

(٢) الحَـزْنُ: ما آرتفـع من الأرض. والمُسْبِلُ: المـطر، من السَّبَل بفتـح السين والباء وهـو المطر أيضاً. وهطل أي المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

(٣) الكوكب: ما طال من النبات. والشَّرِقُ: الرَّيأن. ومُؤَزَّرٌ: مُلْتَفٌ ومُكْتَهِلٌ؛ تامّ الطول.

وقال آخر: [طويل]

فَنُــوَّارُه مِيــلٌ إلى الشــمسِ زَاهِــرُهْ(١)

والخُبَّازَى(٢) يَنضمُّ ورقُهُ بالليل ويَنفتِحُ بالنهـار. والنَّيلُوفَرُ(٣) يَنبتُ في المـاء فيغيب الليلَ كلّه ويظهـرُ إذا طلعتِ الشمسُ. وقالـوا في الطُّحلُب(٤): إن أُخـذ فجُفِّفَ في الـظلِّ ثم سقطَ في النـار لم يَحتـرِق. وذكـروا أنَّ قَسّـاً راهنَ على صَليب في عنقـه من خشب أنه لا يَحتـرق، وقال: هـو من العود الـذي صُلِبَ عليه المسيحُ، فكاد يَفتِنُ بذلـك خَلْقاً حتى فَـطِنَ له بعضُ أهـل النظر فـأتاهم بقطعةُ عود تكون بكرمانَ فكان أبقى على النار من صليبه. والطَّلقُ(٥) كـذلك لا يصيـر جمراً. وطِـلاءُ النفّاطين(٦) طَلَقٌ وخِـطْمِيٌّ ومَغَرَةٌ. وقـالوا: إذا أُخِـذَ بـزْرُ السَّذاب البريّ وزُرع وطالَ به ذلك تَحوّل حرملا(٧)، والنّمـامُ(٨) إذا أُعتقَ تحوّل

---

(١) النُّوَارُ: ج نُوّارَة وهي الزهرة المشـرقة. وهـذا الشطر عجـز بيت لِقَطران العبسيّ كمـا في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١٠٣) وصدره:

بِـمُـسـتـأسـدِ الـقُـرْيـانِ حُـوٍّ تِـلاعُـهُ

وقد علّق على هذا البيت في الحاشية رقم ٣ فقال: البيت من قصيدة للحطيئة العبسيّ.

(٢) الخُبَّازَي: نبت بَقْلة معروفة عريضة الورق لها ثمرة مستديرة، واحدته خُبَّازة.

(٣) النَّيْلُوْفَرُ ويقال النينوفر: ضربٌ من الرياحين ينبت في المياه الـراكدة، لـه أصل كـالجزر وسـاق أملس يطول بحسب عمق الماء فإذا ساوى سطحه أورق وأزهر. وهي كلمة أعجميـة (هنديـة) قيل مركبة من (نِيل) وهو الذي يصبغ به و (وفر) وهو أسم الجناح فكأنه قيل: مُجَنَّح بنيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين.

(٤) الطُّحْلُبُ: خضرة تعلو الماء المزمن.

(٥) الطَّلَقُ: حجرٌ بَرَّاقٌ يتخذ منه مضاوي للحمامات بدلاً عن الزجاج.

(٦) النَّفّاطون: الرُّماة بالنفط (القطران).

(٧) الحرْمَلُ: حب نبات قيل يُخْرج السوداء والبلغم ويُصَفّي الـدمِ وينوِّم حتى عـدَّه الشيخ الـرئيس ابن سينا من المسكرات، كما ينفع من داء المفاصل وعرق النَّسَا.

(٨) النَّمام: نبت ورقه كالسَّذاب، لـه بزر كـالريحـان عطريٌّ قـويّ الرائحـة، سمِّي بذلـك لسطوع رائحته، الواحدة نَمّامة.

حَبَقاً[١]. قالوا: والقُسْطُ[٢] إنما هو جَزَرٌ بحريّ. قالوا: بالسند نبتٌ من الحشيش يُسمّى تِرِيَّةً، إذا أخذ فطُبخ ثم صُفِّي ماؤه فجُعِلَ في وِعاء لم يلبَث إلا يسيرا حتى يشتدّ ويُسكِر شاربَه إسكارَ الخمر.

قال صاحب الفلاحة: من أراد أن يضرَّ بمَبْقَلَةٍ عَمَد إلى شيء من خُرء البَطّ فخلط به مثلَه من ملح ثم طُرِحَا في ماءٍ فدِيفَا فيه فيُنضَحُ ذلك الماءُ على البقل فإنه يَفْسُدُ. قال: ومن أراد إفسادَ الرمّان الكثير ألقى في أضعافه نَوى التمر والملح والجريش. ومَن أراد قتلَ السمك في الماء القائم عَمَد إلى نبت يسمى «مَا هِي[٣] زهرة» فدُقّ وطُرِحَ في الماء فإنه يموت سمكُ ذلك الماءِ؛ والمازَرِيُونْ[٤] يفعل ذلك. قال: ومما يَجفُّ له الشجر أن يُعمد إلى مِسمار من حديد فيُحمَى بالنار حتى تشتدّ حُمرته ثم يُدَقّ في أصل الشجرة، وأن يُعْمَد إلى وتد من طَرْفاءَ فيُثقَبَ أصل الشجرة بِمِثْقَب حديد ثم يُجعَلَ ذلك العودُ على قدر الثَّقْب في المِثقَب فتجفّ الشجرةُ إن كان غَلظُ العُود على قدر الثَّقب.

قيل لما سرجويه: ما بالُ الأكرَة[٥] وسُكّانِ البساتين مع أكلهم الكُرّاث والتّمرَ وشُربِهم الماءَ الحارّ على السّمكِ المالح أقلُّ عُمياناً وعُورَاناً وعُمشَانا؟ قال: فكّرتُ في ذلك فلم أجِدْ عِلّةً إلا طولَ وُقوعِ أبصارهم على الخضرة.

(١) الحَبَقُ: نبات يشبه النَّمّام، ويكثر نباته على الماء.
(٢) القُسْط؛ عودٌ هنديٌّ وعربيٌّ يُتَداوى به.
(٣) لفظ فارسي وتعريبه سمّ السمك.
(٤) المازَرِيُوْن والماذَرِيُوْن: شجر ورقه كورق الزيتون، إلاّ أنه أدقُّ منه، وهو مرّ يلدغ اللسان. وهي كلمة فارسية.
(٥) الأَكَرَةُ: ج أكّار وهو الحراث لحفرة الأرض.

الحجارة

قال أرسطا طاليس: حَجُر[1] سنقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نَشَّفَ منه الماءَ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد في وزنه؛ وذاكَرْتُ بهذا رجلاً من علماء الأطبّاء فعرفه، وقال: هذا الحجر مذكور في التوراة. وحجر المغناطيس يَجذِبُ الحديدَ من بُعْدٍ وإذا وُضِعَ عليه عَلِقَه، فإن دُلِكَ بالثُّوم بطلَ عملُه. قالوا: والرّمادُ والقِلْيُ[2] يُدبَّران فيستحِيلان حجارةً سُوداً تَصلُح للأرجاء. ومن الحجارة حصاةٌ في صورة النواة تَسبَحُ في الخلّ كأنها سمكةٌ. ومنها خَرَزَة العُقْر[3] إن كانت في حِقوٍ[4] المرأة فلا تَحْبَلُ. وحجر يُوضَع على حرف التنّور فيتساقط خبزُ التنور كلّه. وبمصر حجر مَنْ قَبَضَ عليه بِجميع كَفّيهِ فأكل شيئاً في جوفه فإنْ هو لم يَنْبُذْه من كفّه خِيفَ عليه. ومن الحجارة النَّشَفُ[5]، ليس شيء من الحجارة يَطْفُو على الماء غيره وفيه حُفَرٌ صِغارٌ.

قالوا: الرصاص قد يدبَّرُ فيستحيلُ مُرْدَا سَنْجاً. وإقليمياء[6] النّحاس يدبَّر فيصيرُ تُوتِياء. وحجر البازَهْر[7] يُفرِّقُ الأورامَ. وباليمن جبل يقطر منه ماء. فإذا صار إلى الأرض ويَبِسَ آستحال وصار شبّاً، وهو هذا الشبّ اليمانيّ.

---

(١) لم أجد ذكر هذا الحجر في كتب اللغة.

(٢) القِلْيُ والقِلَي: شيئاً يتخذ من حريق الحَمْض، والحمض ما مَلُحَ وأَمَرَّ من النبات وهو كفاكهة الإبل تأكله عند سامتها من الخُلَّة.

(٣) العُقْر: العُقْمُ.

(٤) الحَقْوُ: بكسر الحاء وفتحها هو الخصر.

(٥) النَّشَفُ: حجارة سود كأنها محترقة، وهي التي ينْقي بها الوسخ في الحمامات.

(٦) الإقليمياء: نبت آدم، ومن الذهب والفضة ثُفْلٌ يعلو السَّبْك أو دخان.

(٧) البازَهْرُ: معرّب باد زهر وهو حجرٌ تنسب إليه قوى غريبة في مقاومة السموم، فارسي مركب من «باد» ومعناه: روح أو ضده و «زهر» ومعناه سمّ.

حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أربعةُ أشياءَ قد ملأتِ الدنيا لا تكون إلا باليمن: الوَرْسُ والكُنْدُرُ والخِطْرُ والعَصْب(١). وبمصر حجر تُحرّكه فتسمعُ في جوفه شيئاً يَتقلقلُ كالنواة.

حدّثني شيخ لنا عن عليّ بن عاصم عن خالد الحَذّاء عن محمد بن سيرين قال: إختصمَ رجلان إلى شُرَيح، فقال أحدُهما: إنّي آستودَعْتُ هذا وديعةً فأبى أن يردَّها عليّ؛ فقال له شريح: رُدَّ على هذا الرجل وديْعتَه؛ قال: يا أبا أُمَيّة، إنه حجرٌ إذا رأته الحُبْلَى ألْقَتْ ولدَها، وإذا وقَعَ في الخَلِّ غَلَى، وإذا وُضِع في التنُّور بَرَدَ، فسكتَ شُرَيحٌ، ولم يَقُلْ شيئاً حتى قاما.

الجنّ

قالوا: الشياطينُ مَرَدَةُ الجنّ، والجانّ ضَعَفةُ الجنّ، وبلغني عن يحيى بن آدم عن شَرِيكٍ عن لَيْث عن مُجاهد قال قال - يعني إبليس عليه لعنة الله -: أُعطِينَا أنّا نَرَى ولا نُرَى، وأنا ندخُل تحت الثَّرَى، وأنّ شيخنا يُرَدّفَتِىً.

حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال: حدّثني يَعْلَى بن عُقْبة - شيخ من أهل المدينة مولىً لآل الزُّبَير -: أن عبد الله بن الزبير باتَ بالقَفْر، فقام ليرحَلَ فوجدَ رجلاً طُوله شِبرانِ عظيمَ اللحية على الوَلِيّة(٢)، فنفضَها فوقع ثم وضَعَها على الراحلة، وجاء وهو بين الشَّرْخَين(٣)، فنفضَ الرَّحْلَ ثم شدّه، وأخذ

(١) الوَرْسُ: نبات كالسمسم أصفر يزرع باليمن ويصبغ به. وقيل صبغ أحمر وقيل نبت طيب الرائحة. وقال في القانون إنه شيء أحمر قانيء يشبه سحيق الزعفران وهو مجلوب من اليمن ويقال إنه يُنْحَت من أشجاره. والكُنْدُرُ: ضَرْبٌ من العِلْك وهو اللُّبان، وهو باليونانية خلدروس. والخِطْر: نبات يخضب به، والواحدة خِطْرة. والعَصْبُ: شجرُ اللَّبْلاب، واللبلاب نبت ورقه كورق اللوبيا يتعلق على الشجر ويسمى في مصر بالعلَّيْق؛ وقيل صبغ لا ينبت إلاّ باليمن.

(٢) الولِيَّةُ: البرذعة.

(٣) شَرْخا الرَّحْل: حَرْفاه وجانباه، وقيل: خشبتاه من وراء ومقدَّم.

السَّوْطَ ثم أتاه، فقال: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا أَزَبُّ قال: وما أزبُّ؟ قال: رجلٌ من الجنّ؛ قال: افتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال: أهكذا حُلوقُكم! لقد شُوِّه حُلوقُكُم! ثم قَلَبَ السوطَ فوضعه في رأس أزبّ حتى شقّه.

حدّثني خالد بن محمد الأزديّ قال: حدّثنا عمر بن يونس قال: حدّثنا عِكرِمة آبن عمّار قال: حدّثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاريّ قال: حدّثني أنس بن مالك قال: كانت بنتُ عوف بن عفراء مُضطجِعَةً في بيتها قائلةً إذ آستيقظَتْ وزنجيّ على صدرها آخذاً بحلقها، قالت: فأمسكَني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حَرُمَتْ عليّ الصلاةُ، فبينا أنا كذلك نظرْتُ إلى سقف البيت ينفرج، حتى نظرْتُ إلى السماء فإذا صحيفَةُ صفراء تَهوِي بين السماء والأرض حتى وقعَتْ على صدري، فنشرها وأرسل حَلقي فقرأها، فإذا فيها: من رَبّ لُكَيزٍ إلى لُكيزٍ، إجتنب آبنةَ العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال: لولا هذه الصحيفةُ لكان دمٌ، أي لذبحتُكِ؛ فآسوَدَّتْ ركبتي حتى صارت مثلَ رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لي: يا بنة أخي، إذا حِضْتِ فألزمي عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليكِ إن شاء الله. فحفظها الله بأبيها وكان آستُشهِدَ يوم بدر.

أبو يعقوب الثقفيّ عن عبد الملك بن عُمير عن الشّعْبيّ عن زياد بن النضر أنَّ عجوزاً سألت جِنّياً فقالت: إن بنتي عَروسٌ وقد تمَّرط شَعَرُها(١) من حُمَّى رِبْع بها، فهل عندكَ دواء؟ فقال: اعْمِدِي إلى ذُباب الماء الطويل القوائم الذي يكون بأفواه الأنهار فآجعليه في سبعة ألوان من العِهْنِ(٢): أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وأزرقَ وأبيضَ وأسودَ وأغبرَ، ثم اجعليه في وسطه وآفتِليه

(١) تَمَرَّطَ الشعرُ: تساقط.
(٢) العِهْنُ: الصوف أو المصبوغ ألواناً.

بأصبعك هكذا ثم آعقِديه على عَضُدها اليسرى؛ ففعلَتْ فكأنّها أُنشِطَتْ من عِقَالٍ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفيّ في حديث ذكره أنَّ الشياطين لا تستطيعُ أن تُغَيِّرَ خَلْقَها ولكنها تُسَخَّرُ.

وقال الأصمعيّ: حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال: حدثنا النَّهَّاسُ بن قَهْم قال: دخلْتُ مِربداً لنا فإذا فيه شيء كالعِجَّوْلِ[١] له قرنان وله رِيشٌ ينظرُ إليّ كأنه شيطانٌ.

حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سَمِع رجلٌ بأرض ليس بها أحدٌ قائلاً من تحته يقول: مَنْ يُحرّك شُعَيراتِي؟ ذاك مَقِيلي، وظِلّ مَظَلّي، حاشا الغزيل وعبد الملك وجمعهِ الأُدْم؛ وكانوا يَرَوْن أنَّ الأصمعيّ سمع هذا، وذاك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه.

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيِّ قال: أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمَير بن ضُبَيْعة قال: بينا أنا أسيرُ في فلاةٍ أنا وآبنُ ظبيانَ ـ أو رفيقٌ له آخر ذكره ـ عَرَضَتْ لنا عجوزٌ ـ كذا سمعته يقول، إن شاء الله ـ أو شيخ ـ ورأيتُ في كتاب محمدٍ آبنِه ـ وصبيٌّ يبكي؛ فقال: إني مُنْقَطَعٌ بي في هذه الفلاة فلو تحمّلتماني! فقال صاحبُ عمير: لو أردفْتَه! فحمله خلفَه؛ فمكثنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفّس فخرج مِنْ فيهِ نارٌ مثلُ نار الأُتُون[٢] فأخذَ له عميرٌ السيفَ؛ فبكى وقال: ما تُرِيدُ منّي؛ فكفّ عنه ولم يُعْلِم صاحبَه بما رأى؛ فمكث هُنيهةً ثم عاد، فأخذ له السيفَ؛ فبكى وقال ما تريد مني؟ وبكى؛ فتركه ولم يُعْلِم صاحبَه؛ ثم عاد الثالثةَ ففغر[٣] في وجهه؛ فحمل عليه

(١) العِجَّوْلَ: ولد البقرة.
(٢) الأَتُّوْنُ: موقد نار الحمام، والجمع أُتُنٌ وأتاتين.
(٣) فغرُ في وجهه: فتح له فاه.

بالسيف؛ فلما رأى الجِدَّ وثبَ وقال: قـاتَلكَ اللَّهُ ما أشـدَّ قلبَك! مـا فَعلتُه قطّ في وجه رجل إلا ذهب عقلُه.

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسـديّ عن سفيان عن آبن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الـرحمن عن أبي أيُّوب الأنصـاريّ أنه كـان في سَفْرَةٍ لـه وكانت الغولُ تجيء، فشكاها إلى النبيّ ﷺ؛ فقال: «إذا رأيْتَها فقُل بآسم اللَّهِ أجيبي رسولَ اللَّهِ»؛ فجاءت فقال لها ذلك؛ فأخذها فقالت: لا أعود؛ فأرسلها؛ فقال لـه النبيّ عليه السـلام: «ما فَعـلَ أسيْرُكَ»؟ فـأخبره؛؛ فقـال: «إنها عـائـدة»، ففعلتُ ذلك مرتين أو ثلاثاً، وقالت في آخرهـا: أرسلني وأُعلِّمك شيئـاً تقولـه فـلا يضرَّك شيء: آيـةَ الكرسيّ؛ فـأتى النبيّ عليـه السـلام فـأخبـره؛ فقـال: «صَدَقَتْ وهي كَذُوبٌ».

حدّثني زيدُ بن أخزَمَ قال: حـدّثنا عبـد الصمد عن همّـام عن يحيى بن أبي كثيـرة أن عامـلَ عُمَانَ كتب إلى عمـرَ بن عبد العـزيز: إنّـا أُتِيْنـا بسـاحـرة فألقيْناها في الماء فطَفَتْ؛ فكتب إليه عمرُ: لَسْنَا من الماءِ في شيء، إنْ قامَتِ البينةُ وإلا فَخَلِّ عنها.

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا أبو عاصم قال: حدّثنا آبن جُريج عن آبن أبي الحسين المكيّ قال: قال رسول الله ﷺ: نِعْمَتِ الدُّخْنةُ اللُّبانُ واللَّبانُ دُخْنةُ الأنبياءِ ولن. يَدخُل بيتاً دُخِّنَ فيه بِلُبَانٍ ساحِرٌ ولا كاهِنٌ.

حدّثني عبد الله بن أبي سعيد قال: حدّثني عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجةَ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: سمعْتُ أعـرابيةً تقـول: من يشتري منّي الحَـزَأ؟ فقلتُ: وما الحَـزَأ[1]؟ قالت: يشتـريه أكـايسُ

---

(١) يقال: حَزَأَ الشخصَ: رفعه للبصر، وحَزَأَ المرأة: جامعها.

النساء للطَّشَّة والخافية والإقلاتِ؛ قال عبد الله سألتُ ابنَ مُنَاذِرٍ فقال: الطَّشَّةُ: شيء يُصيبُ الصبيانَ كالزُّكام. والخافيةُ: الجنّ. والإقلاتُ قِلةُ الولد. يريد أن المرأةَ إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مِقْلاتٌ.

بلغني عن شيخ من بني نُمير أنه قال: أضْلَلْتُ أباعر لي بالشَّرَيف[1] فخرجْتُ في بُغَائِها فَدَأَبْتُ أياماً فأمسيْتُ عشيَّةً بوادٍ مُوحِشٍ وقد كَدَدْتُ راحلتي فاختَلَيْتُ[2] لها من الشجر وأصبْتُ لها من الماء ثم قَيَّدْتُها واضطجعْتُ مغموماً، فلما جَرى وسَنُ النوم في عيني إذ هَمس قَدمٌ قريباً منّي، فانتبهتُ فَزِعاً وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا رَيْعةَ[3] عليك! ثم سلّم وجلس؛ ثم جاء آخر وآخر حتى تألّفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضلَلْتُ أباعِرَ[4] لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأوّل منهم: كُنَّ لك ما كنَّ، وقد ودَّعْنَ فَبِنَّ، وصِرْنَ حيث صِرنَ، فلا تَتعَنَّيَنَّ؛ فاجترأْتُ على المسألة فقلت: أمِن الخافيةِ أنتم نشدْتُكُم بإلهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علّموني مما علّمكم الله شيئاً أنتفع به؛ قالوا: إذا أردْتَ حِفْظَ مالِكَ فاقرأ عليه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[5] إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسيّ، وإذا أمسيْتَ في خَلاءٍ وحدَك فاقرأ المعوِّذتين، وإن أحببْتَ ألّا يعبثَ بك ولا بأهلك وولدك عابثٌ منّا فعليك بالديك الأبيض؛ واجعل في حجور صبيانك بَرِيماً، يعني خيطاً من صوف

(١) الشُّرَيْفُ: اسم ماء لبني نمير.
(٢) اختلى من الشجرة جَزَّ أو نزع منها الخَلَى وهو الرَّطْب من النبات، والجمع أَخْلاء.
(٣) لا رَيْعَة: لا فزع، من راع يريع إذا فزع.
(٤) الأباعر: ج بعير وهو الجمل البازل وقد يكون للأنثى.
(٥) سورة الأعراف ٧، آية ٥٤. وهذه الأيام كناية عن الدفعات أو الأطوار حيث لا زمان ولا أيام قبل الكون، وإن وجود الكون لم يتمَّ دفعة. واستوى على العرش: استولى على الملك والتدبير، إذ ليس الله تعالى جسماً كي يجلس على العرش المحسوس.

أبيض وأسود، وآحتشوا بـآلإذْخِر[1] يُنْشَرُ في الصوف، فحدّثوني كحديثنا تلك الليلةَ، فلما أصبحت رَجَعْتُ.

قال المدائنيّ: كانت وفاةُ زِياد بالعَرْفَةِ[2] ظهرتْ في إصبعه، وآشتدّ عليه الوجع فجمع الأطّباء فشاورهم في قطع إصبعه، فأشار عليه بعضهم بذلك، وقال له رجل منهم: أَتَجِدُ الوجعَ في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع؟ قال: في قلبي وفي إصبعي؛ قال: عِش سليماً ومُتْ سليماً، وأمره أن يَغمِسها في الخلّ، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضَ الوجع، فمكث بذلك سبعة عشر يوماً ثم مات؛ وسَمِع أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلاً يقول: أنا النقادُ الرُّقْيَة قد كفيتُكم الرجلَ. والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجنّ. وقال النبيّ ﷺ: «إنه وَخْزٌ من الجنّ يعني الطاعونَ». والله أعلم.

تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه في الكتاب الخامس كتاب العلم. والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحابته وأهل بيته أجمعين.

وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري؛ وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية..

جاء بعد خاتمة الكتاب الرابع بعد النسخة الخطية التي تقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي:

كان سُدَيف مولى بني هاشم يقول: اللهمَّ إنه قد صار فَيئنا دُولةً بعد

(١) الإذْخِرُ: الحشيش الأخضر ونبات طيب الرائحة يُتَداوى به، والواحدة إذْ خِرَةٌ.

(٢) العرفة: قرحة تخرج في بياض الكف.

القِسْمة، وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة؛ وعهدُنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة، وآشْتُريَت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأَرْمَلَة؛ وحَكَمَ في أبشار[1] المسلمين أهلُ الذِّمة وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلّ محلّة. اللهمَّ وقد آستحْصَدَ زرعُ الباطل، وبلغ نُهْيَته، وآستجمعَ طريدهُ، اللهم فآفتح له من الحق يداً حاصدةً تُبدِّد شملَه، وتُفرّق نامَّته[2] ليظهر الحقُّ في أحسن صوره، وأتمّ نُوره. والسلام.

وقيل[3]: كانوا يتوقَّون ظُلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء: «بآسم الله، ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنْتَ تَقِيّاً﴾ ﴿إخْسَئوا فيها ولا تُكلِّمونِ﴾ أخذْتُ سمعك وبَصرَك بسمع الله وبصره، وأخذتُ قوّتك بقوّة الله، بيني وبينك سِتْرُ النبوة الذي كانت الأنبياء تَستتر به من سَطَوات الفراعنة؛ جبريلُ عن يمينك، وميكائيلُ عن شِمالك، ومحمدٌ أمامك، والله مطلّ عليك يَحجزكَ مني ويمنعني منك. والسلام».

وكتب عُمر بنُ عبد العزيز إلى بعض عُمَّاله: «أما بعد، فإذا دعتك قدرتُك على الناس إلى ظلمهم، فآذكُرْ قدرةَ الله عليك ونَفَادَ ما تأتي إليهم، وبقاءَ ما يأتون إليك. والسلام».

وقَدِم رجلٌ من بعض النواحي فقيل له: كيف تركتَ الناس؟ قال: مظلوماً لا يَنْتَصِر، وظالماً لا يُنْتَهَر. والسلام.

(١) الأَبْشار: ج بَشَر وهو الخلق والشخص يطلق على الذكر والأنثى والاثنين والجمع وقد يثنى على بَشَرَيْن.
(٢) النّامَّةُ والنَّأْمَةُ: الحسُّ والحركة وحياة النفس.
(٣) ورد هذا القول في صحيفة ٧٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب كما ورد هناك تنبيه إلى الآيتين المذكورتين مع شرع لهما.

في الحبس: [بسيط]

ما يدخُلُ السجنَ إنسانٌ فتسألُه ما بالُ سجنِك إلاّ قال مظلومُ(١)

وقال بعض المُحدَثِين: [منسرح]

إن الليالي التي شُغِفْتُ بها غَيَّبَها الدهرُ في تقلُّبِهِ
لله أمري ما مِلْتُ قطُّ إلى شيء بقَلْبِي إلاّ فُجِعْتُ به
عَرَفْتُ حظّي من الزمان فلا أُلُوم خَلْقاً على تجنُّبه
وكلُّ سَهْمٍ أعْدَدْتُه وَقَفَتْ به الليالي حتى زُمِيْتُ به

وحكي أن عبد الملك بن مروان أَتَوْهُ برجل من الخوارج فأراد قتله، فأُدخل على عبد الملك ٱبنٌ له صغير وهو يبكي؛ فقال الخارجيّ: دَعْهُ يا عبدَ الملك، فإن ذلك أَرْحَبُ لِشِدْقه، وأصحُّ لدماغه، وأذْهَبُ لصوته، وأجرى ألاَّ تأبى عليه عينه إذا حَفَزَتْهُ طاعةُ الله فٱستدْعَى عَبْرَتها؛ فأُعْجِبَ عبدُ الملك بقوله وقال له متعجِّباً: أَمَا يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟ فقال: ما ينبغي أن يشْغَل المؤمنَ عن قول الحق شيءٌ؛ فأمر عبدُ الملك بحبسه، وصَفَحَ عن قتله.

(١) تقدم ذكر هذا البيت في صحيفة ٧٩ من الجزء الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم والبيان

العلم

حدّثني الزياديّ قال: حدّثنا عيسى بن يُونس عن الأوزاعيّ عن عبد الله ابنِ سعد عن الصُّنَابِحِيّ عن معاوية بن أبي سفيان قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عن الأُغْلُوطات، قال الأوزاعيّ: يعني صِعَاب المسائل[١].

حدّثني سُهَيل بن محمّد عن الأصمعيّ قال: سمعت عِمْران بن حُدَير يُحدِّث عن رجل من أهل الشام قد سمّاه، قال: قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام: كيف رأيكم في أبي مُسلم الخَوْلانيّ[٢]؟ فقالوا: ما أحْسَنَ رأْيَنا فيه وأخْذَنا عنه! فقال: إنَّ أَزْهَدَ الناسِ في العالمِ أَهْلُه[٣]، وإنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ الحَمَّة[٤] تكونُ في القوم فَيَرْغَبُ فيها الغُرَباء، ويَزْهَدُ فيها القُرَباء، فبينَا ذلك

---

(١) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث؛ لأنه لا معنى لأن يَنْهي النبي عن صعاب المسائل، والأوجه ما فسّرها الزمخشري في كتابه أساس البلاغة مادة (غلط): «وهي المسائل التي يُغالَطُ بها».

(٢) أبو مسلم الخولاني هو عبد الله بن ثُوَب، تابعيٌّ وفقيه زاهد. أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ولم يَرَه. توفي سنة ٦٢ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٧٥.

(٣) ورد في مجمع الأمثال للميداني: «أزهدُ الناسِ في العالِمِ جيرانه».

(٤) الحَمَّةُ: عين ماء فيها حارٌّ يُسْتَشْفى بالغسل منه؛ قال ابن دريد: هي عُيَيْنَةٌ حارَّةٌ تنبع من الأرض يَسْتشفى بها الأعِلاّء والمرضى. وقد ورد هذا المثل في لسان العرب مادة (حمم) بأختلاف عمّا هنا ونصُّه:

«مَثَلُ العالِمِ مَثَلُ الحَمَّة يأتيها البُعَداءُ ويتركها القُرَباء، فبينا هي كذلك إذ أغار ماؤها وقد أنتفع بها قومٌ وبقي أقوام يتفكّنون أي يتندّمون».

غَارَ ماؤها، وأصاب هؤلاءِ مَنْفَعَتُها، وبَقِيَ هؤلاءِ يتفكَّنُون، أي يتندَّمون.

وفي الإنجيل أنَّ عيسى صلّى الله عليه لمَّا أراهم العجائب، وضرب لهم الأمثال والحكمة، وأظْهَرَ لهم هذه الآياتِ، قالوا: أليس هذا آبنَ النَّجّار! أَوَلَيْست أُمُّه مَرْيَمَ وأخُوه يعقوبَ ويوسفَ وشمعونَ ويَهُوذا وأخواته كلّهنّ عندنا! فقال لهم عيسى: إنّه لا يُسَبّ النبيّ ولا يُحَقَّر إلاّ في مدينته وبيئَتِه.

حدّثنا الرياشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: قيل لدَغْفَل النسّابة: بم أدْرَكْتَ ما أدركْتَ من العلم؟ فقال: بلسانٍ سَؤُول وقلبٍ عَقُول، وكنتُ إذا لَقِيْتُ عالِماً أخذْتُ منه وأعطيتُه.

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: حدّثنا العَلاَء بن أسلم عن رؤبة بن العجّاج قال: أتيت النّسابة البكريّ فقال لي: مَنْ أنت؟ فقلت: أنا آبن العجاج، قال: قصَّرت وعَرَّفْتَ، لعلك من قوم إنْ سكتُّ عنهم لم يسألوني، وإن تكلَّمْتُ لم يَعُوا عنّي، قلت: أرجو ألا أكونَ كذلك، قال: ما أعداءُ المُرُوءَة؟ قلت: تُخبرني، قال: بنو عَمِّ السوء إنْ رَأَوْا حسنا ستَرُوه، وإنْ رَأوا سيّئاً أذاعوه، ثم قال: إن للعِلْم آفةً وهُجْنةً ونَكداً، فآفَتُه نِسْيانُه، ونكده الكذبُ فيه، وهُجنته نشره عند غير أهله.

كان يقال: لا يَزَال المرءُ عالماً ما طَلَب العِلْمَ فإذا ظَن أَنْ قد عَلِمَ فقد جَهِلَ.

حدّثني شيخٌ لنا عن محمّد بن عُبيد عن الصَّلْت بن مِهْرَان عن رجل عن الشعبيّ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلَّم العِلْمَ لأربعةٍ دخل النار ليُباهِيَ به العلماءَ أو يمارِيَ به السفهاءَ أو يُمِيْلَ به وجوهَ الناس أو يأخُذَ به من الأمراء».

وحدّثني عن أبي معاوية عن حجّاج عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوماً إلاّ ظهرت ينابيعُ الحِكْمة من قلبه على لسانه». وقرأت في حِكَم لُقمان أنه قال لابنه: يا بُنَيَّ، أُغْدُ عالماً أو متعلِّماً أو مُستمِعاً أو مُحِبّاً، ولا تكن الخامِسَ فتهلك.

حدّثني محمد بن داود عن سُوَيد بن سعيد عن إسماعيل عن آبن عيّاش عن مُعَاذ آبن رِفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: قال النبيّ ﷺ: «يحمل هذا العِلْمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه يَنْفُون عنه تحريفَ الغالين وآنتحالَ المُبْطِلين وتأويلَ الجاهلين».

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال: قال عليّ عليه السلام: كَلِماتٌ لو رَحَّلْتم المَطِيَّ فيهنّ لا تُصِيبوهنَّ قبل أن تُدركوا مثلَهن: لا يَرْجُونَّ عبدٌ إلا ربّه، ولا يخَافَنَّ إلا ذنبَه، ولا يَسْتَحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي إذا سُئِل عمّا لا يَعْلَم أن يقول: الله أعلمُ. وآعلموا أنَّ منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأسُ ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان. وكان يقول: من حقّ العالِم عليك إذا أتيتَه أنْ تُسَلِّم على القوم عامّةً وتَخُصَّه بالتحية، وأنْ تَجْلِسَ قُدَّامَه ولا تُشِيرَ بيدك، ولا تَغْمِزَ بعينك، ولا تقولَ قال فلان خلافاً لقوله، ولا تَغتابَ عنده أحداً، ولا تسَارَّ في مجلسه، ولا تأخُذَ بثوبه، ولا تلُحَّ عليه إذا كَسَلَ، ولا تَغْرَضْ[1] من صحبته لك: فإنما هو بمنزلة النخلة لا يزال يسقط عليك منها شيء. وفيما قال عليّ عليه السلام: يا كُمَيْل[2]، العلم خير من

(١) لا تَغْرَضْ: لا تضجر.
(٢) هو كُمَيْل بن زياد النخعي، تابعي ثقة من أصحاب علي عليه السلام. توفي سنة ٨٢ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٣٤.

المال، لأنَّ العلم يَحرُسُك وأنت تحرُس المال، والمال تَنْقُصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق. وقال: قيمةُ كلِّ آمرىءٍ ما يُحسن. ويقال إذا أرذل[1] اللَّهُ عبداً حَظَر عليه العِلمَ. وقال الشاعر: [طويل]

يُعَدُّ رفيعَ القومِ من كان عالِماً[2] وإن لم يكن في قومه بحسيبِ
وإنْ حلّ أرضاً عاش فيها بعلمه وما[3] عالِمٌ في بلدةٍ بغريبِ

قال بُزُرْجمِهْر: ما ورَّثَتِ الآباءُ الأبناءَ شيئاً أفضلَ من الأدب، لأنها تَكتسِب المال بالأدب وبالجهل تُتْلفه فتقعُد عُدْما منهما. قال رجل لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار، وتتدارسون الآثار، وتتناشدون الأشعار، وَقَعَ عَلَيَّ النومُ؟ قال: لأنّك حِمارٌ في مسلاخ[4] إنسان.

خرج الوليدُ بن يزيد حاجّا ومعه عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنج فآستأذن عليه رجلٌ من ثَقِيف فأَذِنَ له وسَتَرَ الشِّطْرَنجْ بمندِيل، فلمّا دخل سلّم فسأله حاجَتَه؛ فقال له الوليد: أقرأتَ القرآن؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين! شَغَلَتْني عنه أمورٌ وهَنَات، قال: أفتعرف الفِقْه؟ قال: لا، قال: أفرَوَيْت من الشِّعر شيئاً؟ قال: لا، قال: أَفَعَلِمْتَ من أيام العرب شيئاً؟ قال: لا، قال: فكَشَفَ المِنديل عن الشِّطْرَنْج وقال: شاهك، فقال له عبد الله بن معاوية: يا أمير المؤمنين! قال: اسْكُت فما معنا أحد.

وفي كتاب للهند: العالِمُ إذا آغترب فمعه من عِلْمه كَافٍ، كالأسد معه

(١) أَرْذَلَهُ اللَّهُ: لم يَرْضَ عنه.
(٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٥): «عاقلاً» بدلاً من «عالماً».
(٣) في نفس المصدر والصفحة: وما عاقلٌ «بدل» وما عالمٌ».
(٤) المسلاخ: الجلد.

قوّته التي يَعِيش بها حيثُ تَوَجّه. وكان يقال: العلم أشرفُ الأحساب، والمودّةُ أشدُّ الأسباب، قال الشاعر: [منسرح]

الحِلْمُ والعِلْمُ خَلَّتا كَرَمٍ ... للمرءِ زَيْنٌ إذا هما آجتمعَا
صِنْوانِ لا يَستَتِمُّ حُسْنُهما ... إلا بجمعٍ لذا وذاك معَا
كم من وضيعٍ سما بهالعِلْمُ والـ ... حِلْمُ فنال العَلاَءَ وآرتفعا
ومن رفيعِ البنا أضاعَهُما ... أخمله ما أضاع فآتَّضعا

قال الأحنف: كادَ العلماءُ أن يكونوا أرْبابا، وكلُّ عزٍّ لم يُؤكَّد بعِلْم فإلى ذُلّ ما يصير. وقال آبن المُقفَّع: إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سُلْطانٍ فلا يُعْجِبَنَّك ذلك، فإنَّ زوال الكرامة بزوالهما، ولكنْ ليُعْجِبك إنْ أكرموك لِدِين أو أدب. وفي بعض الحديث المرفوع: «مَثَلُ العلماء في الأرض مَثَل النجوم في السماء». وكان يقال: إستُدِلّ على فضل العلم أنه ليس أحدُ يُحِبّ أنَّ له بحظه منه خَطَراً. قال يونس بن حبيب: عِلْمُك من رُوحك، ومَالُك من بَدَنك. قال أبو الأسود: الملوك حُكّامٌ على الناس، والعلماء حُكّامٌ على الملوك.

قيل لبُزُرْجمِهْر: العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء؟ فقال: العلماء، فقيل له: فما بالُ العلماء بأبواب الأغنياء أكْثَرُ من الأغنياء بأبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغِنَى وجَهْلِ الأغنياء بفضل العلم. وفي الحديث: «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلاّ في طلب العِلْم». قال آبن عبّاس: ذَلَلْتُ طالباً، فعزَزْتُ مطلوباً؛ وكان يقول: وجدْتُ عامّة عِلْم رسول الله ﷺ عند هذا الحيّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئْتُ أُذِن لي، ولكن أبتغي بذلك طِيب نفسه. وكان يقال: أوّلُ العلم الصَّمْتُ والثاني الاستماعُ، والثالث الحِفْظُ، والرابع العقل، والخامس نشرُه. ويقال: إذا جالَسْتَ العلماءَ فكنْ على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك على أن تقول. قال الحسن: مَنْ أحسنَ عِبادَةَ الله

في شبيبته لقاه الله الحكمة في سِنّه، وذلك قولُه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] قال بعض الحكماء من الصحابة: تقول الحِكمةُ: مَن ٱلتمسني فلم يَجِدْني فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم، وليترك أقبح ما يَعلم، فإذا فَعَلَ ذلك فأَنَا معه وإن لم يَعرِفْني. وكان يقال: لا يكون الرجلُ عالماً حتّى يكونَ فيه ثلاثٌ: لا يَحْقِرُ مَنْ دونه في العلم، ولا يَحسُد من فوقه، ولا يأخُذ على علمه ثَمناً. وقال ٱبن عُيينة: يُستَحَبّ للعالمِ إذا عَلَّم ألاّ يُعَنِّف، وإذا عُلِّم ألاّ يأْنَف. وفي كلامٍ لغَيْلان، لا تكن كعلماء زمن الهَرْج[2] إنْ عُلِّموا أَنِفوا وإنْ عَلَّمُوا عَنفُوا. وفي حكمة لُقْمان: إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ إلى علمه بالصَّمْت والوَقار، وإن العالمِ الأَخْرَق يَطْرُد الناس عن علمه بالهَذَر والإكثار. قال إبراهيم بن المنصور: سَلْ مسألةَ الحَمْقَى وٱحفَظْ حِفْظَ الأكياس. وأنشد ٱبن الأعرابيّ: [كامل]

مَا أقربَ الأشياءَ حينَ يَسُوقُها ... قَدَرٌ وأبْعَدَها إذا لم تُقْدَرِ
فَسَلِ الفَقِيهَ تكُنْ فقيهاً مثلَهُ ... مَن يَسْعَ في عملٍ بِفقْهٍ يَمْهَرِ
وتدبَّرِ الأمرَ الذي تُعْنى به ... لا خَيْرَ في عملٍ بغيرِ تدبُّرِ
فلقد يَجِدُّ المرءُ وهو مُقَصِّر ... ويَخِيْبُ جدُّ المرء غيرَ مُقَصِّرِ
ذَهَبَ الرجالُ المُقْتَدَى بفَعَالِهِمْ ... والمنكِرُون لكلّ أمرٍ مُنْكَرِ
وبَقِيْتُ في خَلَفٍ يُزَيِّن بعضُهُمْ ... بَعْضاً ليَدْفَعَ مُعْوِرٌ[3] عن مُعْوِرِ

(١) سورة يوسف ١٢، آية ٢٢. ولقد أضاف المؤلِّف، والأرجح الناسخ، كلمة «واستوى» على الآية الكريمة. ومعنى الآية: استكملت خصال يوسف عقلاً وجسماً، والمراد بالحكم هنا الحكمة، وهي وضع الشيء في مكانه المناسب.

(٢) الهَرْجُ: الفتنة.

(٣) المُعْوِرُ: من أعور الشيء إذا بَدَتْ عورته.

وقال الشاعر(١): [طويل]

شِفَـاءُ العَمَى طـولُ السؤالِ وإنّمـا   تمامُ العمى طولُ السكوتِ على الجَهْلِ

وقال بعضهم: خيرُ خِصال المرء السؤالُ. ويقـال: إذا جلسْتَ إلى عالم فَسَلْ تَفقُّهاً ولا تَسَـلْ تَعَنُّتا. قـال الحسن. مَن آستَتَر عَن الـطلَب بالحَيَـاء لَبِسَ للجهل سِرْبَاله، فقَطِّعُوا سَرَابِيلَ الحياء، فإنّه مَن رَقّ وجههُ رق عِلْمُه؛ وقال: إنِّي وجدْتُ العِلْم بين الحياءِ والسِّتْر. وقال الخليل؛ منزلـة الجهل بين الحيـاء والأَنَفة. وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بالخَيْبـة، والحياءُ بالحِرْمان، والحِكْمةُ ضالّةُ المؤمن فليَـطْلُبْها ولـو في يَدَيْ أهـلِ الشِّرك. وقـال عُرْوةُ بن الزُّبَيْر لبنيه: تعلّموا العلم فإنْ تكونوا صِغَارَ قومٍ فعسى أَنْ تكُونوا كِبَارَ قومٍ آخَرين، فيا سَوءَتَا ماذا أُقبِّح من جهـلٍ بشيخ! وكـان يقال: عَلِّم عِلْمَـك مَنْ يَجْهَل، وتَعَلَّم ممّن يَعْلَم، فإنّك إذا فعلتَ ذلك عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ وحَفِظْتَ ما عَلِمت.

قيـل لبُزُرْجمِهْـر: بِمَ أدركْتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقـال: بِبُكُورٍ كبُكُـور الغُرَاب، وحِرْصٍ كحـرص الخِنْزيـر، وصبر كصبـر الحِمَار. وقـال الحسن: طلبُ العلم في الصغر كالنَّقش في الحَجَـر، وطلبُ العلم في الكِبَـر كـالنقش على الماء. ويقال: التفَقُّه على غير علم كحِمار الطاحونة يدور ولا يَبْرَح. وفي الحديث المرفوع «ارحموا عزيزا ذَلَّ آرحموا غنياً آفتقر آرحموا عالماً ضاع بين جُهّال» ويقال: أحقّ الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حُكْمُ جاهل.

قال المسيح عليه السلام: يا بَني إسرائيلَ، لا تُلْقُوا اللؤلُؤَ إلى الخنازير،

---

(١) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٤٩ ط بولاق) وبعد البيت:

فكن سـائـلاً عـمّـا هنـاك فـإنـمـا   دُعِيْتَ أخـا عقـلٍ لتبحث بسالعقـلِ

ولقد وردت ترجمة بشار في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من.ص ٣١٠.

فإنّها لا تَصْنع به شيئاً، ولا تُعْطُوا الحكمة من لا يُريدها، فإنّ الحكمَة أفضلُ من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شرٌّ من الخنازير. قال ديمقراط: عالِمٌ معانِدٌ خيرٌ من مُنْصف جاهل. وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنصِفاً؛ وقد يكون العالمُ معانداً. قال سُفْيان: تَعَوَّذُوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر. قيل للحسن: الحرْفَةُ في أهل العلم: ولغيرهم الثَّرْوة، فقال: إنّك طلبْت قليلاً في قليل فأعجزك، طلبت المال وهو قليل في الناس، في أهل العلم وهم قليل من الناس. وقال الخريمي[1]: [بسيط]

لا تَنْظُرَنَّ إلى عَقْلٍ ولا أدبٍ إنّ الجُدودَ قريناتُ الحماقاتِ

وقال آخر: [بسيط]

ما آزددْتُ من أدبي حَرْفا أُسَرُّ به إلاّ تَزَيَّدْتُ حَرْفا تحته شُوْمُ
إنَّ المُقدَّم في جِذْقٍ بصَنْعته أنَّى تَوجَّه منها فهو محرومُ

وقال الطائيّ لمحمد بن عبد الملك: [طويل]

أبا جَعْفرٍ، إنَّ الجَهالة أُمُّها وَلُوْدٌ وأمُّ العلم جذّاءُ حائِلُ[2]

قال الثَّوْرِيّ: مَن طلب الرِّياسة بالعلم سريعا فاتَهُ عِلْمٌ كثيرٌ؛ وقال: يَهتف العلم بالعمل فإنْ أجابه وإلاّ آرتحل. قال بعض أهل العلم: يُغفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفَر للعالم ذنب واحد. قال بلال بن أبي بُرْدَة: لا يمنعنَّكُمْ سوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون. وقال الخليل بن أحمد[3]: [بسيط]

(١) في الأصل «الخزيمي» بالزاي وهو تصحيف. وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ من ص ١٣١ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) جَذّاء: من الجَذّ: وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل. والحائل: كل أنثى لا تحمل.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٢١٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

اعْمَـلْ بعلمي ولا تَنْـظُرْ إلى عملي ۝ يَنفَعْـكَ قولي ولا يَضْـرُرْكَ تقصيـري

كتب رجل إلى أخ له: إنّك قد أوتيْتَ علماً فلا تطفئنَّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم.

وقـال بعض الحكماء: لـولا العلمُ لم يُطْلب العمـل، ولـولا العمـلُ لم يُطلب العلم، ولأَنْ أَدَعَ الحقَّ جهلًا به أحبُّ إليَّ من أن أَدَعَه زُهْداً فيه. وقـال مالك بنُ دِينـار: إن العالِمَ إذا لم يَعْمَـل بعلمه زَلّت مـوعظتُـه عن القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ عن الصَّفَا.[1] ونحوه قـولُ زياد: إذا خـرج الكلامُ من القلب وَقَـعَ في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان.

ويقال: العلماءُ إذا عَلِمُوا كمِلوا، فإذا عَمِلوا شُغِلوا، فـإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبُوا فإذا طُلِبُوا هَرَبُوا. قال الحسن: ما أحسنَ الرجلَ ناطقـاً عالِمـاً ومُستَمعـاً وَاعِياً وواعيـاً عامِـلاً. وقال آبن مسعـود: إني لأَحسَب الرّجـل يَنْسَى العلمَ بالخطيئة يَعْمَلُها. وقال آبن عبّاس: إذا تَرَك العالمُ قولَ لا أدري أصِيْبَتْ مقاتِلُه. وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك: [متقارب]

إذا مـا تحـدَّثْتُ في مَجْلِسٍ ۝ تَنَاهى حديثي إلى ما علِمْتُ
ولم أعْـدُ علمي إلى غيـره ۝ وكـان إذا ما تنـاهى قَصَرْتُ

وقال آخر[2]: [طويل]

إذا مـا آنتهى عِلْمي تناهيتُ عنـده ۝ أطـال فـأَمْلَى أم تنـاهى فـأَقْصَـرا
ويُخْبِـرُني عن غـائبِ المـرءِ فِعْلُه ۝ كفى الفعـلُ عما غيَّبَ المـرءُ مُخْبِـرا

قال عمرُ بن الخطّاب: لا أدركتُ لا أنا ولا أنت زمـاناً يَتغـايَرُ النـاس فيه

---

(١) الصَّفَا: ج صَفَاة وهي الحجر الصَّلْد الضخم.
(٢) هو زيادة بن زيد كما في أدب الدنيا والدين ص ٦٦.

على العِلْم كما يتغايرون على الأزواج. قال سَلْمـان: علمٌ لا يُقال بـه ككنز لا يُنفَقَ منه. وفي الحديث المرفوع: «العلم علمان علمٌ في القلب فذلـك العلم النـافع وعلمٌ على اللسـان فذلـك حُجّةُ الله على آبن آدم» قـال عمـرُ بن عبـد العـزيز: مـا قُرِنَ شيءٌ إلى شيء أحسن من حِلْم إلى علم ومن عَفْـو إلى قُدْرة. قال أبو الدّرْداء: مَن يَزْدَدْ علما يَزْدَدْ وَجَعا.

قـال أفلاطـون: لولا أنَّ في قـولِ لا أعلم سبَباً لأَنّي أعلمُ لَقُلْتُ إنّي لا أعْلَمُ. وقال آخر: ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنّي لستُ أعلم.

قال الخليل بنُ أحمد: الرجـال أربعة: رجـلٌ يَدْرِي ويَـدْرِي أنّه يَـدْرِي فَسَلُوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يَدْرِي فذاك ناسٍ فذكّروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلّموه، ورجل لا يدري ولا يـدري أنه لا يدري فذلك جاهل فآرفُضوه.

كتبَ كِسْـرى إلى بُـزُرْجِمِهْـر وهـو في الحبس: كـانت ثمـرةُ علمـك أنْ صِرْتَ بها أهلا للحبس والقتل، فكتب إليه بُزُرجمِهْـر: أما مـا كان معي الجَـدّ فقد كنتُ أنتفِعُ بثمرة العلم فالآن إذ لا جَدَّ فقد صِـرْتُ أنتفع بثمـرة الصبر مـع أني إن كنْتُ فَقَدْتُ كثيرَ الخير فقد آسترحت من كثير الشرّ.

قـال بُـزُرْجمِهْـر: من صلح لـه العُمْـرُ صلح لـه التعلُّمُ. وقيــل لبعض الحكماء: أَيَحْسُنُ بالـرجل أن يتعلَّم؟ فقـال: إن كانت الجَهـالةُ تَقْبُـح به فـإنَّ العلم يَحْسُنُ به. ويقال: التودُّد زَيْن العلم.

قال عمرُ بن الخطّاب: ما من غاشية[1] أدْوَم أَرَقاً، وأبطأ شِبَعـاً من عالم. قـال مالـك بن دينار: مَن طلب العلم لنفسـه فـالقليـل منـه يكفي، ومن طلبـه

(١) الغاشية: السُّؤّال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك.

للناس فحوائجُ الناس كثيرةٌ.

قال إِبُّقْرَاطُ: العلم كثير، والعُمر قصير، والصنعةُ طويلة، والزمان جديد، والتجرِبة خطأ.

قال المسيح عليه السلام: إلى متى تَصِفُون الطرنفَ للمُدْلجين، وأنتم مقُيمون مع المتحيِّرين؟ إنما ينبغي من العلم القليلُ، ومن العمل الكثير. قال سَلْمان: لو حدَّثتُ الناسَ بكلّ ما أَعْلَمُ لقالوا رَحِمَ الله قاتِلَ سَلْمان. كان يقال: لا تقل فيما لا تعلم فتُتَّهَم فيما تَعْلَم. وكان يقال: العلم قائد، والعمل سائق، والنَّفْس حَرُون، فإذا كان قائدٌ بلا سائق بَلُدَتْ وإذا كان سائقٌ بلا قائد عَدَلتْ يميناً وشِمَالاً، فإذا آجتمعا أنابت طَوْعا وكَرْها. قال أَيُّوب: لا يَعرِف الرجلُ خطأَ مُعلِّمه حتّى يعرِفَ الاختلاف. ويقال: غَرِيزة العقل أُنْثى وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ ولن يصلُحَا إلاّ معاً.

قال المسيح عليه السلام: إن أَبْغضَ العلماء إلى الله رجلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بالمَغِيب، ويُوَسَّع له في المجالس، ويُدعى إلى الطعام، وتُفْرَغ له المَزَاوِد[1]، بحقٍّ أقولُ لكم: إنَّ أولئك قد أخذوا أُجُورَهم في الدنيا، وإنَّ الله يُضاعِف لهم العذابَ يومَ القيامة.

لما دُلِّيَ زيد بن ثابت في قبره قال آبن عبّاس: من سَرَّه أن يَرَى كيف ذهب العِلْمُ فهكذا ذَهَابُ العلم.

ويقال: إذا أردْتَ المحبة من الله فكن عالماً كجاهل. وقال بعضُ الشعراء في تَلاَقي العلماء: [منسرح]

(١) المَزاوِدُ: ج مِزْوَد وهو وعاء الزاد.

إذا تَـلاَقَـى الفُـيُـولُ[1] وآزْدَحَـمَـتْ فكيف حـالُ البَعُـوضِ في الـوَسَطِ؟

وقال آبن الرِّقاع: [كامل]

ولقـد أصبْتُ من الـمعيشـةِ لَـذَّةً ولَقِيْتُ من شَظَفِ الخُطوبِ شِدَادَها
وعَلِمْتُ حتّى لَسْتُ أسـأَلُ عـالِمـاً عن حَـرْفِ واحـدةٍ لكي أزدادَهـا

ويقال: أربعٌ لا يَأْنف منهنّ الشريفُ: قيامهُ عن مجلسه لأبيه، وخِدمتُه لضيفه، وقيامُـه على فَرَسـه وإن كان لـه مائـةُ عبدٍ، وخـدمته العـالِم ليأخـذَ من علمه.

قيل لعطاء بن مُصْعَب: كيف غَلَبْتَ على البرمكةِ وعنـدهم مَن هو آدب منـك؟ قال: ليس للقُـرَباء ظَـرَافَةُ الغُـرَباء، كنتُ بعيـدَ الدار، غـريبَ الاسم، عـظيمَ الكِبْر، صغيـر الجِرْم، كثيـر الالتِواء، شحيحـاً بالإمـلاء؛ فقرَّبني إليهم تَباعُدِي منهم، ورغَّبَهُمْ فيَّ رغبتي عنهم.

قال أبو يعقـوب الخريميّ[2]: تلقَّـاني سعيد بن وَهْب مـع طلوع الشمس فقلت: أين تُريد؟ قال: أَدُورُ لَعَلِّي أسمَعُ حديثاً حَسَناً، ثم تلقَّاني أَنَس بن أبي شيخ فقلت: أين تُريد؟ قال: عندي حديثٌ حَسَنٌ فـأنا أطلُب لـه إنسانـاً حَسَنَ الفهم حَسَنَ الاستمـاع، قلت: حـدِّثني بـه، قـال: أنت حَسَنُ الفهم سَيِّءُ الإستماع، وما أرى لهذا الحديث إلا إسمـاعيلَ بن غَـزْوَان. وقال الـطائيّ في نحو هذا: [وافر]

وكُنْتُ أَعَـزَّ عِـزّاً من قَنُـوعٍ تَعَـوَّضَـهُ صَفُـوحٌ من مَلُول

---

(١) الفُيُوْل: ج فيل.

(٢) في الأصل: الخزيمي بالزاي وهو تصْحيف، وقد تقدمت ترجمتـه في الحاشيـة رقم ٥ من ص ١٣١ من الجزء الأول من هذا الكتاب. وسبق وذكره ابن قتيبة في ص ٥ من هذا الجزء بالـراء وليس بالزاي.

فَصِـــرْتُ أَذَلَّ من معنىً دَقيقٍ ... بـــه فَقْـــرٌ إلى فَـهْـمٍ جَـلِـيـــلِ

كان يقال: إذا أردْتَ أن تكون عالماً فاْقصِـد لفنّ من العلم، وإذا أردْتَ أن تكون أديباً فَخُذْ من كل شيء أحسَنَه. قال إبراهيم[1] بن المهديّ: [بسيط]

قـد يُـرْزَقُ المـرءُ لم تَتْعَبْ رواحِلُهُ ... ويُحْرَمُ الرِّزقَ مَنْ لم يُـؤْتَ من تَعَبِ
مـعْ أنني واجِـدٌ في النـاس واحِـدَةً ... الـرِزْقُ أرْوغُ شيءٍ عن ذوي الأَدَبِ
وخَـلَّة ليس فـيهـا مَـن يُخـالـفني ... الـرزق والنَّوْك مَقْـرونـانِ في سَبَبِ[2]
يـا ثابِتَ العقـلِ كم عايَنْتَ ذا حُمُقٍ ... الرِّزْقُ أغـرى بـه من لازم الجَـرَبِ

قال أنو شِرْوان للمُوَبذ[3]: ما رأسُ الأشياء؟ قال: الطبيعة النقيّة تكتفي من الأدب بـرائحته ومن العلم بـالإشـارة إليـه، وكمـا يـذهب البَـذْر في السِّبـاخ[4] ضائعاً، كذلك الحكمة تموت بموت الطبيعـة، وكما تَغلِب السِّبـاخُ طيِّبَ البَذْر إلى العَفَن، كذلك الحكمـة تَفْسُد عنـد غير أهلهـا؛ قال كسـرى؛ قد صـدقْتَ وبحقٍ قلَّدْناكَ ما قلَّدناك.

قال بعضُ السلف: يكون في آخر الزمان علماء يُـزَهِّدون في الـدنيا ولا يَـزْهَدُون، ويُـرَغِّبون في الآخـرة ولا يَـرْغبـون، يَنْهَـوْن عن غِشيـان الـوُلَاة ولا يَنْتَهـون، يُقَـرِّبـون الأغنيـاء ويُبـاعـدون الفقـراء، ويَنْقبِضـون عنـد الحُقـرَاء، وينبسطون عند الكُبَراء: أولئك الجبَّارون أعداءُ الرحمن.

(١) إبراهيم بن المهديّ أخو هارون الـرشيد، ليس في أولاد الخلفـاء قبله أجود منـه شعراً، تـوفي سنة ٢٢٤ هـ. الأعلام ج ١ ص ٥٩ - ٦٠.
(٢) السَّبَبُ: الحَبْلُ.
(٣) المُوْبَذُ بضم الميم وفتح الباء ومثله المُـوْبَذَان: حـاكم المجوس وكـاهنهم، فارسيـة معرّبـة، والجمع مَوَابذة.
(٤) السِّباخ: ج سَبَخَة وهي أرضٌ ذات نزٍّ وملح.

نافع عن آبن عُمَر قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق؛ وسنةٌ ماضية؛ ولا أدري.

الكُتُب والحفظ

حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثني قريش بن أَنَس قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: اسْلَمْ من الوَحْدة، فقيل له: قد جاء في الوَحْدةِ ما جاء، فقال: ما أفسدَها للجاهل!. قال بعض الشعراء في قوم يَجمْعون الكُتُب ولا يَعْلَمون: [طويل]

زَوامِلُ[1] للأسفارِ لا عِلْمَ عندهُمْ بجيِّدِها إلا كعِلْمِ الأباعِرِ
لعمرُك ما يَدْري المَطِيُّ إذا غدا بأحمالها أَرْوَاحَ ما في الغَرَائر[2]

قال يحيى بن خالد: الناسُ يكتُبون أحسنَ ما يَسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتُبون، ويتحدّثون بأحسنِ ما يَحفظون. قال الشَّعْبيّ: لو أن رجلاً حفِظ ما نَسيْتُ كان عالماً، ووَصَف رجلٌ رجلا فقال: كان يَغْلَطُ في علمه من وُجوهٍ أربعةٍ: يَسمع غيرَ ما يُقال له، ويَحفَظ غيرَ ما يَسمع، ويكتُب غيرَ ما يحفَظ، ويُحدِّث بغير ما يَكْتُب.

قيل لأبي نُوَاس: قد بَعثُوا إلى أبي عُبَيدة والأصمعيّ ليُجْمَعَ بينهما، فقال: أمّا أبو عُبَيدة فإن أمْكَنوه من شُقَرِهِ[3] قرأ عليهم أَساطيرَ الأوّلين؛ وأما الأصمعيّ فبُلْبلٌ في قَفَصٍ يُطرِبهم بَنغمَاته.

---

(١) الزَّوامل: ج زاملة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها.
(٢) الغرائر: ج غِرارة وهي ما يُحْمَلُ فيه التبن ونحوه.
(٣) الشُّقَرُ: الكذب، وفي المثل: «جاء بالشُّقَر والبُقَر» أي جاء بالكلام المُغيِّر عن وجه الصدق.

القرآن

حدّثني الزِّياديّ قال: حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد عن الجُرَيْرِيّ عن عبد الله بن شقيق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يَكْرَهون بَيْعَ المصاحِف ويَرَوْنه عظيماً، وكانوا يَكْرهون أن يَأْخُذَ المعلِّمُ على تعليم الغِلْمان شيئاً.

حدّثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهليّ عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ عليه السلام قال: مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة رِيحُها طَيِّب وطعمُها طيِّب؛ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التَّمْرة طعمُها طيِّب ولا رِيحَ لها؛ ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الرَّيْحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ؛ ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحَنْظَلة طعمها مُرٌّ ولا رِيحَ لها.

وحدّثني محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية ولَيْث بن أبي سُلَيم عن نافع عن ٱبن عُمَر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُسَافروا بالقرآن إلى أرض العدُوّ فإني أخاف أنْ يَناله العدُوّ.

حدّثني أبو سفيان الغَنَوِيّ قال: حدّثنا عُمَير بن عِمْران العَلّاف قال: حدّثنا خُـرَيمة ٱبن أسد المُرِّي قال: كان سعيدُ بن المُسيِّب يَستفتح القراءة بـ ﴿بسمِ ٱللَّهِ ٱلرحمنِ ٱلرحِيم﴾ ويقول: إنها أوّلُ شيءٍ كُتِب في المصحف، وأوّل الكُتُب، وأوّل ما كَتَبَ به سُليمانُ بن داود إلى المرأة(١).

وحدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: حدّثنا رجل عن عِمْران بن حُدَيْر قال: قرأت على أعرابيّ آخرَ سُورة «براءة» فقال: كان هذا من آخر

(١) المرأة هي بِلْقِيس بكسر الباء والقاف: ملكة سبأ، وقصتها معروفة.

ما نَزَل. قالوا: كيف؟ قال: أرى أشياء تُقْضَى وعُهوداً تُنْبَذُ. قال: وقرأتُ عليه سُورة الأحزاب فقال: كأنها ليس بتامّة.

حدّثني محمدُ بن عُبيد قال: حدّثنا سفيانُ بن عُيَينَة عن آبن أبي نَجِيح عن مجاهد قال: قال آبن مسعود: (حَم) دِيباج القرآن، قال: وزاد فيه مِسْعَر[١]، قال عبد الله: إذا وقعْتُ في آل (حم) وقعتُ في رَوْضات دَمِثات[٢] أتأنّق فيهنّ.

حدّثني شيخٌ لنا عن المحُاربيّ قال: حدّثنا بكر بن خُنَيس عن ضِرَار بن عَمْرو عن الحسن قال: قُرّاءُ القرآن ثلاثةٌ: رجلٌ آتّخذه بِضَاعةً ينقُلُه من مصر إلى مصر، يطلُب به ما عند الناس؛ وقومٌ حَفِظوا حروفَه، وضيَّعوا حُدودَه، وآستدرُّوا به الوُلاَة، وآستطالوا به على أهل بلادهم - وقد كَثَّر الله هذا الضَّرْبَ في حَمَلة القرآن لا كثَّرهم الله - ورجلٌ قرأ القرآن فَبَدَأ بما يَعْلَم من دَواء القرآن فوضَعه على دَاءِ قلبِه، فسَهِر ليله وهَمَلَت عيناه، تَسَرْبَلوا[٣] الخُشُوعَ، وارتدَوْا بالحُزْن، ورَكَدُوا في محاريبهم، وجَثَوْا في بَرَانِسهم[٤]، فبهم يسقي الله الغَيْثَ، ويُنْزِل النَّصر، ويَرْفَعُ البَلاءَ، واللّهِ لهَذَا الضَّرْبُ في حَمَلَة القرآن أقلُّ من الكِبْرِيت الأحمر. رَوَى الحارثُ الأَعْورُ عن عليّ عليه السلام عن النبيّ ﷺ أنه قال: كتاب الله فيه خَبَرُ ما قبلكم ونبأُ ما بعدكم وحُكْمُ ما بينكم، وهو الفصلُ ليس بالهَزْل، هو الذي لا تُزِيغُ به الأهواء ولا تَشْبَع منه العلماء ولا

(١) هو مِسْعَرُ بن كِدام العامريّ، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٣١٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) دَمِثاتٌ: سهلة ليِّنة.

(٣) المقام هنا يقضي الإفراد وليس الجمع بواو الجماعة وذلك لقوله: «ورجل قرأ القرآن... الخ».

(٤) البرانس: ج بُرْنس وهو قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام، وكل ثوب رأسه ملتزق

يَخْلُق عن كثرة الردّ ولا تَنْقَضِي عجائبُه، هو الذي مَنْ تركه مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله ومَن آبتغى الهُدَى في غيره أضلَّه الله، هو حَبْلُ الله المتين والذِّكر الحكيم والصراط المستقيم خذها إليك يا أعور.

المُحارِبيّ قال: حدّثنا مالكُ بن مِغْول عمّن أخبره عن المُسَيَّب بن رافع عن عبد الله آبن مسعود قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرَف بليلِهِ إذ الناسُ نائمون، وبِحُزنه إذ الناس يَفْرَحون، وببكائه إذ الناس يَضْحَكُون؛ وينبغي لحاملِ القرآن أن يكون عليماً حكيماً ليِّناً مُستَكِيناً.

وكيع عن أبي مَعْشر المَدِيني عن طلحة بنِ عبيد الله بن كَريز قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ مِنْ تعظيم جَلَال الله إكرَامَ ذي الشَّيْبَة في الإسلام وإكرامَ الإمام العادل وإكرامَ حامل القرآن. قال بعضُ المفسرين في قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1] أحْرِمُهُم فَهْم القرآن.

سَمِع أعرابيّ آبن عباسٍ وهو يقرأ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم منْهَا﴾[2] فقال: واللّهِ ما أنقذهم منها وهو يريد أن يُدخِلَهم فيها؛ فقال آبن عباس: خُذْها من غير فقيه.

الحديث

حدّثني إسحاقُ بنُ[3] إبراهيمَ بن حبيب بن الشَّهيد قال: حدّثنا محمد بن

(١) سورة الأعراف ٧، آية ١٤٦. أي أن الله سبحانه يحفظ دينه الحق. ويظهره على الشرك كله، ويصرف عنه الجبابرة الطغاة الذين يحاولون إبطاله جاهدين. التفسير المبين.

(٢) سورةآل‌عمران٣، آية ١٠٣. والمعنى: كنتم على حرفها وحافتها فأنقذكم منها بالإسلام. التفسير المبين.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد المذكور آنفاً في هذه الصفحة.

فُضيْـل عن الأعْمش قـال: كـان إسمـاعيـلُ بن رَجَـاء يجمع صِبْيـانَ الكُتَّـاب فيُحدِّثهم كيلا يَنْسَى حَدِيثَه. وحدّثني إسحاق الشَّهيديّ قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال: قـال لي حبيب بن أبي ثابت: لـو أنّ رجـلاً حـدَّثني عنك بحديثٍ ما بالَيْتُ أن أَرْوِيه عنك.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن نافع عن ربيعة بن أبي عبـد الرحمن قال: أَلْفٌ عن أَلفٍ خيرٌ من واحدٍ عن واحدٍ إنَّ فلاناً عن فلانٍ يَنْتَزِع السُّنَّةَ من أيديكم.

حدّثني الريـاشيّ قال: رُوِي عن محمـد بن إسماعيـل عن مُعْتَمِر قـال: حدّثني مُنْقذٌ عن أيُّوب عن الحسن قال: وَيْحٌ: رَحْمة.

حدّثنا الرياشيّ قال: رَوى ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سُهَيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هُرَيرة أنَّ رسول الله ﷺ قَضَى باليمين مع الشاهد؛ قال ربيعة: ثم ذاكرْتُ سُهَيْلا بهذا الحديثِ فلم يَحفظه، فكان بعد ذلك يَرْوِيه عنّي عن نفسه عن أبيه عن أبي هُرَيرة.

حـدّثني أبو حـاتم عن الأصمعيّ عن شُعْبة قـال: كـان قَتَـادَةُ إذا حـدّث بالحديث الجيِّد ثم ذهب يجيء بالثاني غُذْوَةً.

بلغني عن ابن مَهْديٍّ قال: سئل شُعْبَةُ؛ مَن الذي يُتْرَكُ حـديثُه؟ فقـال: الذي يُتَّهم بالكَذِب، ومن تكثَّر بالغَلَط، ومن يُخطِىء في حـديث مُجْمَع عليـه فـلا يَتَّهِمُ نفسَـه ويُقيم على غَلَطِه، ورجـلٌ رَوَى عن المعـروفين مـا لا يَعْـرفـه المعروفون.

وعن مـالك أنـه قال: لا يُؤخَـذُ العلمُ من أربعة: سفيـهٍ معلَن بـالسفـه، وصـاحبِ هَوًى، ورجـلٍ يَكـذب في أحـاديثِ النـاس وإن كنْتَ لا تَتَّهمـه في

الحديث، ورجل له فضل وتعفّف وصلاح لا يعرف ما يُحدّث.

حدّثني عبدُ الرحمن عن الأصمعيّ أنه رَثَى سفيان[1] بن عُيينة فقال: [بسيط]

فَلْيَبْكِ سُفْيانَ باغي سُنَّةٍ دَرَسَتْ ... ومُسْتَبِيتُ أثاراتٍ وآثارِ[2]
ومُبْتَغِي قُرْب إسنادٍ وموعظةٍ ... وأَفَقِيُّونَ[3] من طَارٍ ومن طارِ
أَمْسَتْ مجالِسُه وَحْشاً مُعَطَّلَةً ... من قاطِنين وحُجّاجٍ وعُمَّار
مَن للحديث عن الزُّهريِّ حين ثَوَى ... أو للأحاديثِ عَنْ عَمْرِو بن دينارِ[4]
لن يَسمَعُوا بعده مَن قال حدّثنا الـ ... ـزّهريُّ من أهل بَدْوٍ أو بإحْضارِ
لا يَهنأُ الشامِتَ المسرُورَ مَصْرَعُه ... من مارِقِينَ ومِن جُحَّاد أقدار
ومِن زَنادِقةٍ، جَهْمٌ[5] يَقُودهم ... قَوْدا إلى غَضَبِ الرحمنِ والنار
ومُلْحِدِيْن ومُرْتابين قد خَلَطُوا ... بِسُنَّة الله أَهتارا بأَهْتَارِ[6]

---

(١) سفيان بن عيينة الهلالي إمامٌ عالمٌ زاهدٌ وَرِعٌ، حجَ سبعين حجّة. توفي بمكة سنة ١٩٨ هـ. وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٣.

(٢) المُسْتَبِيْتُ: الفقير، والمراد به هنا الطالب. وأثارات: ج أثارة وهي البقيّة من العلم تؤثر. وآثار: ج أثر وهو الخبر.

(٣) أَفَقِيُّون: ج أُفُقي نسبة إلى الآفاق أو إلى الأفق.

(٤) الزُّهْري هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدّثين والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري توفي سنة ١٢٤هـ وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩. وعمرو بن دينار الجمحي مفتي مكة، فارسي الأصل، وكان أُتّهم بالتشيّع وكان من أشد الناس إتقاناً للحديث. قال ابن المديني: له خمسماية حديث. توفي بمكة سنة ١٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٧.

(٥) هو جَهْم بن صَفْوان السمرقندي، رأس «الجهمية». قال الذهبي: الضالُّ المبدع. قتله نصر بن سيّار سنة ١٢٨ هـ. ومن عقائد الجهمية أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط دون سائر الطاعات، وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلّا الله، وأن الإنسان مُجْبَرٌ على أفعاله. الأعلام ج ٢ ص ١٤١.

(٦) الأهتار: ج هِتْر وهو السَّقَطُ.

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه: [كامل]

يَأْبَى الجَوَابَ فمـا يُراجَـعُ هَيْبَـةً ... والسـائلون نَـواكِسُ الأذْقـانِ
هَـدْيُ التقـيِّ وعِـزُّ سلطان التُّقَـى ... فهـو المُطاع وليس ذَا سُلْطانِ(١)

حدّثنا أبو الخَطَّاب قال: حدّثنا محمد بن سَوَّار قال: حدّثنا هِشام بن حَسّان قال: كان الحسن يُحدِّثنا اليومَ بالحديث ويرُدُّه الغَدَ ويزيد فيه وينقُص إلا أن المعنى واحد.

حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا ميمون قال: حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال حُذَيْفَةُ بن اليَمَان: إنّا قومٌ عَرَب فنقدِّم ونؤَخِّر ونَزيد ونَنْقُص، ولا نُريد بذلك كَذِبا.

أبو معاوية قال: قال أبو إسحاق الشاميّ: لو كان هذا الحديث من الخُبْز نقص.

أبو أُسَامة قال: قال مِسعر: من أبغضني فجعله الله محدِّثاً. أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: والله لأنْ أتصدَّق بِكِسْرة أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتحدَّث بستين حديثاً.

أبو أُسامة قال: سمعت سُفْيانَ يقول لَوَدِدْتُ أنها قُطِعَتْ من هامتي، وأَوْمَأ إلى المَنْكِب، وأني لم أسْمَع منه شيئاً.

قال ٱبن عُيَينة: ما أُحِبُّ لِمَنْ أُحِبّ أن يكون أحفَظ الناسِ للحديث.
قال بعضهم: إنّي لأَسْمع الحديثَ عُطلا فأُشَنِّفه وأُقرِّطُه وأُقلِّده فَيحسُن، وما زدتُ فيه معنى، ولا نقصْتُ منه معنى.

أبو أسامة قال: سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده إلى الحائط وقال: هذا إسناده.

وحدَّث ٱبن السَّمَّاك بحديثٍ فقال له رجلٌ: ما إسنادُه؟ فقال: هو من

(١) تقدم هذان البيتان في ص ٢٩٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

المُرْسَلاتِ عُرْفاً. وحدَّث الحسن بحديث فقال له رجلٌ: يا أبا سعيد، عمَّن قال وما يصنع بعمَّن؟ أمّا أنت فقد نالَتْك موعِظتُه، وقامت عليك حُجَّتُه.

يَعْلَى قال: قال الأعمش: إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببْتُ أن أصْفَعَه.

ابن عُيينة قال: قال الأعمش: لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنْتُ كبعض بَقَّالي الكُوفة.

إزدحم الناس يوماً على باب آبن عيينة أيام المَوْسِم وبالقُرب منه رجلٌ من حاجِّ خُراسَان قد حطّ بمَحْمِله فَدِيْسَ وكُسِرَ ما كان معه وآنتُهِبَ كَعْكُه وسَوِيقُه، فقام يسيرُ إلى سفيانَ يدعو ويقول: إني لا أُحِلُّ لك ما صَنَعْتَ؛ فقال سفيان: ما يقول؟ فقال بعضهم: يقول لك: زِدْنا في السَّماع رحمك الله.

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ للعَلاء بن المِنْهَال الغَنَوِيّ في شَرِيك[1]: [وافر]

فليت أبا شَرِيكٍ كان حيّاً ... فيُقْصِرَ حين يُبصِرُه شَرِيكُ
ويَتْرُكَ مِنْ تَدَرِّيه علينا ... إذا قلنا له هذا أبوكَ[2]

وقال آخر: [طويل]

تحرَّزَ سُفيانُ وفرَّ بدِيْنِهِ ... وأمسى شَرِيْكٌ مُرْصَداً للدراهِمِ

وقال آخر[3] في شَهْرِ بن حَوْشَبٍ: [طويل]

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٨ من ص ٦٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
(٢) ورد هذان البيتان في صحيفة ٦٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب، فأنظر شرحهما هناك.
(٣) الشاعر عُمَيْر بن شُيَيْم التغلبي الملقب بالقُطامي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب. ومشهرُ بن حَوْشب فقيه قارىء، من رجال الحديث، شامي الأصل، سكن العراق. وكان يتزيّا بزي الجند. ولي بيت المال مدة وكانت وفاته سنة ١٠٠ هـ. ومن الأمثال: خريطة شهر (والخريطة هي الكيس الذي يخرط على ما =

لقـد بـاع شهـرُ دِيْنَهُ بخَـرِيطةٍ فمن يأمنِ القُرّاءَ بعـدكَ يا شهـرُ؟

وذلـك أنه كـان دخل بيت المـال فسَرَق خَـرِيطةً، ورافق رجـلاً من أهل الشام فَسَرق عَيْبَتَه. وقال آبن مُنَاذِر[١]: [وافر]

ومن يَبْغِ الوَصَـاةَ[٢] فـإنَّ عِنْـدي وَصـاةً لـلكُهُـول ولـلشَّبـابِ
خُـذُوا عن مالـكٍ وعنِ آبنِ عَـوْنٍ ولا تَـرْوُوا أحـاديثَ آبن دَأب[٣]

عبد العزيز بن أَبَان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قـال: طلبنا هـذا الأمر وما لنا فيه نِيّة، ثم إنَّ النِّية جاءت بعدُ؛ فقال سفيان: قال زيد بن أسْلَم: رأيتم رجلاً مدّ رِجله فقال: اقطعوها سوف أَجْبُرها. قيل لرَقَبَة: ما أكثر شَكّكَ! فقـال: محامـاة عن اليقين؛ وقال بعضهم: سـأل شُعْبَةُ أيُّـوب السِّخْتِيَـانيّ عن حديث فقال: أنا أشُكُّ، فيه فقال: شَكُّكَ أحبُّ إليَّ من يقينِ سبعة.

حـدّثني زيـد بن أخـزم قـال: سمعْتُ عبـد الله بن داود يقـول: رأيْتُ الأعمشَ يَضُمُّ كفَّيه ثم يَضرِب بهما صَدْرَه ويقول: أُسكُنْ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدَّثني بعضُ الرُّواة قـال: قلْتُ للشَّرَقي بن قُطَامي: ما كانتِ العربُ تقول في صلاتها على مـوتاهـا؟ فقال: لا أدري، فأَكْذِب له؟ فقلت: كانوا يقولون: [طويل]

= يشتمل عليه) يضرب فيما يختزله القراء والفقهاء من خـرائط الودائـع وأموال النـاس. قيل إن شهراً باع دينه مقابل الأَجْر الذي يتقاضاه لقاء ولايته على بيت المال، إذ كان راتبه يُـرْسل إليـه في خريطة. أنظر ترجمته وبيته المذكور في الأعلام ج ٣ ص ١٧٨.

(١) هو محمد بن منـاذر اليربـوعي، وقد مـرت ترجمتـه في الحاشيـة رقم ٧ من ص ٦٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) الوَصَاةُ: الوصيّة.

(٣) هو عيسى بن دَأب الليثي البكري الكنـاني، خطيب شـاعر راويـة، من أهل المـدينة. اتهمـوه بوضع الشعر وأحاديث السمر وكانت وفاته سنة ١٧١ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١١١.

مـا كنتَ وَكْـوَاكـاً ولا بـِزَوَنّـكٍ رُوَيْدَكَ حتّى يَبْعَثَ الحَقَّ باعِثُـهْ(١)

وَكْـوَاك: غليظ، وزَوَنَّك: قصيـر؛ قـال: فـإذت أنـا بـه يُحـدّث بـه في المقصورة يومَ الجمعة؛ قال أبو نُوَاس: [منسرح]

حَـدَّثني الأزرقُ المُحَدِّثُ عن عَمْرو بنِ شَمْرٍ عنِ آبن مسعودِ
لا يُخْلِفْ الوعدَ غيـرُ كافـرةٍ(٢) وكـافـرٍ في الجحيم مَصفُــودِ

حدّثني مهْيَار قال: حدّثني هُدْبَةُ بن عبـد الوهـاب عن شَقيق البَلْخِيّ أنه أطرى يوماً أبا حنيفة رحمه الله بمَـرْو فقال لـه عليّ بن إسحاق: لا تُـطْره بمَرْوٍ فإنهم لا يحتملون ذلك؛ ففال شَقِيق: قد مَدَحه مُساوِرٌ(٣) الشاعر فقال: [وافر]

إذا ما الناسُ يوماً قَايَسُوْنا بآبِدَةٍ من الفُتْيَـا ظَرِيفَـهْ(٤)
أتينـاهُمْ بمقْيـاسٍ صحيـح تِـلادٍ(٥) من طِـرَاز أبي حنيفــه
إذا سَمِـع الفقِيـهُ بهـا وعـاهـا وأثْبَتَهــا بحِبْـرٍ في صحيفــه

فقال له: قد أجابه بعض أصحابنا: [وافر]

إذا ذُو الرَّأي خَاصمَ في قِياسٍ وجـاء ببِـدْعَــةٍ هَنَـةٍ سَخِيْفَــهْ
أتـينــاهُـمْ بقــولِ الله فـيهــا وآثــارٍ مــبَــرَّزة شــريــفــه
فكم من فَـرْجٍ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ أُحِــلَّ حـرامُــه بـأبي حنيفــه

(١) ورد هذا البيت في لسان العرب مادة (زنك) لامرأة ترثي زوجها فتقول:
ولَــسْــتَ بـنَوْكَـواكٍ ولا بَـزِوَنَّـكٍ مكـانَـكَ حتى يبعثَ الخلقَ بـاعِثـهْ
أي لست غليظاً ولا قصيراً.

(٢) الكافرة: الجاحدة.

(٣) هو مُساور بن سوار بن عبد الحميد الكوفي، كان ورّاقاً ينسخ الكتب. روى الحديث وله أخبار وأشعار كثيرة. توفي نحو ١٥٠ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢١٣.

(٤) ورد عجز هذا البيت في العقد الفريد (ج ٥ ص ٣٠٤) هكذا:
بـمـسـألـةٍ مـن الـفُـتْـيـا طـريـفَـه

(٥) ورد هذا في المصدر السابق ونفس الصفحة: «بديعٍ» بدلاً من «تِلادٍ».

أقــال أبــو حنيفــة بِنْتَ صُلْبٍ تكون من الزِّنا عُرْساً صحيحه

سَمِع رجلٌ منادياً يُنادِي: من يَدلُّنـا على شيخ ضـلّ؟ فقال: مـا سمعْتُ كاليوم شيخٌ يُنادَى عليه؛ ثم جاء به إلى بشر المِرِّيسِيّ فقال: هذا شيخ ضـالٌّ فَخُذْ بيده؛ وكان بِشْرٌ يقول بخَلْق القرآن.

الأهواء والكلام في الدِّين

قال المأمونُ يومـاً لعليّ بن موسى الـرِّضى عليهما السـلام: بم تدّعـون هذا الأمر؟ قـال: بقرابـة عليّ من النبي ﷺ، وبقرابـة فاطمـة رضي الله عنها؛ فقال المأمـون: إن لم يكن ها هنـا شيء إلا القرابـة ففي خَلَفِ رسول الله ﷺ من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليـه من عليّ، ومَنْ هو في القـرابة مثلُه؛ وإن كـان بقرابة فـاطمةَ من رسـول الله، فإنَّ الحقّ بعـد فاطمـةَ للحَسَن والحُسَين وليس لعليّ في هذا الأمر حقٌّ وهما حَيّان؛ وإذا كـان الأمر على ذلـك، فإنَّ عليّـاً قد ٱبتزَّهما جميعاً وهما حَيَّانِ صحِيحان، وٱستولى عليّ على ما لا يَجِبُ لـه؛ فما أحارَ[1] عليٌّ بن موسى نطقا.

حدّثنا الرِّياشيّ قال: سمعت الأصمعيَّ ينشد: [طويل]

وإنِّـي لأَغْنَـى النـاسِ عـن مُتَـكلِّمٍ يَـرَى الناسَ ضُـلَّالاً وليس بِمُهْتَـدِي

وأنشدني أيضاً الرياشيّ: [بسيط]

وعــاجـزُ الــرَّأْيِ مِضْيَـاعٌ لفُـرْصَتِـه حتى إذا فـات أَمْـرٌ عــاتبَ القَـدَرا[2]

---

(١) أحار نُطْقاً: ردَّ جواباً.

(٢) تقدم هذا البيت ص ٣٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

وقال آخر: [طويل]

إذا عُيِّروا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ ... وما العارُ إلّا ما تَجُرُّ المَقادِرُ

وأنشدني سَهْلُ عن الأصمَعِيّ: [رجز]

يا أيها المُضْمِرُ هَمّاً لا تُهَمّ ... إنَّك إنْ نَقْدِرْ لك الحُمَّى تُحتَمّ

ولو غَدوتَ شاهِقاً من العَلَم ... كيف تَوَقِّيْكَ وقد جَفَّ القَلَمْ[1]

وأنْشَدني غيرُه: [رجز]

هِيَ المقاديرُ فَلُمْنِي أو فَذَرْ ... إنْ كُنْتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ

قال أبو يوسف: مَن طَلَب الدِّين بالكلام تزَندَق، ومَن طلب المال بالكِيمْيَاء أفْلَس، ومَن طَلَب غرائِبَ الحديث كَذَب. كان مُسْلِمُ بنُ أبي مَرْيم - وهو مَوْلىً لبعض أهل المدينة وقد حُمِل عنه الحديثُ - شديدا على القَدَرِيّة[2]، عائباً لهم ولكلامهم، فانكسَرتْ رِجلُه فتركها ولم يَجْبُرها، فكُلِّم في ذلك فقال: يَكْسِرها هو وأَجْبُرها أنا! لقد عاندته إذاً. قال رجل لهِشَام بن الحَكَم: أترى الله عزّ وجلّ في فضله وكَرَمه وعَدْله كَلَّفَنَا ما لا نُطيق ثم يُعَذِّبنا؟ فقال هِشام: قد، واللّهِ، فَعَل، ولكننا لا نَسْتَطيع أن نتكلّم.

حدّثني رجلٌ من أصحابنا قال: صاحَبَ رجلٌ من القَدَرِيّة مَجُوسِيّاً في

(١) العَلَمُ: الجبل. والشاهق: ما ارتفع من الجبل. وقد تقدم هذان البيتان في صحيفة ١٤٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) القَدَرِيَّةُ قوم يجحدون القدَرَ، وينسبون التكذيب بما قدَّر اللّهُ من الأشياء، ويقولون بحرية الإرادة معارضين الفكرة الشائعة بأن الإنسان مُسَيَّرٌ لا مُخيَّر، كما يذهبون إلى القول بأن كل عبدٍ خالقٌ لفعله، ولا يَرَوْن الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. وأول من سبق الناس قولاً بالقدر هما مَعْبَد الجُهَني وغَيْلان الدمشقي. أنظر فجر الإسلام ص ٢٨٣ - ٢٨٦، وتهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ق ٢ ص ٨١ - ٨٢) ولسان العرب مادة (قدر) ومحيط المحيط مادة (قدر) أيضاً.

سَفَر فقال له القَدَرِيُّ: يا مجوسيُّ، مالك لاَ تُسْلِم؟ قال: حتى يَشَاء الله! قال: قد شاء اللَّهُ ذلك، ولكنَّ الشيطانَ لا يَدَعُك، قال المجوسيّ: فأنا مع أقواهما.

اجتمع أبو عَمْرو بن العَلاَء وعمرو بن عُبَيد فقال عمرو: إن الله وَعَدَ وَعْداً وأَوْعَد إيعاداً وإنه مُنْجِزٌ وعْدَه ووعيدَه. فقال له أبو عَمْرو: أنت أَعْجَم! لا أقولُ إنّك أَعْجَمُ اللسان، ولكنك أعجم القَلْب! أما تعلم، وَيْحَكَ! أن العرب تَعُدُّ إنجاز الوَعْد مَكْرُمة، وتَرْكَ إيقاع الوعيد مَكْرُمة؟ ثم أنشده: [طويل]

وإنِّي وَإنْ أَوْعدْتُهُ أو وَعدْتُهُ لَمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ مَوْعدي

حبيب بن الشهيد قال: قال إياسُ[1] بن معاوية: ما كلَّمتُ أحداً بعَقْلي كلِّه إلا صاحِبَ القَدَر؛ قلت: ما الظلمُ في كلام العرب؟ قال: هو أن يأْخُذ الرجلُ ما ليس له؛ قلت: فإن الله له كلّ شيء.

وفي كتاب للهند: اليقينُ بالقَدَر لا يَمنعُ الحازِمَ تَوَقِّيَ المهالك، وليس على أحدٍ النَّظرُ في القَدَر المُغَيَّب، ولكن عليه العمل بالحَزْم، ونحنُ نجْمَع تصديقاً بالقدَرَ وأَخْذاً بالحَزْم.

حدّثني خالد بن محمد الأَزْديّ قال: حدّثنا شَبَابَةُ بنُ سَوَّارٍ قال: سَمِعْتُ رجلاً من الرافضة[2] يقول: رحِمَ الله أبا لُؤْلُؤَة! فقلت: تَتَرحّم على رَجُلٍ

١٤٣

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٧٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) الرافضة فرقة من الشيعة، سُمُّوا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي المقتول بخراسان. قال الأصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: إبْرَأْ من الشيخين (أبي بكر وعمر) نقاتل معك، فأبى وقال: كانا وزيرَيْ جدِّي (الحسين عليه السلام) فلا أَبْرَأُ منهما، فرفضوه وأرفضوا عنه فسمُّوا رافضة، والنسبة رافضي. لسان العرب ومحيط المحيط، مادة (رفض) وقال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٤) إنما قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعليّ ولم يرفضهما أحد من أهل الأهواء غيرهم.

مَجُوسيّ قتل عُمَرَ بنَ الخَطّاب رضي الله عنه! فقال: كانت طَعْنَتُه لِعُمَر إسلامَه.

حدّثني أحمدُ بن الخليل قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: أخبرني عاصم بن محمد العُمَريّ قال: كنْتُ جالساً عند أميرٍ من أُمراء المدينة فأُتِيَ برجلٍ شَتَم أبا بكر وعُمرَ فأسلمه حَجّاما حتى حَذِقَ.

وقال بعضُ شعراء[1] الرافِضة في محمد بن الحَنَفِيّة[2]: [وفر]

ألا قُلْ للوَصِيِّ[3] فَدتْكَ نفسِي ... أَطَلْتَ بذلك الجَبَلِ[4] المُقَامَا
أَضَرَّ بمعشرٍ وَالَوْكَ منّا ... وسَمَّوْك الخَلِيفَةَ والإمَامَا
وعَادَوْا فيك أهلَ الأَرْض طُرّاً ... مُقامك عنهمُ ستين عاما
وما ذاق آبنُ خَوْلَة[5] طَعْمَ موتٍ ... ولا وَارَتْ له أرضٌ عِظاما

---

(١) هو السيِّد الحميري الشاعر الأموي المشهور. كان يعتقد أن محمد بن الحنفية، أخا الحسين ابن علي، لم يمتْ، وأنه حيٌّ في جبل رَضْوَي عن يمينه أسدٌ وعن يساره نَمِرٌ يحفظانه من اعدائه إلى أن يأذن الله له بالخروج. وعند رضوى عينان نضّاحتان تجريان بماء وعسل يأخذ منهما رزقه، وأنه سيعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلاً كما ملىء جوراً. أنظر فجر الإسلام ص ٢٧٣.

(٢) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحنفية أمه، وهي خَوْلَةُ بنت جعفر بن قيس ابن لُجَيْم، ويقال: بل كانت من سبي اليمامة وصارت إلى عليّ وقيل: كانت سِنْدِيّة وكانت أَمةً لبني حنيفة ولم تكن منهم. كان كثير العلم والورع، وكانت وفاته في أول المحرّم سنة ١٨١ هـ وقيل: ١٨٣هـ، ودفن بالنفيع، وقيل: دفن ببلاد أَيْلَة. أنظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٩ ـ ١٧٣ والعقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٦.

(٣) كان عليّ، رضي الله عنه، قد لقّب بالوصيّ، أي أن النبي ﷺ أوصى لعليّ بالخلافة من بعده، فكان وصيّ رسول الله، وهكذا شاعت كلمة الوصي في إطلاقها على علي. أنظر فجر الإسلام ص ٢٦٧.

(٤) هو جبل رَضْوي وقد ورد في البيت الأخير من أبيات الحميري،م وهو جبل جهينة، في عمل ينبع، وهو من المدينة على سبع مراحل وعلى ليلتين من البحر، والنسبة إليه رضويّ وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٣.

(٥) ابن خَوْلَة: هو محمد ابن الحنفية.

لقــد أمسى بمُــورِقِ شِعْبِ رَضْــوَى تُــراجعــه المــلائكــةُ الكــلامــا

وقال كُثَيِّرٌ[1] عزّة فيه وكان رافِضِيًا يقول بالرَّجْعة: [وافر]

أَلَا إنَّ الأئِـمَّـة مـن قُـرَيشٍ وُلَاةَ[2] الـحَـقِّ أربـعـةٌ سَـواءُ
عـليٌّ والـثـلاثـةُ مـن بَنِـيْـهِ هُمُ الأسبـاطُ ليس بهـمْ خَفَـاءُ
فـسِـبْطٌ سِـبْطُ إيـمـانٍ وبِـرٍّ وسِبْطٌ غَـيَّـبَـتْـه كَـرْبَـلَاءُ
وسِبْط[3] لا يَـذُوق المـوتَ حتّى يَقُـودَ الخيـلَ يَقْـدُمُهـا اللِّوَاءُ
تَغَيَّبَ، لا يُـرَى، عنهُمْ زمـانـا بـرَضْـوَى عنـده غَسَـلٌ ومـاءُ

وهم يذكرون أنه دخل شِعْبا باليمن في أربعين من أصحابه فلم يُـرَ لهم أثر.

قال طلحة بن مُصرِّف لرجل: لولا أني على وُضوءٍ لأخبرْتُك بما تقـول الشِّيعة.

قال هارون[4] بن سعد العِجْليّ وكان رَأْسَ الزّيدية) [طويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـرافِضِين تَـفَـرَّقُـوا فكُلُّهُمُـو في جَعْفرٍ[5] قـال مُنْكَـراَ

---

(١) كان كُثَيِّر عَزَّة الشاعر الشهير من الفرقة (الإمامية) التي تقـول أيضاً بعـودة محمد ابن الحنفيـة. والمعروف أن الإماميـة تقول ـ على العمـوم ـ بعودة إمـام منتظر، فـذهبت فرقـة إلى أنه جعفـر الصـادق، وأخرى تنتـظر محمد ابن عبـد الله بن الحسن بن الحسين بن علي، وثـالثـة تنتـظر محمد بن الحنفية. أنظر فجر الإسلام ص ٢٧٣.

(٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٦): «ولاة العَدْل».

(٣) أراد بالأسباط الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية.

(٤) هـارون بن سعد العِجْلي من المتـزهدين العلمـاء بالحـديث. مـات بـالبصـرة نحـو ١٤٥ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٦٠.

(٥) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق، أحد الأئمة الاثني عشر، على مذهب الإمامية. كـان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته. لـه كلام في صنـاعة الكيميـاء والزجـر والفأل. توفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

فـطائـفـةٌ قـالـوا إلـهٌ ومنـهُـمُ طـوائفُ سَمَّتْـهُ النبيَّ الـمُـطَهَّـراَ
فـإن كان يَـرْضَى ما يقـولـون جعفـرٌ فـإنّـي إلى رَبِّـي أُفـارِق جَـعْـفَـراَ
ومن عَجبٍ لم أَقْضِهِ جِلْدُ جَفرِهِمْ[١] بَـرِئْتُ إلى الـرحمن ممن تَـجَفَّـرا
بَرِئْتُ إلى الرحمن من كل رافضٍ بَصيرٍ بباب الكُفْر، في الدين أعورا
إذا كَفَّ أهلُ الحق عن بِدْعةٍ مَضى عليهـا وإنْ يَمْضُوا على الحق قَصَّـرا
ولـو قـال إنَّ الفِيْـلَ ضَبٌّ لصدّقـوا ولـو قـال زِنْـجِيٌّ تـحـوَّل أحْمَـراَ
وأخْـلَفُ من بَـوْل الـبَعِيـر فـإنّـه إذا هـو لـلإقـبـال وُجِّـه أَدْبَـرا
فـقُـبِّـحَ أقـوامٌ رَمَـوْه بِـفـرْيَـةٍ[٢] كما قال في عيسى الفِرَى مَنْ تَنصّرا

سمعت بعضَ أهل[٣] الأدب يقول: ما أشبهَ تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشِّعْر، فإنه قال يومـاً: ما سمعْتُ بـأكذَبَ من بني تميم! زعمـوا أنَّ قولَ القائل: [كاملْ]

بَـيْـتٌ زُرارةُ مُـحْـتَـبٍ بِـفـنـائـه ومُجاشِعٌ وأبـو الفـوارِس نَهْشَـلُ[٤]

إنما هو في رجال منهم؛ قيل له: ما تقـول أنت؟ قال: البيت بيت الله، وزُرَارة الحجر؛ قيل له: فمجاشع؟ قال: زمزم جَشِعت بالمـاء؛ قيل لـه: فأبـو

(١) تزعم الخَطّابية (قوم من الرافضة نُسبوا إلى أبي الخطّاب وهو إمام لهم كان يأمرهم بشهادة الزور على مخالفيهم) أن جعفراً الصادق قد أودعهم جِلْداً فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسَمُّوا ذلك الجلد جفْراً، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلاَّ من كان منهم. والمعروف أن الجفر كتاب لعلي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، ذكر فيه، على طريقه علم الحروف، الحوادث التي تحدث إلى ٱنقراض العالم. أنظر محيط المحيط مادة (جفر).

(٢) الفِرْيَةُ: الكذب.

(٣) هو رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وقد ورد ذكره وذِكْر القصة في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤١٠)

(٤) المُحْتَبي: الرجل الذي يحتبي بثوبه أو بيديه، أي أن يجمع بين ظهره وساقيه إما بثوبه أو بيديه وذلك إذا جلس ليصير كالمستند. ولقد ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤١٠) بٱختلاف بسيط عما هنا.

الفوارس؟ قال: أبو قُبَيْس؛ قيل: فنهشل؟ قال: نهشل أشدّ، وفكّر ساعةً ثم قال: نعم، نهشل! مِصباح الكعبة طويلٌ أسودُ فذاك نهشل!.

قال أعشى هَمْدَان[1] يذكُر قتلَ الرافضةِ الناسَ: [طويل]

إذا سِرْتَ في عجلٍ فسِرْ في صحابةٍ وكِنْدَةَ فاحذرْها حِذارك للخَسْفِ
وفي شِيْعةِ الأعْمى زِيادٌ وغِيلَةٌ[2] ولَسْبٌ وإعمالٌ لجندلة القَذْفِ

الأعمى هو المُغيرة. وزياد يعني الخَنْق. واللَّسب: السمّ؛ وإعمال لجَنْدلة القذف: يريد رَضْخهم رؤوسَ الناس بالحجارة. ثم قال:

وكُلُّهُمُو شَرٌّ على أَنَّ رَأْسَهُمْ حُمَيْدَةُ[3] والمَيْلاءُ[4] حاضِنةُ الكِسْفِ

والكِسْفُ هذا هو أبو منصور[5]، سُمّي بذلك لأنه قال لأصحابه: فيَّ

(١) أعشى هَمْدان هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن جَشَم الهَمْداني، شاعر اليمانيين بالكوفة وفارسهم في عصره. كان أحد الفقهاء القرّاء. ضرب الحجاج عنقه سنة ٨٣ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٣١٢.

(٢) الغِيْلَةُ: الخدعة؛ يقال قتله غيلة إذا خدعه فذهب به إلى موضع فقتله.

(٣) حُمَيْدَة هي صاحبة ليلى الناعظية ولها رياسة في الغالية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية. راجع الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٥ ص ٥٩٠ ومفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٣٠ طبع أوروبا.

(٤) كانت الميلاء حاضنة أبي منصور العِجْليّ صاحب المنصورية، الذي كان يلقب بالكسف. وكان المنصورية يستحلون خنْق مخالفيهم. أنظر العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٥) والحيوان (ج ٥ ص ٥٩٠).

(٥) هو أبو منصور العجلي أحد الذين آدّعوا الإمامة، وزعم أنه عرّج إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له: يا بنيّ، انزل فبلّغ عني، ثم أهبطه إلى الأرض، فهو الكِسْف الساقط من السماء. وقد وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخُبْث دعوته فأخذه وصلبه. راجع الملل والنحل ص ١٣٦. وقال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٥) إن أصحاب أبي منصور العجلي من الرافضة ويقال لهم: المنصورية، وكانوا يزعمون أن علياً، رضي الله عنه، في السحاب، فإذا أَظَلَّتْ عليهم سحابة قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن.

نَزَلَ: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطاً[١]﴾ وكان يَدِين بخَنْق الناس وَقَتْلِهم.

ثم قال:

مَتَى كُنتَ في حَيَّيْ بَجِيلَةَ فَٱستَمِعْ ... فإنَّ لهم قَصْفا يَدُلُّ على حَتْفِ

كلن المغيرة بَجَلِيّاً مولىً لهم. ثم قال:

إذا ٱعتَزَمُوا يوماً على قَتْل زَائرٍ ... تَدَاعَوْا عليه بالنُّبَاح وبالعَزفِ[٢]

وكان ٱبن[٣] عُيينة يُنشِد: [هزج]

إذا مَا سَرَّك العَيْشُ ... فلَا تأخذْ[٤] على كِنْدَهْ

يريد أن الخَنّاقين من المنصورية أكثرُهم بالكوفة من كِنْدَة، منهم أبو قُطْنةِ[٥] الخَنّاق.

---

(١) سورة الطُّور ٥٢، آية ٤٤. والكِسْف: العذاب. والسحاب المركوم: المتراكم بعضه فوق بعض. ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٥) أن الكِسْف هو علي عليه السلام وهو في السحاب. وسمّي أبو منصور الكِسْفَ لأنه كان يتأول في الآية الكريمة المذكورة.

(٢) قال الجاحظ في الحيوان (ج ٦ ص ١٣٠): «وذلك أنَّ الخنّاقين لا يسيرون إلاّ معاً ولا يقيمون في الأمصار إلاّ كذلك، فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب على دُفّ أو طبل على ما يكون في دُوْر الناس، وعندهم كلابٌ مرتبطة، فإذا تجاوبوا بالعزق ليختفي الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت، وربما كان منهم معلِّمٌ يؤدِّب في الدرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب».

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٣٥ من هذا الجزء.

(٤) في كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٣٨٩): فلا «تَمْرُدْ».

(٥) كانت دار أبي قُطينة الخَنَّاق بالكوفة في كِنْدة وقد قتل وصُلب. أنظر كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٣٨٩).

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ عن آبن أبي زائدة قال: قال هِشَام بنُ القاسم: أخذ خالد[1] بنُ عبد الله المُغِيرَةَ[2] فقتله وصَلَبَه بواسِط[3] عند مَنْظَرة[4] العاشر، فقال الشاعر: [كامل]

طال التَّجاوُرُ من بَيَانٍ[5] واقفاً ومِنَ آلمُغِيرة عند جِذْعِ العَاشِرِ
يَا لَيْتَه قد شال جِذْعا نَخْلَةٍ بأبي حنيفة وآبن قَيْسِ الناصر

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٨١ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) هو المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي، وقد ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وعدَّه من الروافض. كما ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (ج ٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩) فقال: كان المغيرة ساحراً يزعم أنه لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل. وكان رأيه التجسيم فيذهب إلى أن الله على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء. وكان يقول بإلهية عليّ وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلاَّ من ثبت مع علي، وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة. وكان المغيرة وبيان بن سمعان التميمي قد خرجا بظهر الكوفة سنة ١١٩ هـ. على خالد بن عبد الله القَسْري، فظفر بهما خالد وأحرقهما بالنفط والقصب. كذلك ترجم له الزِّركلي في الأعلام (ج ٧ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧) وقال: المغيرة دجّال مبتدع، جمع بين الإلحاد والتنجيم، وكان يدعو لمحمد بن عبد الله بن الحسن ويقول: هو المهدي.

(٣) واسط: اسم مدينة بالعراق، بناها الحجاج بن يوسف، وكان شروعه في بنائها في سنة ٨٤ هـ. وفرغ منها في سنة ٨٦ هـ. سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة فكأنها توسّطت بين هذين المصرين. وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٥٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٩).

(٤) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٦): «قنطرة العاشر». والمنظرة: موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدوّ ويحرسه، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره. إتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دخَن أهل قزوين دخّنت المناظر إن كان نهاراً وإن كانوا ليلاً أشعلوا نيراناً. معجم البلدان واللسان مادة (نظر).

(٥) هو بيان بن سمعان التميمي، وقد ذكره ابن الأثير في الكامل (ج ٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩) فقال: كان بيان يقول بإلهية علي ويذهب إلى أن الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية بعدهم، ثم بعده ابنه أبو هاشم بن محمد بنوع من التناسخ، وكان يقول: إن الله تعالى يفني جميعه إلاَّ وجهه ويحتجّ بقوله ﴿ويبقى وجهُ رَبِّكَ ذو الجلالِ والأكرام﴾ سورة الرحمن ٥٥، الآية رقم ٢٧. كما ادّعى النبوّة زاعماً أنه المراد بقوله تعالى ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ سورة آل عمران ٣ الآية رقم ١٣٨ وكان بيان قد خرج مع المغيرة على خالد القسري فظفر بهما خالد وأحرقهما.

وبيان هذا هو بيان التّبّان[١] وكان يقول: إليّ أشار اللَّهُ إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾[٢] وهو أوّل من قال بخَلْق القرآن.

وأما المغيرة فكان مَوْلىً لبَجِيلَة وكان سَبَائِيّاً[٣] وصاحبَ نِيْرَنْجَات[٤]. قال الأعمش: قلت للمغيرة: هل كان عليٌّ يُحْيي المَوْتى؟ فقال: لو شاء لأَحْيَا عاداً وثَمُودَ وقُروناً بين ذلك كثيرا.

بَلَغَني عن أبي عاصِم عن إسماعيلَ بنِ مُسْلمٍ المَكِّيّ قال: كنتُ بالكُوفة فإذا قوم من جِيرَاني يُكْثِرُون الدخولَ على رجل، فقلت مَن هذا الذي تدخُلون عليه؟ فقالوا: هذا عليّ بن أبي طالب، فقلت: أَدْخِلُوني معكم فمضيْتُ معهم وخَبأْتُ معي سَوْطاً تحتَ ثِيابي فدخلْتُ فإذا شيخٌ أَصْلَعُ بَطِين، فقلت له: أنت عليّ بن أبي طالب؟ فأَوْمَأَ برأسه: أي نعم، فَأَخْرَجْتُ السَّوْطَ فما زلت أُقَنِّعُه[٥]! وهو يقول: لتاوى لتاوى، فقلتُ لهم: يا فَسَقَة! عليُّ بن أبي

---

(١) التبّان: بائع التبن.

(٢) سورة آل عمران ٣، آية ١٣٨. والمعنى: هذا بيان ناصع للناس كافة. التفسير المبين.

(٣) السبائيُّ: جمعها سبائيَّة وسبئية وهم الغلاة الذين ينتسبون إلى عبد الله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية التي كانت تقول بألوهية عليّ عليه السلام. أصله من اليمن، وقيل: كان يهودياً وأظهر الإسلام. قال ابن عساكر. لما بويع عليٌّ قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطْتَ الرزق، فنفاه عليٌّ إلى ساباط المدائن حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وقال ابن حجر العسقلاني: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، أحسب أن علياً حرقه بالنار. توفي ابن سبأ نحو ٤٠ هـ. أنظر الأعلام (ج ٤ ص ٨٨) وقال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥): السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، عليهم لعنة الله، ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح من حيث غلوُّهم الشديد في عليّ رضي الله عنه. وقد أحرقهم علي بالنار. وفيهم يقول السيِّد الحميري (بسيط).

قومٌ غَلَوْا في عليٍّ لا أباً لهُمُ ... وأجشموا أنفساً في حبِّة تَعَبَا

قالوا هو الله جلَّ الله خالقنا ... من أن يكون آبن شيء أو يكون أَبَا

(٤) النِّيْرَنْجاتُ: أَخذٌ كالسحر ليست بحقيقته إنما هي تشبيه وتلبيس. معرَّبة.

(٥) يقال: قنَّع رأسه بالسوط: علاه به.

طالبٍ نَبَطِيٌّ[1]! ثم قلتُ له: وَيْلَكَ! ما قِصَّتُك؟ قال: جُعِلْتُ فِدَاك، أنا رجلٌ من أهل السَّوَاد[2] أخذني هؤلاء فقالوا: أنت عليّ بن أبي طالب.

حدّثني رجل من أصحاب الكلام قال: دخل هِشامُ بن الحَكَم على بعض الولاة العباسيين فقال رجل للعباسي: أنا أُقَرِّر هِشاماً بأنَّ عَلِيّاً كان ظالماً، فقال له: إن فعلْتَ ذلك فلك كذا؛ فقال له: يا أبا محمّد، أما علمْتَ أن عَلِيّاً نازع العبَّاسَ إلى أبي بكر؟ قال: نعم، قال: فأيّهما كان الظالم لصاحبه؟ فتوقَّف هِشامٌ وقال: إن قلْتُ العباسَ خِفْتُ العباسيّ، وإن قلْت عَلِيّاً ناقضْتُ قولي، ثم قال: لم يَكُن فيهما ظالمٌ، قال: فيختصم آثنان في أمرٍ وهما مُحِقَّان جميعاً؟ قال: نعم، اختصم المَلَكَان[3] إلى دَاوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنّما أرادا أن يُنَبِّهاه على ظُلْمه، كذلك آختصم هذان إلى أبي بكر ليُعَرِّفاه ظُلْمَه فأسكتَ الرجلَ وأمرَ الخليفةُ لهشام بِصلَة[4].

قال حسّان بن ثابت في النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

[منسرح]

ثَـلاثَـةٌ بَـرَّزُوا بَـسـبْـقِـهِـمُ — نَضَّـرَهمْ[5] رَبُّـهُمْ إذا نُـشِـروا
عَـاشُـوا بـلا فُـرْقَـةٍ حيـاتَهُمُ — وآجتمعوا في الممات إذْ قُبِرُوا

(١) النَّبَطِيّ: نسبة إلى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق (قُراها).
(٢) السَّواد: قرى العراق.
(٣) المَلَكان: هما اللذان بعثهما الله تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانَينْ، وما فيهما ظالم ولكنه لينبِّها داود على الخطيئة. وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخَصْم إذ تَسَوَّرُوا المحرابَ إذ دخلوا على داود ففزع منهمْ قالوا لا تخفْ خصمان بَغَى بعضُنا على بعض فآحكم بيننا بالحق ولا تُشْطِطْ وآهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾ سورة ص ٣٨، الآيات ٢١ و ٢٢ و ٢٣.
(٤) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤١٢) ببعض الإختلاف عمّا هنا.
(٥) نَضَّرَهُم ربُّهم: نعَّمهم وحسَّنهم.

فليس مِن مُسْلمٍ لـه بَصَـرُ   يُنْكِـرُ من فَضْلهِمْ إذا ذُكِـرُوا(١)

وقال أعرابيّ لعَبْد الله بن عُمَر: [طويل]

إليكَ ٱبنَ خَيْرِ الناسِ إلّا محمداً   وإلّا أبـا بَكْـرٍ نَـرُوحُ ونَغْتَـدِي

وقال أبو طالب في سَهل بن بيضـاء، وكان أُسِـرَ فأَطْلقـه رسولُ الله ﷺ بغير فِدَاءٍ، لأنه كان مُسْلماً مُكْرَهاً على الخروج: [طويل]

وهم رَجعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضاءَ راضياً   وسُـرَّ أبـو بَكْـرٍ بهـا ومُحمـدُ

وقال عُبَيد الله بن عمر: [رجز]

أنـا عُـبيـدُ الله يَـنْمِـيني عُمَـرْ   خيرُ قُـرَيْشٍ مَن مَضَى ومَنْ غَبَـرْ

بعـدَ رسـولِ الله والشَّيْخِ الأَغَـرّ   مَهْـلاً عُبيدَ الله في ذلـك نَـظَرْ

وقال حَسّان بن ثابت يَرْثي أبا بَكْرٍ رَضِيَ الله عنه: [بسيط]

إذا تَـذَكَّـرْتَ شَجْـواً من أَخِي ثِقَـةٍ   فـٱذْكُـرْ أخـاك أبـا بَكْـرٍ بمـا فَعَـلا

خَيْـرَ البَـرِيَّـة أتْقـاهـا وأَعْـدَلَهـا   بعـدَ النَّبِيِّ وأوفَـاهـا بمـا حَمَـلا

والثـانِي الصـادِقَ المحمـودَ مَشْهَـدُه   وأوّلَ النـاس منهمْ صَدَّق الـرُّسُلا

وكـان حِبَّ رسـولِ الله قـد عَلِمُـوا   من البـرِيَّـة لم يَعـدِل بـه رَجُـلا(٢)

حدّثني مِهْيَار الـرازيّ قال: قـال جريـرُ بنُ ثَعْلَبة: حَضَـرْتُ شيطانـاً مَرَّةً فقـال: أرْفُقْ بي فـإنِّي من الشِّيعـة، فقلتُ: فَمن تَعْـرِف من الشيعـة؟ قـال: الأعمش، فخلَّيْتُ سَبِيلَه. قـال أبـو هـريـرة(٣) العِجْليّ لمحمـد بنِ عليّ بنِ

(١) قال حسان هذه الأبيات يرثي رسول الله وأبا بكر وعمر، وقد وردت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٤) بٱختلاف في البيت الثالث فورد: «يُنْكِرُهُمْ فَضْلَهُمْ» بدلاً من «يُنْكِرُ من فضلهم».

(٢) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٤) بٱختلاف بسيط عما هنا.

(٣) أغلب الظن أنه جُمْهُور بن مَرّار العِجْلي، أحد قادة الجيوش في أيام المنصور العباسي والمتوفي سنة ١٣٨ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ١٣٦).

الحُسَين عليهم السلام: [طويل]

أبـا جَـعْفَـرٍ أنت الـوَلِـيُّ أُحِبُّـهُ وأَرْضى بمـا تَـرْضَى بـه وأتـابِـعُ
أتـتْنـا رِجـالٌ يَـحْـمِـلون عـليْـكُـمُ أحـادِيثَ قـد ضـاقَتْ بهنَّ الأضَـالِـعُ
أحـاديثَ أفشـاهـا المُغِيـرَةُ فيـهمُ وشَـرُّ الأُمـورِ المُحْـدَثـاتُ البَـدائِـعُ

حـدّثني هارونُ بنُ مـوسى عن الحسن بن موسى الأشْيَبِ عن حَمّـاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال: قال عُمَرُ بن عبد العـزيز: مَن جَعَـل دِينَه غَـرَضاً للخُصومات أكثَرَ التنقُّل. قال: [بسيط]

ما ضَرَّ مَن أصبح المأمونُ سَائِسَهُ إن لم يَسُسْه أبو بَكْـرٍ ولا عُمَرُ

الردّ على المُلحِدين

قـال بعض المُلْحِـدين لبعض أصحـاب الكـلام: هـل من دَليـلٍ على حُدوث العَالَمَ؟ قال: الحركة والسكون، فقال: الحَرَكَةُ والسُّكون من العَـالَم، فكأنّك إذاً قلتَ: الدليلُ على حُدُوث العَالم العَالَمُ؛ فقال لـه: وسُؤالُك إيّـايَ من العَالَمَ، فإذا جئْتَ بمسألة من غير العالم جِئْتُك بدليل من غير العالم.

قال المأمونُ لثَنَوِيٍّ[1] يُناظر عنده: أسألُك عن حرفين قط، خَبـرِّنْي: هل نَدِمَ مُسيءٌ قَطُّ على إساءتـه؟ قال: بَلَى؛ قـال: فالنَّـدَمُ على الإساءة إسـاءةٌ أو إحسانٌ؟ قال: بل إحسان؛ قال: فالذي نَدِم هو الذي أساء أو غيرُهُ؟ قـال: بل

---

(١) الثَّنَوِيُّ: واحد الثنويّة وهم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمـان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه؛ وهؤلاء قالوا بتسـاويهما في القدم واختلافهما في الجوهـر والطبـع والفعل والخيـر والمكان والأجنـاس والأبدان والأرواح. وبمعنى آخر: الثنوية فرقة يقولون بأثنينيّة الإله أي إلـه الخير وإلـه الشرّ. راجـع الملل والنحل ص ١٨٨ ومحيط المحيط مادة (ثني).

هو الذي أساء؛ قال: فأرى صاحبَ الخير هو صاحبَ الشرِّ، وقد بطل قولُكم، إنَّ الذي ينْظُر نَظَر الوعِيد هو الذي ينظُر نَظَر الرحمة؛ قال: فإني أزعم أنَّ الذي أساء غيرُ الذي نَدِم؛ قال: فَندِمَ على شيءٍ كان من غيره أو على شيءٍ كان منه؟ فأَسْكَته.

دخل المُوبَذُ[1] على هِشام بنِ الحَكم[2] فقال له: يا هِشامُ، حول الدنياشيءٌ؟ قال: لا، قال: فإن أخرجْتُ يدي فَثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها؟ قال هِشام: ليس ثَمَّ شيءٌ يَرُدُّك، ولا شيء يُخْرِج يدك فيه؛ قال: فكيف أعرِف هذا؛ قال له: يا مُوبَذُ، أنا وأنت على طَرَف الدنيا فقلتُ لك يا مُوبَذُ: إني لا أرى شيئاً، فقلْتَ لي: ولِمَ لا تَرَى؟ فقلتُ لك: ليس ها هنَا ظَلامٌ يمنعُني، قلْتَ لي أنت: يا هشامُ، إني لا أرى شيئاً، فقلتُ لك: ولِم لا ترى؟ قلتَ: ليس ضِياءٌ أنظر به؛ فهل تكافأتِ المِلَّتان في التناقض؟ قال: نعم، قال: فإذا تَكافأتَا في التناقض لم تَتَكافآ في الإبطال أنْ ليس شيءٌ؟ فأشار المُوبَذُ بيده أنْ أَصَبْتَ[3]. ودخل عليه يوماً آخرَ فقال: هما في القُوّة سَواء؟ قال: نعم؛ قال: فَجَوْهَرُهما واحد؟ قال المُوبَذُ لنفسه ـ ومَن حضر يَسْمعُ ـ إنْ قلْتُ: إنّ جَوْهَرهُما واحد عادا في نَعْتٍ واحد، وإن قلتُ: مُختلِفٌ آختلفا أيضاً في الهِمَم والإرادات

(١) المُوْبذُ: عالم الفُرْس.

(٢) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي المتكلم المناظر وشيخ الإمامية في وقته كان من مشايخ الرافضة. زعم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه. وقال: ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهابه في جهة العرض. وزعم أيضاً أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها. وزعم أنه ذو لون وطعم ورائحة، وأن لونه هو طعمه، وطعمه هو رائحته. ثم قال: قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأنْ تحرّك فحدث مكانه بحركته فصار فيه، ومكانه هو العرش. توفي هشام نحو ١٩٠ هـ. أنظر الملل والنحل ص ١٤١ ـ ١٤٢، والأعلام ج ٨ ص ٨٥، ومفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٧.

(٣) وردت هذه القصة في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤١١ ـ ٤١٢).

ولم يَتَّفِقا في الخَلْق، فإن أراد هذا قصيراً أراد هذا طويلاً؛ قال هِشام: فكيف لا تُسْلِم! قال: هَيْهاتَ!.

وجاءه رجلٌ مُلْحِد فقال له: أنا أقول بالاثنين وقد عَرَفْتُ إنصافك فلستُ أخاف مُشَاغَبتَك؛ فقال هِشامٌ وهو مشغول بثَوْب يَنْشُره ولم يُقْبِل عليه: حَفِظك الله،هل يَقْدِر أحدُهما أن يَخْلُقَ شيئاً لا يَسْتَعِين بصاحبه عليه؟ قال: نعم؛ قال: هِشام: فما تَرْجو من آثنين! واحدٌ خَلَقَ كلَّ شيءٍ أصحّ لك! فقال: لم يُكَلِّمني بهذا أحَدٌ قبلك.

قال المأمون لمُرْتدٍّ إلى النصرانية: خَبِّرْنا عن الشيء الذي أوحَشَك عن ديننا بعد أُنْسِك به وآستيحاشِك ممّا كنتَ عليه؛ فإن وجدْتَ عندنا دَواءَ دَائِك تعالجْتَ به، وإنْ أَخْطَأ بك الشِّفَاءُ ونَبَا عن دائك الدَّوَاء كُنْتَ قد أعذرْتَ ولم تَرْجِع على نفسك بلائمة، وإن قتلْناك قتلناك بحُكْم الشريعة، وتَرْجِع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثِّقَةِ وتَعْلم أنّك لم تُقصِّر في آجتهادٍ ولم تُفرِّط في الدخول من باب الحزم؛ قال المُرْتَدُّ: أَوْحشني ما رأيْتُ من كثرة الاختلافِ فيكم؛ قال المأمون: لنا آختلافان: أحدُهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، والتشهُّد، وصلاة الأعياد، وتكبير التشريق، ووُجُوه القِراءات، ووجوه الفُتْيا، وهذا ليس بآختلافٍ، إنما هو تخيُّرٌ وسعَةٌ وتخفيفٌ من المِحْنة، فمن أَذَّنَ مَثْنَى وأقام مَثْنى لم يُخَطِّىء من أَذَّنَ مَثْنَى وأقام فُرَادَى، ولا يَتَعايَرُون بذلك ولا يَتَعايَبُون، والاختلافُ الآخرُ كنحو آختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحَديث مع آجتماعنا على أصل التنزيل وآتفاقنا على عَيْن الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أَنْكَرْتَ هذا الكتابَ، فقد يَنْبغي أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقاً على تأويله كما يكون متَّفقاً على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى آختلافٌ في شيءٍ من

التأويلات؛ وينبغي لك ألَّا تَرْجع إلا إلى لُغَةٍ لا ٱختلافَ في تأويل ألفاظها؛ ولو شاءَ اللَّهُ أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسير لَفَعل، ولكنَّا لم نَرَ شيئاً من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمرُ كذلك لسقَطَت البَلْوَى والمِحْنةُ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ، وليس على هذا بَنَى اللَّهُ الدنيا. قال المرتَدّ: أشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأن المَسِيحَ عَبْدٌ، وأنَّ محمدا صادِقٌ، وإنك أميرُ المؤمنين حَقّاً.

الإعراب واللحن

حدّثني أبو حاتم عن الأَصْمَعِيّ قال: سمِعْتُ مَوْلىً لآلِ عُمَر بنِ الخطّاب يقول: أَخَذَ عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ رَجلا كان يَرَى رَأي الخوارجِ رأي شَبيب[1]، فقال له: أَلَسْتَ القائل: [طويل]

وِمنّا سُوَيْدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ[2] ومِنّا أَمِيرُ المؤمنين شَبِيبُ

فقال: إنما قلتُ: «ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ» بالنصب، أي يا أميرَ المؤمنين فأمر بتخلِية سبيله.

حدّثني عبدُ الله بن حَيّان قال: كتب رَفِيع[3] بن سَلَمَة المعروف بدَماذ إلى أبي عُثْمانَ النَّحْوِيّ: [متقارب]

تَفَكَّرْتُ في النحو حتى مَلِلْتُ وأتعبْتُ نفسي بِه والبَدَنْ

وأتعبْتُ بَكْراً[4] وأصحابَهُ بطولِ المسائِل في كلِّ فَنّ

(١) هو شبيب بن يزيد الخارجي، وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ١٢١.

(٢) سويد بن سليم، والبَطِيْنُ بن قَعْنَب، وقعنب بن سويد، كانوا من قادة جيش شبيب. راجع أخبارهم جميعاً في الكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٩١ - ٤٣٥).

(٣) رفيع بن سلمة تلميذُ أبي عبيدة، كنيته أبو غسّان وعُرف بدماذ، بعث بهذه الأبيات إلى أبي عثمان النَّحْوي المازني كما في العقد الفريد (ح ٢ ص ٤٨٨).

(٤) بَكْر هو نفسه أبو عثمان النحوي المذكور آنفاً.

فـمن عِـلْمِــه ظـاهِــرٌ بَـيِّـنٌ ... ومِن عِلْمـهِ غـامضٌ قـد بَـطَنْ
فـكنْـتُ بـظاهــره عــالِـمـاً ... وكـنـتُ بـبـاطـنــه ذَا فِـطَنْ
خَــلاَ أنَّ بـابــاً عليـه العَفَـا ... ءُ لـلفـاء يـا ليتَـه لم يَـكُنْ
ولـلواوِ بــابٌ إلـى جَـنْـبِـهِ ... من المَقْت أَحْسبُـه قـد لُعِنْ
إذا قلتُ هــاتــوا لمــاذا يُـقَـ ... ـال لَسْتُ بــآتِيـك أو تَــأْتِيَنْ
أَجِيْبُـوا لمـا قيـلَ هـذا كـذا ... على النَّصْب قالوا لإضمارِ أَنْ
ومــا إن رأيْتُ لهـا مَـوْضِعـا ... فـأَعـرِفَ مـا قِيْـل إلا بِـظَنّ[1]
فقد خِفْتُ يا بَكْرُ مِن طُولِ ما ... أُفَكِّـر في أَمْـر «أَنْ» أن أُجَنْ[2]

قال ابنُ سِيرِين: ما رأيتُ على رجل أَحْسن من فَصَاحة، ولا على امرأة أحسن من شحم.

وقال ابن شُبْرُمة: إذا سَرَّك أن تَعْظُمَ في عَيْن مَن كنْتَ في عينه صغيراً، ويَصْغُرَ في عينكَ من كان في عينك عظيماً فتعلَّمِ العربيّةَ، فإنها تُجْرِيك على المَنْطِق وتُدْنِيك من السُّلْطان. ويقال: النحو في العِلْم بمنزلة المِلْح في القِدْر والرَّامِكِ[3] في الطِّيب. ويقال: الإعرابُ حِلْيَةُ الكلام ووَشْيُهُ. وقال بعضُ الشعراء[4]: [كامل]

النحــوُ يَبْسُطُ من لســانِ الأَلْكَنِ ... والمــرءُ تُكْـرِمُــه[5] إذا لم يَلْحَنِ

(١) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٩): إلاَّ بِفَنْ».
(٢) وردت هذه الأبيات في المصدر السابق، نفس الصفحة، عدا البيت الثالث.
(٣) الرامك: شيء أسود كالقار يخلط بالمسك.
(٤) هو إسحاق بن خلف الشاعر المعروف بابن الطبيب، من شعراء المعتصم. وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم مراجعته من حسن ألفاظه. توفي في حدود ٢٣٠ هـ. راجع فوات الوفيات (ج ١ ص ١٦٣ ـ ١٦٤) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣.
(٥) في فوات الوفيات (ج ١ ص ١٦٣): «تُعْظِمُه» بدلاً من «تُكْرِمُه».

وإذا طلبْتَ من العلوم أجَلَّهَا فأَجَلُّها[1] منها مُقِيمُ الألْسُن

قال رجل لأعرابيّ: كيف أهلِك بكسر اللام؟ - يُريد كيفَ أهلُك - فقال الأعرابيُّ: صَلْباً[2]؛ ظنّ أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون.

وقيل لأعرابيّ: أتَهْمِز إسرائيلَ؟ قال: إني إذاً لرجلُ سُوءٍ؛ قيل له: أتَجُرُّ فِلَسْطِين؟ قال: إني إذاً لَقَوِيٌّ. وقيل لآخر: أتَهْمِز الفارةَ؟ فقال: الهِرَّةُ تَهْمِزُها.

وقيل: كان بِشرُ المَرِيسِيّ يقول لأصحابه: قضى الله لكم الحوائجَ على أحسنِ الوجوه وأهنؤها[3] فقال قاسم التّمار[4]: هذا كما قال الشاعر: [منسرح]

إنَّ سُلَيْمَى واللَّهُ يكلؤها ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يرزؤها[5]

سمِعَ أعرابيٌّ مُؤَذِّناً يقول: أشهَدُ أنَّ محمداً رسولَ الله بنصب رسول، فقال: ويحك! يفعل ماذا؟.

قال مَسْلَمَةُ بن عبدِ الملك: اللحنُ في الكلام أقبحُ من الجُدَرِي في الوجه. وقال عبدُ الملك: اللحن في الكلام أقبحُ من التفتيق في الثوب النفيس. قال أبو الأَسْوَد: إني لأجِدُ للَّحْن غَمْزاً كَغَمْز اللحم.

قال الخليل بن أحمد[6]: أَنْشدَني أعرابيّ: [طويل]

---

(١) في المصدر السابق والصفحة: «عندي» بدلاً من «منها».

(٢) الصَّلْب: القتلة المعروفة، وهي أن يُشَدَّ الرجلُ من يديه ورجليه على جذع.

(٣) وأهنؤها: فيها لحن، والصحيح: وأهنئها لأنها معطوفة على «أحسن الوجوه».

(٤) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٢) ما نصُّه: بِشْر المَرِيْسي هو الذي رأس في الرأي، وأن قاسم التمّار متقدِّم في أصحاب الكلام، وقد ورد هذا الخبر باختلاف يسير عما هنا.

(٥) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٢) وعلّق عليه ابن عبد ربه فقال: إن احتجاج التمّار لبشر أعجب من لحن بِشْر. كذلك انظره في البيان والتبين (ج ٢ ص ٣٢٠).

(٦) ورد هذا القول في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٤) باختلاف يسير عما هنا. كما ورد هذا البيت =

وإنَّ كِلاباً هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ وأنتَ بريءٌ من قبائلها العَشْرِ

فجعلتُ أعجَبُ من قوله: عَشْر أَبْطُن حين أنَّث لأنه عَنَى القَبِيلة، فلما رأى عَجَبي من ذلك، قال: أليس هكذا قول الآخر: [طويل]

فكـان مِجَنِّي دون مَنْ كُنْتُ أَتَّقي ثلاثُ شُخُوص كاعِبانِ ومُعْصِرُ[1]

قال رجل من الصالحين: لئِنْ أَعْرَبْنا في كلامنا حتّى ما نَلْحَن لقد لَحنَّا في أعمالنا حتى ما نُعْرِب.

دخل أعرابيٌّ السُّوقَ فسمِعهم يَلْحَنُون، فقال: سبحانَ اللَّهِ! يَلْحَنُون ويَرْبَحُون ونحن لا نَلْحَن ولا نَربَح!.

دخل رجل على زِيادٍ فقال له: إنَّ أَبِيْنَا هَلَك، وإنَّ أَخِيْنا غَصَبَنا على ميراثنا من أبانا[2]؛ فقال زياد: ما ضَيَّعْتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك.

قال الرِّياشيّ عن محمد بن سلّام عن يُونُسَ قال: قال بلالٌ لشَبِيب بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدِي على عَبْدِ الأعلى بن عبد الله بنِ عامرٍ قال: أَحْضِرْنِيه،

= في نفس المصدر والصفحة، وهو للنواح أحد بني كلاب حسبما يذكر المحقق في الحاشية رقم ٥.

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، وقد ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٤) فانظره. والمِجَنُّ: التِّرس لأن صاحبه يستتر به، والجمع مَجَانّ. والعرب تقول: قلب فلانٌ مِجَنَّه أي أسقط الحياء وفعل ما شاء أو ملك أمره واستبدَّ به. وقلب له ظهر المِجَنّ: تغيّر عليه، وهو مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ثم حال عن العهد. وقوله: «ثلاث شخوص» حيث أَنَّثَ لأنه يريد بالشخص النَّفْس. وكاعبان: مثنى كاعب وهي التي نَهَدَ ثَدْيها، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأمحذوف تقديره: هُنَّ كاعبان ومعصر. والمُعْصِرُ من النساء: ذات الإعصار، يقال: عَصَّرَت المرأة وأعصرتْ: بلغت شبابها وأدركت ودخلت في الحيض أو راهقت العشرين.

(٢) «من أبانا»: فيها لَحْنٌ والصحيح: «من أبينا».

قال: قد دَعَوْتهُ لكُـلٍّ ذلك يـأبى؛ برفـع كلّ؛ قـال بلال؛ فـالذنبُ لكـلّ. قال بعض الشعراء: [بسيط]

إمّـا تَرَيْني وأثـوابي مُقـارِبـةٌ[1] ليستْ بَخزٍّ ولا من نَسْجِ كَتَّانِ
فإنَّ في المَجْدِ هِمَّاتي وفي لُغَتي عُلْويَّــةً ولسَـاني غيــرُ لَحَّـانِ

وقال: فِيلٌ مَوْلَى[2] زيادٍ لزيادٍ: أَهْدَوا لنا هِمَار وَهْشٍ[3]، فقال: مـا تقول؟ وَيْلَك! فقال: أهْدَوْا لنا أَيْرا[4]؛ فقال زياد: الأوّلُ خير.

سَمِع أعرابيٌّ والياً يَخْطُب فَلَحن مرّةً أو آثنتين، فقال: أشْهَدُ أنك مَلَكْتَ بقَدَر. وسَمِع أعرابيٌّ إماماً يقرأ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾[5] [بفتح تاء تنكحوا] فقال: سبحانَ الله! هذا قبلَ الإسلام قبيحٌ فكيف بَعْدَه! فقيل لـه: إنه لحَن، والقراءةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُـوا﴾ فقال: قبّحه اللّهُ، لا تجعلوه بعدهـا إمامـاً فإنّه يُحِلُّ ما حَرَّمَ اللّهُ. قال الشاعر في جارية له: [رجز]

أوّلُ ما أَسْمَعُ منهـا في السَّحَرْ تَذْكِيْرُهـا الأُنْثَى وتأنيثُ الـذَّكَرْ
والسَّــوْءَةُ السَّــوْءاءُ في ذِكْــرِ القَمَــرْ[6]

قال الحجّاج لرجل من العَجَم نَخّاسٍ[7]: أَتَبيعُ الدّوابَّ المعِيبة من جُند

(١) مُقارِبَةٌ: أي ليست نفيسة.
(٢) هو زياد بن أبي سفيان.
(٣) يريد القول: «أهْدَوْا لنا حمار وحش».
(٤) يريد «عَيْرا» وهو الحمار أيّا كان أهلياً أو وحشياً وقد غلب على الوحشيّ.
(٥) سورة البقرة ٢، آية ٢٢١. وهنـا يلحن الإمـام بفتـح تـاء «تنكحـوا» لأن الصـواب بضمهـا. والمعنى: أيها المسلمون، لا تزوّجوا الكفّارَ المؤمنات حتى يُؤْمِنوا.
(٦) السَّوْءَةُ: العورة والفاحشة والخَلّة القبيحـة. والسَّوءاءُ: الخلّة القبيحـة. ومراد الشـاعر في هـذا الشعر أن يقول: إن جاريته كـانت، إذا أرادت أن تقول «قمـر»، قالت «كمـر». وهذا الإبـدال يعرف باللثغة، وهي أن تعدّل الحرف إلى حرف آخر.
(٧) النخاس: بَيّاعُ الدواب والرقيق.

السلطان؟ فقال: «شَرِيكاتنا في هوازها[١] وشَرِيكاتنـا في مداينهـا[٢] وكما تجيء تكون» فقال الحجّاج: ما تقول؟ ففسَّروا له ذلك؛ فضَحِك وكان لا يضحَك.

أَمَّ الحجّاجُ قوماً فقرأ ﴿وَالْعادِيَاتِ ضَبْحاً﴾[٣] وقرأ في آخرها[٤] ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَـوْمَئِذٍ﴾[٥] بنصب[٦] أنّ، ثمّ تنبّـه على الـلام في لَخَبِيـر وأنّ «إنّ» قبلهـا لا تكـون إلا مكسـورة فحـذَفَ الّـلامَ من «لخبيـر»، فقـرأ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَـوْمَئِـذٍ خَبِيرٌ﴾.

قال أبو زيد: قلتُ للخليل بن أحمد: لِمَ قالوا في تَصْغير واصل أُوَيْصِل ولم يقولوا وُوَيْصِل؟ فقال: كَرِهوا أن يُشَبَّهَ كلامُهم بنبح الكلاب.

التشادُق والغريب

حدّثني سهلٌ عن الأصمَعيّ قـال: كان عيسى بنُ عُمَـر لا يَدَعُ الإعراب لشيء. وخاصم إلى بلال بن أبي بُرْدةَ في جاريةٍ آشتراهـا مُصَابـةً، فقال: لأن يذهبَ بعضُ حَقِّ هذا أحبُّ إليه من أن يَلْحَنَ؛ فقال لـه: ومَن يعلم ما تقـول؟ فقال: ابن طِرنوبة. وضـربه عمـرُ بنُ هُبَيْرة ضـرباً كثيـراً في وَديعة أودعهـا إياه إنسـانٌ فطلبهـا، فما كـان يزيـد على أن يقـول: واللّهِ إن كـانت إلا أُثَيَّابـاً في

---

(١) المقصود: الأهواز.

(٢) المقصود: المدائن.

(٣) سورة العاديات ١٠٠، آية ١. والعاديات: من العَدْو وهو الجري، والمراد بها خيل الجهاد لردع الطغاة. والضَّبْحُ: أنفاس الخيل.

(٤) أي في آخر سورة العاديات.

(٥) سورة العاديات ١٠، آية ١١. والآية هكذا ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بهمْ يومئذ لَّخَبِيْرٌ﴾.

(٦) أي بفتح همزة (أنَّ) بدلاً من كسرها؛ لأن الكسر هو الصحيح.

أُسَيْفاطَ قَبَضَها عَشَّارُوك[١].

تَبعَ أبو خالد النُّميري صاحبُ الغَريب جاريةً مُتَنَقِّبة فكلّمها فلم تُكلِّمْه، فقال: يا خريدةُ[٢]، لقد كنتِ عندي عَرُوباً أنْمُقُك وتَشْنَئِينا[٣]!

وقال سهلُ بنُ هارونَ لجارية له رُوميّة أعجميّة: إنَّ أقلَّ ما يَنْطوي عليه ضميري من رَسِيسِ[٤] حُبّك لأَجَلُّ من كلِّ جليلٍ، وأكثرُ من كلّ كثير.

وقال مالك[٥] بنُ أسماء في جارية له: [خفيف]

أمُغَطًّى منيّ على بَصَري للـ — حبِّ أمْ أنت أكملُ الناس حُسْنا؟

وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هو مِمّا — يَشْتَهِي الناعتون يُوزَنُ وَزْنا

مَنْطِقٌ صَائبٌ وتَلْحَنُ أحيا — ناً وأحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنا[٦]

قال ابن دُرَيْد: استثقل منها الإعرابَ.

دخل أبو عَلْقَمَة على أعْيَن الطبيب فقال له: أَمْتَعَ اللّهُ بك، إنّي أكلت من لحوم هذه الجَوَازِلِ[٧] فطَسِئْتُ طَسْأَةً[٨]، فأصابني وَجَعٌ ما بين الوَابِلَة[٩] إلى

(١) الأُثَيّابُ: ج ثوب مع تصغير لفظ الجمع. والأسيفاط: ج سفط وهو الذي يُعَبّى فيه الطِّيب وما أشبهه من أدوات النساء، مع تصغير لفظ الجمع أيضاً. وعَشّاروك: ج عَشّار وهو آخذ العشر وجابيه وملتزمه.

(٢) الخريدة: البِكْر لم تُمَسّسْ أو الخَفِرَةُ الطويلة السكوت الخافضة الصوت.

(٣) العَرُوبُ: المرأة المتحبِّبة إلى زوجها أو العاشقة له. والجمع عُرُبٌ. وأنْمُقُكِ: أُزَيِّنُكِ، والمقصود أحبُّك؛ يقال: نَمَقَ الكتابَ يَنْمُقُه؛ حَسَّنه وجَوَّده. وتَشْنَئينا: تَبْغِضِينا؛ يقال: شَنَأه يشْنَأه شَنْئاً: أبغضه.

(٤) رسيسُ الحب: أوّله.

(٥) تقدمت ترجمته في مقدمة هذا الكتاب ورقة (ن) الحاشية رقم ٢.

(٦) وردت هذه الأبيات في مقدمة هذا الكتاب ص (ن).

(٧) الجوازل: ج جَوْزل وهو فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه. وعليه المثل: هو أهزل من الجَوْزل. ويستعمل أيضاً لما ينبت ريشه.

(٨) طَسِيء: تَخِمَ من الطعام.

(٩) الوابلة: طرف العَضُد في الكتف.

دَأْيَة [١] العُنُق فلم يزل يَربُو وينْمِي حتى خالط الخِلْبَ [٢] والشَّراسِيفَ [٣]، فهل عندك دَوَاءٌ؟ فقال أَعْيَن: نعم، خذ خَرْبقاً [٤] وشلفقا وشِبْرِقاً فَزهْزِقْهُ وزَقْزِقه [٥] وآغْسِلْه بماء رَوْثٍ [٦] وآشربْه؛ فقال أبو عَلْقمة: لم أفهمْ عنك؛ فقال أَعْيَن: أفهمتُك كما أفهمتَنِي. وقال له يوماً آخَرَ: إني أجِد مَعْمَعةً في بطني وقَرْقرةً؛ فقال له: أما المعمعةُ فلا أعرِفها، وأما القرقرةُ فهي ضُرَاطٌ لم يَنْضَج [٧].

أتى رجلٌ الهَيْثَم بنَ العُرْيان بغرِيم له قد مطَله حقَّه فقال: أصلح الله الأميرَ، إنَّ لي على هذا حَقّاً قد غلبني عليه؛ فقال له الآخرُ: أصلحك الله، إن هذا باعني عَنْجَداً [٨] واستنسأته [٩] حَوْلا وشرطْتُ عليه أن أُعْطيَه مُشاهرةً [١٠] فهو لا يلقاني في لَقَمٍ [١١] إلّا آقتضاني؛ فقال له الهيثمُ: أمن بني أُميّة أنت؟

---

(١) الدَّأْيَةُ: فِقْرَةُ العنق.

(٢) الخِلْبُ: الظِفْرُ ولحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع.

(٣) الشراسيف: ج شُرْسوف وهو رأس الضلع مما يلي البطن.

(٤) الخَرْبَقُ: ضرب من الأدوية، ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله. والشلفق لم نقف على معنىً لها، ولعلها الشَّلْفُون وهو الرخص من فروع الشجر. والذي في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٠): «وسلفقا». والشِّبْرِقُ: نبت من جنس الشوك فإذا كان رطباً فهو الشبرق وإذا يبس فهو الضريع.

(٥) الزهزقة والزقزقه: ترقيص الأم للصبي. ولعله يريد هنا حركة الغربال ونحوه بما يوضع فيه لغربلته.

(٦) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٠): «بماء ذَوْب». والذَّوْبُ: العسل أو ما في أبيات النحل أو ما خلص من شمعه.

(٧) ورد هذا الخبر (خبر علقمة مع أعين) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٠) باختلاف يسير عما هنا.

(٨) العَنْجَدُ: الزبيب.

(٩) اسْتَنْسَأْتُه حَوْلاً: سألته أن ينسئه دَيْني، أي أن يؤخّره.

(١٠) مشاهرة: كل شهر.

(١١) اللَّقَمُ: الطريق أو وسطه.

قال: لا؛ قال: فمن بني هاشم؟ قال: : لا؛ قال: فمن أكفائهم من العرب؟ قال: لا؛ قال: وَيْلي عليك! انْزَعْ ثيابَه يا جِلْوَاز[١]، فلما أرادوا نَزْعَ ثيابِه قال: أصلحك الله، إنّ إزاري مُرَعْبَل[٢]؛ قال: دعوه، فلو تَرَكَ الغريبَ في وقتٍ لتركه في هذا الوقت.

ومرّ أبو علقمة ببعض الطُّرُق بالبصرة فهاجت به مِرَّةٌ[٣] فسقط ووَثَب عليه قومٌ فأقبلوا يَعْصِرون إبهامَه ويُؤذِّنون في أُذُنه، فأُفْلِتَ من أيديهم وقال: ما لكم تَتَكَأْكَؤون[٤] عليّ كما تَتَكَأْكَؤون على ذي جِنَّة! إفْرَنقِعُوا[٥] عَنِّي؛ فقال رجلٌ منهم: دَعُوه فإنّ شيطانَه هِنديٌّ، أَمَا تسمعونه يتكلّم بالهِنديّة؟ وقال لحجّام[٦] يَحْجِمُه: أُنظُر ما آمرُك به فاصنَعْه، ولا تكن كمن أُمِر بأمرٍ فضيّعه، أَنْقِ غسلَ المَحَاجم وآشدُدْ قُضُبَ المَلَازِم[٧] وأَرْهِفْ ظُبَات المَشارِط[٨] وأَسْرِع الوَضْعَ وعَجِّل النَّزْعَ، ولْيكُن شرطُك وَخْزاً، ومصُّك نَهْزاً، ولا تُكرِهنّ آبياً، ولا تَرُدَّنّ آتِياً؛ فوضع الحجّامُ محاجمه في جُونته[٩] ومضى.

---

(١) الجِلْواز: الشُّرْطيّ

(٢) مُرَعْبَلٌ: ممزّق.

(٣) المِرَّةُ: عصارة المرارة وهي مادة صفراء.

(٤) تَكَأْكأ: تجمع.

(٥) إفْرَنْقَعَ عني: تفرّق.

(٦) الحجام: الذي يَحْجُمُ؛ يقال: حَجَمَ فلانٌ العظم: عَرَقَهُ.

(٧) المَلازِمُ: ج مِلْزَم بكسر الميم وهو خشبتان مشدودٌ أوسطاهما بحديدة تجعل في طرفها قُنَاحة (مِفتاح معوجٌ طويل) فتلزم ما فيها لزوماً شديداً، تكون مع الصياقلة والأبّارين ومجلّدي الكتب وغيرهم.

(٨) أَرْهَفَ: حَدَّدَ. وظُبات: ج ظُبَة وهي حدُّ السيف أو السِّنان ونحوه. والمَشارِط: ج مِشْرَط وهو المبضع، وغلب على الذي يُشْرط به الجلد لاستفراغ الدم كمبضع الحجّام. ومنه قول الحريري في مقامته الحجرية (سريع).

لو كان عندي قُوتُ يومٍ لَمَا مسّتْ يدي المِشْراطَ والمِحْجَمَة

(٩) الجُونَةُ: سُلَيْلة (تصغير سَلّة) مُغَشّاةٌ بالأدم (جِلْد) تكون مع العطّار يُعَدُّ فيها الطِّيب. وقد ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩١) مختصراً.

سَمِع أعرابيٌّ أبا المكنون النحويّ في حَلْقته وهو يقول في دعاء الإستسقاء: اللهمَّ ربّنَا وإلهَنَا ومولانا، صلِّ على محمد نبيِّنا؛ اللهمَّ ومَن أراد بنا سوءاً فأَحِطْ ذلك السوءَ به كإحاطة القلائد على تَرَائب الوَلاَئد(١)، ثم أرْسِخه على هَامَته كرُسُوخ السِّجِّيل(٢)، على هَام أصحاب الفِيل؛ اللهم آسْقِنا غَيْثاً مُغيثاً مَريئاً مَرِيْعاًمُجَلْجِلا(٣) مُسْحَنْفِراً هُزِجاً سَحّاً سفُوحاً طَبَقاً غَدَقاً مُثْعَنجِرا؛ فقال الأعرابيّ: يا خليفةَ نوح، هذا الطوفان وربِّ الكعبة، دَعْني آوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُني من الماء(٤).

أبو الحسن(٥) قال: كان غلامٌ يُقَعِّر(٦) في كلامه، فأتى أبا الأسود الدُّؤليّ يلتمس ما عنده؛ فقال له أبو الأسود: ما فعل أبوك؟ قال: أخذَتْهُ الحُمَّى فَطَبَخَتْه طَبْخاً وفَضَخَتْه(٧) فَضْخاً وفَنَخَتْه(٨) فَنْخا فتركته فَرْخا(٩)؛ قال أبو الأسود: فما فعلت آمرأته التي كانت تُجَارُّه(١٠) وتُشَارُّه وتَزارُّه وتُهارُّه؛ قال: طلَّقها فتزوَّجت غيره فرَضِيت وخَظِيَت وبَظِيَت، قال أبو الأسود: قد عرفنا حظيت،

(١) التراائب: ج ترِيْبة وهي موضع القلادة. والولائد: ج وليدة وهي الصبيّة.
(٢) السِّجِّيْلُ: حجارة كالمَدر؛ وقيل: حجارة طبخت بنار جهنم. ومنه في سورة الفيل، الأيتان ٣ و ٤: ﴿وأرْسَلَ عليهمْ طَيْراً أبابيلَ تَرْمِيْهِمْ بحجارة من سِجِّيل﴾ أي أرسل أفواجاً تمطرهم بأشد العذاب وهو حجارة من طين متحجر. أنظر التفسير المبين.
(٣) المُجَلْجِلُ من السَّحاب: الذي فيه صوت الرعد. والمسحنفر: الكثير الصَّبِّ الواسع. والهَزِجُ: من الهَزَج وهو صوت الرعد. والطَّبَقُ مَن المطر: العامُّ الواسع. والغَدَقُ: المطر الكثير. والمُثْعَنْجِرُ: السيل الكثير أو السحاب الممتلىء.
(٤) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩١ ـ ٤٩٢).
(٥) ورد هذا الخبر أيضاً في المصدر السابق ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ بآختلاف يسير عمّا هنا.
(٦) يُعَقِّرُ في كلامه: يتشدَّق ويتكلمّ بأقصى حلقه.
(٧) فَضَخَتْهُ: دَقّتْهُ. وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٠): «ورَضَخَتْهُ رَضْخاً» والرَّضْخُ: الكسر.
(٨) فَنَخَتْهُ: قهرته وغلبته أي أوْهَنَتْه وأضعفته.
(٩) الفَرْخُ: الضعيف المنهوك.
(١٠) تُجَارُّهُ: تطاوله. وتُشَارُّهُ: تخاصمه. تعضُه. وتُهَارُّهُ: تَهِرُّ في وجهه كما يَهِرُّ الكلب.

فمـا بظِيَت[١]؟ قـال: حرف من الغـريب لم يبلغك؛ قـال أبو الأسـود: يا ٱبن أخي، كلُّ حرف من الغريب لم يبلغ عمّك فٱستُره كما تستر السِّنَّوْرُخُرْأَها.

قال زيد بن كثيرة: أتيْتُ بابَ كبيرِ دارٍ وهناك حَـدَّادٌ[٢]، فأردْتُ أن أَلِجِ الدارَ فدَلَظَني[٣] دَلْظةً وٱزدحم[٤] الناسُ ببابه، فوالله إنْ زِلْنا نَظَارِ نَظَارِ حتّى عَقَل الظِّلُ[٥]. وقال أيضاً: أتيتُ بابَ كبيرٍ وإذا الرجالُ صَتيتَان[٦] وإذا أَرْمِدَاءُ[٧] كثيرةٌ وطُهَاةٌ لا أُحْصِيهم ولِحَامٌ كأنّها آكَامٌ. وقال الطائي: [وافر]

أيوسفُ[٨] جئتَ بالعَجَبِ العجيب ... تـركْتَ النـاسَ في شَـكٍّ مُرِيبِ
سمعْتُ بكـلِ داهيـةٍ نـآدٍ[٩] ... ولـم أسْمَـع بسـرَّاج أديـب
أمَـا لَـوْ أنَّ جهلَك كـان عِلْمـاً ... إذاً لنفـذْتَ[١٠] في عِلم الغُيوبِ
فمـالَـكَ بـالغَـرِيب يـدٌ ولكنْ ... تَعَـاطِيْكَ الغـريبَ من الغَريبِ

قال رؤبة بن العَجّاج: خرجْتُ مع أبي، نريـد سليمان بنَ عبـد الملك،

---

(١) أتى بلفظ «بظِيَت» إتباعـاً لحظيت مثـل حسن بسن؛ لأنه ليس في كـلامهم «بظي» انـظر لسان العرب مادة (بَظا).
(٢) الحداد: البوّاب سمّي بذلك لأنه يحدُّ (يمنع) من الدخول. قال الأعشى (متقارب).
فَـقُـمْـنـا ولـمّـا يَـصِـحْ ديـكـنـا ... إلـى جَـوْنـةٍ عـنـد حَـدّادهـا
والجونة هي الخابية المطليّة بالقار.
(٣) دَلَظَهُ: ضربه أو دفعه في صدره.
(٤) رأيت أن أضع عبارة «وازدحم الناسُ ببابه» لأنها تـلائم السياق بـدلاً من عبارة الأصـل «وأدرس الناسُ عليهم» التي لا معنى لها.
(٥) نَظَارِ: اسم فعل أمر بمعنى: «انتظر» والمعنى: فما زلنا يقال لنا نَظَارِ نَظَارِ الخ...
(٦) صَتِيْتان: فرقتان.
(٧) الأَرْمِداءُ: ج رماد.
(٨) هو يوسف السَّراج الشاعر المصري كما في ديوان أبي تمام (ج ٤ ص ٣١٥).
(٩) النَّآد والنَّآدَي: الداهية، والمراد هنا: الداهية الشديدة.
(١٠) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٢): «لَرَسَخْتَ».

فلّما صِرْنا في الطريق أُهْـدِيَ لنا جَنْبٌ من لَحْم عليـه كَرَافِيءُ(١) الشَّحْم وخـريطةٌ من كَمْأَةٍ ووطْبٌ من لَبَن فطبَخْنا هذا بهذا، فما زال ذِفْـرَيَايَ تَنْتِحَـان(٢) منه إلى أن رَجَعْتُ.

وصايا المعلّمين

قال عُتبة بن أبي سُفيان لعبد الصمـد مؤدِّب وَلَدِهِ: ليكن إصـلاحُك بَنيَّ إصـلاحَـك نفسـك، فـإنَّ عُيـوبَهم معقـودةٌ بعَيْبِـك، فـالحسنُ عنـدهم مـا آستحسنْتَ، والقبيحُ ما آستقبحْتَ؛ وعلِّمهم سِيَـرَ الحكماءِ، وأخـلاقَ الأدباء، وتهـدَّدْهم بي وأدِّبْهم دوني؛ وكن لهم كالـطبيب الذي لا يَعْجَـل بالـدواء حتى يَعْرِف الداء؛ ولا تَتَّكِلَنَّ على عُذْر منِّي، فإني قد آتَّكلتُ على كِفاية منك.

قال الحجّاج لمؤدّب بنيه: علِّمهم السِّباحة قبل الكتـابة، فـإنهم يَجِدُون مَنْ يكتُبُ عنهم، ولا يَجِدُونَ من يَسْبَحُ عنهم.

وقـال عبد الملك لمؤدِّب ولـده: علِّمْهم الصدق كمـا تُعَلِّمهم القـرآن، وجَنِّبْهم السَّفِلَةَ فـإنّهم أسوأُ النـاس رِعَةً(٣) وأقلُّهم أَدَبـا، وَجَنِّبْهُم الحَشَمَ فـإنّهم لهم مَفْسَـدة؛ وأَحْفِ(٤) شُعُورَهـم تَغْلُظْ رِقـابُهم، وأطْعِمْهم اللحمَ يَقْوَوْا؛ علِّمهم الشِّعرَ يَمْجُدُوا ويَنْجُدُوا، ومُرْهُـم أنْ يَستاكوا عَرْضاً ويَمُصُّوا الماء مَصّا ولا يَعُبُّوه عَبّاً؛ وإذا آحتجْتَ إلى أن تتناولَهم بأدب فليكن ذلك في سِتْـر لا يعلَمُ به أحـدٌ

(١) الكرافيء: ج كِرْفِىء، أي القـطعة. والخـريطة: وعـاء من أَدَم وغيره. والكَمْـأةُ: ج كَمْ، وهو نبات كالقلقاس لا ساق له ولا عِرْق لونه إلى الغبرة، يوجد في الربيع تحت الأرض وهو عـديم الطعم، وأنواعه كثيرة، يؤكل نيّاً ومطبوخاً. والوَطْبُ: سِقاء اللبن وهو جلد الجَـذَع، والجمع أَوْطُب وأوطاب.

(٢) ذِفْرايَ: مثنى ذِفْرَى، وهي العظم الشاخص خلف الأذن.

(٣) أسوأ الناس رِعَةً: قليل الوَرَع.

(٤) أحفى الرجل شعره أو شاربه: بالغ في قصِّه.

من الغاشية(١) فَيَهُونُوا عليه.

وقال آخر لمؤدِّب ولده: لا تُخْرجهم من عِلْم إلى عِلْم حتى يُحْكِمُوه، فإنَّ آصطِكَاك العلم في السمع وآزدحامَه في الوَهم مَضَلَّةٌ للفهم.

وكان لشُرَيح(٢) آبن يلْعَب بالكلاب، فكتَب شُرَيحٌ إلى مُعلِّمه(٣):

[كامل]

تَـرِكَ الصلاةَ لأَكْلُبٍ(٤) يَسعى بهـا ... طَلَبَ الهِرَاشَ مع الغُوَاةِ الرُّجَّس(٥)
فـإذا خَلَوْتَ فَعَـضَّـهُ بِمَـلاَمَـةٍ ... وعِـظَنْهُ وَعْـظَكَ للأَريب الكَيِّس(٦)
وإذا هَمَمْتَ بضَــرْبِــه فبِــدِرَّةٍ(٧) ... وإذا بلغْتَ بهـا ثـلاثـاً فـآحْبِسِ
وآعْلَمْ بــأنَّـك مــا فَعَلْتَ فَنَفْسُـهُ ... مـع مـا يُجَـرِّعُني أَعَـزُّ الأَنْفُسِ

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب: [خفيف]

أيهــا المُبْتَـلي بحبّ الكــلابِ ... لا يُحِبُّ الكــلابَ إلا الكــلابُ
لـو تَعَـرَّيْتَ وسَـطْها كنْتَ منهــا ... إنمــا فُقْتَهــا بـلُبْس الثِّيــاب(٨)

---

(١) الغاشية: الخدم يغشونك والزوّار والأصدقاء.
(٢) هو شُرَيْح القاضي وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ من ص ٦١ من الجزء الأول من هذا الكتاب فآنظره.
(٣) أي معلم ولد شُرَيْح. وقد وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٥ - ٤٣٦).
(٤) الأَكْلُب: ج كَلْب.
(٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٥): «يبغى الهِراش مع الغُواة الرُّجس». والهِراش هو الخصام والقتال. والرُّجَّس: ج رَجِسَ وهو القذِر.
(٦) الأَرِيْبُ: الماهر والعاقل. والكَيِّسُ: الظريف البيِّن الكِياسة. وقد ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٦) هكذا:
فـإذا أتـاك فَـعَـضَّـهُ بـمـلامـةٍ ... وعِـظَنْـهُ مـوعـظة الأديب الكَـيِّسِ
(٧) الدِّرَّةُ: السَّوْط يضرب به.
(٨) في هذا البيت، وهوآختلاف حركة الرويّ في الإعراب. ولو قال: «لا يحبُّ الكلابَ غيرُ الكلاب» لخلا من هذا العيب.

وقال آخر: [متقارب]

لـتَبْـكِ أبـا أحـمـدٍ قِـرْدَةٌ وكَلْبُ هِـرَاشٍ ودِيكٌ صَـدُوحُ
وطـيـرٌ زِجَـالٌ وقُـمْـرِيَّـةٌ [1] هَتُـوقُ العَشِيِّ وكَبْشٌ نَـطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن العُكْليّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزنيّ قال: سمعت أبي يقول: قال لقمان: ضَرْبُ الوالدِ وَلَده كالسَّمَاد للزرع.

حدّثني محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن أُسامة بن زيد عن مكحول قال: كتب عمر إلى أهل الشام: عَلِّموا أولادَكُم السِّبَاحَةَ والرَّمْي والفُرُوسيّة.

وكانت العرب تُسمِّي الرجل، إذا كان يكتُب ويُحسِن الرَّمْي ويُحسِن العَوْم وهيَ السِّباحة ويقول الشِّعْر، الكاملَ.

البيان

حدّثني عَبْدَةُ بن عبد الله قال: حدّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عِمارة بن عُمَير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ إن من البيان سِحراً فأطيلوا الصلاةَ وأقْصِرُوا الخُطَبَ. وقال العبّاس: يا رسولَ الله، فيم الجَمَالُ؟ قال: في اللسان.

وكان يقال: عَقْلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه.

وقال يزيد بن المُهلَّب: أَكْرَهُ أن يكون عقلُ الرجل على طَرَف لسانه. يريد أنه لا يكون عقلُه إلا في الكلام. وقال الشاعر: [وافر]

(١) القُمْرِيَّةُ: ضرب من الحمام.

كَفَى بالمرءِ عَيْباً أنْ تَراهُ ... لـه وَجْـهٌ وليس لـه لسـانُ
وما حُسْنُ الرجالِ لهم بزَيْنٍ ... إذا لم يُسْعِدِ الحُسْنَ البيانُ

وقال خالد بن صفوان لرجل: رحم الله أباك، فإنّه كان يَقْرِي العَيْنَ جَمَالاً، والأُذُنَ بيانا. وقال النَّمِرُ[1] بن تَوْلَب: [وافر]

أعِذْني رَبِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ[2] ... ومِنْ نَفْسٍ أُعالِجُها عِلاجاً
ومِنْ حاجاتِ نَفْسِي فاعْصِمَنِّي ... فإنَّ لِمُضْمَراتِ النَّفْسِ حَاجا[3]

وصف أعرابيٌّ رجلاً يتكلّمَ فيُحسِن فقال: [كامل]

يضَعُ الهِنَاءَ مواضِعَ النُّقْبِ[4]

ومثلهُ قولُهم: فلانٌ يُجِيد الحَزَّ، ويُصِيب المِفْصَل؛ وربما قالوا: يُقِلّ[5] الحزَّ.

وقال معاوية في عبد الله بن عبّاس: [طويل]

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالاً ولم يَقِفْ ... لِعِيٍّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْرِ
يُصَرِّفُ بالقول اللسانَ إذا انتحى ... ويَنْظُرُ في أعطافه نَظَرَ الصَّقْرِ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٢٣٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
(٢) الحَصَرُ: العِيُّ في النُّطْق؛ يقال: عَيِيَ في المنطق عِيّاً: حَصِرَ.
(٣) حاجا: أصلها حاجَة فحذف الهاء المنقلبة عن تاء التأنيث لكي لا يختلَّ الوزن.
(٤) النُّقْب بسكون القاف وفتحها: القطع المتفرقة من الجَرَب، الواحدة نُقْبة وهي أول ما يبدو من الجرب. وهذا العجز لدُرَيْد بن الصِّمَّة كما في لسان العرب مادة (نقب) وصدره: «مُتَبَذِّلاً، تبدو محاسِنُهُ»، والهِناء: ضربٌ من القَطِران؛ يقال: هَنَأَ البعيرَ فهي مَهْنُوءة: طلاه بالهناء. وعجز هذا البيت مثل يضرب لمن يضع الشيء في موضعه فيكون ماهراً مصيباً. والمعنى أن هذا الرجل لا يتكلم إلاّ فيما يجب فيه الكلام كالذي يطلي الإبلَ التي أصابها الجرب فيضع الهناء مواضع النُّقْب. راجع العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢).
(٥) مثل يضرب في البلاغة، إذ شبّهوا البليغ المُوْجز الذي يُقِلُّ الكلام، ويُصِيْبُ الفصول والمعاني، بالجزّار الرفيق يُقِلُّ حَزَّ اللحم ويُصِيْبُ مفاصله. راجع المصدر السابق ص ٢٦١.

وقال حسّان فيه: [طويل]

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالاً لقائلٍ بِمُلْتَقَطاتٍ لاَ تَرَى بينها فَصْلا
شفى وكفى ما في النفوس فلم يَدَعْ لذي إِرْبَةٍ[١] في القول جِدّاً ولا هَزْلا
سَموتَ إلى العلْيَا بغير مَشقَّةٍ فنِلْتَ ذُرَاهَا لاَ دَنِيّاً ولاَ وغلا[٢]

ويقال: الصمتُ مَنَامٌ والكلام يَقَظَةٌ. ويقال: خير الكلام ما لم يُحْتَج بعده إلى الكلام.

ذكر العباس بن الحسن الطالبيّ رجلاً فقال: ألفاظُه قوالِبُ معانيه. ومدح أعرابيٌّ رجلاً فقال: كلامه الوَبْلُ على المَحْل[٣]، والعَذْبُ البارِدُ على الظَّمَأ.

وقال الحُطَيْئة: [كامل]

وأخذْتُ أقطارَ الكلام فلم أَدَعْ ذَمّاً يَضُرُّ ولا مَدِيحاً يَنْفَعُ

وكان الحطيئة يقول: إنما شِعْرِي حَسَبٌ موضوع؛ فسَمِع ذلك عمروُ بن عُبَيْد فقال: كَذَبَ، تَرَّحَه[٤] الله، إنما ذلك التقوى.

قيل لعمرو بن عُبيد: ما البلاغة؟ فقال: ما بلّغك الجَنّة، وعَدَل بك عن النار؛ قال السائل: ليس هذا أُريد؛ قال: فما بَصّرك مواقِعِ رُشْدك، وعواقِبَ غَيّك؛ قال السائل: ليس هذا أُريد؛ قال: من لم يُحسِن الاستماع لم يُحْسِن القول؛ قال: ليس هذا أريد، قال: قال النبيّ ﷺ: «إنّا مَعْشَر الأنبياء بِكَاءٌ»[٥]

(١) الإِرْبة: الدهاء والحيلة.
(٢) الوَغْلُ: الضعيف النذلِ الساقط المقصّر في الأشياء.
(٣) الوَبْلُ: المطر الشديد. والمَحْلُ: الجَدْبُ.
(٤) تَرَّحَهُ اللّهُ: أحزنه ونغّصه.
(٥) بكاءٌ: ج بَكِيء وهو ما قلّ كلامه خلْقَةً.

وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله، قال: ليس هذا أريد قال: كانوا يخافون من فتنة القول ومن سَقطات الكلام ما لا يخافون فتنة السكون ومن سَقَطات الصَّمْت؛ قال: ليس هذا أريد؛ قال: فكأنّك إنما تُرِيْد تخيُّر اللفظ في حسن إفهام قال: نعم؛ قال: إنك إنْ أردْتَ تقرير حُجَّة الله في عقول المكلّفين، وتخفيف المؤونة على المُستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المرُيدين، بالألفاظ المُسْتَحْسَنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً في سُرْعة آستجابتهم، ونَفْي الشواغل عن قلوبهم، بالمَوْعِظَة الحسنة من الكتاب والسُّنة، كنْتَ قد أُوتِيْتَ فَصْلَ الخِطَاب، وآستوجَبْتَ على الله جزيلَ الثواب.

قال بعضهم: ما رأيت زياداً كاسِراً إحْدَى عَيْنيه واضعاً إحدى رِجليه على الأخرى يُخاطب رَجُلاً إلا رَحِمْتُ المُخاطَبَ. وقال آخر: ما رأيتُ أحداً يتكلّم فيُحسن إلاّ أحببْتُ أن يصمت خوفاً من أنْ يُسيءَ إلاّ زياداً فإنّه كلّما زاد زاد حُسْناً، وقال[1]: [طويل]

وقبلَك ما أُعْيَيْتُ[2] كاسِرَ عَينِه ... زِياداً فلم تَقْدِرْ عليَّ حَبائِلُهْ

قال محمد بن سلاّم: كان عمرُ بن الخطّاب إذا رأى رجلاً يُلجْلِج في كلامه قال: : خالق هذا وخالق عَمْرو بن العاص واحد!.

وتكلّم عمرو بن سعيد الأَشْدَق، فقال عبد الملك: لقد رَجَوْتُ عَثْرَته لمَّا تكلَّمَ، فأحسن حتَّى خَشِيْتُ عَثْرَته إنْ سكت.

أبو الحسن قال: قال معاوية لصُحَار العَبْديّ: ما هذه البلاغةُ التي فيكم؟ فقال: شيءٌ تَجِيشُ به صدُورُنا ثم تَقْذِقُه على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من

---

(١) قائل هذا البيت هو الفرزدق، قاله لجرير من قصيدة تقع في ٩٣ بيتاً، وقد ورد أبيات منها في العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠) يمدح فيها سليمان بن عبد الملك أنظر قصيدته هذه في ديوان الفرزدق ص ٧٤٠ وما بعدها.

(٢) لعل «ما» هنا مصدرية أو زائدة.

القوم: هؤلاء بالبُسْـر[١] أبصرُ، فقـال صُحَار: أَجَـل، واللّهِ إنّا لَنَعْلَمُ أنّ الـرِّيحَ تُلقحه وأنّ البرد يُعقده[٢] وأنّ القَمَر يَصْبغه وأنّ الحرّ يُنْضِجُه؛ فقال معاوية: مـا تَعُدُّون البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجـاز؛ قال: ومـا الإيجاز؟ قـال: أن تُجيب فلا تُبـطىء، وتقولَ فـلا تُخطىء، ثم قـال: يـا أميـر المؤمنين، حسن الإيجـاز ألّا تُبْطىءَ ولا تُخطىءَ.

أبو الحسن قال: وَفَد الحسن بن عليّ على معاوية الشامَ، فقـال عمرو ابن العاص: إنَّ الحسنَ رَجُلٌ أَفَهُّ[٣] فلو حملتَه على المِنْبَر فتكلَّمَ فسَمِع النـاسُ من كلامه عابُوه؛ فأمره فَصعِد المنْبَر فتكلَّم فأحسن؛ وكان في كلامه أنْ قـال: أيّها الناس، لو طلبتُم آبناً لنبيِّكم ما بين جَابَرْس إلى جَابَلْق[٤] لم تَجِـدُوه غيري وغيرَ أخي وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فساء ذلـك عَمْراً وأراد أن يَقْطَع كلامـه، فقال: يـا أبا محمّـد، هل تَنْعَت الـرُّطَبَ؟[٥] فقال: أجـل، تُلْقِحُه الشَّمَال وتُخَرِّجه الجَنُوب ويُنْضِجُه بَرْدُ الليل بحرّ النهار؛ قال يا أبا محمّد، هل تَنْعَتُ الخِرَاءَةَ[٦]؟ قال: نعم، تُبعِد المَمْشَى في الأرض الصَّحْصَح[٧] حتّى تَتَوارَى من القوم، ولا تَسْتَقبلِ القِبْلَة ولا تستد برها، ولا تَسْتَنْجي بالرَّوْثَـة ولا العَظْم، ولا تَبُول في الماء الراكد؛ وأَخَذَ في كلامه.

---

(١) البُسْرُ: التمر قبل إرطابه وذلك إذا لوّن ولم ينضج.
(٢) يُعْقده: يغلظه.
(٣) رجلٌ أَفَهُّ: عَيٌّ؛ يقال: فَهِهَ الرجلُ يفهه فَهاهَةً: عَيَّ.
(٤) جابَرْس: مدينة بأقصى المشرق. وجابَلْق: مدينة بأقصى المغرب.
(٥) الرُّطَبُ: ج رُطَبَة، وهي نضيج البُسْر، وجمع الجمع أرطاب ورِطاب.
(٦) الخِـراءة: التخلي والقعود للحـاجة؛ يقـال: خرىء يَخْـرَأ: تغوَّط وسلح فهـو خـارىء، واسم السَّلْح الخُرْء، والعامة تقول: الخَرَا.
(٧) الصَّحْصَح: ما آستوى من الأرض مع الإتّساع.

وكان يقال: كلّ شيء ثَنَيْتَه يقْصُر ما خلا الكلامَ، فإنّك كلّما ثنيتَه طال.

قال الحسن: الرجال ثلاثة: رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله.

تكلّم صَعْصَعةُ بن صُوحان عند معاوية فعَرِق؛ فقال معاوية: بهَرَكَ القولُ! فقال صعصعة: إنّ الجِيَادَ نَضَّاحة للماء.

ويقال: أبلغُ الكلامِ ما سابق معناه لفظَه.

وفي كتاب للهند: أوّلُ البلاغة آجتماعُ آلةِ البلاغة، وذلك أن يكون الخطيبُ رابِطَ الجَأْش[1]، ساكِنَ الجوارح قلِيلَ اللَّحْظ مُتَخَيِّراً للفظ، لا يُكلِّم سَيِّدَ الأُمة بكلام الأمة، ولا الملوكَ بكلام السُّوقة، ويكون في قُوَاه فَضْلٌ للتّصرُّف في كلّ طبقة، ولا يُدَقِّق المعانيَ كلَّ التدقيق، ولا يُنَقِّح الألفاظَ كلَّ التنقيح ولا يُصفِّيها كلَّ التَّصْفِية ولا يُهذِّبها غايةَ التهذيب، ولا يفعل ذلك حتّى يُصادِفَ حكيماً أو فيلسوفاً عليماً ويكون قد تعوّد حَذْفَ فُضول الكلام وإسقاطَ مُشْتَرَكاتِ الألفاظ، قد نَظَر في صناعة المَنْطِق على جِهَة الصناعة والمُبالغة لا على جهة الإعتراض والتصفُّح.

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البَرْمكيّ وقيل له: ما البيان؟ فقال: أن يكون الاسم يُحيط بمعناك ويَحْكي عن مَغْزَاك، وتُخْرِجه من الشركة ولا تَستعين عليه بالفِكرْة والذي لا بُدَّ له منه أن يكونَ سَليماً من التكلُّف، بعيداً من الصَّنعة، بريئاً من التعقُّد، غَنِيّاً عن التأويل.

قال الأصمعيّ: البليغ مَن طبَّق المَفْصِل وأغناك عن المفسِّر.

(١) الجأش: النّفس، وعبارة: فلان رابطُ الجأش أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته، والجمع جُؤُوش.

قال المدائني: كتب قُتَيبةُ بن مُسلم إلى الحجّاج يشكو قِلّةَ مَرْزِئَتِه[1] من الطعام وقلّة غِشْيانه النساءَ وحَصَره على المِنْبر؛ فكتب إليه: استكثر من الألوان لتصيب من كلّ صحفة[2] شيئا، وآستَكْثِر من الطَّرُوقَة[3] تَجِدْ بذلك قُوَّةً على ما تُريد، وأنْزِل الناسَ بِمَنْزِلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصّتك، وآرْمِ ببصرك أمَامَك تبلُغْ حاجتك.

قال بعض الشعراء: [بسيط]

إن كان في العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرَةٌ ... ففي البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

تكلّم رجل عند معاوية فهذر[4]، فلمّا أطال قال: أأَسْكُتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: وهل تكلَّمْتَ!.

ويقال: أعيا العِيِّ بلاغةٌ بعِيّ، وأقبحُ اللَّحْن لَحْنٌ بإعراب.

وقال أعرابيّ: الحَظُّ للمرء في أُذُنه، والحظُّ لغيره في لسانه[5].

ويقال: رُبَّ كلمةٍ تقول: دَعْني.

ويقال: الصَّمْتُ أبلغُ من عِيٍّ ببلاغة. ونحوه قول الشاعر: [متقارب]

أرى الصَّمْتَ أَدْنى لبعض الصَّوَابِ ... وبعض التَّكَلُّم أدنى لعِيٍّ

وقال جعفر البَرْمكيّ: إذا كان الإكثارُ أبلغَ كان الإيجازُ تقصيراً، وإذا كان الايجازُ كافِياً كان الإكثارُ عِيّاً.

قال آبن السماك: العربُ تقول: العَيُّ الناطق أعيا من العَيِّ الصامت.

---

(١) المَرْزِئة من الطعام: الإصابة منه.

(٢) الصَّحْفة: قصعة كبيرة منبسطة تُشْبع الخمسة، والجمع صِحاف.

(٣) الطَّرُوقَةُ: المرأة؛ ناقةٌ مطروقةُ الفحلَ للتي بلغت أن يضربها الفحل وكذلك المرأة.

(٤) هَذَرَ في كلامه: خلط وتكلم بما لا ينبغي.

(٥) يريد أن خط الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال، والخط في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم فإنما الخط والفائدة فيه لغيره.

قال أنو شِرْوَان لبزُرْجِمِهْر: متى يكون العَيُّ بليغاً؟ فقال: إذا وَصَف حَبِيباً.

قال يُونُس بن حبيب: ليس لعَيٍّ مُرُوءَةٌ، ولا لمنقوصِ البيانِ بَهَاءٌ، ولو بَلَغَ يَأْفُوخُه أعنَانَ[1] السَّماء. قال بعضُ الشعراء: [طويل]

عَجِبْتُ لإدلال العَيِّ بنفسه وصمت الذي قدكان بالحقّ أعلما
وفي الصمت سَتْرٌ لِلعَيِّ وإنما صحيفةُ لُبِّ المَرْءِ أنْ يتكلّما

قال سعيدُ بن العاص: مَوْطِنان لا أَسْتَحْي من العِيِّ فيهما: إذا أنا خاطبْتُ جاهلاً، وإذا أنا سألْتُ حاجةً لنفسي.

ذكر أعرابيّ رجلاً يَعْيَا فقال: رأيتُ عَوْراتِ الناسِ بين أَرْجُلِهم، وعَوْرَةَ فلان بَيْنَ فَكَّيْه.

وعابَ آخرُ رجلاً فقال: ذاك مِنْ يَتَامَى المَجْلِس، أبلغُ ما يكون في نفسه أعيا ما يكون عند جُلَسائه.

قال ربيعة الرَّأْي: الساكتُ بين النائِم والأَخْرَس.

تذاكر قومٌ فضلَ الكلام على الصمت وفضلَ الصمت على الكلام، فقال أبو مُسْهِر: كلاَّ! إنَّ النَّجْمَ ليس كالقَمَر، إنّك تَصِفُ الصَّمْتَ بالكلام، ولا تَصِفُ الكلامَ بالصمت.

وذَمّ قومٌ في مجلس سليمانَ بنِ عبد الملك الكلامَ، فقال سليمان: اللهمَّ غَفْراً، إنَّ مَنْ تكلَّم فأَحْسَن قدَر أن يَصْمُت فيُحْسِن؛ وليس مَن صَمَت فأَحْسن قادراً على أن يتكَلّم فيُحْسِن.

---

(١) اليأفوخ: الموضع الذي يلتقي فيه عظم مقدَّم الرأس مع عظم مؤخره. وأعنان السماء: نواحيها.

قال بكرُ بن عبد الله طولُ الصَّمْتِ حُبْسَةٌ[1]. ونحوه قول عُمَر بنِ الخطّاب: تَرْك الحركةِ عُقْلة.

وكان نَوْفل بن مُساحِق إذا دخل على آمرأته صَمَتَ، وإذا خرج من عندها تكلّم؛ فقالت له: أمّا عندي فتُطرِق، وأمّا عند الناس فتَنْطِق! فقال: أدِقُّ عن جَلِيلكِ وتَجِلِّيْنَ عن دقيقي.

وفي حكمة لقمان: يا بُنَيّ، قد نَدِمْتُ على الكلام ولم أنْدَم على السكوت.

قال آبن إسحاق: النَّسنَاسُ خَلْقٌ باليَمن لأحدهم عَيْنٌ ويَدٌ ورِجْلٌ يَقْفِزُ بها، وأهلُ اليمن يصطادونهم؛ فخرج قومٌ في صيدهم فرَأَوْا ثلاثة نَفَر منهم فأدْرَكُوا واحداً فعَقَرُوه وذَبحُوه وتَوَارَى آثنان في الشَّجَر، فقال الذي ذَبحه؛ إنه لسَمِينٌ، فقال أحدُ الاثنين: إنه أكَلَ ضِرْواً[2]، فأخذوه فذَبَحُوه، فقال الذي ذَبَحه: ما أنفعَ الصمتَ! قال الثالث: فهأنا الصُّمَيْتُ فأخذوه وذبحوه.

كان يقال: إذا فَاتَك الأدبِ فالزمِ الصَّمْتَ.

وقال بعضهم: لا يَجْتَرِىء على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ[3].

وقال الشاعر يمدح رجلاً: [طويل]

صَمُوْتٌ إذا ما الصَّمْتُ زَيَّنَ أهلَهْ   وفَتّاقُ أبْكارِ الكلامِ المُخَتَّمِ[4]

---

(١) الحُبْسَةُ: تعذُّر الكلام عند إراته، وهي آسمٌ من الإحتباس.

(٢) الضِرْوُ: الحبة الخضراء أي البُطْم وهو شجر كالفستق ثمره حَبٌّ مفرطح في عناقيد كالفلفل ويسمى الأخضر منه بالحبة الخضراء، والواحدة بُطْمَةٌ.

(٣) الفائق: الأديب العالم. والمائق: الهالك حُمْقاً وغباوة.

(٤) هذا البيت لعبد الله بن المبارك يرثي مالك بن أنس كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢١) والبيت الذي يليه.

وعى ما وعى القرآنُ من كل حكمةٍ   وسِيطَتْ له الآدابُ باللحم والدمِ =

قال أبو الدرداء: أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِن فِيكَ، فإنّما جُعِلَ لكَ أُذُنانِ اثنتان وفَمٌ واحدٌ، تسمع أكثرَ ممّا تقول.

حَضَر قُشَيْرِيٌّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمْتَ، فقال له بعضهم: بحقٍّ سُمِّيتم خُرْسَ العرب؛ فقال القُشَيْرِيّ: يا أخي، إنَّ حظَّ الرجل في أُذُنِه لنفسه، وحظَّه في لسانه لغيره.

وقال بعضُ الحكماء: أَكثِرِ الصمْتَ ما لم تكن مسؤولاً فإنَّ فَوْتَ الصواب أيسرُ من خَطَل القول: وإذا نازعَتْك نَفْسُك إلى مراتب القائلين المُصِيبين، فاذكُر ما دون الصواب من وَجَل الخطأ وفضائح المُقَصِّرين.

تكلّم رجلٌ في مجلس الهَيْثم بن صالح بخطأ، فقال له الهيثمُ: يا هذا، بكلام مثلك رُزِقَ أهلُ الصمت المحبة. وقال أبو نُوَاس: [مجزوء الرمل]

خَلِّ جَنْبَيْك لِرَامِ ... وامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ
مُتْ بداءِ الصَّمتِ خَيْرٌ ... لكَ من داءِ الكَلامِ
إنّما السالمُ مَنْ أَلْـ ... ـجَمَ فاه بِلِجَامِ

وقال آخر: [متقارب]

رأيتُ اللسانَ على أهله ... إذا ساسه الجهلُ لَيْثاً مُغِيْراَ(١)

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا صاحبٌ لنا عن مالك بن دينار أنه قال: لو كانت الصحُف من عندنا لأَقْلَلْنا الكلام.

= وسيطت: خلطت. ولقد تقدمت ترجمة ابن المبارك في الحاشية رقم ٥ من ص ٢٩٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(١) ورد هذا البيت في ص ٣٣٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

وقال الأصمعيّ: إذا تظرّفَ العربيّ كثُر كلامه، وإذا تظرّف الفارسيّ كثر سكوته.

قال حاتم طيء: إذا كان الشيءُ يَكْفِيكَهُ التَّرْكُ فآتركه.

قال عبد الله بن الحسن لابنه: إستعن على الكلام بطول الفِكْر في المَواطن التي تدعوك فيها نفُسكَ إلى القول، فإنَّ للقول ساعاتٍ يضُرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب.

وقال إياس بن قَتَادة: [طويل]

تُعَاقِبُ أيدينا ويَحْلُم رأينا ونَشْتُم بالأفعال لا بالتكلُّم[1]

تكلم آبنُ السَّمَّاك يوما وجاريةٌ له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيتِ كلامي؟ قالت: ما أحسَنَه لولا أنّك تُكثر تَرْدَادَه! قال: أُرَدِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفْهَمْه؛ قالت: إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد مَلَّه مَن فهمه!.

قال عيسى بنُ مَرْيم: مَن كان مَنْطِقُه في غير ذكرٍ فقد لغا، ومَن كان نظرُه في غير آعتبار فقدسَهَا، ومن كان صَمْتُه في غير فكرٍ فقد لها.

كان العباس بن زُفَر لا يُكلِّم أحداً حتى تَنْبسطَ الشمسُ، فإذا آنْفَتَل[2] عن صَلاته ضَرَب الأعناقَ وقَطَع الأيدي والأَرْجل. وكان جَرِير لا يتكلّم حتى تبزُغَ الشمس، فإذا بَزَغت قَذَف المُحْصَنَات.

قال قَتَادة: مكتوب في التّوراة: لا يُعاد الحديث مرتين.

قال الزُّهْريُّ: إعادة الحديث أشدُّ من وَقْعِ الصَّخْر.

---

(١) ورد هذا البيت في نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) لمعبد بن علقمة وجاء فيه:
«وتجهل أيدينا» بدلاً من «تعاقب أيدينا»

(٢) إنفتل عن صَلاته: إنصرف عنها.

وفي كتب العجم: أنَّ أربعةً من الملوك آجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمةً واحدةً كأنّها رميةٌ بسهم: ملك فارس، وملك الهند، وملك الروم، وملك الصين. قال أحدهم: إذا تكلَّمْتُ بالكلمة مَلَكَتْني ولم أَمْلِكها. وقال آخر: قد نَدِمْتُ على ما قلتُ ولم أَنْدَم على ما لم أَقُل. وقال آخر: أنا على ردِّ ما لم أقلْ أقدرُ منّي على ردِّ ما قلتُ. وقال آخر: ما حاجتي إلى أن أتكلّم بكلمة، إنْ وَقَعَتْ عليّ ضَرَّتْني، وإن لم تقع عليَّ لم تنفعني.

قال زُبَيْد اليامي[1]: أسكتتني كلمةُ آبن مسعود عشرين سنة: مَنْ كان كلامه لا يوافق فعلَه فإنّما يُوَبِّخ نفسه.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ثلاثةٌ يؤمرون بالسكوت: الراقي في جبل طويل، وآكل السمك، والمُرَوِّي[2] في الأمر الجسيم. قال بعض[3] الشعراء:

[مخلع البسيط]

قد أفلح السالمُ الصَّمُوْتُ ... كلامُ واعى الكلام قُوْتُ
ما كلّ نُطْقٍ لهُ جوابٌ ... جوابُ ما يُكرَهُ السكوتُ
يا عجباً لامرىءٍ ظَلُومٍ ... مُستيقِنٍ أنّهُ يموتُ

بلغني عن أبي أُسامة عن آبن عَوْن عن الحسن قال: جلسوا عند معاوية فتكلَّموا وصَمَتَ الأحنفُ؛ فقال معاوية: يا أبا بَحْر، مالك لا تتكلّم؟ قال: أخافُكم إن صَدَقْتُكم، وأخاف الله إن كَذَبْتُ.

حدّثني محمد بنُ داود قال: حدّثنا الحُمَيديّ قال: حدّثنا أبو الحَكَم

---

(١) هو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامي نسبة إلى يام بطن من همدان. أنظر تاج العروس، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦ هـ.

(٢) المُرَوِّي: من رَوَّى في الأمر؛ يقال: رَوَّأ بالهمزة إذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب.

(٣) هو محمد بن أبي العتاهية كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضاً في ديوان والده أبي العتاهية ص ١٤ طبع بيروت.

مَـرْوان بن عبد الـواحد عن مـوسى بن أبي درهم عن وهب بن منبِّه قـال: قال آبن عبّـاس: كفى بك ظـالِماً ألاّ تـزالَ مُخَـاصِماً، وكفى بـك آثمـاً ألاّ تَـزال مُمارِيا، وكفى بك كاذبا ألاّ تزال مُحدِّثا بغير ذكر الله تعالى:

وقال بعضهم: [طويل]

يَمُـوتُ الفتى من عَثْـرةٍ بلسـانِـهِ وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ
فَعَثْـرَتُـه مِنْ فيـه تَـرْمِي بـرأسـهِ وعثرتُه بالرِّجْـل تَبْرا على مَهْـلِ[1]

سُئِل بعضُ الحكماء عن البلاغة، فقـال: من أخذ معـاني كثيرةً فـأدّاها بألفاظ قليلة، أو أخذ معانيَ قليلةً فولّد فيها ألفاظاً كثيرة.

بلغني عن أبي إسحاق الفَزَاريّ قال: كان إبراهيمُ يُطِيْلُ السكوتَ، فـإذا تكلّمَ آنبسط، فقلت لـه ذاتَ يـوم: لـو تكلّمتَ! فقـال: الكـلام على أربعـة وُجُوه، فمنه كلامٌ ترجـو منفعتَه وتَخْشى عـاقبتَهُ، فـالفضلُ منـه السلامـةُ؛ ومنه كلامٌ لا ترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه، فأقلُّ مالَكَ في تركه خِفـة المَؤُونة على بَدَنك ولسـانك؛ ومنـه كلامٌ لا تـرجو منفعتَـه وتخشى عاقبتـه، وهذا هـو الدَّاءُ العُضال؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتَأْمَنُ عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نَشْرُه؛ قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثَةَ أرباع الكلام.

الاستدلال بالعين والإشارة والنُّصبة[2]

يقال: رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان. قال أعرابيّ: [بسيط]

إنْ كـاتَمُـوْنـا القِلَى[3] نَمَّت عيـونُهُمُ والعينُ تَظْهِرُ مـا في القلب أو تَصِفُ

(١) هـذان البيتان لجعفـر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما في العقد الفـريد (ج ٢ ص ٤٧٣).
(٢) النُّصْبَةُ: الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد.
(٣) القِلى: البغض.

وقال آخر: [سريع]

إذا قلوبٌ أَظْهرتْ غيرَ ما تُضْمِره أنْبَتْكَ عنها العُيُونْ[١]

وقال آخر: [هزج]

أما تُبْصِرُ في عَيْنَيْ يَ عُنوانَ الذي أُبْدِي[٢]؟

وقال ذو الرُّمّة: [طويل]

نَعَمْ هاجتِ الأطلالُ شَوْقاً كَفَى به من الشَّوقِ إلّا أنّهُ غيرُ ظاهِرِ
فما زِلْتُ أَطْوِي النفسَ حتّى كأنَّها بِذي الرَّمْثِ لَم تَخْطُرْ على بال ذَاكِرِ
حَيَاءً واشْفاقاً من الرَّكْبِ أنْ يَرَوْا دليلاً على مُستَوْدَعات الضمائرِ

وقال الحارثيُّ يذكُر مَيْتاً: [طويل]

أتيناه زُوّاراً فأمجدَنا قِرى من البَثِّ والدَّاءِ والدَّخيلِ المُخَامِرِ[٤]
وأوسَعَنا عِلْماً بردِّ جوابِنا فأعْجِبْ به من ناطقٍ لم يُحَاوِرِ

ومثل هذا قولُ القائل[٥]: سَلِ الأرضَ فقل لها: من شَقّ أنهارَكِ، وغَرَس أشجارَكِ، وجَنَى ثِمارَكِ، فإن تُجِبك حِوَاراً[٦]، أجابتكْ اعتبارا، قال أبو العَتاهِيَة: [هزج]

ولِلقَلْبِ على القلبِ دليلٌ حين يَلْقاهُ

---

(١) هذا البيت لابن أمية كما في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٨٦ والجزء الثالث ص ١١٠، وقبله البيت الآتي.
كم فرحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ تَخَرَّصَتها ليَ فيكَ الظُّنُونْ
(٢) سيذكر هذا البيت في ص ١١٠ من الجزء الثالث من هذا الكتاب وص ٨٦ من الجزء الرابع.
(٣) أطوي النفسَ: أضمرها على شيء من حب ميّة. وذو الرِّمْث: اسم وادٍ لبني أسد.
(٤) أَمْجَدَنا: أشبعنا. والبَثُّ: الغمُّ والحزن، وقيل: أشدُّه.
(٥) القائل هو الرقاشيّ كما في كتاب الصناعتين للعسكري ص ١١ طبعة الأستانة سنة ١٣١٩ هـ.
(٦) الحِوار: من حاوره إذا جاوبه وراجعه في الكلام.

وللناس من الناس ... مقاييسُ وأشباهُ[1]
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ ... إذا ما هو ما شاهُ
وفي العين غِنىً للعيـ ... ـنِ أن تَنْطِق أفواهُ

الشعر

يقال: خيرُ الشِّعْر ما رَوَّاك نفسَهُ. ويقال: خيرُ الشعر الحَوْلِيّ المُنقَّح المُحَكَّك.

سَمِع أعرابيٌّ رجلاً يُنشِد شِعْرا لنفسه، فقال: كيف تَرَى؟ قال: سُكّر لا حَلاوةَ له. قيل لبعض علماء اللغة؛ أرأيْتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد في لفظ واحد؟ فقال: عُقولُ رجالٍ تَوَافت على ألسنتها.

قال بَشّار يَصِف نفسَه: [منسرح]

زَوْرُ[2] مُلوكٍ عليه أُبَّهَةٌ ... يُعرف من شِعره ومن خُطَبِهْ
لله ما راح في جَوَانحه ... من لُؤْلؤٍ لا يُنام عن طَلَبِهْ
يَخرُجْنَ مِنْ فيه في النَّدِيّ كما ... يَخرُج ضوء السِّراج من لَهَبِهْ
ترنُو إليه الحُدَّانُ غاديةً ... ولا تَمَلُّ الحديثَ من عَجَبِهْ
تِلْعَابةٌ[3] تَعْكُفُ الملوكُ به ... تأخذ من جِدّه ومن لَعِبِهْ
يَزدَحِمُ الناسُ كلَّ شارقةٍ ... ببابه مُسرعينَ في أدبِهْ

---

(١) ورد هذا البيت مع الذي سبقه في العقد الفريد (ج ٤ ص ٢٢٤).
(٢) الزَّوْرُ: الزائر.
(٣) رجلٌ تِلْعابَةٌ: كثير المزح والمداعبة.

وقال الطائيُّ يذكر الشعر: [كامل]

إنَّ القَوافيَ والمَسَاعيَ لم تَزَلْ مِثلَ النِّظَام إذا أصابَ فَريدا(١)
هي جَوْهَرٌ نَثْرٌ فإنْ أَلَّفْتَهُ بالشعر صار قلائِداً وعُقُودا
من أجلِ ذلك كانتِ العربُ الأُلَى يَدْعُون هذا سُؤْدُداً مَجْدُودا
وتَنِدُّ عندهُم العُلاَ إلاَّ عُلاً جُعلت لها مِرَرُ القَرِيض قُيُودا(٢)

وقال أيضاً: [طويل]

ولم أَرَ كالمعروف تُدْعَى حُقوقُه مغارِمَ في الأقوامِ وهي مَغانِمُ
وإنَّ العُلاَ ما لم تَرَ الشعرَ بينها لكالأرض غُفْلاً(٣) ليس فيها مَعَالِمُ
وما هو إلا القولُ يَسْري فيغتَدِي له غُرَرٌ في أوجهٍ ومَواسِمُ
يُرَى حِكْمةً ما فيه وهو فُكَاهةٌ ويُقْضَى بما يَقْضي به وهو ظالمُ
ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما دَرَى بُغاةُ العُلاَ من أينَ تُؤْتَى المكارمُ

وقال عُمر بن لَجأٍ لبعض الشعراء: أنا أشعرُ منك؛ قال: ولِمَ ذاكَ؟ قال: لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه، ولأنك تقول البيتَ وآبنَ عمِّه.

قيل لعَقِيل بن عُلَّفة: ألا تُطِيل الهِجَاء؟ فقال: يَكفِيك من القِلاَدة ما أحاط بالعُنُق.

وقال بعضُهم: خيرُ الشِّعر المُطْمِع.

قيل لكُثَيِّر: يا أبا صَخْر، كيف تصنع إذا عَسُر عليك قولُ الشعر؟ قال:

---

(١) النِّظام: الخيط الذي يُنْظَمُ به اللؤلؤ ونحوه، والجمع نُظُمٌ. وفريدا: أصل القول: وفريدة، وقد حذفت التاء لكي لا ينكسر الوزن، والفريدة هي الجوهرة النفيسة، وهي لفظة تنزل منزل الفريدة من العِقْد تدل على عِظم فصاحة الكلام وقوته وجزالة منطقه وأصالة عربيته، والجمع فرائد.

(٢) تَنِدُّ: تَنْفُرُ، ومِرَرٌ: ج مِرَّة، ومِرَّة الحبل: طاقَتُهُ.

(٣) الغُفْلُ من الأرض: ما لا علاقة فيه.

أطوف بالرِّباع المُخْلِيَة(١) والرِّياض المُعشِبة، فيسهُل عليَّ أرْصَنُه ويُسرع إليَّ أحسنُه.

ويقال: إنه لم يُستَدْعَ شارِدُ الشعر بمثل الماء الجاري، والشَّرَف العالي، والمكان الخَضِر الخالي(٢) أو الحالي.

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لأَرْطَاةَ بنِ سُهَيَّة: هل تقول الآن شعرا؟ قال: ما أشرَب، ولا أطْرَب، ولا أغْضَب؛ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه.

وقيل لكُثَيِّر: ما بَقي من شعرِك؟ فقال: ماتت عَزَّةُ فما أطْرَب، وذهب الشَّبَابُ فما أعْجَب، ومات آبنُ لَيْلَى فما أرغَب ـ يعني عبدَ العزيز بن مَرْوان ـ وإنما الشعر بهذه الخِلَال.

وقيل لبعضهم: من أشعرُ الناس؟ فقال: آمرؤُ القيس إذا رَكِب، والنابغة إذا رَهِب، وزهير إذا رَغِب، والأعشى إذا طَرِب.

وقيل للعجّاج: إنك لا تُحسِن الهجاء، فقال: إن لنا أحلاماً تمنعُنا من أن نَظْلِمَ، وأحساباً تمنعُنا من أن نُظْلَمَ، وهل رأيتَ بانياً لا يُحسِن أن يَهْدِم!.

وقلتُ في وصف الشِّعر: الشعر مَعْدِنُ عِلْم العرب، وسِفْرُ حِكمتِها، وديوانُ أخبارها، ومستَوْدَعُ أيامها، والسُّورُ المضروب على مآثرها، وآلخَنْدَقُ المحجوزُ على مفاخرها، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار، والحُجّةُ القاطِعةُ عند الخصام؛ ومن لم يَقُمْ عندهم على شَرَفه وما يدَّعِيه لسلفه من المناقب

---

(١) المُخْلِيَةُ: الخالية من السكان؛ يقال: خلت الدار وأخلت.

(٢) الخالي: أي الخالي من الضوضاء. والحالي هو المتحلّي بالنّوّار، ومنه قول مالك بن أسماء (طويل).

ولما نَزَلْنا منزلاً طَلَّهُ النَّدَى أنيقاً وبُسْتاناً من النَّوْر حالياً

أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٦٢.

الكريمة والفَعَال الحميد بيتٌ منه. شَذَّت مَساعيه وإن كانت مشهورة، ودَرَسَت على مُرور الأيّام وإن كانت جِساماً؛ ومن قَيَّدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهَرها بالبيت النادر، والمَثَل السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجَحْد، ورفع عنها كَيْدَ العدوّ وغَضّ عين الحسود.

وما جاء في الشعر كثير. وقد أفردْتُ للشعراء كتاباً، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب. وذكرت هذه النُّتْفَةَ في هذا الكتاب كراهِيَةَ أن أُخْلِيَه من فَنٍّ من الفنون.

حُسن التشبيه في الشِعْر

من ذلك قولُ ابنِ الزُّبير الأسَديّ في الثُّرَيّا: [طويل]

وقد لاح في الغَوْر الثُّريّا كأنّما ... به رايةٌ بيضاءُ تَخفُق للطَّعْنِ[1]

شبّه الثُّرَيّا حين تدلّت للمَغيب براية بيضاء خَفَقت للطعن.

ومن ذلك قولُ عنترةَ في الذُّبَاب: [كامل]

وخَلا الذُّبابُ بها فليس بنازحٍ ... هَزِجاً كفِعْلِ الشاربِ المُتَرَنِّمِ[2]

غَرِداً يَحُكُّ ذِراعَه بِذِرَاعِهِ ... فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّناد الأَجْذَمِ[3]

شبّه حكّه يدَه بيده برَجُل مقطوع الكفَّين يَقْدَح النار بعُودَيْن.

---

(١) ورد هذا البيت في معاهد التنصيص للعباسي ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ، وفي الأغاني (ج ١٥ ص ١٦٦ طبعة بولاق): «وقد لاح في القَوْر» بدل: «وقد لاح في الغَوْر».

(٢) الضمير في «بها» يعود على الروضة التي تصدّي عنترة لوصفها في معلّقته. والهَزِجُ: المُصَوِّتُ.

(٣) غَرِدٌ: من غَرِدَ الطائرُ إذا رفع صوته في غنائه وطرِب. والمُكِبُّ: من أكبَّ على الشيء أي أقبل عليه ولزمه. والأجذمُ: المقطوع اليد؛ وقيل الذاهب الأنامل.

ومن ذلك قولُ أعرابي في العنَب: [كامل]

يَحْمِلْنَ أوعِيَــةَ السُّلافِ كــأنّمــا يَــحْمِــلْنهــا بــأكَــارع(١) النِّغْــرَانِ

أوعية السُّلاف: العنب، جعله ظرفا للخمـر، وشبّه شُعَب العنـاقيد التي تَحمِل الحبَّ بأرجُلِ النِّغْران.

وقال الآخر، وكان غَشِيَ عَيْنَيْه بياضٌ أو نَزَل فيهما ماءٌ [طويل]

يقــولــون مَــاءٌ طيِّبٌ خــانَ عَيْنَــهُ وما ماء سُوءٍ خان عَيْنِيْ بـطيبِ(٢)
ولــكــنّــه أَزْمَــانَ أنــظُرُ طــيِّــبٌ بعَيْنَيْ غُــدَافيٍّ عـلا فــوق مَـرْقَبِ(٣)
كـأَنَّ ٱبنَ جَحْلٍ مَـدَّ فضـلَ جَنـاحِـه على مــاءِ إنســانَيْهِمــا المُـتَغَـيِّبِ(٤)

شبّه ما علا الحَدَقة بجَناح فَرْخ من فِرَاخ الزنابير(٥) قد مُدَّ على ناظره.

ومن ذلك قولُ امرىء القيس وذكر العُقَاب: [طويل]

---

(١) أكارع النُّغران: أرْجُلهُا، وواحدتها كُراع وهـو مستدق السـاق مذكـر ومؤنث، والنِغْران: ج نُغَـر وهو البلبل؛ وقيل: طير كالعصافير حمر المناقير، والتصغير نُغَيْر والأنثى نُغَيْـرَة. وقد ورد هـذا البيت في لسان العرب مادة (نغر) لرجل يصف كَرْم عنب على الوجه التالي.

يَـحْمِــلْنَ أزقــاق المُــدام كــأنــمــا يَـحْـمِــلْنَـهــا بــأظــافــر الــنِّــغْــرانِ

وأضاف ابن منظور قائلاً: شبه الشاعر معالق العنب بأظافر النغران.

(٢) الماءُ الطَّيِّبُ: رطوبة غريبة في الثَّقْب العيني.

(٣) عيْنَـا غُدافيّ: عينـا غراب؛ يقـال: أسودُ غُـدافيّ إذا كـان شـديـد السـواد نُسب إلى الغُـداق (الغراب) والجمع غُدْقان. والمَرْقَبُ والمرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب.

(٤) الجَحْـلُ: اليعسوب العـظيم، وهو في خَلْق الجَـرادة إذا سقط فإنـه لا يَضُمُّ جناحيـه، والجمع جُحُوْل وجُحْلان. ومعنى هذا البيت والبيت الذي سبقه أن الشاعر، عندما كان صحيح العينين خالياً من ماء السوء، كـان نظره قـوياً كنـظر الغراب وقـد راقب فريستـه من مكان عـال لينقضَّ عليها، أو كنظر اليعسوب الذي، إذا ما رأى الماء من بعيد، سقط عليه سريعاً لتناوله.

(٥) الزنابير: ج زُنْبُوْر ذباب اليَمِّ اللَّسِع.

كأنّ قلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً   لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي[١]

شبّه الرَّطْب بالعُنّاب، واليابس بالحَشَف. وشبّه شيئين بشيئين في بيت واحد.

ومن ذلك قولُ أَوْس بن حَجَر وذَكَرَ السيف: [طويل]

كأنّ مَدَبَّ النملِ يلتمِسُ الرُّبَى   ومَدْرَج ذَرٍّ[٢] خاف بَرْداً فأسهلا

شَبّه فِرِنْدَ السيف[٣] بمدرج الذَّرّ ومدبّ النمل.

ومن ذلك قولُ أبي نُوَاس في البازي: [سريع]

ومَنْسِرٌ أكْلَفُ فيه شَغاً   كأنّه عَقْدُ ثَمانينا[٤])

ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ في آمرأة: [بسيط]

قامت تَصَدَّى له عَمْداً لتقتُلَه   فلم يَرَ الناسُ وَجْدا مثلَ ما وَجَدا

بجيدِ آدَمَ[٥] لم تُعقد قلائِدُه   ونَاهِدٍ مثلِ قَلْب الظَّبْي ما نَهَدا

فظَلّ كالحائِم[٦] الهَيْمانِ ليس له   صَبْرٌ ولا يَأْمَنُ الأعداءَ إن وَرَدا

شبّه ثَدْيَها في نُهوده بقلب الظبي في صلابته، ولا نعلم أحداً شبه الثَّدْي بقلب الظَّبْي غيرَه.

---

(١) العُنّابُ: شجر معروف، حبة كحب الزيتون في شكله. والحَشَف: أردأ التَّمْر أو الضعيف لا نَوَى له، أو اليابس الفاسد.

(٢) الذَّرُّ: صغار النمل، واحدة ذَرَّة.

(٣) فِرِنْدُ السيف: جوهره ووَشْيُهُ وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مَدَبُّ نمل.

(٤) الشَغَا: زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقُّف وانعطاف، ولذا سميت العُقاب بالشَّغْواء. وهنا يشبه الشاعر مَنْسِرَ البازي الذي فيه الشَّغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم، وصفة عقد الثمانين: أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام. أنظر بلوغ الأرب في أحوال العرب ج ٣ ص ٣٩٩.

(٥) يقال: ظَبْيٌ آدَمُ إذا أُشرب لونه بياضاً.

(٦) الحائم: العطشان الذي يحوم حول الماء. والهَيْمان: العطشان.

ومن ذلك قولُ جَحْدر(١) ٱلعُكْليّ في آمرأة: [طويل]

على قَــدَمٍ مكنـونــة اللونِ رَخْصَــةٍ وكَعْبٍ كَذِفْرَى جُـؤْذُرِ الرَّمْـلِ أَدْرَمَا(٢)

شبّه كعبها بأصل أُذُن الجُؤْذُر، وهو الصغير من أولاد البقر.

ومن ذلك قول حُمَيد بنِ ثَوْر(٣) يصف فَرْخ القطاة: [طويل]

كــأَنَّ على أشداقِهِ نَــوْرَ حَنْــوَةٍ(٤) إذا هــو مَدَّ الجِيْــدَ منه ليَــطْعَمَــا

ومن ذلك قول دِعْبِل(٥) يهجو آمرأة: [متقارب]

كــأنّ الـثـآلِيــلَ في وجـهـهــا إذا سَـفَــرَتْ بِــدَدُ الكِـشْمِشِ(٦)

لـهــا شَـعْــرُ قِــرْدٍ إذا آزَّيَّــنــتْ ووجـهٌ كبَيْضِ القَـطَا الأَبْـرَشِ(٧)

ومن ذلك قولُ أبي نُوَاس في وصف البطّ: [رجز]

---

(١) جَحْدَرُ العُكْلي شاعر من أهل اليمامة، كان في أيام الحجاج بن يوسف يقطع الطريق وينهب الأموال ما بين حَجْر واليمامة وحجر قصبة اليمامة. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١١٣.

(٢) مكنونة اللون: بيضاء؛ يقال: كَنَّ الشيُء: ابيضَّ. والرَّخْصَةُ: الناعمة واللَّيِّنة الطريّة. والذِّفْرى: العظم الشاخص خلف الأذن. وكعبٌ أَدْرَمُ: مُسْتَوٍ.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٨٢ من هذا الجزء.

(٤) الحَنْوَةُ: نبات سهلي طيب الريح.

(٥) في ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٤٥ - ٦٤٦: أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي الغَطَمَّش الحَنَفي.

(٦) الثّآليلُ: ج ثُؤْلُوْل وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. والبِدَدُ: ج بِدَّة وهي القطعة. والكِشْمِشُ: العنب الصغير.

(٧) الأبرش: ما به بَرَشٌ، والبَرَش كالبَرَص وَزْناً ومعنى.

كـأنّمـا يـصْفِـرْنَ مـن مَـلاَعق[1]

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجّاز في جارية سوداء: [رجز]

كـأنّهـا والكُحْلُ في مِـرْوَدِهـا تَكْحُلُ عينيها ببعض جِلْدِهـا[2]

ومن ذلك قولُ الجَعْدِيّ في فرس: [منسرح]

خِـيْطَ عـلى زَفْـرَةٍ فَـتَـمَّ ولـم يَـرْجـعْ إلى دِقَّـةٍ ولا هَضَمِ[3]

يقول هو منتفِخ الجَنْبَيْن، فكأنّه زَفَر فأنتفخ جنباه ثم خِيْطَ على ذلك.

ومن ذلك قول الطِّرمّاح يصف الثَّوْر: [كامل]

يَبْـدُو وتُضْـمِـرُهُ البـلادُ كـأنّـهُ سيفٌ على شَـرَفٍ يُسَـلُّ ويُـغْمَـدُ

ومن ذلك قول النابغة للنُّعمان: [طويل]

فـإنَّك كـالليـل الـذي هـو مُـدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتـأى عنـك واسِعُ

ومن ذلك قولُه في المرأة[4]: [كامل]

نَـظَرَتْ إليك بحـاجـةٍ لم تَقْضِهـا نَـظَرَ المريض إلى وُجـوه العُـوَّدِ

يقول: نظرتْ إليـك ولـم تَقْدِر أن تتكلّم، كمـا ينظُر المـريضُ إلى وجُوه عُوَّاده ولا يَقْدر أن يُكلِّمهم.

---

(١) هو صَدْرُ بيت عجزه:

«صَـرْصَـرَةُ الأقـلام فـي الـمـهـارقِ»

كمـا في الشعر والشعـراء ص ٧٠١ اذ ورد فيه بـأن هذا البيت من مستحسنـات شعـر أبي نواس في التشبيه. والمهارق: ج مُهْرَق وهو الصحيفة، فارسي معرَّب.

(٢) المِرْوَدُ: المِيْلُ يُكْتَحَلُ به؛ قيل له ذلك لأنه يدور في المكحلة مرة وفي العين أخرى. وسيذكر هذا البيت في ص ٤١ من الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٣) زَفْرَةُ الفرس: وسطه؛ يقال للفرس إنه لعـظيم الزَّفْـرة، أي عظيم الجـوف. والهَضَمُ: إستقامة الضلوع ودخول أعاليها، وهي من عيوب الخيل التي تكون خِلْقَةً.

(٤) يريد بالمرأة المتجرّدة زَوْجَ النُّعْمان.

ومن ذلك قولُ طَرَفَة: [طويل]

لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفَتَى لَكَا لطُول[1] المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليَدِ

ومن ذلك قولُ بعض الضَّبِّيين يصف أباريق الشَّرَاب: [طويل]

كأنَّ أباريقَ الشَّمُول عَشِيَّةً إوَزٌّ بأعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الحناجرِ[2]

ونحوه قولُ أبي الهنديّ[3]: [طويل]

سَيُغْني أبَا الهِنْدِيِّ عن وَطْبِ سالمٍ أباريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ[4]

مُفَدَّمَةٌ قَزّا كأنَّ رِقَابَها رِقَابُ بَنَاتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ[5]

ومن ذلك قولُ نُصَيب[6] في عبد العزيز بن مَرْوان: [متقارب]

وكلبُك آنَسُ بالمُعْتَفِيْنَ[7] من الأمِّ بآبنتِها الزائِرهْ

ومن ذلك قولُ عِديٍّ[8] بن الرِّقاع في الظبية: [كامل]

تُزْجِي أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِه قلمٌ أصاب من الدَّواة مِدَادَها[9]

---

(١) الطِوَلُ: الحبل الطويل تُشَدُّ به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترعى.

(٢) أباريقُ الشَّمُوْل: أباريق الخمر، وسميت بالشمول لأنها تجمع شَمْلَ شاربيها أو لأنها تشتمل على العقل فتملكه وتذهب به، أو لأن ريح الشمال أصابتها فَبَرَدَتْ. والأباريق: ج إبريق وهو إناء، فارسي معرَّب. والطَّفُّ: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. والمراد بالحناجر عوج الرقاب. وقائل هذا البيت هو شُبْرُمَة الضَّبي كما في لسان العرب مادة (برق).

(٣) أبو الهندي هو عبد المؤمن بن عبد القدّوس كما في لسان العرب مادة (وضر).

(٤) الوَطْبُ: زِقُّ اللبن، وهو هنا زِقُّ الخمر. والوَضَرُ: الدَّسَمُ؛ يقال: وَضِرَ الإناءُ يَوْضَرُ إذا اتَّسَخَ.

(٥) الإبريق المُفَدَّمُ: الذي على فمه فِدام وهو خِرْقة من قَزٍّ أو غيره. وبنات الماء: الإوزُّ وما يشابهها من طيور الماء.

(٦) هو نُصَيْبُ بن رباح، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٢٩٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٧) المُعْتَفُوْنَ: المحتاجون؛ يقال: إعتفى فلاناً: أتاه يطلب معروفه.

(٨) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٥٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٩) تُزَجي: تجري وتسوق وتندفع برفق. والأغَنُّ من الظباء: ما في صوته غُنَّة. والرَّوْق: القرن.

ومن ذلك قولُ بشّار: [طويل]

كأنّ مُثَار[١] النَّقْع فوق رُؤوسِهم ... وأسيافَنَا ليلٌ تَهَاوى كواكِبُهْ

ومن ذلك قولُه: [وافر]

جفَتْ عَيْنِي عن التَّغْمِيض حتَّى ... كأنَّ جُفونَها عنها قِصَارُ

ومن ذلك قولُ الآخر: [طويل]

ومولىً كأنَّ الشمسَ بيني وبينه ... إذا ما ٱلتقينا ليس ممن أُعاتبُهْ[٢]

يقول: لا أقْدِرُ على النظر إليه من بُغْضه، فكأنَّ الشمس بيني وبينه.

ومن ذلك قولُ الآخر: [بسيط]

كأنَّ نيرانَهم في كلّ مَنْزِلةٍ ... مُصَبَّغَاتٌ على أرسانِ قَصَّارِ[٣]

الناس يَستحسنون هذا، وأنا أرَى أن أقول: الأَوْلَى أن يُشبِّه المُصبَّغات بالنيران، لا النيران بالمصبَّغات.

الأبيات التي لا مِثْلَ لها

حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا مُعْتَمر عن لَيْث عن طاوس عن آبن عبّاس قال: إنّها كلمة نَبيّ: [طويل]

سَتُبْدِي لك الأيامُ ما كنْتَ جاهلاً ... ويأتِيْكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ[٤]

---

(١) النَّقْعُ: الغبار.

(٢) معنى هذا البيت لا أقدر أن أنظر إليه فكأن الشمس بيني وبينه. ومثل هذا المعنى قول آخر (وافر).

إذا أبْصَرْتَني أعْرَضْتَ عني ... كأن الشمسَ من قِبَلي تدورُ

أنظر الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ١١٠.

(٣) المُصَبَّغاتُ: الثياب التي صُبغت ولُوِّنت بالصِّبْغ. والأرْسانُ: ج رَسَن وهو الحبل، والقصارُ: الذي يُحَوِّرُ الثياب ويدُقُّها بالقصرة (قطعة من خشب).

(٤) هذا البيت من معلقة طرفة بن العبد، واسمه عمرو بن قيس بن ثعلبة؛ وقيل: إسمه عبيد، =

حدّثني الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أبرعُ بيت قالته العرب قولُ أبي[١] ذُؤيب [كامل]

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وأحسن ما قيل في الكِبَر قولُ حُمَيْد بن ثَوْر[٢] الهِلاليّ: [طويل]

أرَى بَصري قد رَابَني بعد صِحَّةٍ وحَسْبُك داءً أنْ تَصِحَّ وتَسْلَما[٣]

وأحسن مَن ابتدأ مرثية أوس بن حَجَر[٤] في قوله: [منسرح]

أيتُها النفسُ أجْملي جزَعَا إنَّ الذي تَكْرَهِين قد وَقَعا.

وأغرب مَن ابتدأ قصيدة النابغةُ في قوله: [طويل]

كِلِيني لِهَمٍّ، يا أُميمةُ، ناصِبِ وليلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكواكبِ

حدّثني الخَثْعَميّ الشاعر قال: أحسنُ بيتٍ قيل في الجُبْن قولُ نَهْشَل ابن حَرِّي[٥]: [طويل]

فلو كان لي نفسانِ كنتُ مُقاتِلاً بإحداهما حتى تَموتَ وأسْلِمَا

قال: وبيت المُخبَّل في قَساوة القلب: [بسيط]

= ولقب طرفة ببيت قاله. وكان النبي ﷺ إذا استراث الخبر تمثّل بعجز هذا البيت؛ قيل: أُنْشد النبي هذا البيت فقال: هذا من كلام النبوة. راجع معجم الشعراء ص ٢٠١ ـ ٢٠٢، والعقد الفريد (ج ٥ ص ٢٧١).

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٨٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب وبيته المذكور من مرثية قالها في أولاده الستة الذين ماتوا في عام واحد بمرض الطاعون. وهذا البيت قاله في الطفل السابع الذي بقي له. ولقد علّق عليه الأصمعي بقوله: هذا أبدع بيت قالته العرب. أنظر هذا البيت والأبيات التي قبله في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٨٢ من هذا الجزء.

(٣) سيذكر هذا البيت في صحيفة ٣٢١ من هذا الجزء.

(٤) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٣٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٣٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

يُبْكَى علينا ولا نَبْكي على أحدٍ لَنَحْنُ أغلظُ أكباداً من الإبْلِ

قال: وبيت عَبيد[1] في الإستعفاف: [مخلع البسيط]

مَنْ يسألِ الناسَ يَحْرِمُوه وسَائِلُ اللّهِ لا يَخِيْبُ

قال: وبيت مَنْجوف بن مُرّة السلمي في الإحتفاظ بالمال: [طويل]

وأدفعُ عن مالي الحقوقَ وإنَّهُ لَجَمٌّ فإنَّ الدهرَ جَمٌّ مصائبُهْ

قال: وبيت الحُطَيئة في إكرام النفس: [طويل]

وأُكرِمُ نفسي اليومَ عن سُوءِ طعْمَةٍ ويَقْنَى الحياءَ المرءُ والرمحُ شاجِرُهْ[2]

قال: وقول كعب[3] في الإقدام: [كامل]

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بَخطْوِنَا قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

قال: وبيت عمرو[4] بن الإطْنابة في الصبر: [وافر]

وقَوْلي كُلَّما جَشَأتْ[5] وجاشتْ مكانَكِ تُحْمَدِي أو تَستريحي

وأحسن من هذا عندي قول قَطَرِيّ[6]: [وافر]

---

(١) هو عبيد بن الأبرص، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٧٢ من هذا الجزء. ولقد ذكر هذا البيت في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٤ وج ٣ ص ٣٩) كما سيذكر في ص ١٨٨ من الجزء الثالث من كتابنا هذا.

(٢) قَنَى الحياءَ: لزمه. والبيت من قصيدة يذكر فيها الشاعرُ الزِّبْرِقَانَ بن بدر ويمدح آل شماس. أنظر ديوان الحُطَيْئة.

(٣) هو كعب بن مالك كما في البيان والتبين (ج ٣ ص ٤٠٣) وجاء في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٠) «يوماً» بدل «قُدُماً».

(٤) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ١٢٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) جَشَأت نفسُهُ تَجْشَأُ جُشُوءاً: نهضت وجاشت من حزن أو فزع وثارت للقيء.

(٦) هو قَطَرِيُّ بن الفُجاءة، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٢٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب. كما مرَّ بيتاه المذكوران في الصفحة المذكورة من الجزء الأول وشُرِحا في الحاشية رقم ٢ منه.

وقَـوْلي، كلمـا جَشَـأتْ، لِنَفْسي من الأبـطال وَيْحَـكِ لا تُـرَاعي
فـإنك لـو سألْتِ بقـاء يـومٍ على الأَجَل الذي لكِ لم تُطَاعي

قال: وبَيْتُ مِسكين[1] الدارميّ في الجُود: [طويل]

طَعَامي طَعَامُ الضَّيْفِ والـرَّحْلُ رَحْلُهُ ولم يُلْهِني عنـه الغـزالُ الـمُقَنَّـعُ

قال: وفي حسن الجِوَار قوله[2]: [كامل]

نـاري ونـارُ الجـارِ واحـدةٌ وإليـه قبلي تُنْزَلُ القِـدْرُ
مـا ضـرَّ جـاراً لي أُجـاوِرُه ألّا يكـونَ لِبَـابِـهِ سِتْـرُ

قال: وممن رضي بالقليل جَمِيْلٌ، قال: [طويل]
أُقلِّب طَـرْفي في السمـاء لعـلَّهُ يُـوافقُ طَرْفي طـرفَها حين تَنْظُرُ

وقول الآخر[3]: [وافر]
ألـيس الليـلُ يُـلْبِسُ أُمَّ عَـمْـرو وإيّـانـا، فـذاك بنـا تَـدَاني؟
تَـرَى وَضَـحَ النهـار كمـا أراهُ ويعلوهـا النهـارُ كمـا عـلاني

قال: وبيت عمرو بن كُلْثُوم في الجهل: [وافر]
ألَا لا يَـجْـهَـلَنْ أحـدٌ عـليـنـا فنَجْهَـلَ فـوق جهـلِ الجـاهلينا

قال: وبيت النابغة في ترك الإلحاح: [كامل]

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٣٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
(٢) أي قول الشاعر مسكين الدارميّ.
(٣) هو المعلوط كما في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٥٤ ويـروي فيه صـدر البيت الثاني هكذا:

«بَـلَى، وتـرى الـسـمـاءَ كـمـا أراهـا»

وقد تقدمت تـرجمة المعلوط في الحـاشية رقم ٣ من ص ١٤٩ من الجـزء الأول من هذا الكتاب.

فـاْستَبْـقِ وُدَّكَ للصـديـق ولا تكـن قَتَبـاً يَـعَضُّ بغَـارِبٍ مِلْحَـاحـا[1]

قال: وفي إدراك الثأر قول مُهَلْهِلْ: [بسيط]

لـقـد قتلتُ بـني بَـكْـرٍ بـربِّـهِـمُ حتى بكيْتُ ومـا يبكي لهمْ أحدُ[2]

قال: وبيت عُرْوة بن الوَرْد في تبليغ العذر في الطلب: [طويل]

لِتُبْلِغَ عُـذْراً أو تُـفِـيـدَ غـنـيـمـةً ومُبلِغُ نَفْسٍ عُـذْرَها مثـلُ مُنْجِحِ

قال: : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى: [طويل]

كُلُوا اليومَ من رزق الإلـه وأَبْشِـرُوا فـإنَّ على الـرحمن رِزْقَكُمُـو غـدا

قال: وفي الشجاعة قول العباس[3] بن مِرْدَاس: [وافر]

أَشُـدُّ على الكَتِيبـة لا أُبـالي أَحَتْفِي كـان فيهـا أم سِـواهـا

قال: وبيت المتلمّس في المال وتثميره: [وافر]

قليـلُ المـالِ تُصلحـه فـيَبْـقَى ولا يبقى الكثيـرُ عـلى الفسـادِ

وأخبرنا دِعْبِل بن عليّ الشاعـر قال: أهجي بيتٍ قيـل قولُ الـطِّرِمَّاح[4] في تميم: [طويل]

تميمٌ بـطُرْقِ اللُّؤْمِ أهـدى من القَـطَا ولـو سَلَكتْ طُـرْقَ المكـارِمِ ضَلَّتِ

---

(١) القَتَبُ: رَحْلٌ صغير على قدر السَّنام، والسَّنام حَدْبَةٌ في ظهر البعير. والغارب: ما بين السَّنام. وفي أساس البلاغة للزمخشري في مادة (قتب): «ومن المجاز قولهم للملحّ»: هو قَتَبٌ يَعَضُّ بالغارب، وقَتَبٌ: مِلحاح» ثم ساق بيت النابغة الذبياني مستشهداً به على ذلك.

(٢) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٥ ص ٢٢٠) والبيت الذي يليه هو:

آلـيْـتُ بـالله لا أرضـى بـقَـتـلـهِـمُ حتى أبـهـرجَ بكـراً أينـمـا وُجِـدوا

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ من ص ٢٩٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) ورد بيت الطِّرْماح مع بيتين آخرين في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤٥) والبيت التالي هو:

ولـو أنَّ بُـرْغُـوْثـاً عـلى ظهـر قـملةٍ رأتـه تـمـيـمٌ يـوم زَحْـفٍ لَـوَلَّـتِ

قال؛ وكذلك قولُ الأخْطَل: [بسيط]

قـومٌ إذا آستنْبَـحَ الأضيـاف كَلْبَهُـمُ قـالـوا لأُمِّهِمُو بُـوْلي على النـارِ[١]

قال: وكذلك قولُ الحُطيْئة للزِّبْرِقَان[٢] في قِصَر الهِمَّة: [بسيط]

دَعِ المكـارِمَ لا تَـرْحَـلْ لِبُغْيتِهـا وآقعُدْ فإنّـك أنت الطاعِمُ الكـاسي[٣]»

قال غيره: وقولُ الطِّرِمّاح في القِلّة والخُمول: [بسيط]

لـو كان يَخْفَى على الـرَّحمن خافيـةٌ مِنْ خَلْقِـه خَفِيَتْ عنـهُ بَنُـو أَسَـدِ

ونحوه قولُ الآخر[٤]: [متقارب]

وأنت مَلِيـخٌ كـلحم الـحُـوَا رِ لا أنت حُلْوٌ ولا أنـت مُـرُّ[٥]

---

(١) ذكـر ابن رشيق هذا البيت في العمـدة (ج ٢ ص ١٧٥) وقال: «ويقـال: إن أهجى بيت قـالـه شاعرٌ قولُ الأخطل في بني يربوع رهط جرير» وذكر البيت وأضاف قـائلاً: «لأنـه قد جمـع فيه ضروباً من الهجاء، فنسبهم إلى البخل بوقود النار لئلاّ يهتدي بها الضِّيفان، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة، ورماهم بالبخل بالحطب، وأخبر عن قِلّتها وأنَّ بَوْلَةً تُـطْفئها، وجعلهـا بولة عجوز، وهي أقل من بولة الشابة. . .».

(٢) يروي ابن رشيق في العمدة (ج ٢ ص ١٧٠) أن عمر بن الخطاب لما أطلق الحُطَيْئَة من حبسه إياه بسبب هجائه الزِّبْرِقان بن بدر قال له: إياك والهجاء المُقْذِع.

(٣) ورد هذا البيت في صحيفة ٢٣٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب فأنظره مشروحـاً هناك. كمـا وردت ترجمة الحطيئة في الحاشية رقم ١ من نفس الصفحة من الجزء الأول.

(٤) الشـاعـر هـو الأَشْعر الـرقبان الأسـدي كمـا في المؤتلف والمختلف ص ٤٧ و ١٣٣ ومعجم الشعـراء ص ١٢٠. وآسمه عمـرو بن حارثـة بن ناشب بن سـلامة بن الحـارث بن دودان بن أسد. شاعر جاهلي خبيث.

(٥) المليخ من اللحم: الذي لا طعم لـه، والمليخ من الإبـل الذي يلقـح وهو كـالعيايـاء الذي لا يحسن الضراب. والحُوارُ: ولد الناقة ساعة تضعه. لا أنت حلوٌ ولا انت مُرّ: أي لا يوجد لك طعم. وقد ذكر هذا البيت في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٦٩. وهذا البيت من جملة أبيات قالها الشاعر يخاطب رجلاً آسمه رضوان الأسدي كان نزل عنده فلم يُقْرِه. كمـا ورد في المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٤٧ و١٣٣، ومعجم الشعـراء للمرزبـاني ص ٢١٠، ولسان العرب مادة (مسخ) نذكر منها:

وقـد عـلم الـمـعـشـر الـطارقـوك بـأنـك لـلضـيـف جُـوْعٌ وقُـرّ =

وكذلك قولُ جَرِيرٍ في التَّيْم[١]: [وافر]

وإنَّــك لــو رأيتَ عبيــد تَيْـم وتَيْمـاً قُلْتَ أيُّهمـا العبيـدُ
ويُقْضَى الأمــرُ حيـنَ تَغِيبَ تَيْمٌ ولا يُسْتَــأْذَنُــون وهُـم شُهُــودُ[٢]

وأحسن ما قيل في الهيبة: [بسيط]

يُغْضِي حَيَــاءً ويُغْضَى من مَهَــابتــه فـمــا يُكَـلَّمُ إلّا حيـن يَبْـتَـسِـمُ

وأغرب ما قيل في مصلوبٍ قولُ محمد بن أبي حَمْزَة مَوْلَى الأنصار: [طويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ أصبحْتَ فوقَ مُشَـذَّب[٣] طَـوِيـل تُعَفِّيـكَ الـرياحُ مع القَـطْرِ
لقــد عِشْتَ مبســوطَ اليـدين مُـرَزَّأً[٤] وعُوفِيْتَ عند الموت من ضَغْطة القبر
وأفْلِتَّ مـن ضِيْـق التُّـراب وغَـمِّـهِ ولم تَفْقَدِ الدنيـا فهل لـك من شكر؟

وأغرب ما قيل في مجوسيٍّ قول أعرابيّ: [متقارب]

شَهِـدْتُ عليك بِطيبِ المُشَـاشِ[٥] وأنَّــك بـحــرٌ جَــوادٌ خِـضَــمّ

= إذا مـا آنتـدى القـومُ لمَ يَـأْتِهِـمْ كـأنـك قـد وَلَـدَتْـكَ الـحُـمُـرْ
وجاء في اللسان مادة (مسخ):
مَـسِـيْـخٌ مَـلِيْـخٌ الـحُـوار فـلا أنـت حُـلْوٌ ولا أنـت مُـرْ
وفي المثل: هو أمسخ من لحم الحُوار أي لا طعم له.

(١) التَّيْمُ: المُسْتَعْبَدُ؛ يقال: تَيْمُ الله أي عبد الله.

(٢) ورد البيتان في ديوان جرير ص ٣٣٢ ضمن قصيدة طويلة من ٧٧ بيتاً ومطلعها:
ألَا زارتْ وأهـلُ مِـنـىً هُـجُـودُ ولـيـت خـيـالـهـا بِـمِـنِـىً يـعـودُ
وفي الأغـاني (ج ٧ ص ١٧٧ طبعـة بـولاق) عـزا الأصفهـاني البيت الأول مع بيت آخـر من القصيدة إلى الأخطل.

(٣) جِذْعٌ مُشَذَّبٌ: مقشّر مما عليه من الشوك.

(٤) مُرَزَّأ: كريم يصيب الناس خيره.

(٥) قال الزمخشري في أساس البلاغة مـادة (مشش): «ومن المجاز: فـلان طيب المُشاش، وإنـه لَكَرِيْمُ المُشاش إذا كان بَرّاً».

وأنَّـك سيِّـدُ أهـلِ الجَحيمِ ... إذا مـا تَـرَدَّيْـتَ فيمـن ظَـلَمْ

ومن أغرب ما قيل في دَعِيٍّ قولُ إبراهيم بن إسماعيل البنوي : [بسيط]

لـو أنَّ مَـوْتَي تميمٍ كلّهـا نُشِـرُوا ... وأثبتـوك لَقِيْـلَ الأمـرُ مصنـوعُ

مثل الجديدِ إذا ما زِيدَ في خَلَقٍ ... تَبَيَّن النـاسُ أنَّ الثـوبَ مـرقـوعُ

ونحوه قولُ الآخر: [طويل]

أجارتَنا بَانَ الخَلِيطُ[1] فأبْشِري ... فمـا العَيْشُ إلا أنْ يَبِيْنَ خليْطُ

أعـاتِبُهُ في عِـرْضِه ليصـوْنَـه ... ولا عِلْمَ لِيْ أنَّ الأميـرَ لَقِيطُ[2]

ونحوه قولُ دِعْبِل[3] في مالك بن طَوْق: [بسيط]

النـاسُ كلُّهُمُـو يسعَى لِحَاجتـه ... مـا بين ذِي فَـرَحٍ منهمْ ومَهْمـومِ

ومـالـكٌ ظَـلّ مشغـولاً بنِسْبتـه ... يَرُمّ[4] منهـا خَرَابـاً غيـرَ مَرْمـومِ

يبني بيـوتـاً خـرابـاً لا أنيسَ بهـا ... مـا بين طَـوْقٍ إلى عَمْرو بن كُلْثومِ

التلطُّف في الكلام والجواب وحسن التعريض

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: ترك عَقِيلٌ عليّاً وذهب إلى مُعاوية؛ فقال معاوية: يا أهل الشام، ما ظنُّكم برجلٍ لم يصلُحْ لأخيه؟ فقال عَقِيل: يا

---

(١) الخليط: القوم الذين أمْرُهُم واحدٌ، وابن العم.

(٢) اللقيط: إسم لما يُطْرَحُ على الأرض من صغار بني آدم فراراً من تهمة الزِّنا أو خوفاً من العَيْلَة.

(٣) هو دِعْبِل الخُزاعي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٧ من ص ٥١ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) رَمَّ الحائطَ وغيره: أصلحه.

أهل الشام، إنَّ أخي خيرٌ لنفسه وشرٌّ لي، وإن مُعاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لي. قال: وقال مُعاوية يوماً: يا أهل الشام، إنَّ عمَّ هذا أبو لَهَب؛ فقال عَقيل: يا أهل الشام، إن عمَّةَ هذا حَمَّالة الحَطَب؛ وكانت أمّ جميل آمرأة أبي لهب وهي بنت حَرْب.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا أبو هِلَال عن قَتَادة قال: قال عُبَيد الله بن زِيَاد لقَيْس بن عَبّاد: ما تقول فيّ وفي الحسين؟ فقال: أَعْفِنيَ أعفاك الله! فقال: لتقولَنّ؛ قال: يجيء أبوه يوم القيامة فيشفَعُ له، ويجيء أبوك فيشفَع لك؛ قال: قد علمْتُ غِشّك وخُبْثك، لئن فارقتني يوماً لأضَعَنّ بالأرض أكثرك شَعْرا.

قيل لمَيْمُون بن مِهْران: كيف رِضَاك عن عبد الأعلى[1]؟ قال: نِعْمَ المرءُ عمرو بن ميمون.

مرّ عمر بن الخطّاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير، ففرّوا ووقف؛ فقال له عمر: ما لك لم تَفِرَّ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أُجْرِمْ فأخافَك، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك.

حدّثني الفضلُ بن محمد بن منصور بن زِياد كاتب البرامكة قال: قال عبد الله بن طاهر ذاتَ يوم لرجل أمره بعمل: إحذرْ أن تُخطىء فأُعاقبَك بكذا. (لأمر عظيم) قلت له: أيها الأمير، من كانت هذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابهُ على الإصابة!.

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئةٌ رَثّة، فسأل عنه، فقالوا: مِنْ تَغْلِب، فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقال له: أرى رِجْلين قَلّما وطئتا البطحاء؛ فقال

---

(١) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو.

لـه: البطحـاوات ثلاث: بـطحاء الجـزيرة[١]، وهي لي دونـك؛ وبـطحـاء ذي قار[٢]، وأنا أحقُّ بها منك؛ وهذه البطحاء[٣] وسواءٌ العاكفُ فيه والبادِي.

حدّثني سَهْل عن الأصمعيّ عن أبي عَمْرو بن العلاء أو غيره: أنَّ مُعاوية عَرَض فرساً على عبد الـرحمن بن حَسّان فقـال: كيف تراه؟ قـال: أراه أجَشَّ هَزيماً[٤]، يريد قول النجاشِيّ[٥]: [طويل]

ونَجَّى ٱبنَ حَـرْبٍ سابـحٌ ذُو عُـلاَلـةٍ أجشُّ هَـزِيـمٌ والرماحُ دَوَانـي

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال: ؛ حدَّثنا أبو سَلَمة عن حَمَّاد بن سلمة قال: أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن عَبَّاد المخـزوميّ أنَّ قريشـاً قالت: قَيِّضُوا[٦] لأبي بكر رجلاً يأخذه، فقيِّضوا له طَلْحَة بن عُبيـد الله؛ فأتـاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر، قم إليَّ؛ قال: إلاَمَ تدعوني؟ قـال: أدعوك إلى عبـادة اللاّت والعُزَّى[٧]؛ قال أبو بكر: من اللاَّت؟ قـال بناتُ الله، قـال: فمن أمّهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيبوا صاحبَكم، فسكتـوا؛ فقال طلحـة: قم يا

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات.
(٢) بطحاء ذي قار: موضع قريب من ذي قار، فيه كانت الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وكان النصر فيها لجانب العرب.
(٣) يريد بطحاء مكة.
(٤) الهزيم من الخيل: الشديد الصوت.
(٥) أنظر ترجمته وبيته المـذكور الـذي شرح مفصَّـلاً من الجزء الأول من هـذا الكتاب ص ١٦٣، الحاشيتان ٦ و ٧.
(٦) قَيِّضُوا له: هيّئوا وأنتخبوا له.
(٧) الـلاَّتُ والعُزَّى: من أصنـام عرب الجـاهلية؛ كـان الأول بالـطائف لثقيف، مبنياً على صخـرة هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة. والعُزَّى كان عبارة عن شجرة، عنـدها وَثَنٌ، يعبـدها غَطَفَان، وكانت قريش تعـظِّمها، فقـطع خالـد بن الوليـد الشجرة وهـدم البيت وكسر الـوثن. راجع جمهرة أنساب العرب ص ٤٩١.

أبا بكر، فإني أَشْهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسولُ الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبيَّ ﷺ فأسلم.

حدّثني محمد بن عُبَيد عن مُعاوية عن أبي إسحاق عن عُبيد الله بن عمر أنَّ عمر قال: من يُخبرنا عن قَنْدَابِيل[١]؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وَشَل[٢]، وتَمْرُها دَقَل[٣]، ولِصّها بَطَل؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا، وإن كان بها القليلُ ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحد بَعَثْتُه إليها أبداً.

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: مَرِض زِيادٌ فدخل عليه شُرَيْح، فلما خرج بعث إليه مسروقُ بن الأجدع يسأله: كيف تركْتَ الأمير؟ قال: تركْتُهُ يَأْمُرُ وينْهَيْ، فقال مسروق: إنَّ شُرَيحاً صاحبُ تعريض فسَلُوه فسألوه؛ قال: تركته يأمر بالوصِيَّة وينْهَي عن البكاء. ومات آبنٌ لشُرَيح ولم يشعرُ به أحدٌ، فغدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح مَن تَصِل يا أبا أميّة؟ فقال: الآن سكن عَلَزُه[٤] ورجاه أهلُه.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثني بعض الأعراب قال: هَوِيَ رجلٌ آمرأةً ثم تزوّجها، فأهدَى إليها ثلاثين شاةً وزِقّاً من خَمْر، فشرِب الرسولُ في الطريق بعض الخمر وذبح شاةً؛ فقالت للرسول لمّا أراد الانصراف: اقرأ على مولاك السلام، وقل له إنَّ شهرنا نَقَص يوماً، وإنَّ سُحَيْما راعِي شائِنا أتانا

---

(١) قَنْدابيل: مدينة بالسِّند، وهي قصبة لولاية يقال لها الندهة كانت فيها وقعة لهلال بن أحْوَز المازني على آل المهلب. معجم البلدان ومعجم ما آستعجم للبكري.
(٢) الوَشَلُ: الماء القليل والكثير ضدّ. والمراد هنا الماء القليل.
(٣) الدَّقَلُ: أردأ التمر.
(٤) العَلَزُ: القلق والكرب عند الموت.

مرثوماً(١). فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقرّ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: خَطَب أعرابي إلى قوم، فقالوا: ما تبذل مِنَ الصَّدَاق؟ وآرتفع السَّجْف(٢) فرأى شيئاً كَرِهَه، فقال والله ما عندي نَقْد، وإني لأكره أن يكون عليّ دَيْن.

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: قال سَلْم بن قُتَيبة للشَّعْبيّ: ما تشتهي؟ قال: أعزُّ مفقود، وأهْوَنُ موجود؛ قال: يا غلام، إسقه ماء.

المدائني قال: كان لابن عَوْنٍ آبنُ عمٍّ يُؤذيه، ولَاحَاه(٣) يوماً فقال له آبن عون لمّا بلغ منه: لِتَسْكُتَنَّ أو لأشتمنَّ مُسَيْلِمة. فشهد بعد ذلك عند عُبيد الله ابن الحسن، فردّ شهادتَه.

المدائني: قال المغيرة بن شُعْبة: ما خَدَعني أحدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب، فإني ذكرْتُ آمرأة منهم، فقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها، إني رأيت رجلاً قد خلا لها يقبِّلُها، ثم بلغني بعدُ أنه تزوّجها، فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ فقال: بلى! رأيت أباها يقبّلها.

قال المدائني: أتى شُريحاً القاضيَ قومٌ برجل، فقالوا: إن هذا خَطَب إلينا: فسألناه عن حرفته فقال: أبيع الدوابَّ؛ فلما زوَّجْناه، فإذا هو يبيع السنانير؛ قال: أفلا قلتم أيَّ الدوابّ تبيع! وأجاز ذلك.

المدائني قال: دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده آبن شُبْرُمَةَ،

---

(١) مَرْثُوم: مكسور؛ يقال: رُثِم أنف فلان أو فوه إذا كُسر حتى تقطر بالدم.
(٢) السَّجفُ بفتح السين وكسرها: السِّتْر.
(٣) لاحاه: نازعه.

فقال له: أتعرفه؟ وكان رُمِي عنده بريبة قال: نعم، إنَّ له بيتاً وشَرَفاً وقَدَماً، فخلّى سبيله فلما خرج قال له أصحابه: أعَرَفْتَهُ؟ قال: لا، ولكني أعلم أنَّ له بيتاً يأوي إليه، وشرفه أُذناه ومَنْكِباه، وقَدمه هي قدمه التي يمشي عليها.

المدائني قال: سُئل الشعبيّ عن رجل، فقال: إنه لنافذ الطَّعْنة، رَكِين القِعْدة، يعني أنه خَيّاط فأتوه فقالوا: غَرَرْتَنا؛ فقال: ما فعلت! وإنه لَكَما وصفت.

المدائني قال: أُتِيَ العُرْيانُ بن الهيثم بشابٍّ سَكران، فقال له: من أنت؟ فقال[1]: [طويل]

أنا آبنُ الذي لا ينزلُ الدهرَ قِدْرُهُ ... وإنْ نَزَلَتْ يوماً فسوف تعودُ
ترى الناسَ أفواجاً إلى ضَوْءِ نارِه ... فمنهم قِيامٌ حولَها وقُعودُ

فظنّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلّاه، ثم ندِم على ألّا يكون سأله مَنْ هو، فقال لبعض الشُّرَط: سَلْ عن هذا، فسأل، فقالوا: هو آبن بَيّاع البَاقِلّي.

دخل حارثةُ بن بدر الغُدَانيّ على زِياد، وكان حارثة صاحب شرابٍ وبوجهه أثر، فقال له زياد: ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال حارثة: أصلح الله الأمير، ركِبْتُ فرساً لي أشقر فحَمَلني حتى صَدَم بين الحائط، فقال زياد: أَمَا إنك لو ركبْتَ الأشهب لم يُصِبْك مكروه؛ عَنَى زيادٌ اللبنَ، وعنى حارثةُ النبيذَ.

---

(١) ورد هذا القول مع البيتين في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٦) والتاء في «نَزَلَت» تعود على القِدْر، لأن القدر مؤنث، وهي إناء يطبخ فيه. وهنا يفتخر قائل البيتين بكرم أهله. ومعنى البيت الأول: إن قِدْرهم لا ينزل عن النار لحظة واحدة، وإذا ما نزلت عن النار فإنها ستعود في اليوم التالي لتقوم بواجبها تجاه الضّيفان.

قعد قوم على نبيذ فسَقَط ذُباب في قَدَح أحدهم، فقال رجل منهم: غُطَّ التميميّ، فقال آخر: غُطَّه فإنْ كـان تميمياً رَسَبَ، وإن كـان أَزْدِيّاً طَفَـا؛ قال رَبُّ المنزل: ما يسرُّني أنه كـان قال بعضكم حـرفا. وإنمـا عنى أنَّ أَزْدَ عُمَان مَلّاحون..

المـدائني قال: رأى رجـل في يد آمـرأة كانت تـأتيه خـاتَمَ ذهبٍ، فقال لهـا: إدفعي إليَّ خاتمـك أذكرك بـه، فقالت: إنـه ذَهَب، وأخـاف أن تـذهب، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود.

حدّثني الزياديّ قال: حـدّثنا عبـد الوارث بن سعيـد عن عبد العـزيز بن صُهَيْب عن أَنَس قال: أقبل النبي ﷺ إلى المدينة مُردفاً أبا بكر شيخـاً يُعْرَف، ورسول الله شابٌ لا يُعرف، فيَلْقَى الرجلُ أبا بكر فيقول: يا أبا بكـر، مَنْ هذا الرّجلُ الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل؛ فيحسب السامع أنه يهديه الطريق، وإنما يعني سبيلَ الخير.

كان سِنَان[1] بن مُكمِّل النميريّ يُشاير آبنَ هُبَيْرَةَ يوماً وهو على بغلة، فقـال له عمر بن هبيرة: غُضَّ من بغلتك؛ قـال: كلا! إنهـا مكتوبـة. أراد آبن هبيرة قول الشاعر[2]: [وافر]

---

(١) في نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦١): «أيوب بن ظبيان النميري» بدل «سنان بن مُكَمِّل النميري».

(٢) الشاعر هو جرير كما صرّح بذلـك ابن قتيبة في ص ٨٥ من الجـزء الرابـع من هذا الكتـاب؛ وكما ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٨) حيث قال: «وكـان سِنان بن مُكَمِّـل النُمَيْـري يسايـر عمر بن هبيرة الغزاريَّ يـوماً على بغلة، فقـال له ابن هبيـرة: غُضَّ من عنان بغلتك؛ فقال: إنها مكتوبة، أصلح اللّهُ الأميَر، أراد ابن هبيرة قول جرير.» وذكر البيت.

فَغُضَّ الطَّرف إنّك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كلابَا[١]

وأراد سنان قولَ الآخر[٢]: [بسيط]

لا تأمَنَنَّ فَزارِيّاً خَلَوْتَ به على قَلُوصِك وٱكتُبْها بأَسْيارِ[٣]

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء الملّفف في البِجاد[٤]؟ فقال: هو السَّخِينة[٥] يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر: [وافر]

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم فسَرَّك أنْ يعيشَ فجيء بِزَادِ
بخُبْزٍ أو بتمر أو بِسَمْنٍ أو الشيءِ الملفَّفِ في البِجَادِ[٦]

---

(١) سيرد هذا البيت في ص ٨٥ من لجزء الرابع من هذا الكتاب.
(٢) الشاعر هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣١٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) وقال الآمدي في المختلف والمؤتلف ص ١١٦: هو سالم بن مسافع بن يربوع بن غطفان، ويربوع هو دارة، سمي بذلك لأنه كان جميلاً فشبه بدارة القمر. وقيل: دارة أمه وهي آمرأة من بني أسد سمِّيت بذلك لأنها كانت جميلة فشبهها بدارة القمر، ولأن سالماً يقول (بسيط).
أنا آبن دارةَ معروفاً بها نسبي وهل بدارة يا لَلنَّاسِ من عارِ؟
وهذا البيت من نفس القصيدة التي ينتمي إليها بيت ابن دارة المذكور.
(٣) القَلُوصُ: الناقة الشابة بمنزلة الجارة من النساء أو الناقة الطويلة القوائم، والجمع قلائص وقُلُص. وهنا يشير آبن دارة إلى ما كانت تُعَيَّر به بنو فزارة من إتيانها الإبل. وسيذكر هذا البيت في ص ٢١٤ من هذا الجزء وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٨).
(٤) البِجادُ: كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب.
(٥) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن. وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٢): السخينة طعام كانت قريش تعمله من دقيق، فكانت تُسَبُّ به (لأنها كانت تكثر من أكلها حتى عُيِّرت بها وسُمُّوا سخينة) وذكر قول حسان بن ثابت فيهم (كامل).
زَعَمَتْ سخينةُ أنْ ستغلب ربَّها ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغُلَّاب
(٦) ورد هذان البيتان مع بيت آخر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٢) والبيت الثالث متمِّمٌ للمعنى كما ترى.
تراه يَطُوفُ في الآفاق حِرْصاً ليأكل رأسَ لُقْمانَ بن عادِ

وأراد الأحنف[١] أنَّ قريشاً تُعَيَّر بأكل السخينة.

المدائني قال: سأل الحَرَسِيّ أبا يوسف القاضي عن السواد؛ فقال: النور في السواد. يعني نور العينين في سواد الناظر.

المِدائني قال: لقي شيطانَ الطّاقِ[٢] خارجيٌّ فقال: ما أُفارقك أو تَبْرَأَ من عليّ، فقال: أنا من عليّ ومن عثمان بريء. يريد أنه من عليّ، وبريء من عثمان.

سمِع عمر بن الخَطّاب امرأةً في الطَّوَاف تقول: [طويل]

فمنهنَّ مَنْ تُسْقَى بعَذْبٍ مُبَرَّدٍ نُقَاخٍ[٣] فتلكُمْ عند ذلك قَرَّتِ
ومنهنَّ مَنْ تُسْقَى بأخضرَ آجِنٍ أُجَاجٍ ولولا خَشْيةُ الله فَرَّتِ[٤]

فعلم ما تشكو، فبعث إلى زوجها فوجده متغيِّر الفم، فخيّره بين خمسمائة درهم أو جاريةٍ من الفَيْء على أنْ يطلِّقها فاختار خمسمائة، فأعطاه وطلّقها[٥].

حدّثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال: كنت واقفاً بهذا المكان، وأقبلتِ امرأة من هذه الناحية، وغلامٌ من الناحية الأخرى أبيض الوجه

---

(١) هو الأحنف بن قيس كما في نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٢) الطاق: خِصْنٌ بطبرستان سكن به أبو جعفر محمد بن النعمان، الملقب بشيطان الطاق؛ وإليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة. ولقد ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٥): «ولقي شيطانُ الطاق رجلاً من الخوارج وبيده سيف، فقال له الخارجي: والله لأقتلنَّكَ أو تبرأ من عليّ. فقال له: أنا من علي ومن عثمان بريء».

(٣) النُّقاخُ: الماء البارد العذب الصافي.

(٤) الآجِنُ: الماء المتغيّر الطعم واللون. والماء الأُجَاجُ: الشديد الملوحة والمرارة. وقد ورد البيتان في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٣).

(٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٣): «ففهم شكواها، فبعث إلى زوجها، فوجده متغيِّر الفم، فخيَّره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها، فاختار الدراهم، فأعطاه وطلَّقها».

رائعه، ونظرت إليه المرأة، فلما آلتقيا قالت له: ما آسمك يا فتى؟ قال: محمد؛ قالت: ابن من؟ قال: ابن زانة، وتبسّم عن ثغر أفلج[1] مختلف قبيح؛ فقالت: واحَرَباهُ على ما قال! فقلت لها: قد وقعْتُ لك عليها؛ قالت: من أين؟ قلت: من كنية أبي الخير النصرانيّ كاتب سعيد الحاجب، أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير إلى زانة، صار هذا أبا الخر، وصار هذا آبن زانية.

مر آبن أبي عَلْقَمة بمجلس بني ناجية[2] فكَبَا حمارُه لوجهه فضحكوا؛ فقال: ما يضحككم! إنه رَأى وجوه قُرَيش فسَجَد.

قال عمرو[3] بن بحر: قال أبو الهذيل لمحمد بن الجَهْم وأنا عنده: يا أبا جعفر، إني رجلٌ مُنخرِق الكفّ لا أُلِيق[4] درهما، ويدي هذه صَنَاعٌ في الكَسْب ولكنها في الإنفاق خَرْقاء، كم من مائة ألف درهمٍ قَسَمْتها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك! أسألُك بالله يا أبا عثمان، هل تعلمْ ذلك؟ قال: يا أبا الهذيل، ما أشك فيما تقول؛ قال: فلم يَرْضَ أنْ حَضَرْتُ حتى آستشهدني، ولم يرض إذ آستشهدني حتى آستحلفني.

قال المدائنيّ: بعث يزيد بن قَيْس الأرحَبِيّ، وكان والياً لعليّ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد آنصرافه من الولاية وتَرَكَ آبن الحَنَفِيّة، فضرب عليّ ـ عليه السلام ـ على جنب آبن الحنفيّة وقال: [وافر]

---

(١) أفلج: متباعد ما بين الأسنان.

(٢) بنو ناحية قبيلة قتلهم عليٌّ رضي الله عنه، على الرِّدَّة وسباهم، وهم من بني سامة بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مَعَدّ بن عدنان. انظر جمهرة أنساب العرب ص ١٢ ـ ١٣.

(٣) هو الجاحظ، وقد ورد هذا الخبر في كتابه البخلاء (ص ١٣٥ ـ ١٣٦) باختلاف بسيط عما هنا.

(٤) يقال: فلان ما يُلِيْقُ درهماً: أي ما يمسك.

وما شَرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمروٍ بصاحِبِك الَّذي لا تَصْبَحِيْنا[١]

فَرَجَعَ يزيد إلى منزله وبعث إلى آبن الحنفيّة بهديّة سَنِيَّة.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدّثني موسى بن محمد قاضي المدينة، قال: مرّ رجل بأعرابي يوقد في أصل مِيْلٍ، فقال: كم على الميل؟ فقال: لستُ أقرأ، ولكنّ كتابه فيه؛ قال: وما كتابه؟ قال: مِحْجَنٌ وخَلْقَة سِمْط وثلاثة أَطْباء وحَلْقَة مُذَنَّبة[٢] (يغني صورة خمسة).

قال أبو اليقظان: إن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة هو الذي قيل فيه:

[طويل]

لذي الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا ليَعْلَما

وذلك أنَّ سعد بن مالك كان عند بعض الملوك[٣]، فأراد الملك أن يبعث رائداً يرتاد له منزلاً ينزِله، فبعث بعمرو فأبطأ عليه، فآلى الملك لئن جاء ذامّاً أو حامداً ليقتلنَّه؛ فلما جاء عمرو وسَعْدُ عنده، قال سعد للملك؛ أتأذَنُ لي فأكلِّمه؟ قال: إذاً أقطع لسانك؛ قال: فأُشير إليه؛ قال: إذاً أقطع يدك؛ قال: فأُومىء إليه؛ قال: أقطع حِنْوَ[٤] عينك؛ قال: فأقرَعُ له العصا؛ قال: إقرَعْ فأخذ العصا فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هَزَّها بين

(١) مرَّ هذا البيت في ص ٤٩ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٢) المِحْجَنُ: العصا المنعطفة الرأس كالصولجان، والمراد رأس حرف الخاء. والسِّمْطُ: خيط النَّظْم ما دام فيه الخرز واللؤلؤ، والمراد حرف الميم. والأَطْباء: ج طِبْي وهو حَلَمات الضَّرْع التي من خُفٍّ وظِلْفٍ وحافر وأكثر ما يكون للسباع، والمراد بالأطباء الثلاثة حرف السين. والمراد بالحَلْقة المذنَّبة حرف الهاء المنقلبة عن تاء التأنيث. وهكذا تكون صورة الكتابة صورة «خمسة».

(٣) هو النعمان الأكبر كما في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٧).

(٤) حِنْوُ العين: حِجاجها وهو العظم الذي ينبت عليه الحاجب.

يـديه، فلَقِنَ[١] عمـرو، فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أتيتُـك من أرضٍ زائـرُهـا واقف، وساكنُها خائف، والشَّبْعَى بها نائمة، والمهزولةُ سـاهرةٌ جـائعة، ولم أَرَ خِصْباً محلا، ولا جَدْبا هزلا.

لما حُكِّم أبو مـوسى وقَدِمَ ليحّكم، دَسّ معـاويةُ إلى عمـرو رجلاً ليعلم علمَـه وينظر كيف رأيـه؛ فأتـاه الرجـل فكلّمه بمـا أمره بـه، فعَضّ عمرو على إبهامه ولم يُجِبْه؛ فنَهَض الرجل فأتى مُعاويةَ فأخبره؛ فقـال: قاتله الله! أراد أن يُعلمني أني فررتُ قارحاً[٢].

حـدّثني أبو حـاتم قال: حـدّثني الأصمعي قال: حـدّثنا عيسى بن عمـر قـال: سأل الحجـاج جبر بن حبيب عن رجـل، وكره أن يعـاقبه إن دلَّ عليـه، فقال: تركته والله جسدا يُحَرَّك رأسُه يُصَبُّ في حلقـه الماء، والله لئن حُمِـلَ على سرير ليكونَنّ عليه عورةً؛ قال: فتركه.

حـدّثني القاسم بن الحسن عن خـالد بن خِـدَاش عن حَمّاد عن مُجـالد عن عُمَيْر بن روذى قال: خَطَبَنا عليٌّ عليه السلام فقال: لئن لم يدخـل الجنة إلا من قتل عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقيل له: ما صنعتَ! فرّقت الناس فَخَطَبهم فقال: إنكم قد أكثرتم في قتل عثمان، ألَا وإن الله قَتَله وأنا معه؛ قال: فحدّثنا خالد عن حَمّاد عن حَبِيب بن الشَّهيد عن محمد بن سِيرِينَ قال: كلمةٌ عربيّة لها وجهان. أأي وسيقتلني معه.

سأل زيادٌ رجلاً بالبصـرة: أين منزلـك؟ فقال: وَاسِط، قـال: مالَـكَ من الولد؟ قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبك في كل مـا سألتـه، ما لـه إلا

(١) لَقِنَ الرجلُ: فهم.
(٢) فَرَّ الدابَّة فَرّاً وفَراراً: كشف عن أسنانها ليعرف ما سنُّها. والقـارحُ من ذي الحافـز: الذي طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل، والمراد هنا أنه اختبر محنكاً.

ابنٌ واحد، وإن منزلَه بالبصرة، فلما عاد إليه، قال: ذكرْتَ أن لك تسعة من الولد، وأن منزلك بواسط؟ قال: نعم؛ قال: خُبِّرْتُ بغير ذلك؛ قال: صَدَقْتُ وصَدَقوك، دفنْتُ تسعة بنين فهم لي، ولي اليوم آبن واحد ولست أدري أيكون لي أم لا: وأما منزلي فإلى جانب الجَبّان[١] بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأيّ منزلٍ أوسط منه! قال: صدقت.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عيسى بن عمر قال: قال المختار لجنده: يا شُرْطة الله، ليَخرُجَنّ إلى قريبٍ على الكعبة الحرام دابّةٌ[٢] له ستّ قوائمٌ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم آلتفت إلى رجل إلى جانبه فقال: أعني اليَعْسُوب.

كان إبراهيم إذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس إليّ.

بلغني عن معاوية بن حَيّان عن المبارك بن فَضَالة عن عبد الله بن مسلم ابن يَسَار، قال: كان أبي إذا غَضِبَ على البهيمة، قال: أَكَلْت سمّاً قاضيا

حدّثني زيد بن أخزم قال: حدّثنا أبو قُتَيبة قال: حدّثنا أبو المِنهال البَكْرَاويّ قال: كان الحسن إذا أُخِذَ من لِحْيته شيء، قال: لا يكن بك السوءُ.

وقيل للحسن؛ أتى رجلٌ صاحباً له في منزله وكان يصلي، فقال:

---

(١) الجبأن والجَبَّانة: المقبرة.

(٢) تقع الدابة على المؤنث والمذكر؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

أدخل؟ فقال في صلاته: ﴿أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[١]؛ فقال: لا بأس.

كان محمد بن عليٍّ إذا رأى مُبتلىً أخفى الاستعاذة. وكان لا يسمع من داره يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هذا؛ ويقول: سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد الله، فتقولون: يا عبد الله، بُورك فيك.

قيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. قيل: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم (يعني للشمس).

كان رَشْمُ[٢] عمر بن مِهْران الذي يرشُم به على طعامه: اللهم آحفَظْهُ ممن يَخْطَفه.

خرج رجل من بني أَسَد بإبل له يسقيها، ومعه آبنة له جميلة عاقلة، حتى دفع إلى ماء لبني فَزَارة، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله؛ فقالوا: على ألا تجأْجىء[٣] بها، قال: فإذاً لا تشربُ شُرْبَ خير؛ قالوا: إن رَضِيْتَ وإلاَّ فآنصرفْ؛ فقالت له الجارية: أشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك؛ فأخذ الدلوَ، وجعلت الجارية ترتجز وتقول: [رجز]

جاريةٌ شَبَّتْ شبابَ العُسْلُجِ ... ذاتُ وِشاحينِ وذاتُ دُملُجِ[٤]
وذاتُ ثَغْرٍ أشنبٍ مُفلَّجِ ... وذات خَلْقٍ مُستتِبٍّ مُدْمَجِ[٥]

---

(١) سورة الحجر ١٥، آية ٤٦. والمعنى: أدخلوا الجنة فإنها دار الغنى عن كل شيء والأمان من كل خوف.
(٢) الرَّشْمُ: خَتْم بيدر الحنطة بالرَّوْشم فيبقى أثره فيه، والرَّوْشم لوح منقوش تختم به البيادر.
(٣) جأجأ بالإبل: دعاها لورد الماء لتشرب قائلاً لها: جيء جيء.
(٤) العُسْلُجُ: الغصن الناعم. والدُّمْلُجُ: ما يشدُّ على العَضُد من الحلي.
(٥) المقصود بالثغر أسنانها. والشَّنَبُ في الأسنان عذوبتها. والأسنان المُفلَّجةُ: التي فيها تباعد. وقد يعني بالثغر الأشنب رقة وصفاه شفتيها. ومُسْتَتِبٌّ: مستقيم. ومدمج: حُكَمٌ أي مكتنز غير مُنْتَرِخٍ.

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رويتْ من غير أن جأجأ بها.

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا[1] ولا يتنحنح، فلما شربه وتَقَطّع في حَلْقه؛ قال: كَبْشٌ أملح؛ فقال صاحبه؛ فَعلَهَا وربِّ الكعبة! فقال: مَن فعلها فلا أفلح. وكان ما تبايعا عليه كبشا.

قال الأصمعي: قلت لأعرابي معه شَاءٌ: لمن هذه الشّاء؟ فقال: هي لله عندي.

حدّثني أبو الخَطّاب قال: حدّثنا أبو داود عن عمَارة بن زاذان قال: حدّثنا أبو الصهباء قال: قال الحجّاج لسَعِيدِ بن جُبَيْر: اخْتَرْ أيَّ قِتْلةٍ شِئْتَ؛ فقال له: بلِ آختر أنت لنفسك، فإن القِصاص أمامك.

وَلِيَ هَرْثمةُ الحرسَ مكان جعفر بن يحيى، فقال له جعفر: ما آنتقلتْ عني نعمةٌ صارت إليك.

أمر الحجّاجُ آبنَ القِرِّيّة أن يأتي هندَ بنت أسماء فيطلقها بكلمتين، ويُمَتِّعها بعشرة آلاف درهم؛ فأتاها فقال لها: إنَّ الحجّاج يقول لك: كنْتِ فبِنْتِ، وهذا عشرة آلاف مُتْعةً لك: فقالت: قل له: كنا فما حَمِدْنا، وبِنّا فما ندمْنَا؛ وهذه العشرة الآلاف لك ببشارتك إياي بطلاقي.

سئل سُفيان بن عُيَيْنة عن قول طاوُس في ذَكَاة السمك أو الجراد؛ فقال آبنه عنه: ذَكَاتُه صَيْدُه.

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة،

---

(١) اللبن الحازر: الحامض.

فقام رجل من عُذْرَة يقال لـه يزيـد بن المقنّع، وآخترط(١) من سيفه شِبْـرا، ثم قـال: أميرُ المؤمنين هـذا، وأشار إلى مُعـاوية، فـإنْ يَهْلِكْ فهـذا، وأشـار إلى يزيد، فمن أبي فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: أنت سيِّد الخطباء.

قال رجل من أهل الحجاز لابن شُبْرُمَة: مِنْ عندنا خَرَجَ العلمُ؛ قال آبن شبرمة: ثم لم يَعُدْ إليكم.

قال المدائنيّ: قال معاويـةُ لابن عبّاس؛ أنتم، يـا بني هاشِم، تُصـابون في أبصاركم؛ فقال آبن عباس؛ وأنتم، يا بني أميـة، تصابـون في بصائـركم. وقال له معاوية: ما أبينَ الشَّبَق(٢) في رجالكم! فقال: هو في نسائكم أَبْين.

أبو اليقظان قال: قال آبن ظَبْيـان التَّيْميّ لزُرْعـة بن ضَمْرَة: لقـد طلبتك يوم الأهواز ولو ظَفِرْتُ بك لقطعْتُ منك طابَقـاً سُخْناً؛ قـال: أفلا أدلُّـك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع؟ قال: بلى! قال: بَظْرٌ بينَ إسْكَتَيْ(٣) أُمّك.

أبو اليقظان قال: بعث الحجّاج إلى الفُضَيْل بن بَزَوَان العَـدْواني، وكان خيِّراً من أهل الكـوفة، فقـال: إني أريد أنْ أُوَلِّيـك، قال: أَوَ يُعْفيني الأميـر؟ فـأبى وكتب عهدَه، فـأخذه وخـرج من عنده فـرمى بالعهـد وهَرَب، فـأُخِذَ بـه الحجّـاج، فقال: يـا عدوّ الله؛ فقـال: لستُ لله ولا للأميـر بعـدوّ؛ قـال: ألم أكرمك؟ قال: بل أردْتَ أنْ تَهينني؛ قـال: ألم أستعملك؟ قال: بـل أردْت أن

(١) أي آستلّه من غِمْده بمقدار شبْرٍ.
(٢) الشَّبَقُ: شدّة الشهوة.
(٣) الإسْكَتَان: شُقْرا الرَّحِمِ أو جانباه مما يلي شُفْرَيْه.

تستعبدني؛ قال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١] الآية؛ قال: ما آستوجبْتُ واحدةً منهن؛ قال: كل ذلك قد آستوجبت بخِلافك. وأمر رجلاً من أهل الشام أن يضرب عُنقه.

سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني حجر بن عبد الجبّار عن عبد الملك ابن عُمَيْر قال: كان في مجلس زياد، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زواياه كتاب بقلم جليل: الوالي شديد في غير عنف، لَيِّنٌ في غير ضعف؛ الأَعْطِية لإبّانها[٢]، والأرزاقُ لأوقاتها؛ البُعُوث لا تُجَمَّر[٣]؛ المحسن يُجْزَى بإحسانه والمسيء يُؤْخذ على يديه كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها.

قال سليمان: وحدّثنا أبو سفيان الحميريّ قال: أَبْلَى أبو جَهْم بن كَنانة يوم الراوية، فقال له الحجاج: من أنت؟ قال: أنا أبو جهم بن كنانة، قال له الحجاج: قد زِدْناك في آسمك ألفاً ولاما فأنت أبو الجَهْم، وزِدْنا في عطائك ألفا.

العباس بن بَكّار عن عُبَيد الله بن عمر الغَسّانيّ عن الشعبيّ قال: قال مُعاوية لشَدّاد بن أوس: يا شدّاد، أنا أفضل أَمْ عليّ؟ وأينا أحبُّ إليك؟ فقال: عليٌّ أقدمُ هِجْرةً، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقةً، وأشجعُ منك قلباً، وأسلمُ منك نَفْساً، وأما الحبّ فقد مضى عليّ، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه.

---

(١) سورة المائدة ٥، آية ٣٣. والمعنى: إن جزاء أهل البغي والعدوان على عباد الله وعياله هو القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل كما ورد في إتمام الآية الكريمة. التفسير المبين.

(٢) أي في أوقاتها وأيامها.

(٣) تجمير البُعُوث: جَمْعُهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم.

قال الأحنفُ لمعاوية في كلام: أنت أعلمُنا بيزيد في ليله ونهاره، وسرّه وعَلاَنيَته، فلا تُلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة.

خطب(١) الحجّاجُ فشكا سوءَ طاعة أهل العراق؛ فقال جامعٌ المحاربيّ(٢): أَمَا إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقرِّبهم إليك، وآلتمسِ العافيةَ فيمن دونك تُعْطَها ممن فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدك، ووعيدُك بعد وعدك؛ فقال الحجاج: والله ما أُراني أردَّ بني اللَّكِيعة إلى طاعتي إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخِيار؛ قال الحجّاج: الخِيَار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكنك لا تدري لمن يجعله الله؛ فقال: يا هَنَاهُ(٣)، إنك من مُحارب! فقال جامع: [طويل]

وللحرب سُمِّيْنا وكنّا مُحارِباً إذا ما آلقَنَا أمسى من الطَّعْن أحمرَا(٤)

فقال الحجاج(٥): والله لقد هَمَمْتُ أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له: يا حجّاج، إنْ صَدَقْناك أغضبْناك، وإنْ كَذَبناك أغضبنا الله، فَغَضبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله.

---

(١) ورد هذا الخبر كاملاً في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠) ولكن بآختلاف يسير عما هنا.

(٢) كان جامع المحاربي آنذاك شيخاً صالحاً خطيباً لبيباً جريئاً على السلطان، وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط: بَنَيْتَها في غير بلدك، وتورِّثها غير ولدك. انظر ذلك في نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) هَنُ: كلمة يكنى بها عن آسم الإنسان، فإذا ناديْتَ مذكراً بغير التصريح بآسمه قلت: يا هَنُ، أقبل. وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل: يا هناهُ، أقبل، بضم الهاء على تقدير أنه آخر الاسم، وبكسرها لإجتماع الساكنين. ونقول: يا هَنانِ، أقبلا ويا هَنُوْنَ، أقبلوا، وتقول: يا هَنَهْ (الهاء هنا هاء السكت كما تقول لِمَهْ. راجع لسان العرب مادة (هنا).

(٤) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠).

(٥) الخبر هنا ناقص وذلك حسبما قرأناه في نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

قال الأصمعيّ: أخبرنا شيخ من قُضاعة قال: ضَلَلْنا مرةً الطريقَ فآسترشدْنا عجوزاً؛ فقالت: استبطِنِ الواديَ وكن سيلاً حتى تبلُغَ.

ابن الكلبيّ قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد[١]: أما بعد، فإنما أنت يهوديٌّ آبن يهوديّ، إنْ ظَفِرَ أحبُّ الفريقين إليك عَزَلك وآستبدل بك، وإن ظفر أبغضُهما إليك قتلك ونكلّ بك، وقد كان أبوك وَتَرَقَوْسَه ورمى غَرَضَه، فأكثر الحَزّ وأخطأ المَفْصِل، فخذله قومُه، وأدركه يومُه؛ ثم مات طريداً بحَوْران؛ والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت وثنٌ آبن وثن[٢]، دخلت في الإسلام كرها وخرجت منه طوعاً، ولم يقدُم إيمانك ولم يحدُث نِفاقك، وقد كان أبي وَتَرَ قَوْسَهُ ورمى غَرَضَه، وشَغَّب[٣] عليه من لم يبلُغ كعبه ولم يشُقّ غُباره، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداءُ الدين الذي خرجت إليه؛ والسلام.

قال يحيى بن سَعِيد الأُمَويّ: سمعت الأعمش يقول لخالد بن صَفْوان: شَعَرْتُ أنَّ منزلك لا يُعرف إلا بي حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقْتَ، مثل حمام عنترة، ويقال وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لشَرِيك بين يدي المهديّ: بلغني أنك خُنْتَ أميرَ المؤمنين؛ فقال شَرِيك: لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبُك.

قال رجل من العرب: أُرِيْتُ البارحةَ في منامي كأني دخلت الجنةَ فرأيت

---

(١) هو قيس بن سعد الأنصاري الخزرجي، صحابي وأحد الأجواد المشهورين. استعمله علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على مصر سنة ٣٦ ـ ٣٧ هـ. كانت وفاته سنة ٦٠. راجع الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦.

(٢) نسبة إلى الوثن وهو الصنم.

(٣) شغَّب عليه: هيَّج عليه الشرّ.

جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالي: أَصَعِدْتَ الغرف؟ قال: لا؛ قال: فتلك لنا.

وكتب قُتَيبة بن مسلم إلى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: أما بعد، فإن عشمشم أعشى الشجر. فكتب إليه آبن ظَبْيَان: من ذلك الشجر كان بَرْبَطُ[١] أبيك. يعني مسلم بن عمرو، وكان مغنِّيا ليزيد بن معاوية.

قال بَحْر بن الأحنف لجارية أبيه زَبْرَاء: يا فاعلة: فقالت: لو كنْتُ كما تقول أتيْتُ أباك بمثلك.

وقال رجل لابنه: يآبن الفاعلة؛ فقال: والله لئن كنْتَ صَدَقْتَ ما فعلَتْ حتى وجدَتْك فَحْلَ سَوْء.

أتت آبنةُ الخُسّ عُكَاظ، فأتاها رجل يَمتحِن عقلَها ويمتحِن جوابَها، فقال لها: إني أريد أن أسألكِ؛ قالت: هاتِ. قال: كاد؛ فقالت: المنتَعِل يكون راكباً. قال: كاد: قالت: الفقر يكون كُفْرا. قال: كاد؛ قالت: العَرُوس تكون مَلِكا. قال: كاد؛ قالت: النَّعَامة تكون طائراً. قال: كاد؛ قالت: السَّرار[٢] يكون سَحَرا. ثم قالت للرجل: أسألك؟ قال: هاتي، قالت: عجبتُ؛ قال: للسِّباخ لا ينبت كلؤها ولا يجف ثراها. قالت: عجبْتُ؛ قال: للحجارة لا يكبَرُ صغيرُها ولا يَهْرَم كبيرُها. قالت: عجبت؛ قال: لشُفْرِك[٣] لا يُدْرَك قعرُه ولا يُملأ حفرُه.

---

(١) البَرْبَطُ: العود من آلات الموسيقى، وقيل: هو معرَّب «بِرْبط بكسر الراء ومعناه بالفارسية: صدر الإوز، أطلق على العود لشبهه به.
(٢) السَّرَارُ: السَّيَابُ وهو البلح أو البسر، ومحض النسب وأفضله.
(٣) الشُّفْرُ: أصل منبت الشعر في حرف الفرج، يقال لناحيتي فرج المرأة الشُّفْران.

المدائنيّ قال: كان عُرَام بن شُتَيْر عند عمر بن هُبَيْرة، فألقى إليه آبنُ هبيرة خَاتمَهَ وفَصُّه أخضر، فعقد عُرَام في الخاتم سَيْراً. أراد عمر قول الشاعر: [طويل]

لقد زَرِقَتْ عيناك يا آبن مُكَعْبَرٍ كمَا كُلُّ ضَبِّيٍّ من اللُّؤم أزرقُ(١)

وأراد عُرَام: [بسيط]

لا تأمننَّ فَزَارِيّاً خَلَوْتَ به على قَلُوصك وآكْتُبها بأسيارِ(٢)

قال جرير للأخطل: أَرَّقْتُ نومَك، وآستهضمْتُ قومَك؛ قال الأخطل: قد أَرَّقْتَ نومي، ولو نِمْتُ كان خيراً لك.

أراد معاويةُ أن يخطُب بِصفِّينَ فقال له عمرو بن العاص: دعني أتكلّم فإن أتيْتُ على ما تريد وإلاّ كنْتَ من وراء ذلك، فأذِنَ له؛ فتكلّم بكلمات، قال: قدّموا المُسْتَلْئِمَة(٣) وأخّروا الحُسَّر، كونوا مِقَصَّ الشارب، أعيرونا أيدِيَكم ساعةً، قد بلغ الحقّ مَفْصِلَه، إنما هو ظالم أو مظلوم.

حدّثني(٤) آبن أبي سعد عن محمد بن الحسن التميمي عن عبد الله بن أحمد بن الوَضّاح، قال: دخل أعرابيّ على عبد الملك بن مروان؛ فقال له: يا أعرابيّ، صِفِ الخمر فقال: [طويل]

---

(١) أورد ابن منظور هذا البيت في لسان العرب مادة (زرق) لسويد بن أبي كاهل. والمُكَعْبَرُ: من كَعْبَرَ. والكعبرة من النساء الجافية العلجة.

(٢) تقدم هذا البيت في ص ٢٠٣ من هذا الجزء لسالم بن دارة فأنظره مشروحاً.

(٣) المُسْتَلْئِمَةُ: الطائفة التي عليها اللّأْمُ وهي الدروع.

(٤) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٥ ـ ٣٦) هكذا: «قال سليمان بن عبد الملك لِعَدِيِّ بن الرِّقاع: أنشدني قولك في الخمر: (وذكر البيتين) فأنشده. فقال له سليمان: شربْتَها وربِّ الكعبة؛ قال عديّ: والله يا أمير المؤمنين، لئن رابك وصفي لها فقد رابتني معرفتك بها. فتضاحكا وأخذا في الحديث». وعدي بن الرقاع وردت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٥٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

شمولٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ مُزَّةٌ   لهـا في عـظَام الشـاربين دَبيبُ[(١)]
تُرِيْكَ القَذَى من دونها وهي دونَـه   لِـوَجْـهِ أخيهـا في الإنـاء قُـطُوبُ

فقال: ويحك يا أعرابيّ! لقد آتّهمك عندي حسنُ صفتك لها: قال: يـا أمير المؤمنين، وآتهمك عندي معرفتُك بحسن صفتي لها.

مقطّعات ألفاظ تقع في الكِتاب والكلام

لـو أخطأتُ سبيـلَ إرشادك، لمـا أخـطأتُ سبيـلَ حسن النيـة فيمـا بيني وبينك.

لـو خطر ذلـك ببالي من فعلك، مـا عـرَّضْتُ سـترَ الإخـاء للهَتْـك بيني وبينك.

قد أحسنت في كذا قـديماً. وفعلُك كـذا إحدى الحُسْنَيْن بـل ألطفهمـا موقعا.

أنت رجلٌ لسانُك فوق عقلك وذكـاؤك فوق حـزمك. فقَـدِّم على نفسك مَنْ قدّمك على نفسه. الله يعلم أنك ما خطرْتَ ببالي في وقتٍ من الأوقات إلا مَثَّلَ الذكرُ منك لي محاسنَ تزيدني صبابةً إليك وضَنّاً بك وآغتبـاطاً بـإخائـك. لعل الأيام أن تُسهِّل لأخيك السبيلَ إلى ما تقتضيه نفسُك من بِـرِّك ومُعَاوضتـك ببعض ما سَلَفَ لك.

ما هذا الغَبَا العجيب الذي إلى جانبه فِطنةٌ لطيفة. حكمُ الفَلَتات خِلافُ حكم الإصرار.

من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يُؤخذ بـالعين، كان حَـرِيّاً أن يُخـطىء في

(١) ورد صدر هذا البيت في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٦) هكذا:
كُـمَـيْـتٌ إذا شُـجَّـتْ وفـي الـكـأس وردةٌ

باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل.

ومن أوّل ما أُحبّ أن أُوثِرَك بـه وأَقضِيَ فيه واجبَ حقّـك، تنبيهُكَ على عظيم ما لله عندك، وحَثُّك على الإزدياد مما يَزيدك.

من كان بمثل موضعك فجُمِعَ له حمدُ إخوانه ورضا مُعامِليه والإستقصاءُ مع ذلك لمن آستكفاه، فقد عَظُمت النعمةُ عليه، ولا أعلم بما أسمـع فيك إلا أنك كذلك والحمد لله.

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد، وأحوجَه إلى ما يجد به طعمَ الحمد!.

قـد حَسَدك من لا ينـام دون الشِّفاء، وطلبـك من لا يُقصِّر دون الـظفر، فآشدُد حَيَازِيمَك[1] وكن على حَذَر.

أنت تَتَجَنَّى على مالك لتُتلفه بأسباب العِلَل، كما يدفع عن ماله البخيـلُ بـوجوه الاعتـلال. أنت طالبُ مَغْنَم، وأنـا دافع مَغْـرَم، فإن كنتَ شـاكـراً لمـا مَضَى، فآعذِرْ فيما بَقي. مكرُك حـاضر، ووفـاؤك متأخِّـر. أنا راضٍ بعفـوك، باذلٌ لمجهودي.

نوائب الأيام رمَتْ به ناحيتك، وإذا رأيتَه أنبأك ظاهـرُه عن باطنـه ودعاك إلى محبّته قبولُه، وهو في الأدب بحيث المستغني عن النسب.

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلاَّ يكون غيرُك فيما يُبلغك أوثَقَ من نفسك فيما تعرِفه.

هذا فلان قد أتاك على رِقّةٍ من حالـه وبُعْدٍ من شُقَّتـه، فنَشَدْتُـك الله أن

---

(١) الحَيازيم: ج حَيْزُوم وهو الصدر لأنه موضع الحزم أو وسطه وما آستدار بالـظهر والبـطن. وشدُّ الحيازيم كناية عن الصبر. قال رجل حميري (منسرح).

لـمـا رأوا أنَّ يـومـهـمْ أَسِـبٌ شـدوا حيـازيـمـهُـمْ عـلى أمـلِمَـة

أنظرِ محيط المحيط مادة (حزم).

تقدّم شيئاً على تصديق ظنّه وسَدّ خَلّته وبَلّ ما يَبَّست هذه النكبةُ من أُدِيمه، فإنه غَذِيٌّ نعمةٍ وخدينُ[١] مُروءة.

أنا أسأل الله أن يُنجز لي ما لم تزل الفِرَاسة تَعِدُنِيه فيك. الحرِّيَّةُ نسبٌ. فهمتُ ما ٱعتذرْتَ به في تأخُّرك، وغضضْتَ به مني طَرْفاً طامحاً إليك ونفساً تَوّاقةً إلى قُرْبك.

وصل كتابك فكان موقعه مَوْقِعَ الرُّوح من البَدَن. فإنَّ أمير المؤمنين يحب ألا يَدَع سبيلاً من سُبُل البر وإن عَفَا ودَثَر إلا أناره وأوضح مَحَجَّته، ولا خَلَّة من خلال الخير لا أوّلَ لها إلا آهتبل[٢] الفرصة في إنشائها، وٱختيار مَكرمة ٱبتدائها، لتجِبَ له مساهمةُ الفارِط[٣] في أجره، ويكونَ أُسوةَ الغابر في ثوابه.

لولا وجوبُ تقديم العذر لصاحب السلطان، في الذهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته، بما يستولي عليه من الشغل بعمله، إذاً لكَثُرَ العَتْبُ.

إنك لكل حسن أبليته، ومعروف أَسْدَيْتَه، وجميل أتيْتَه، وبَلاَءٍ كان لك ربيتَه، أهلٌ في الدين والحَسَب القديم.

لك ـ أعزّك الله ـ عندي أيادٍ تشفَعُ لي إلى محبّتك، ومعروفٌ يوجب عليك الرَّبّ[٤] والإتمام.

---

(١) الخَدِينُ: الخِدْن وهو الصاحب والرفيق والصديق.
(٢) إهتبل الفرصة: إغتنمها.
(٣) الفارط: السابق.
(٤) الرَّبُّ: الزيادة.

أفعال الأمير مختارةٌ كالأماني، متّصلةٌ عندنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونُواصل الدعاء والذكر مواصلةَ برِّه.

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقتني نوائب الأيام، وثَمّرتْ لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن آستعباد مِنَن الرجال، وبَسَطتْ لي الأملَ في بلوغ ما ناله بك مَحن رفعْتَ خسيسَتَه ونوّهْتَ بذكره، وأعانتني على آتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خَلَصتْ لهم منكم فعَزُّوا، ولم يشغَلوا شكرَهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعة لسواكم لما آعتدّوا، ولم تتشعّبهم الدنيا عنكم إذا آضطُرُّوا.

إنّ الله أحلك منا أهلَ البيت محلاًّ نراك به عِوَضاً من الغائب، وخَلَفاً من الهالك، ونجدك مخصوصاً بضّرائنا إذ كنت وليّ سَرّائنا، وكنا لك كالجوارح نألَمُ لكل ما أَلِمَ منها.

نحن نعوذ بالله من سَخَطك، ونستجير به من غَضَبك، ونسألك النظر فيما كتبْنا به صادقين، كما سمِعْتَ قَصَص الكاذبين، فإنا على سلامةٍ مما رَقَّوْه[1].

كتبي - أعزك الله - تأتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حقّك يُلزمني ألاّ تُغِبُّك، لولا ما أتذكر من زيادتها في شُغلك.

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهضُ بأعباء أهل مودّته، الصابرُ على ما ناب من حقوقهم.

---

(١) أي مما رفعوه إليك من الأخبار الكاذبة.

كنتُ أمس ـ أكرمك الله ـ عليلا، وركبْتُ اليوم على ظَلَع[1] ظاهر ورِقّة شديدة، فلما آنصرفْتُ أمرْتُ بإغلاق الباب للمتودّع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادِك صديقَك بما يستدعي عَتْبَك عليه وعتبَه عليك ما وافق.

لا أزال ـ أبقاك الله ـ أسأل الكِتابَ إليك في الحاجة، فأتوقف أحياناً توقف المبقي عليك من المؤونة، وأكتب أحياناً كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمدِ منك على المَقة؛ لا أعدَمَنا الله دوام عزك، ولا سَلَب الدنيا بَهْجتَها بك، ولا أخلانا من الصّنع لله على يدك وفي كَنَفك، فإنا لا نَعرِف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعماً ونَدىً إلا في ظِلّك.

إن كان هذا مما ترضاه لي، فلسْتُ ألتمس أكثر منه، وقوفاً بنفسي عند الحظ الذي رضِيتَه لي.

أنا، والله، أراك في رتبة المنعم إجلالاً، وبمحل الشقيق من القلب محبّةً وإخلاصاً.

أما شكري فمقصورٌ على سالف أياديك، وبه قصور عنه فكيف يتّسع لما جَدّدته!.

لله عندك نِعَمٌ جِسامٌ تتقاضاك الشّكر. وَقَاك الله شرّ نفسك، فإنها أقرب أعدائك إليك.

ولم أزل وَجِلاً من حادثة كذا عليك، إذ كان ما ينالك ـ لا أنالك الله سوءاً ـ متّصلاً بي ومُدخِلاً الضرر عليّ في رُكنٍ منك أعتمد عليه، وكَنَفٍ لك أَسْتَذْرِي به.

---

(١) الظَّلَعُ: بفتح الظاء واللام هو المَيْلُ عن الحق وضَعْف الإيمان، وقيل: الذَّنْب، وأصله داء في قوائم الدابة تَغْمِزُ منه.

وصل إليَّ كتاب منك، فما رأيْتُ كتـاباً أسهـلَ فنونـاً، ولا أملس متونـاً، ولا أكثر عيوناً، ولا أحسن مقاطعَ ومطالع، ولا أشدّ على كل مَفْصِلٍ حزّاً منه؛ أنجزت فيه عِدَةَ الرأي وبشـرى الفِراسـة، وعاد الـظنّ بك يقينـاً، والأملُ فيـكَ مبلوغاً.

لا غيّبك الله عن مواطن العز والصنع، وأشهدك إياها بعلوّ يدك، وهُبوب رِيحك، وآستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك.

قد رَمَيْتَ غَرضَ الباطل بسهم الحق وحللْتَ عِقال الشر بيد الخير. كنتُ سالماً إن سَلِمْتُ من عَتْبك.

أنا أتوسل إليك بحسن ظنّي بك، وأسألك بحق صبري على ظُلمك لَمّا سعفت بما سألتُك.

ليس ينبغي لك أن تستبطىء فهمي وقد أسأْتَ إفهامي.

مَنْ أبعـدُ من البُرْءِ من مـريضٍ لا يُؤتَى من دائه إلا من جهـة دوائه، ولا في علّته إلا من قِبَل حِمْيَته!.

لستُ في حالٍ يقيم عليها حـرٌّ أو يرضَى بهـا كريم، وليس يـرضَى بهذا الأمر إلا من لا ينبغي لك أن ترضَى به.

قد شِخْتُ في ذَرَاك وهَرِمْت في ظلّك، فـإمّا رددْتَ عليّ شبـابي وأعدْتَ إليّ قوّتي، وإما دفعْتَ إليّ مـا ينوبُ عن الشبـاب ويجبُرُ الضعف، ولا بـدّ من أحـدهمـا، فـآختَـرْ لنفسـك وآخـرُج إلينا من هـذا الدَّين؛ فقـد أمسكنـا عن التقاضي ما أمكن، وصَبَـرْنا على المـواعيد مـا صَلَح؛ ودَعْنا من الحَـوَالة فـإنّ الصنيعةَ لا تتمّ بالحَوالة؛ وإن جاز أن تقيم لنا زعيماً بالنعمة، جاز أن نقيم لك زعيمـاً بالشكـر؛ وإن جاز أن نؤمّلك ويحقّق آمـالَنا غيـرك، جاز أن نشكـر غيرَ المُنعم ونأمُل غيرَ المصطنع.

ما أستعظم أن تَسبِقَ إلى حَسَنٍ بل أستعظم أن تُسبَقَ إليه وتُغلَبَ عليه.

لئن كنتَ جاوزْتَ بي قَدْري عندك لَمَا بلغتُ بك أملي فيك.

لا يَقبضك عن الأُنْس بي تقصيرُك في البِرّ.

بلغتني عِلّتك فنالني من ألمها، وغالني مما مسّك فيها حسبُ حقّك وما يخُصّني من كل حالٍ تصرَّفَتْ بك.

أعتذر إليك من تأخر كتبي عنك بترامي النُّقلة وتقاذُف الغُرْبة وعدمِ الطمأنينة، فإني منذ فارقتُك كما قال القائل: [طويل]

وكنتُ قَذَاة الأرض والأرض عينُها تُلَجْلِجُ شخصي جانباً بعد جانبِ[1]

إني - أعزَّك الله - على تشوّقك متزيد، فما أُحاشِي بك أحداً، ولا أقف لك على حسنةٍ يوماً إلا أَنْسَتْنِيها لك فَضْلةُ غده.

الحمد لله الذي جعل الأمير معقودَ النيّة بطاعته، مطويّ القلب على مُناصحته، مشحوذَ السيف على عدوّه؛ ثم وَهَب له الظفرَ، ودوّخ له البلاد، وشرّد به العدوّ، وخصّه بشَرَف الفتوح العِظام شرقاً وغرباً، وبرّاً وبحراً.

إلى الله أشكو شدّة الوحشة لغَيْبتك، وفَرْطَ الجَزَع من فِراقك، وظلمةَ الأيام بعدَك؛ وأقول كما قال حبيب بن أَوْس[2]: [خفيف]

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها، قلّما تعـ ـرِفُ فَقْداً للشمس حتّى تَغِيبَا

ورد كتابُك، فيا له وارداً بالرِّيّ على ذي ظَمَأ! ما أنقعه للغليل، وأعدَلَ

(١) القَذَاةُ: ما يقع في العين ويوجعها. ولَجْلَجَ في الكلام: تَرَدَّدَ، ولجلج في صدره شيء: تردَّد، وتَلَجْلَجُ: تَرَدَّدُ في الكلام.

(٢) هو أبو تمام الشاعر المشهور، وسيرد بيته المذكور في ص ٣٢ من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

شهادتَه لك بكرم العقد، وصِدْق الـودّ، وحُسن المغيب، ورعايـة حق التَحرُّم، وبُعدِ الشيمة من شِيَم أهل الزمان إلا من عَصم الله، وقليلٌ مـا هم، ولله أبواك لقد أوجداك.

قـد أجلّ الله خَـطَرَك عن الاعتـذار، وأغنـاك في القـول عن الاعتـلال، وأوجب علينا أن نقنَعَ بما فعلتَ، ونرضَى بما أتَيت وَصَلْتَ أو قَطَعْتَ، إذ وَثِقنا بحُسن نيّتك ونَقَاء طويّتك، وأُلزِمنا أن نـأخذ أنفسَنـا لك بمـا لا نُحمِّلك مثله، ولا نلتمس منك مقابلةً به.

ما أخرّ كتبي عنـك إلا ما أنـا عليه من إيثـار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند حقٍّ يقع فأقضِيه، أو نعمـةٍ تحدُث فـأهنّىء بها، والقصـدِ للزيادة في البِـرّ بالزيارة في الغِبّ، وآستدعاءِ دوام الوِداد بآنتهاز فُرَص الوصل.

وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر:

أمّا شكري للأمير على سالف معروفه فقد غَارَ وأنجد. وأمّـا آبتهالي إلى الله في جـزائه عنّي بـالحُسْنَى فإخـلاص النيّة عنـد مَـظَانّ القَبـول. وأمّـا أملي فـأحياه على بُعـد العهد بـلاؤهعندي،إذ كـان ما تقـدّم منه شـافعاً في المـزيد، وفسحـةُ وعدِه إيـاي عند مفـارقتي له، إذ كـان مؤذناً بـالإنجاز. وأمـا زللي في التأخُّر عما أوجب الله عليّ له، فمقرونٌ بالعقوبة فيمـا حُرِمْتُـه من عزّ رِيـاسته، ونَبـاهة صُحبتـه، وعلوّ الدرجـة به، وإن كنتُ سـائرَ أيـام آنقطاعي عنـه معتلقا بسبب لا خيارَ معه. مكاتبتُك ـ أعزّك الله ـ وأنا مُجاوِرُك ببلدٍ دون السعي إليك مُجِلًّا لقدرك مما أُكْبِر. لاقِيـك بكتابي هـذا فلان، وله عليّ حقّان؛ حقُّ عمّ المسلمين فلزمني بلزومه لهم، وحق خصَّني بالحُرْمة والعِشرة. فرأيُـكَ في كذا إنْ سَهُـل السبيلُ إلى ذلـك ورَحُب، وإن يَعُقْ عـائق فلسْتَ على جميـلِ رأيٍ عندي بمُتَّهَم.

للمتفضِّل أن يُخصّ بفضله من يشاء؛ ولله الحمدُ ثم له فيما أعطي، ولا حجّةَ عليه فيما منع.

مستعفى السلطانِ أحدُ ثلاثة: رجلٌ آثر اللّهَ وما عنده، وأسأل الله توفيقَه؛ ورجلٌ عَجَز عن عمله فخاف بعجزه عواقبَ تقصيره، وأستعينُ الله؛ ورجلٌ سَمَتْ به نفسُه عن قليل هو فيه إلى كثير أَمله. وأعوذُ بالله من أن أُدَنِّس نعمةَ الله بك عليّ وعلى سَلَفي قبلي بالتصدِّي لمن لا يُشبه دهرُه يومَك، ولا أكثرُ جهدِه في المعروف أقلَّ عَفْوِك.

كُنْ كيف شِئْتَ، فإنِّي واحدُ أمري خالصةُ سَرِيرتي، أرى ببقائل بقاء سُروري، وبتمام النعمة عليك تمامها عندي، فإنه ليس من نعمة يُجدّدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصّةً إلا آتصلَتْ برعيّته عامّة، وشَمِلتْ المسلمين كافّة، وعَظُم بلاءُ الله عندهم فيها، ووجب عليهم شكره عليها؛ لأنَّ الله جعل بنعمته تمامَ نعمتهم، وبسلامته هدوءَهم وآستقامتَهم، وبتدبيره صلاحَ أمورهم وأمنهم، وبذَبِّه عن دينهم حفظ حريمهم، وبحياطته حَقْن دمائهم وأَمْنَ سُبُلهم، وبِرِعْيَته آتّساقَهم وآنتظامَهم؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مُؤَيَّداً بالنصر، مُعَزّاً بالتمكين، موصولَ الطلب بالظفر، ومدّةِ البقاء بالنعيم المقيم.

فهمْتُ كتابك ولم تَعْدُ في وعدك ووعيدك سبيلَ الراغِب في رَبّ عارفته، المحامي على سالف بَلاَئه، المُؤْثِر لاستتمام صَنِيعته، وإني لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذُو نِيَّةٍ حسنةٍ في شكر مُصطنعه، وعناية بأداء ما يلزَمُه لوليّ نعمته، ومراقبةٍ لرئيسه في سرّ أمره وعَلاَنِيته، وإيثارٍ للقليل من جميل رأيه على كثيرِ المنافع مع سَخَطه. وليس مذهبي فيما أشرَحه من العذر وأُطيل بذكره الكتب، مذهبَ مَنْ يموّه بالاحتجاج ويَحتالُ في الاعتذار، ومَنْ تُطمعه نفسه في سلامة النعمة مع فساد النيّة، وفي محمود العاقبة مع شَرَهِ النفس،

وفي زيادة الحال مع التفريطِ في العمـل. ولو كنتُ ممن سوَّلَتْ لـه نفسه ذلـك سائرَ دهـره، لقد وجب إلي أن يَضـطرّني إلى النزوع عنـه تأديبُـك وتقويمـك. وإني لمجتهـدٌ أن يكون أثَـرُ فعلي هو المخبـر عني دون قولي، وأن يكـون مـا أمُتُّ به إليك ظاهرَ كِفايتي دون ذِمَامي.

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما في الإخلال بـه من تعريضـه للانتشـار ودخول الخَلَل، وعلمي بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأميـر، وأنه لا فـرقَ عنـده بين الجاني على السلطان وعليـه، لكنتُ الجوابَ راجـلاً معظِّمـاً لأمره، مُكبِرا لسُخْطه؛ وإن كان الله قد جعـل عند الأميـر من إيثار الحق والعمـل به، وتقديم الرويّة قبل الإيقاع، والاستثناء[1] بمن وضَحَ ذَنْبُه وظهـر جُرْمُـه دون من وقعتْ الشبهةُ في أمره، ما أمّنني بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطْوته.

لم أكن أحسَبني أحُلّ عندك محلَّ مَنْ جَهِل حظَّه، وعَدِم تمييـزَه، وغَبي عَمّا عليه وعمّـا له؛ إذ تـوهَّمْتَ عليّ أنّي أبيع خـطيراً من رضـاك، ونفيساً من رأيك، وشرفاً باقياً على الأيام بطاعتك، وعُدّةً للنوائب أستظهر بها من نصرتك، بالثمن البخس الحقير من كذا، أو أن أستبدلَ بما أنا ذو فاقة إليه من عزّ كَنَفك ومنيع ذَرَاك، ما قد وهب الله الغِنَى عنه بحمده.

كان ورودُك وشخوصُك في وقتين آنطويـا عني، وكان مُقـامك في حـالِ شغـلٍ منك ومني، ولـذلك فقدتني في القـاضِين لحقـك والمثـابـرين على لقائك.

ورد كتابك مضمِّناً من بِرّك وتَـطَوُّلك مـا حسّن شكري، وأثقـل ظهري، وأُرْتج عن مضاهاتك بمثله قولي؛ فذكرت به ـ إذ تحيرّت دون تأمُّله، وضَعُفْتُ

(١) الاستثناء: الإنتظار، من آستأنى أي ترفّق وتمهّل وآتّأد وآنتظر.

عن تحمُّله، وعَجَزْتُ عن الشكر عليه عند تمحّله ـ قولَ القائل: [كامل]

أنت آمرؤ أوليتَني نِعَماً أَوْهَتْ قُوَى شكريْ، فقد ضَعُفا
لا تُحدِثَنَّ إليَّ عارفةً حتّى أَقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفا[1]

ألفاظ تقع في كتب الأمان

هذا كتاب من فلان لفلان: إن أمَّنْتُك على دَمك ومالك ومَواليك وأتباعك، لك ولهم ذمّةُ الله المُوفَى بها، وعهدُه المسكونُ إليه، ثم ذمّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالته وأكرمهم بوحيه، ثم ذِمَمُ النجباء من خلائفه: بحقن دمك ومَنْ دخل آسمهُ معك في هذا الكتاب، وسلامةِ مالك وأموالهم وكذا وكذا؛ فآقبلوا معروضه، وآسكنوا إلى أمانه، وتعلّقوا بحبل ذمته، فإنه ليس بعدما وَكّد من ذلك مُتَوَثَّق لداخلٍ في أمان إلا وقد آعتلقتم بأوثق عُرَاه، ولجأتم إلى أحرز كهوفه، والسلام.

وفي كتاب آخر:

هذا كتاب من فلان: إن أمير المؤمنين، لِمَا جعل الله عليه نيّته في إقالة العاثر وآستصلاح الفاسد، رأى أن يتلافاك بعفوه، ويتغمد زَلّاتك برُحْمه، ويبسُط لك الأمانَ على ما خرجْتَ إليه من الخلاف والمعصية: على دمك وشعرك وبَشَرك وأهلك وولدك ومالك وعَقارك؛ فإن أنت أتيْتَ وسَمِعْتَ وأطعْتَ، فأنت آمن بأمان الله على ما أمّنك عليه أمير المؤمنين، ولك بذلك

(١) هذان البيتان لأبي نواس. وجاء في ديوانه (ص ٤٣٣).
«جَلَّلْتَني» بدلاً من «أَوْلَيْتَني» «ولا تُسْدِيَنَّ» بدل «لا تُحْدِثَنَّ»
كما ورد هذان البيتان في ص ١٦٤ ـ ١٦٥ من الجزء الثالث من هذا الكتاب. والعارفة: العطيّة. وجَلَلْتَني: كسوتني.

ذمّـةُ الله وذمّة رسـوله، إلا مـا كان من حق قـائم بعينه لمسلمٍ أو معـاهد، والله بذلك راع وكفيل، وكفى بالله وكيلا.

وفي كتاب آخر:

إن فلاناً آستوهب أميرَ المؤمنين ذنبَك، وسأله أن يَقبل توبتَك وإنـابتك، ويؤمِّنك على دمك وشعرك وبشرك وأهلك وولدك ومالـك وعَقَاراتـك، على أن تسمع وتُطيع وتُشايع، وتُوالي أولياءه، وتُعادي أعـداءه؛ فأجـابه أميـر المؤمنين إلى ذلك، لرأيه في العفو والصفح وما يحتسِب في ذلـك من الثواب والأجـر، فأنت آمن بأمان الله على كذا لا تُؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك، ولا تُتبـع فيه بمكروه ما أقمْتَ على الوفاء ولم تُحدِث حَدَثاً تفسـخ به أمـانَك وتجعـل به سبيلاً على نفسك، والله لك بذلك راعٍ كفيل؛ وكفى به شهيداً.

ألفاظ تقع في كتب العهود

أَمَرَه بتقوى الله فيما أَسْنَد إليه وجعله بسبيله، وأنْ يُؤْثِرَ الله وطاعتَـه آخذاً ومُعطياً، وأعلمه أنَّ الله سائِلُه عمّا عَمِل به وجَاز عليه، وأنّه خارجٌ من دُنيـاه خُروجَه من بطن أُمّه إمّا مَغبوطـاً محموداً، وإمّـا مذمـوماً مسلوبـاً، فليعتبر بمَنْ كان قبلَه من الوُلاَة الذين وَلُوا مثلَ مَا وَلِي، أين صار بهم مَرُّ الليل والنهار، وما آنقلبوا به من أعمالهم إلى قبورهم! ويتَـزوَّد لنفسه الـزادَ النافـعَ الباقيَ: ﴿يَـوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُـوءٍ تَوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران ٣ آية ٣٠. والمعنى: لن يفوزَ بـالخير غـداً إلاّ عامـل الخير ولا يجـزى جزاء الشرّ إلاّ فاعله، وكلُّ مفرطٍ نادمٌ لا محالـة. راجع التفسيـر المبين لمحمد جـواد معنية. ولقـد وردت هذه الآية الكريمة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦١) في إحدى خطب إبي بكر.

وفي فصل آخر:

وقد ولّاك أميرُ المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيّته، وأشركك فيما أشـركك فيـه من أمانتـه، ثِقةً بـك، ورجاءً لمتـابعتـك وإيثـارك الحقَّ وأهلَه، ورفضِـك الباطلَ وأهلَه؛ وعَهِدَ إليك في ذلك بما إنْ أخذْتَ به أعانك الله وسـدّدك، وإنْ خالفْتَه خَذَلك وعاقبك.

وفي الحج:

فإنّ أمير المؤمنين قد آختارك من إقامة الحج لوَفْد الله وزَوْر بيته، للأمر العظِيم قَدْرُه، الشريفِ منزلتُه؛ فعليك بتقوى الله؛ وإيثارِ مُراقبتِه، ولزومِ الهُدَى المحمودِ والطريقةِ المثلى والسِّيرة الجميلة التي تُشْبِه حالَك.

فصل ـ فإن الله نَزّه الإسلام عن كل قبيحة، وأكرمه عن كل رذيلة، ورفعه عن كل دنيّة، وشرّفه بكل فضيلة، وجعل سيماء أهلِه الوقارَ والسكينةَ.

فصل ـ وإن أحقّ الناس بالازدياد في طاعته ومناصحته وأداءِ الأمانة في عمله مَنْ عَظُم حقُّ الأمير عليه في الخاصّة بفضل الصنيعة من الأمير عنده، مع حق الله عليه في العامّة بحقِّ الولاية.

فصل ـ وكنتَ سيفاً من سيوف الله، ونِكْلاً[1] من أنكاله لأهل الشقاق، وشَجىً لمن آبتغي غيرَ سبيلِ المؤمنين، قد أحكمتك التجارِبُ وضَرَّسَتْك الأمور، وفُرِرْتَ عن الذكاء وحَلَبْتَ[2] الدهرَ أشطُرَه.

فصل ـ أنت آبن الحرّية والمروّة، ومن لا يلحَقه عارُ أُبوّة ولا بُنُوّة.

---

(١) النِكْلُ (بكسر النون) القيد الشديد أو قيد من نار، والجمع أنكال.

(٢) حَلَبَ الدهرَ أشْطُرَه: حلب ضروب أحـواله أي مـرَّ به خيـره وشرُّه وجـرَّب أموره، والأشـطر: ج شَطْر.

فصل ـ قد آلتمسْتُ مواجهتك بشكرك ووصفِ ما أُجِنّ(١) لك وأُخلص من ودّك وأُجِلّ من قدرك وأعتدّ من إحسانك، فَلَفتني عن ذلك تَعَذُّر الخَلْوة مع آنقباضٍ وحشمة.

فصل ـ قد أغنى الله بكرمك عن ذَرِيعةٍ إليك؛ وما تُنازِعني نفسي إلى آستعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حُسْنُ الظنّ بالله فيك، وتأميلُ نُجْح الرغبةِ إليك دون الشفعاء عندك.

فصل ـ مثلك تقرّب إلى الله بالتواضُع لنعمته، والإغاثة لمستغيثه، والعائدةِ(٢) على راجيه بفضله.

فصل ـ تَبّاً لمن يأتي رأيك! وقبحاً لعُزُوب(٣) عقلك، وأَفَنِ(٤) تدبيرك! ما أبعدَ مذهبَك في الخطأ، وأسوأ أثَرَك على السلطاه، وأقصَرَ باعَك عن النهوض! جزالة تعقدك، ومَهانةٌ تُضْرِعك، وزَهْوٌ يعلُوك، ونَخْوةٌ يشمَخ لها عِرْنينك. لقد آنصرف رأيُ أمير المؤمنين عنك، ودعوْتَ له عَتْبَك، وكشفْتَ له عن قِنَاع سترك، وآجتررتَ إليك سَخْطته وعَطَفْتَ نحوَك مَوْجِدَته، وكنْتَ على نصيبك منه والضنّ بمنزلتك عنده أولى تقدُّماً وأقربَ رُشْداً. والله الغنيّ الحميد.

أصحاب السلطان ثلاثة: رجلٌ يجعل الدنيا نُصْبَ عينه، ينصِب فيها للخاصّة مَكَايده، ويرفَع عن مصلحة العامّةِ همَّته، يُذهله عن التقوى الهوى، وتُنسيه أيامُ القدرة العثرةَ، حتى تنصرِم مدّتُه وتنقضيَ دولتُه، لم يرتهن بدنياه

(١) ما أُجِنُّ لك: ما أُضْمِرُ لك من محبة؛ يقال: جُنَّ الشيُء عنه: إستتر.
(٢) العائدة: اسم من عادة بمعروفه إذا أقبل.
(٣) عُزُوْبُ العقل: غيابه؛ يقال عَزَب الشيُء عنه يَعْزُبُ: غاب وخفي.
(٤) الأَفَنُ: ضعف الرأي والتدبير.

شُكراً ولا قَدّم بها إلى مَعَاده ذُخراً. ورجلٌ لا يَحْفِل[1] مع صَلاح الخاصّة ما دخل من الخلل في أمور العامّة، ولا مع وفور حظه ما أدخل النقص في حظ رعيته. ورجلٌ حاول في ولايته إرضاءَ من وَلِي له وعليه، وأعانته النّية وخَذَلته الكفاية. وقد جمع الله لك الثقة والرضا ممن فوقك، والانقيادَ والمحبة ممن دونك، وأعاد إلى الناس بك عهدَ السلف الماضي وعَمَّر بك آثارهم، حتى كأنهم بك أحياء لم تَخْترمهم منيّة، وجميعٌ لم تنصدِعْ بينهم فُرْقة، فليَهْنِئْك أنَّ مَنْ تقدّمك من أهل الفضل في السِّيرة غيرُ متقدّم لك، ومن معك مُقَصِّر عنك، ومن دونك مُقتفٍ لأثرك. فلا زالت الأيام لك، ولا زالتِ النعمُ عنك، ولا آنتقلت عُرَى الأمور وأزِمّتها عن يدك.

فصل ـ أَبَى طبعُ الزمان أن يسمَحَ لنا بك، كما أبى ذلك في مثلك، فلم يزل حتى آعْتَرضَ بمكروهه دونك، وكم من نعمةٍ ذهلتْ عنها النفس حين أدبرت بخيرك، فإنَّ تَعَلُّق القلب بك على قَدْرك في مواهب الله وقدرِها عندك.

فصل ـ ولم تأت في جميع ما عدَّدْتُ من أياديك شيئا، وإن كان متناهياً إلى الغاية، مختاراً كالأُمنيّة، متجاوزاً للاستحقاق، إلا وأنت فوقه والمأمولُ للزيادة فيه.

وفي كتاب ـ إن كان ما خبّرني به فلان عن هَزْلٍ فقد أحوجنا هزلُك إلى الجدّ، وَوَقّفنا موقف المعتذرين من غير ذنب، وإن كان عن حقيقةٍ فقد ظهر لنا من ظُلمك وتحريفك ما دلّ على زُهْدك منا في مثل الذي رَغبنا منك فيه.

فصل في كتاب العيد ـ كتابي إلى الأمير يوم كذا بعد خروجي فيه ومَنْ قِبَلي من المسلمين إلى المُصَلّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد،

---

(١) لا يَحْفِلُ: لا يبالي.

ونحن بخير حالٍ آجتمع عليها فريقٌ من المسلمين في عيدٍ من أعيادهم ومجمعٍ من مجامعهم؛ وكان مَخْرَجُنا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرجٍ، ومُنصَرَفُنا عنه أفضل مُنصرَف، بما وهب الله من سكون العامّة وهدوئها وأُلْفَتِها، وآحتشاد الجند والشاكريّة[1] بأحسنِ الزِّيّ والهيئة، وأظهرِ السلاح والعُدّة. فالحمد لله على كذا، وهَنَأ الله الأمير كذا.

فصل ـ القلب قرينُ وَلَهٍ حليفُ حَيْرةٍ، أنظرُ بعينٍ كليلةٍ وأحضرُ بقلبٍ غائب: إلى ورود كتابك بما تعتزمه. فأما النوم فلو مَثَل لعيني لنفَرَتْ إلفاً للسُّهاد.

فصل في كتاب بَيْعة ـ فبايِعُوا لأمير المؤمنين ولفلانٍ بعدَه على آسم الله وبركته وصُنْع الله وحُسْن قضائه لدِينه وعِباده، بيعةً منبسِطةً لها أكفُّكم، منشرحةً بها صدورُكم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفّق له أمير المؤمنين.

عدّد معاويةُ على الأحنف ذنوباً؛ فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين، لِمَ ترُدُّ الأمورَ على أعقابها؟ أما والله إنَّ القلوبَ التي أبغضناك بها لَبَيْنَ جوانحنا، وإنَّ السيوفَ التي قاتلناك بها لعَلَى عَوَاتقنا؛ ولئنْ مَدَدْتَ لنا بشبر من غدر، لَنَمُدُّنَّ إليك باعاً من خَتْرٍ[2]، ولئن شئْتَ لَتستصفِيَنَّ كَدَرَ قلوبنا بصفو حلمك؛ قال معاوية: إنّي أفعل.

تقدّم رجل إلى سَوَّار، وكان سوّار له مُبغضاً، فقال سوّار في بعض ما يكلمه به: يا آبن اللَّخْناء[3]! فقال: ذاك خَصْمي؛ فقال له الخصم: أَعِدْني

(١) الشاكريَّةُ: ج شاكِريّ، معرَّب چاكر بالفارسية ومعناه الأجير والمُسْتَخْدَم.
(٢) الخَتْرُ: الخديعة والغدر.
(٣) اللَّخْناء: المنتنةُ المغابن؛ يقال: لخِنَ الشيُء: أنتن. واللَّخَنُ: قُبْحُ ريح الفَرْج.

عليه[١]، فقال له الرجل: خذ له بحقه وخذ لي بحقي؛ ففهم، وسأله أن يغفر له ما فَرَط منه إليه، ففعل.

الأوزاعيّ قال: دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية، فنظر إلى ساقَيْه فقال: أيّ ساقين، لو كانتا على جاريةٍ عاتق[٢]! فقال له خُرَيم: في مثل عَجِيزتك يا أمير المؤمنين.

الخُطَب

تَتَبَّعْتُ خُطَبَ رسول الله ﷺ، فوجدْتُ أوائلَ أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له». ووجدت في بعضها: «أُوصيكم، عباد الله، بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته». ووجدْتُ في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: أيها الناس، إنَّ لكم مَعَالِم فَٱنتهوا إلى معالمكم، وإنَّ لكم نِهايةً فَٱنتهُوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بَقِي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخُذِ العَبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبَر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار، ووجدْتُ كلّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن يَنزِل عن المِنْبر أربع عشرة تكبيرة.

---

(١) أَعِدْني عليه: أنصرني عليه وقَوِّني.

(٢) العاتق: الجارية أول إدراكها، وقيل هي التي لم تتزوَّجْ.

خطبة[١] لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

حدّثني أبو سَهْل قال: حدّثني الطَّنَافِسيّ عن محمد بن فُضَيل قال: حدّثنا عبد الرحمن ٱبن إسحاق عن عبد الله القرشيّ عن عبد الله بن عُكَيْمْ قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

أما بعد، فإني أُوصيكم بتقوى الله وحدَه وأَن تُثنوا عليه بما هو أهلُه، وتَخْلِطوا الرغبةَ بالرهبة، والإلحافَ بالمسألة؛ فإنَّ الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيته فقال: ﴿إنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ في الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾[٢]. ثم ٱعلموا أن الله قد ٱرتهن بحقّه أنفسَكم، وأخَذَ على ذلك مواثيقَكم، وٱشترى منكم القليلَ الفانيَ بالكثير الباقي. هذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنَى عجائبُه ولا يُطفأ نورُه، فصدِّقوه وٱنتصِحُوه وٱستضِيئوا منه ليوم الظُّلمة. ثم ٱعلموا أنكم تغدُون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ علمُه عنكم، فإن ٱستطعتم ألّا ينقضيَ إلا وأنتم في عملٍ لله فٱفعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا في مَهَلٍ؛ فإنّ قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسُوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم، والوَحَى الوَحَى[٣] والنجاءَ النجاءَ! فإنَّ من ورائكم طالباً حثيثاً مَرُّه، سريعاً سَيْرُهُ.

وفي غير هذه الرواية: أين مَنْ تعرِفون من أبنائكم وإخوانكم! قد ٱنتهت بهم آجالهم فورَدُوا على ما قدّموا فحلوا عليه وأقاموا للشقْوَة والسّعادة فيما بعد الموت. أينَ الجَبّارون الذين بَنوا المدائنَ وحصَّنُوها بالحوائط! قد صاروا تحتَ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦١ ـ ٦٢) باختلاف يسير عّما هنا.

(٢) سورة الأنبياء ٢١، آية ٩٠. والمعنى: هذه هي هوية الأنبياء: ليسوا سحرة أو منجمين ولا ملائكة أو سلاطين، إنهم أناسٌ يطيعون الله في كل شيء رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه، ومن أجل هذا جعلهم الله حفظة دينه وحجة على عباده. راجع التفسير المبين.

(٣) الوحى الوحى: البدارِ البدارِ، أي السرعة السرعة.

الصَّخْر والآكام.

خطبة(١) لأبي بكر أيضاً رضي الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القارىء.

حَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثم قال:

إنَّ أشْقى الناسِ في الدنيا والآخرة الملوكُ. فرفع الناس رؤوسَهم؛ فقال: ما لكم يا معشرَ الناس! إنّكم لطَعَّانون عَجِلون، إنَّ المَلِك إذا ملك زهّده الله فيما في يده، ورَغَّبه فيما في يَدَيْ غيره، وآنتقصه شطرَ أجله، وأشرب قلبَه الإشفاقَ، فهو يحسد على القليل، ويتسخّط الكثير، ويسأم الرخاءَ، وتنقطع عنه لذّة البهاء(٢)، لا يستعمِل العِبْرة ولا يسكُن إلى الثقة، فهو كالدرهم القَسِيِّ(٣) والسَّراب الخادع، جَذْلِ الظاهر، حزين الباطن، فإذا وَجَبَتْ نفسُه ونَضب عمرُه وضَحَا ظِلُّه(٤)، حاسَبَه الله فأشدّ حِسابَه وأقلَّ عفوَه. ألَا إنَّ الفقراء هم المرحومون، وخيرَ الملوك من آمن بالله، وحَكَم بكتاب الله وسُنَّة نبيّه ﷺ. وإنكم اليوم على خلافة نبوّة، ومَفْرِق مَحَجّة، وَسَتَرون بَعْدي ملكاً عَضُوضاً، وأُمَّةً شَعَاعاً، ودما مُفاحا(٥). فإن كانت للباطل نَزْوَة، ولأهل الحق جَوْلة؛ يعفو لها الأَثَر، وتموت السُّنَن، فآلزَمُوا المساجد، وآستشِيروا القرآن، وآلزموا الجماعة. وليكن الإبرامُ بعد التشاوُر، والصَّفْقَة بعد طُول التناظُر، أي بلادكم(٦) خُرْسَةٌ فإن

---

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩ - ٦٠) وفي البيان والتبين (ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٥) باختلاف يسير عما هنا.

(٢) في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩): «لذة البقاء».

(٣) الدرهم القَسِيُّ: الرديء الزائف.

(٤) ضَحَا ظِلُّهُ، ونَضَبَ عمره، وَوَجَبَتْ نَفْسُهُ: كل منها كناية عن الموت.

(٥) الدم المفَاح: المراق. وشَعاعٌ: متفرقة. ومُلْكٌ عَضُوْضٌ: مُلْكٌ فيه أستبدادٌ وعَسْفٌ.

(٦) خُرْسَةٌ: مُحْتَبَسَةٌ، والخُرْسَة أيضاً: طعام. والمراد: إن بلادكم معرَّضة للخطر. وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩): «خَرْشَنَة» وهي بلد قرب ملطية من بلاد الروم.

الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها.

خطبة[١] أبي بكر رضي الله عنه يوم سقِيفة بني ساعدة

أراد عُمر الكلام، فقال له أبو بكر: على رِسْلِك. نحنُ المهاجرون أوّلُ الناس إسلاماً، وأوْسَطُهم داراً، وأكرمُهم أحساباً، وأحسنُهم وُجوهاً، وأكثرُ الناس وِلادةً في العرب، وأمسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ، أسلَمْنا قبلكم، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم[٢]، فأنتم إخوانُنا في الدِّين، وشر كاؤُنا في الفَيْء، وأنصارُنا على العَدُوّ؛ آويْتُم وواسَيْتُم، فجزاكم الله خيراً؛ نحن الأُمَراءُ، وأنتم الوُزراءُ؛ لا تَدِينُ العربُ إلا لهذا الحَيّ من قُرَيش، وأنتم محقوقون ألّا تَنْفَسُوا على إخوانكم من المَهاجرين ما ساق الله إليهم.

خطبة[٣] لأبي بكر رضي الله عنه

الهيْثَم عن مُجالد عن الشَّعْبيّ قال: لما بُويع أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، صَعِد المِنْبر فنزل مِرْقاةً[٤] من مَقْعَد النبيّ ﷺ فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

إني وَلِيْتُ أمرَكم ولست بخيرِكم، ولكنه نزل القرآن وسنّ رسول الله ﷺ. اعلموا أيها الناس أنَّ أكيس الكَيْس التُّقى، وأنَّ أحمقَ الحُمْق الفُجُور، وأنَّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخُذَ له بحقّه، وأضعفَكم عندي القويُّ حتى آخذَ منه الحقّ، إنما أنا متَّبع ولست بمبتدِع، فإن أحسنْتُ فأعِينوني، وإن زُغْتُ

---

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٨ ـ ٥٩) باختلاف في النص عما هنا.

(٢) ورد في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩) بعد عبارة «في القرآن عليكم» الآية الكريمة التالية: ﴿والسابقون الأولون من المهاجِرين والأنصار والذين اتّبعوهُمْ بإحسان﴾ سورة التوبة ٩، آية ١٠٠.

(٣) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩) مع اختلاف في العبارات عما هنا.

(٤) نَزَل مِرْقاةً بكسر الميم وفتحها: نزل درجة.

فقوِّموني. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

خطبة(١) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال: ولما وَلِي عمر صعِد المنبر وقال:

ما كان اللَّهُ ليراني أرى نفسي أهلا لمجلس أبي بكر، ثم نزل عن مجلسه مِرْقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إقرءوا القرآن تُعْرَفوا به، وآعمَلوا به تكونوا من أهله. إنه لم يبلُغ حقُّ ذي حقٍّ أن يُطاعَ في معصيةِ الله. ألا وإني أنزلْتُ نفسي من مال الله بمنزلة وَالي اليتيم: إنِ آستغنَيْتُ عَفَفْتُ وإنِ آفتقرْتُ أكلْتُ بالمعروف تَقرُّمَ البَهْمَةِ الأعرابية. القَضْمَ لا الخَضْمَ(٢).

خطبة(٣) لعثمان بن عفّان رضي الله عنه

قال: ولما وَلِي عثمان صعِد المنبر فقال:

رحمهما الله، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك مِن بَأْس، فجلس على ذِرْوة المنبر فرماه الناسُ بأبصارهم، فقال: إن أوّلَ مركبٍ صعبٌ، وإن مع اليوم أيّاماً، وما كُنّا خُطَباء، وإن نَعِشْ لكم تأتِكم الخطبةُ على وجهها إن شاء الله تعالى.

---

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٢) باختلاف في بعض العبارات عما هنا.

(٢) الخَضْمُ: الأكل بأقصى الأضراس. والقضْم: الأكل بأطراف الأسنان. والتقرُّم: الأكل أكلا ضعيفاً أو تعلم الأكل؛ يقال: قرَّمه: علّمه الأكل. والبهمة: أولاد الضأن والمعَزَ والبقر، والجمع بَهْمٌ وبَهَمٌ وبهام. والمراد الأكل الخفيف الذي تدفع إليه حاجة الحياة.

(٣) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٦) باختلاف كبير عما هنا.

خطبة[١] لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب فقال:

أما بعدُ، فإنّ الدنيا قد أدْبرتْ وآذنتْ[٢] بوَدَاع، وإنَّ الآخرةَ قد أقبلتْ فأشرفتْ بآطّلاع، وإن المِضمَارَ[٣] اليومَ وغَداً السِّباقَ. ألا وإنكم في أيام أَمَلٍ[٤] من ورائه أَجَل، فمن قَصَّر في أيام أمله قبل حضور أجلِه فقد خَسِرَ عمله. ألاَ فآعمَلوا لله في الرَّغْبة كما تعمَلون له في الرَّهْبَة[٥]. ألاَ وإنِّي لم أَرَ كالجنة نامَ طالِبُها، ولا كالنار نام هاربُها. ألا وإنه مَن لم ينفعْه الحقُّ ضرَّه الباطل[٦]، ومن لم يَستقِم به الهُدَى جارَ به الضلال، ألا وإنكم قد أُمِرْتُمْ بالظَّعْن[٧]، ودُلِلتم على الزاد[٨]؛ وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم آتباعُ الهوى وطولُ الأمل.

خطبة[٩] عليّ عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس، كتابَ الله وسنّةَ نبيكم. لا يدّعي مدّع إلاَّ على نفسه. شغِلَ

(١) وردت هذه الخطبة في المصدر السابق ص ٦٩ بآختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا. كما أنها جاءت كاملة في نهج البلاغة (ج ١ ص ٧١ - ٧٣) والذي في كتابنا، فقد طرأ عليه نقصان عما في نهج البلاغة، وانظرها كذلك في البيان والتبين (ج ٢ ص ٢٤٠).

(٢) آذنت: أعلمت، وإيذانها بالوداع إنما هو بما أُودِع في طبيعتها من التقلب والتحول.

(٣) المِضْمار: الموضع والزمن الذي تُضْمَرُ فيه الخيلُ.

(٤) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة.

(٥) أي آعملوا لله في السَّرّاء كما تعملون له في الضَّرّاء، لا تصرفكم النِّعَمُ عن خشيته والخوف منه.

(٦) النفع الصحيح كله في الحق، فإن قال قائلٌ إن الحق لم ينفعه فالباطل أشدُّ ضَرَراً له.

(٧) الظَّعْنُ: الرحيل عن الدنيا، أي أَمَرَنَا اللّهُ أن نرحل عن حياتنا الأولى لننتقرَّ في الأخرى.

(٨) المقصود بالزاد: عمل الصالحات وترك السَّيئات.

(٩) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٦) باختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا؛ قال ابن عبد ربه: أنها أول خطبة خطبها علي - رضي الله عنه - فحمد الله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس... الخ وفي نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٩ - ٥٠): «ومن هذه الخطبة: =

مَنِ الجَنَّةُ والنارُ أَمامَه(١) ساعٍ (٢) نَجا، وطالبٌ يرجو، ومقَصِّر في النار: ثلاثة؛ وآثنان: مَلَكٌ طارَ بجَناحَيْه، وبنيٌّ أخذ الله بيديه، لا سادِسَ. هَلَك مَن آقتحم، ورَدِيَ مَن هَوى. اليمينُ والشِّمالُ مَضلَّة، والوُسْطى الجادَّةُ(٣): مَنْهَجٌ عليه باقي الكتاب وآثارُ النبوّة. إن الله أدَّب هذه الأمَّةَ بأدبين: : السَّوْطِ والسيفِ؛ فلا هَوادَةَ فيهما عند الإمام. فآستتِروا ببيوتكُمْ، وأَصْلحوا ذاتَ بَيْنِكم؛ والتوبة من ورائكم. مَنْ أبدى صَفْحته للحق هَلَك(٤). قد كانت أمورٌ مِلْتُم عليّ فيها مَيْلَةً لم تكونوا عندي محمودين ولا مُصيبين. واللّهِ أنْ لو أشاءُ أن أقول لقلتُ. عفا الله عمّا سَلَف. أنظروا، فإن أنكرتم فأنْكِروا، وإن عَرَفْتم فآزْوُوا. حقٌّ وباطل، ولكُلٍّ أهلٌ. واللّهِ لئن أُمِّرَ الباطلُ لَقَدِيماً فعل؛ ولئن أُمِّرَ(٥) الحقُّ لَرُبَّ ولعلّ. ما أدبر شيءٌ فأقبل.

خطبة(٦) أيضاً لعليّ رضي الله عنه

خطب عليّ حين قُتِلَ عاملُه بالأَنْبار فقال في خطبته:

= شُغِلَ مَنِ الجَنَّةُ والنارُ أمامه... الخ» أي من هذه الخطبة التي قالها علي عليه السلام لما بويع بالمدينة (نفس المصدر ص ٤٦) ولقد وردت هذه الخطبة في المصدر المذكور باختلاف عما في كتابنا. كذلك آنظرها في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(١) شُغِلَ: فعل مبني على المجهول، ومن نائب فاعل له، والجنة مبتدأ خبره: أمامه.

(٢) هنا يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: الأول هو الساعي إلى ما عند الله. والثاني هو الطالب الذي قلبه تعمره الخشية ولكنه قد يخلط العمل الصالح بالسيء، لذا يرجو أن يغفر الله تعالى له والثالث هو المقصِّر الذي يقول بلسانه أنه مؤمن ويشارك الناس الصوم والصلاة وما شابههما ظناً منه أن ذلك هو كل ما يطلب منه، وهو في الحقيقة لا يميل له هواه إلى أمر إلّا آنتهى إليه، فذلك جديرٌ أن يكون في النار هوى.

(٣) اليمين والشمال مثال لما زاغ عن جادَّة الشريعة، والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة.

(٤) أي مَنْ كاشف الحقَّ مخاصماً له هلك.

(٥) أُمِّرَ الحقُّ: سُلِّط.

(٦) هي الخطبة التي تحث على الجهاد وتذمُّ القاعدين. وقد وردت في نهج البلاغة (ج ١ ص ٦٧ - ٧٠) كاملة وأولها: «أما بعد، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة...» والذي في كتابنا، =

يا عَجَباً مِنْ جِدِّ هؤلاء في باطلهم وفَشَلِكم عن حَقِّكم! فقُبْحاً لكم وتَرَحاً[١] حين صِرْتم غَرَضاً يُرْمَى، يُغارُ عليكم ولا تُغِيرون، وتُغزَون ولا تَغزون، ويُعصَى اللَّهُ وتَرضون. إنْ أمرتُكم بالمسير إليهم في الحرِّ قلتم: حَمَارَّةُ[٢] القَيْظ، أَمْهِلْنا حتى يَنْسلِخَ الحرّ، وإن أمرْتُكم بالمسير إليهم في الشتاء قلتم: أمهِلْنا حتى ينسلِخَ الشتاء هذا أوانُ قُرٍّ[٣]؛ كلّ هذا فِرارا من الحرّ والقُرّ، فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ! أحلامُ الأطفال وعقول رَبَّاتِ الحِجَال[٤]؛ أفسدتُمْ عليَّ رأيي بالعِصْيان والخِذْلانِ، حتى قالت قريشٌ: ابن أبي طالب شُجاعٌ ولكن لا عِلْمَ له بالحرب. لله أبوهم! هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِرَاساً[٥] وأطولُ تَجْرِبةً منّي؟ لقد نهضْتُ فيها وما بلغْتُ العشرين فهأنا الآن قد نيَّفْتُ على الستين، ولكن لا رَأْيَ لمن لا يُطاع.

= فقد طرأ عليه بعض التغيير عمّا في نهج البلاغة. كذلك وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٩ ـ ٧١) كاملة ولكن باختلاف بسيط عما في نهج البلاغة. قال ابن عبد ربه ما نصُّه: قال عليٌّ هذه الخطبة عندما أغار سُفْيان بن عَوْف الأسدي على الأنبار في خلافة عليّ، رضي الله عنه، وعليها حسّان البكري، فقتله، فخرج علي حتى جلس على باب السُّدَّة فحمد الله ثم قال: «أما بعد، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة... الخ» كذلك أنظرها في البيان والتبيين(ج ٢ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(١) تَرَحاً بالتحريك أي هَمّاً وحزناً أو فقْراً. وغَرَضاً يُرْمى: أي ما يُنْصَبُ ليُرْمى بالسهام ونحوها، والمعنى: صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم لا يدفعون. ويُعْصَى الله وتَرْضَوْن: يشير هنا إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين، وأهل العراق راضون بذلك، إذ لو غضبوا لَهَمُّوا بالمدافعة.

(٢) حَمَارَّةُ القَيْظ: شدة الحرِّ.

(٣) القُرُّ: البرد الشديد.

(٤) الحِجالُ: ج حَجَلة وهي موضع يُزَيَّن بالستور، والثياب للعروس، أو هي سترٌ يضرب للعروس في جوف البيت. وربّات الحِجال: النساء.

(٥) مِراساً: مصدر ما رسه ممارسة ومِراساً: أي عالجه وزاوله وعاناه.

خطبة(١) لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شُعَيْب بن صَفْوانَ قال: خطب معاوية فقال:

أيها الناس، إنّا قد أصبحنا في دَهْر عَنُود، وزَمن شديد، يُعَدُّ فيه المحسِنُ مُسيئاً، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُوّاً، لا ننتفع بما عَلِمنا، ولا نَسأل عمَّا جَهِلْنا، ولا نتخوَّف قارِعةً حتى تَحُلَّ بنا. فالناس أربعة أصناف: منهم مَن لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مَهانةُ نفسِه وكَلاَل حَدِّه ونضِيض وَفْرِه(٢)؛ ومنهم المُصلِت لسيفه والمُجلِب بخيله ورَجْلِه والمُعلِن بشرِّه، قد أَشْرَط(٣) نفسَه وأوبق دِينَه لحُطَامٍ يَنتهِزه أو مِقْنَب(٤) يقوده أو مِنْبر يَفْرَعُه(٥)، وَلَبِئْسَ المَتْجَران تراهما لنفسك ثمناً ومما عند الله عِوَضاً. ومنهم مَن يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامَنَ(٦) من شخصه وقارَبَ من خَطْوه، وشمَّر من ثوبه، وزَخْرَفَ نفسَه للأمانة، وٱتخذ سِتر الله ذَريعةً إلى المعصية. ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضُؤولةُ(٧) في نفسه وٱنقطاعُ من سببه، فقَصَّر به الحال عن أمله، فتحلّى بٱسم القناعة وتزيّن بلباس الزُّهّاد، وليس من ذلك في مَراحٍ ولا مَغْدًى. وبقي رجَالٌ غضّ أبصارَهم ذِكْرُ المَرْجِع، وأراقَ دموعَهم خوفُ المَحْشر فهم بين شَريد

---

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٨٨ ـ ٨٩) مع اختلاف في العبارات وزيادات ونقصان؛ قال ابن عبد ربه إنها قيلت عندما مرض معاوية مَرَضَ وفاته. وٱنظرها أيضاً في البيان والتبيين(ج ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٢) نضيضُ وَفْرِهِ: قلة ماله.

(٣) أَشْرَطَ نَفْسَهُ: أعلمها. وأَوْبَقَ دينَهُ: أهلكه.

(٤) المِقْنَبُ: الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(٥) يَفْرَعُهُ: يعلوه.

(٦) طامَنَ من شخصه: خفض.

(٧) الضُّؤْولَةُ: الضآلة؛ يقال: ضَؤُلَ الرجلُ يَضْول ضآلةً وضُؤُولة: كان ضئيلاً.

نَادّ[١]، وخائفٍ مُنقَمِع[٢]، وساكتٍ مَكْعُوم[٣]، وداعٍ مُخْلِص، ومُوجَع ثَكْلان، قد أخملتْهم التقيّة، وشَمِلَتْهم الذِّلَّة، فهم في بَحر أُجَاج[٤]، أفواهُهم ضامرةٌ، وقلوبُهم قَرِحَةٌ، قد وُعِظُوا حتى مَلُّوا، وقُهِروا حتى ذَلُّوا، وقُتِلوا حتى قَلُّوا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغرَ من حُثَالة القَرَظ وقُرَاضة[٥] الجَلَم، واتّعِظُوا بمنَ كان قبلكم قبل أن يَتَّعِظ بكم مَن بعدكم، وارفضوها ذَميمةً، فإنها قد رفضتْ مَن كان أشغفَ بها منكم.

خطبة[٦] ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال: إن معاوية كان حَبْلا من حِبال الله، مدّه ما شاء أن يَمُدَّه، ثم قطعه حينَ شاء أن يَقطعَه؛ وكان دُونَ مَن قَبْله وهو خيرٌ ممن بعده، ولا أُزَكِّيه عند ربه، وقد صار إليه فإن يَعْفُ عنه فبرحمته، وإنْ يعاقِبْه فبذنبه، وقد وَلِيْتُ الأمرَ بعده، ولستُ أعتذر من جَهْل ولا أشتغل بطلب علم. وعلى رِسْلكم[٧]! إذا كَرِهَ اللَّهُ أمراً غيرّه.

(١) النادُّ: النافر الذاهب على وجهه. وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ٨٩): «بادٍ».

(٢) مُنْقَمِعٌ: مستخف.

(٣) المكعوم من الإبل: الذي يُشَدُّ لئلاَّ يعض أو يأكل، شبهً به الساكت.

(٤) أجاج: مالحٌ مُرٌّ. والأُجَاجُ من الماء: المرُّ من الماء كماء البحر أو الملح.

(٥) الحُثالَة: الزوان ونحوه يكون في الطعام وما يسقط من قشر الشعير والأرز، وحُثالة القرظ: بقيته. والقَرَظُ: حب السَّلَم ويعتصر منه الأقاقيا وهي ما يُتداوى به عند الأطباء، والسَّلَمُ: شجر يُدْفع به. والقُراظة: ما سقط بالقَرض كقُراضة الثوب. والجَلَمُ: الذي يُجَزُّ به الشَّعْر والصوف.

(٦) أنظر هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٨٩).

(٧) على رِسْلِكُمْ: أي اتئِّدوا ولا تعجلوا.

خطبة لعُتْبة بن أبي سُفيان

أبو حاتم عن العُتْبيّ قال: إحتبستْ كُتُب معاوية حتى أَرْجَفَ[1] أهل مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته، فصعِد عتبةُ المنبر والكتابُ في يده فقال:

يا أهل مصرَ، قال طالت معاتبتُنا إياكم بأطراف الرِّماح وظُبَات السيوف حتى صِرْنَا شَجيً في لَهَوَاتِكم[2] ما تُسِيغُنا حلوقُكم، وأَقْذَاءً في أعيُنكم ما تَطْرِف عليها جفونُكم. فحين آشتدَت عُرَى الحق عليكم عَقْداً، وآسترختْ عُقَدُ الباطل منكم حَلاًّ، أرجفتُم بالخليفة وأردتُم توهينَ السلطان، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ! فآرْبَحُوا أنفسَكم إذا خَسِرْتم دينَكم، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخَبَر السارّ عنه والعهدِ القريب منه. وآعلموا أنَّ سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم؛ فأصلِحوا لنا ما ظَهَر، نَكِلْكُم إلى الله فيما بَطَن؛ وأظهِرُوا خيراً وإن أسررتُم شرّاً؛ فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون. وعلى الله نتوكّل وبه نستعين.

خطبة[3] لعُتْبة أيضاً

وبهذا الإسناد أنَّ عُتبة خطب أهلَ مصر حين هاجوا فقال:

يا أهل مصر، خَفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه، وذمُّ الباطل وأنتم تأتُونه، كالحِمَار يَحْمِل أسفاراً أثقله حَمْلُها ولم ينفعْه عِلْمُها. وإني والله لا

(١) أَرْجف: خاض في الأخبار التي تُحْدِثُ آضطراباً وفتنة.

(٢) اللَّهَـوَاتُ: ج لَهَاة وهي اللحمنة المشرفة على الحَلْق في أقصى سقف الفم، والعامـة تسميهـا الطنطلة، والمراد باللهوات الألسنة.

(٣) وردت في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٠) بآختلاف في العبارات عما هنا.

أُداوِي أدواءَكم بالسيف ما آكتفيت بالسَّوْط، ولا أبلغُ السوطَ ما كَفَتْني الدِّرَّة[١]، ولا أُبطىء عن الأُولى إن لم تصلحوا عن الأُخرى، ناجزاً يناجز، ومَن حذّر كمن بشّر فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم ليس فيه عِقَاب، ولا بعده عِتَاب.

خطبة[٢] لعبد الله بن الزُّبَيْر

خطب عبد الله بن الزُّبير حين قُتِلَ أخوه مُصْعَب[٣] فقال:

الحمد لله الذي يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلّ مَن يشاء. إنه لن يذلّ مَن كان الحقُّ معه وإن كان فَرْداً، ولن يعزَّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام. أتانا خبرٌ مِن قِبل العراق أجزَعَنا وأفرَحَنا: قتلُ مُصْعَب رحمه الله. فأما الذي أحزَنَنا من ذلك فإنّ لفراق الحميم لَذْعةً يَجِدها حميمُه عند المُصيبة به ثم يَرْعَوِي بعدها ذَوُو الرأي إلى جميل الصبرِ وكريم العزاء. وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمُنا أنَّ قتله شهادةٌ، وأن ذلك لنا وله الخِيَرَة. ألا إن أهل العراق أهلَ الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه به. إنا والله ما نموت حَبَجاً[٤] ولا نموت إلا قتلاً، قَعْصاً[٥] بالرماح تحتَ ظِلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛

(١) الدِّرَّةُ: السَّوْط والمراد هنا سَوْط صغير.

(٢) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٩ - ١١٠) مع آختلاف كبير عما هنا.

(٣) قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧١ هـ، وقد تقدمت ترجمة مصعب بن الزبير في الحاشية رقم ٢ من ص ١٠٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) ما نَمُوتُ حَبَجاً: ما نموت بالتّخْمة؛ يقال: حَبَجَ البعيرُ يَحْبَجُ حَبَجاً: إنتفخ بطنه من أكل العِرْفج (شجر سُهْلِيٌّ) لأنه يتعقّد فيه وييبس حتى يتمرَّغ من وجعه ويَزْحَرُ. وهنا يعرِّض ببني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتّخمة.

(٥) قَعْصاً: قَتْلاً، أي أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه؛ يقال: قعصه: قتله مكانه.

واللَّهِ إنْ قُتِل رجلٌ منهم في جاهليّةٍ ولا إسلام. ألا إنما الدنيا عَارِيةٌ من الملك الأعلى الذي لا يَبِيدُ ذكرُه ولا يَذِلّ سلطانُه فإن تُقبل عليّ لا آخُذْها أخْذَ البَطِر الأَشِر، وإن تُدبر عني لا أَبْكِ عليها بُكاءَ الخَرِف المُهْتَر[1]. ثم نزل.

خطبة زياد البتراء[2]

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعيّ عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدّثني أبي عن الهيثم بن عَدِيّ، قال: لما قدم زيادٌ أميراً على البَصْرة فنظر إلى أبياتها، قال: رُبَّ فَرِحٍ بإمارتي لن تنفعَه، وكارهٍ لها لن تَضُرَّه؛ فدخل وعليه قَباء أبيض وَرِداء صغير، فصعِد المنبر، فخطب الناسَ خطبة بتراء: لم يصلِّ فيها على النبيّ ﷺ، وكان أوّلَ من خطبها، ثم قال:

أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علِمتم، وشهِدَتِ الشهودُ بما قد سمِعْتُم، وإنما كنت آمرأً حَفظ اللَّهُ منه ما ضَيّع الناسُ، ووَصَل ما قطعوا. أَلَا وإنَّا قد وَلِيْنا ووَلِيَنَا الوالون، وسُسْنا وساسَنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمرَ لا يُصلحه إلا شدّةٌ في غير عُنْف، ولينٌ في غير ضعف. وآيمُ[3] الله ما من كِذْبةٍ أكبرُ شاهداً من كِذْبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها منّي فآغتمِزُوها فيّ، وآعلموا أنَّ عندي أمثالَها، وإذا رأيتموني آمر فيكم بالأمر فأنفِذوه على أَذْلَاله[4]. وآيمِ الله إنَّ لي

---

(١) الخرف: الذي فسد عقله من الكبر. والمُهْتَرُ: من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن.

(٢) وردت خُطبة زياد بن أبي سفيان في ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ص ١٨٥ ـ ١٨٦ بآختلاف يسير عما هنا. وردت في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١٠ ـ ١١٣) بزيادات كثيرة عما هنا وبتقديم وتأخير في بعض الجمل والكلمات، كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥).

(٣) ايْمُ الله وايمِ اللّهِ: قسمٌ، وفيه لغات وهي: ايْمُنُ الله والتقدير: ايْمَنَ اللّهُ قسمي، ويقال: ايْمَنُ الله.

(٤) على أذلاله: على طرقه ووجوهه، واحده: ذِل بكسر الذال، وذِلُّ الطريق: ما مهد منه وذُلِّل.

فيكم لصَرْعىَ كثيرة، فليحذَرْ كلّ آمرىء منكم أن يكون من صَرْعاي. وآيمُ الله لآخُذنَّ البريءَ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصي، والمقبلَ بالمدبر، حتى تستقيمَ لي قَنَاتُكم، وحتى يقولَ القائل: أَنْجُ سَعْدُ، فقد قُتِل سُعَيْد[1]. فقام إليه عبدُ الله بن الأَهْتم التميميّ، فقال: أيها الأمير، أشهد أنك أُوتيتَ الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب؛ فقال له: كَذَبْتَ، ذاك نبيّ الله داود. ثم قام إليه الأحنفُ، فقال: إنما المرءُ بجِدّه، والسيف بحَدّه، والجواد بشدّه؛ وقد بلّغك جِدُّك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمدُ بعد البَلاَء، والثناءُ بعد العطاء، وإنا لا نُثْنِي حتى نَبْتَلي. ثم قام إليه مِرْداس بن أُدَيّة، فقال: قد سمِعنا مقالتك أيُّها الأمير، وإنَّ خليلَ الله إبراهيمَ عليه السلام أَدَّى عن الله غيرَ الذي أدَّيْتَه، قال الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]؛ وأنت تزعمُ أنك تأخُذ البريءَ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصي، والمقبلَ بالمدبر؛ فقال له: أُسْكت، فوالله ما أجِد إلى ما أُريد سبيلاً، إلا أن أخوضَ إليه الباطلَ خوضاً. ثم نزل.

وقال في خطبة له أخرى[3]:

حَرَامٌ عليّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض هَدْماً وإحراقاً. إيّاي

(١) ذكر ابن منظور في لسان العرب مادة (سعد) هذا المثل وقال: «هذا مثل سائرٌ؛ وأصله أنه كان لضَبَّةَ بن أُدٍّ آبنان: سَعْدٌ وسُعَيْد، فخرجا يطلبان إبْلاً لهما فرجع سَعْدٌ ولم يرجع سعيد، فكان ضَبَّةُ إذا رأى سواداً تحت الليل قال: سَعْدٌ أم سعيد؟ هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يُتشاءم به، وهو يضرب مثلاً في العناية بذي الرَّحِم. ويضرب في الإستخبار عن الأمرين: الخير والشرّ أيهما وقع. وقال الجوهريُّ في هذا المكان: وفي المثل، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء «أهو مما يُحَبُّ أو يُكْرَهُ».

(٢) سورة النجم ٥٣، آية ٣٨. والمعنى: كل إنسان مسؤول عن ذنبه لا عن ذنب سواه. راجع التفسير المبين.

(٣) وردت خطبة زياد هذه في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١١ ـ ١١٢) في ثنايا خطبة البتراء، مع اختلاف كبير عما هنا.

ودَلَجَ الليل، فإني لا أُوتى بمُدلج إلا سَفَكْتُ دمه، وإيّايَ ودَعْوَى الجاهليّة، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلاَّ قطعتُ لسانَه. وقد أحدثتم أحداثاً، وأحدثنا لكل ذنبٍ عقوبة؛ فمن غَرَّق قوماً غَرّقْتُه، ومن أحرق قوماً أحرقْتُه، ومن نَقَبَ بيتاً نقبْتُ عن قلبه، ومَنْ نَبَش قبراً دفنْتُه فيه حيّاً؛ فكُفُّوا أيديكم وألسنتكم أكُفَّ عنكم. وقد كانت بيني وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعَلتُها دَبْرَ أذني وتحت قَدَمي، فمن كان محسناً فليزدَدْ، ومن كان مسيئاً فلينزِعْ. إنّي لو علمتُ أنَّ أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغْضي لم أكشِف له قِناعاً ولم أهتِكْ له سِتْرا، حتى يُبديَ لي صَفْحتَه، فإذا فعل ذلك لم أُناظره؛ فأعِينوا على أنفسِكم وَاتنِفوا أمركم.

خطبة[1] للحجاج حين دخل البصرة

دخل وهو متقلِّدٌ سيفاً متنكِّبٌ قوساً عربية، فعلا المنبرَ فقال: [وافر]

أنا آبنُ جَلَا وطلّاع الثَّنَايَا ... مَتَى أضَعِ العِمامَةَ تعرِفُوني[2]

إنَّ أمير المؤمنين نَكَبَ[3] عِيْدانَه بين يديه، فوجدني أمرَّها عُوداً وأصْلَبَها

---

(١) انظر هذه الخطبة في المصدر السابق ١١٩ ـ ١٢٢ مع بعض الاختلاف عما هنا، كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٤) أكثر تفصيلاً عمّا في كتابنا، وفيه بيت سحَيم بن وثيل المذكور.

(٢) هذا البيت لسُحَيْم بن وثيل كما في لسان العرب مادة (جلا) وابن جلا هو الواضح الأمر، وآسم رجل كانَ صاحب فَتْك يطلع في الغارات من ثَنِيَّة الجبل على أهلها. وقال ثعلب: العِمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم. وقال غيره: كأنه قال: أنا ابن الذي يقال له جلا الأمورَ وكشفها. وقال ابن بري: أي أنا الظاهر الذي لا يُخْفى وكل أحد يعرفني. وقال سيبويه: جلا الأمور: أوضحها وكشفها. كذلك ورد هذا البيت من جملة أبيات في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٠) كما مرّت ترجمة سُحَيْم في الحاشية رقم ٥ من ص ٢٥٩ من الجزء الأول من كتابنا هذا.

(٣) في العقد الفريد (ج٤ ص ١٢١): «وإن أمير المؤمنين نثر كنانته [بين يديه] ثم عَجَم عِيْدانها». والكِنانة هي الجعبة تُجْعَل فيها السهام تكون من جلد لا من خشب فيها. أو من خشب لا جلد فيها. وعَجَم عيدانها: خَبَرَها. ونَكَبَ عِيدانها: طرحها.

مَكْسِراً، فوجَّهني إليكم. ألاَ فوالله لأَعْصِبنّكم[١] عَصْبَ السَّلَمة، ولأَلْحُوَنَّكم[٢] لَحْوَ العُود ولأَضرِبَنَّكم ضَرْبَ غرائب الإبل[٣]، حتى تستقيمَ لي قَنَاتُكم، وحتى يقولَ القائل: أَنْجُ، سعدُ، فقد قُتِل سُعَيْد[٤]. أَلاَ وإياي وهذه الشُّفَعاءُ[٥] والزَّرَافاتِ، فإنّي أُوتَى بأحدٍ من الجالسين في زَرَافةٍ إلا ضَرَبتُ عُنُقَه. هكذا حدّثنيه أحمد بن سعيد عن أبي عُبَيد في كتاب غَرِيب الحديث. وقال لي غيره: هو إيّايَ وهذه الشُّفَعاءَ والزَّرَافات. وقد فَسّرْتُ الحديثَ في كتابي المؤلَّف في غريب الحديث.

خطبة[٦] للحجاج أيضاً

أُرْجَف الناسُ بموت الحجّاج، فخطب فقال:

إنَّ طائفةً من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، نَزَغَ الشيطانُ بينهم، فقالوا: مات الحجاج ومات الحجاج! فَمه! وهل يرجو الحجّاج الخيرَ إلا بعد الموت! والله ما يسرُّني ألاّ أموتَ وأنَّ لي الدنيا وما فيها! وما رأيت اللَّهَ رضِيَ بالتخليد إلا لأهْوَنِ خَلْقه عليه إبليس. ولقد دعا اللَّهَ العبدُ الصالحُ فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي﴾[٧]، فأعطاه ذلك إلا البقاء.

---

(١) عَصَبَه: قَطَعَه. والسَّلَمَةُ: واحدة السَّلَم وهو شجر من العِضاه يُتَّخذ منه القرظ الذي يُدْبَغُ به.

(٢) لَحَا العودَ: قشره.

(٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قومٍ ضُرِبَتْ وطُردت. ضربه الحجاج مثلاً في التهديد والإنذار.

(٤) تقدم شرح هذا المثل في الحاشية رقم ٢ من ص ٢٤٢ من هذا الجزء.

(٥) الشُّفَعاء: ج شفيع. وهنا يحذِّر الحجاج من اجتماع الشفعاء عنده؛ لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون في أصحاب الجرائم فنهاهم الحجاج عن ذلك لأن كل واحد منهم كان يشفع للآخر.

(٦) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٣) بآختلاف عما هنا.

(٧) سورة ص ٣٨، الآية ٣٥. وتفسير الآية: طلب سليمان مُلْكاً لا مثيل له في الكيف لا في الكم كتسخير الرياح والطير والجن، فآستجاب سبحانه لدعوته.

فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل! . كأنّي والله بكلِّ حيٍّ منكم ميّتاً، وبكل رَطْبٍ يابساً، ونُقِل في ثيابَ أكفانه إلى ثلاثِ أذرُعٍ طُولاً في ذِراع عَرْضا، وأكلتِ الأرضُ لحمَه ومَصّتْ صديدَه، وآنصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِم الخبيثَ من ماله؛ إن الذين يعقِلون يعلَمون ما أقول، ثم نزل.

خطبة(١) أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال: أيها الناس إني أريد الحج، وقد آستخلفْتُ عليكم آبني هذا(٢)، وأوصيْتُه بخلاف ما أوصَى به رسولُ الله ﷺ في الأنصار؛ إن رسول الله أوصَى أنْ يُقبَلَ من مُحسنهم، وأن يُتجاوَزَ عن مُسيئهم؛ وإني أمرْتهُ ألاّ يَقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم. ألَا وإنكم ستقولون بعدي مقالةً لا يمنعُكم من إظهارها إلا مخافتي، ستقولون بعدي: لا أحسَنَ اللّهُ له الصَّحابة! ألَا وإنّي مُعجِّلٌ لكم الجوابَ: لا أحسَنَ الله لكم الخِلَافة، ثم نزل.

خطبة(٣) للحجاج أيضاً

خطب فقال في خطبته: سَوْطي سيفي، فنِجَادُه(٤) في عُنُقي، وقائمُه في يدي، وذُبَابه قِلادةٌ لمن اغترَّ بي! فقال الحسن: بُؤْساً لهذا! ما أغرّه بالله!.

وحلف رجل بالطلاق أنَّ الحجاج في النار، ثم أتى آمرأتَه فمنعته نفسَها؛ فأتى آبنَ سِيرِين(٥) يستفتيه؛ فقال: يا آبن أخي، امضِ فكن مع أهلك، فإنَّ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١٩) مع بعض الاختلاف.
(٢) في المصدر السابق والصفحة: محمداً.
(٣) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٤) مع اختلاف يسير عما هنا.
(٤) نجادُ السيف: حمائله. وقائمه: مقبضه. وذُبابه: طرفه الذي يضرب به.
(٥) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٤): «ابن شبرمة».

الحجّاجَ إن لم يكن في النار لم يَضُرَّك أن تَزنيَ.

خطبة[١] لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه:

حدّثني أبو سَهْل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيب بن صفوان عن رجل من آل سَعِيد بن العاص، قال:

كان آخر[٢] خطبةٍ خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبَثاً، ولن تُتْركوا سُدًى، وإنَّ لكم مَعاداً يَنزِل اللَّهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخَسِر من خَرَج من رحمة الله وحُرِمَ جنّةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ. ألم تعلموا أنه لا يأمَنُ غداً إلا مَنْ حَذِر اليومَ وخاف، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان؟ ألا ترون أنكم في أَسْلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين كذلك، حتى تُرَدّ إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قَضَى نَحْبَه، حتى تُغيّبوه في صَدْعٍ من الأرض في بطن صَدْع غير مُوَسَّد ولا ممهَّد، قد فارَقَ الأحباب وباشرَ الترابَ وواجه الحسابَ، فهو مُرْتَهَنٌ بعمله، غَنيٌّ عما ترك فقير إلى ما قدّم. فآتّقُوا الله قبل آنقضاء مَوَاقِيته ونزولِ الموت بكم! أَمَا إني أقول هذا وما أعلم أنَّ عند أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندي، فأستغفرُ الله وأتوبُ إليه. ثم رفع طَرَفَ رِدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله.

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلالَه ثم قال: كنْتَ كذلك ما شئْتَ أن تكون، لا يَعلم

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٥) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥) بزيادة ونقص وتغيير بعض الكلمات.

(٢) قال في نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحة إن عمر خطب بُخناصرة. (بلد بالشام من أعمال حلب) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات.

كيف أنت إلا أنت، ثم آرتأيتَ أن تخلُقَ الخَلْق، فماذا جئْتَ به من عجائب صُنْعك، والكبير والصغير من خلقك، والظاهر والباطن من ذَرْك: من صُنوف أفواجه وأفراده وأزواجه؟ كيف أدمجْتَ قوائم الذَّرَّة والبَعُوضة إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التي آمتزجتْ بالأرواح؟.

وخَطَب[1] يوماً فسقطتْ جَرَادةٌ على ثوبه فقال: سبحانَ مَنِ الجرادةُ مِنْ خلقه، أدمَجَ قوائمها، وطوّقها[2] جَنَاحها، ووَشّى جلدَها، وسَلّطها على ما هو أعظمُ منها.

خطبة للحجاج

خطب فقال: أيها الناس، احفَظُوا فُروجكم، وخُذوا الأنفس بضميرها، فإنها أَسْوَكُ[3] شيء إذا أُعْطِيَتْ، وأعصَى شيء إذا سُئلت. وإني رأيت الصبر عن مَحَارمِ الله أيسر من الصبر على عذاب الله.

خطبة[4] سليمان بن عبد الملك

خطب فقال: إنَّ الدار دارُ غُرورٍ ومنزلُ باطلٍ، تُضحك باكياً وتُبْكي ضاحكاً، وتُخِيفُ آمناً وتُؤَمِّنُ خائفاً، وتُفْقِرُ مُثرياً وتُثري مُقْتِراً، مَيَّالةٌ غَرَّارة لَعّابة بأهلها. عبادَ الله، اتَّخذوا كتاب الله إماماً، وآرتضُوا به حَكَماً، وآجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبله ولم ينسَخْه كتابٌ بعده. اعلموا، عبادَ الله، أنَّ هذا القرآن يجلو كَيْدَ الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس ظلامَ الليل إذا عَسْعَس[5].

---

(١) وردت هذه الخطبة القصيرة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٤) بآختلاف يسير عما هنا.

(٢) في نفس المصدر والصفحة: «وطرفها وجناحيها».

(٣) أَسْوَكُ: أضْعَفُ؛ من ساك الرجلُ إذا مشى مشياً ضعيفاً.

(٤) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩١ ـ ٩٢) بآختلاف يسير عما هنا.

(٥) تنفّس الصبح: تبلّج وأسفر. وعسعس الليلُ: أظلم.

خطبة[١] يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، والله ما خرجْتُ أَشَراً ولا بَطَرا[٢] ولاَ حِرْصاً على الدنيا ولا رغبةً في المُلْك، وما بي إطراءُ نَفْسي، وإني لَظَلُومٌ لها إن لم يرحَمْني الله، ولكن خرجْتُ غَضَباً لله ودِينه، داعياً إلى الله وإلى سُنَّة نبيّه، لَمّا هُدِمَتْ معالمُ الهدى، وأُطفىء نورُ أهلِ التقوى، وظَهر الجبّار[٣] العَنِيد، المستحِلُّ لكل حُرْمة، والراكبُ لكل بِدْعة، الكافرُ بيوم الحساب، وإنه لابنُ عَمِّي في النَّسَب وكَفِيئي[٤] في الحَسَب؛ فلمّا رأيتُ ذلك آستخرْتُ الله في أمره وسألْته ألاّ يَكِلَني إلى نفسي، ودَعَوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني من أهل وِلايتي، حتى أراح الله منه العبادَ، وطهرّ منه البلاد، بحَوْله وقُوّته لا بحولي وقوّتي.

أيها الناس، إنَّ لكم عليّ ألاّ أضَعَ حَجَراً على حجر، ولا لَبِنَةً على لبنة، ولا أكْرِي[٥] نهرا، ولا أكنِزُ مالاً، ولا أُعطيه زوجاً ولا وَلَداً، ولا أنقُلُه من بلد إلى بلد حتى أسُدَّ فقرَ ذلك البلد وخَصَاصةَ[٦] أهله، فإنْ فَضَلَ فضلٌ نقلتُه إلى البلد الذي يَلِيه. ولا أُجَمِّركم[٧] في بُعُوثكم فأفتنَكم وأفتِنَ أهليكم، ولا أُغْلِق بابي دونكم فيأكُلَ قَوِيكُّم ضعيفكم، ولا أحمِلُ على أهل جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن

(١) قال يزيد هذه الخطبة لمّا قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولقد وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥) وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٥ ـ ٩٦) بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات عمّا هنا.

(٢) يقال: أشِرَ يَأشَراً أشَرا: بَطِرَ فهو أشِر بكسر الشين وضمها. ويقال: بَطِرَ الرجلُ يَبْطَرُ بَطَراً: حار وطغى بالنعمة.

(٣) يريد الوليد بن يزيد، مشيراً إلى رميه المصحفَ بالنشاب، وقد ذكره المؤلف في عنوان خطبة يزيد.

(٤) الكَفِيُء: المماثل.

(٥) كَرَى النهَر: حفره.

(٦) الخَصاصَةُ: ضِيْق الحال.

(٧) جَمَّرَ الجيشَ: حبسه في أرض العدو ولم يقفله، أي دون أن يرجعوا إلى أهليهم.

بلادهم وأقطَعُ به نَسْلَهم. ولكم عليّ إدرارُ العَطَاء في كل سنةٍ والرزقِ في كل شهر، حتى يستويَ بكم الحال فيكونَ أفضلُكم كأدناكم. فإنْ أنا وَفَيْتُ لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة[١]، وإنْ لم أَفِ لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني، فإن أنا تبت قبلتم مني، وإن عرفتم أحداً يقوم مَقَامي ممن يُعرَفُ بالصَّلاح يُعطيكم من نفسه مثلَ الذي أعطيتُكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أوّلُ مَنْ بايعه ودَخَل في طاعته.

أيها الناس، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق. وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيمَ لي ولكم.

فلما بُويع مَرْوانُ نَبَشَه وصَلَبه. وكانوا يقرؤون في الكتب: يا مبذِّر الكنوز ويا سجّاداً بالأسحار، كانت ولايتُك لهم رحمةً وعليهم حجّة، أخذوك فصَلَبوك.

خطبة[٢] أبي حمزة الخارجيّ

خطب أبو حمَزةَ الخارجيّ بمكة فذكر رسولَ الله ﷺ، ثم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بما هم أهله، ثم قال: ووَلِيَ عثمانُ فسار سِتَّ سنين بسِيرة صاحبَيْه وكان دونَهما، ثم سار في الستّ الأواخر بما أحبط به الأوائل، ثم مضى لسبيله. ووَلي عليٌّ فلم يَبْلُغ من الحقّ قَصْداً ولم يرفَعْ له مَناراً، ثم مضى لسبيله، ثم وَلِي معاوية لَعِينُ رسول الله وآبنُ لعينه، اتّخذ عبادَ الله خَوَلاً[٣]، ومالَ الله دُوَلاً، ودينه دَغَلا، ثم مضى لسبيله، فٱلعَنُوه لعنه الله. ثم ولي يزيدُ بن معاوية، يزيد الخمور، ويزيد القُرود، ويزيد الفهود، الفاسقُ في بَطْنه والمأبون

(١) المكانفة: المعاونة.

(٢) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٤) بٱختلاف كبير عما هنا. كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧).

(٣) الخَوَلُ: العبيد والإماء، ومفردها خَوْليٌّ.

في فَرْجه. ثم آقتصَّهم خليفةً خليفةً. فلما آنتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرضَ عن ذكره. ثم ذكر يزيدَ بنَ عبد الملك فقال: يأكلُ الحرامَ، ويلبَس الحُلّة بألف دينار، قد ضُرِبَت فيها الأبشارُ، وهُتِكت الأستار، حَبابةُ عن يمينه وسَلامة[1] عن يَساره تغنّيانه، حتى إذا أخَذَ الشرابُ فيه كلَّ مَأْخذٍ قَدَّ ثَوْبَه ثم آلتفت إلى إحداهما فقال: ألَا أَطِير؟ نعم! طِرْ إلى النار. ثم ذكر أصحابَه فقال: شبابٌ واللّهِ مُكتهلون في شَبَابهم، غَضيضَةٌ عن الشر أعينُهم، ثَقِيلةٌ عن الباطل أرجلُهم، أَنْضاءُ عِبادة، وأَطْلاح سَهَر[2]، ينظُرُ الله إليهم في جوف الليل مُنْحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن، قد أكلتِ الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم وجِبَاهَهم، وآستقَلُّوا ذلك في جَنْب الله، حتى إذا رأوُا السِّهام قد فُوِّقَتْ[3]، والرماحَ قد أُشْرِعتْ، والسيوفَ قد آنتُضِيتْ، وأُرْعدت الكتيبةُ بصواعق الموت، مضى الشابُّ منهم قُدُماً، حتى آختلفت رِجْلاه على عُنُق فرسه، وتخضّبَتْ محاسِنُ وجهه بالدماء، فأسرعت إليه سِباعُ الأرض وآنحطَّتْ إليه طيرُ السماء، فكم من عيْنٍ في مِنْقار طائرٍ طالما بَكَى صاحبُها في جوف الليل من خوف الله! وكم من كفٍّ زايلت معْصَمَها طالما آعتَمَد عليها صاحبُها في جوف الليل بالسجود لله! ثم قال: أوّه أوّه[4] وبكى ثم نزل.

خطبة[5] لقَطَرِيّ الخارجيّ

ذَكَر فيها الذين قالوا: مَنْ أشدُّ منّا قوّةً، فقال: حُمِلُوا إلى قُبُورهم فلا

---

(١) حبابة وسلّامة مغنّيتان كانتا تطربان يزيد بن عبد الملك في مجالس أُنْسه.

(٢) الأنضاء: ج نِضْو وهو المهزول. والأطلاح: ج طِلْح وهو المهزول أيضاً.

(٣) فَوَّقَ السَّهْمَ: جعل له فُوقاً، والفُوقُ موضع الوتر من السهم.

(٤) أَوَّه: كلمة معناه التحزن، وفيها لغات وهي: آوَّهْ (بالمد وسكون الهاء) وأَوَّه (بضم الهاء) وآووه (بالمد مع واوين) وأوْهِ (بكسر الهاء) وأوْهَ (بفتح الهاء وسكون الواو) وآهِ (بكسر الهاء) انظر لسان العرب مادة (أوه).

(٥) هو قَطَرِيُّ بن الفجاءة، أحد بني مازن بن عمرو بن تميم، وقد وردت خطبته هذه كاملة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤١ ـ ١٤٣) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩).

يُدْعَوْنَ رُكْبانا، وأُنْزِلوا[١] فلا يُدْعَونَ ضِيفانا، وجعلوا لهم من الضَّريح أَجْنانا[٢]، ومن التراب أكفانا، ومن الرُّفَات جِيرانا؛ فهم جِيرةٌ لا يُجيبون داعياً ولا يَمنعون ضَيمْا، إن أَخْصَبوا لم يفرحوا، أو أَقْحَطوا لم يَقْنَطوا؛ جميعٌ أوحادٌ، وجِيرةٌ أَبْعاد، لا يَزُورون ولا يُزارون[٣]. فآحذرُوا ما حَذَّركم الله، وآنتفِعوا بمَوَاعظه وآعتصِموا بحبله.

وفي خطبة[٤] ليوسف بن عمر:

اتقوا اللَّهَ عبادَ الله! فكم من مُؤَمِّلٍ أملاً لا يبلُغه، وجامعٍ مالاً لا يأكله، ومانعٍ ما سوف يَتركُه، ولعله من باطلٍ جمعه، ومن حقٍّ مَنَعَه، أصابه حراماً ورَّثَه عدوّا، إحتمل إصْرَه[٥] وبَاءَ بوِزْره، ووَرَد على ربّه آسفاً لاهِفاً، قد خَسِر الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخُسْرانُ المبين.

وفي خطبة[٦] للحجاج:

قال مالك بن دِينار: سمعْتُه على المنبر يقول: امرأً[٧] زوَّرَ عمله، امرأ حاسَبَ نفسَه، امرأً فكَّر فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في مِيزانه، وامرأً كان عند

---

(١) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٣): «وأُنْزِلوا الأَجْداثَ».
(٢) الأَجنان: ج جَنن وهو القبر.
(٣) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٣): «إن أخصبوا لم يفرحوا، وإن قَحطوا لم يَقْنَطوا، جَمْعٌ وهم آحاد، جِيْرَةٌ وهم أبعاد، متناؤون يُزارُوْن ولا يزورون».
(٤) وردت هذه الخطبة في المصدر السابق ص ١٣٤ - ١٣٥ بآختلاف يسير عما هنا.
(٥) الإصْرُ: الثقل والذَّنْب كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٨٥).
(٦) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١٧: بآختلاف يسير عما هنا، وانظرها أيضاً في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٠).
(٧) في المصدر السابق: «أمرؤ...» بالرفع. وزوَّر عمله: حسَّنه.

هواه زاجراً، وعند هَمِّه آمراً، أَخذ بِعنَان قلبه كما يأخُذ بخِطام[١] جَمَله، فإنْ قاده إلى طاعة الله تَبِعه، وإن قاده إلى مَعْصِية الله كَفَّه.

خطبة للمنصور[٢]

خطب المنصور بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه، أسوسُكم بتوفيقه وتَسْديده وتأييده وتَبْصيره، وخازنُه على فَيئه أعمَلُ فيه بمشيئته، وأُقْسِمه بإرادته، وأُعطيه بإذنه، قد جَعَلني عليه قُفْلا إذا شاء أن يفتَحَني لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يُقفِلني عليها أقفلني. فآرغَبُوا إلى الله وآسألوه في هذا اليوم الشريف الذي وَهَبَ لكم فيه من فَضْله ما أعلمكم في كتابه، إذ يقول: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[٣] أن يُوَفِّقني للصَّواب والرشاد، ويُلْهِمَني الرأفةَ بكم والإحسانَ إليكم، ويَفْتَحني لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم.

خطبة لداود بن عليّ

خطب فقال: أحرزَ لسانٌ رأْسَه، اتّعظ آمرؤٌ بغيره، اعتَبَر عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَر به، فأمسِكَ الفضْلَ من قوله وقدّم الفضلَ من عمله. ثم أخذ بقائم سيفه فقال: إنَّ بكم داءً هذا دواؤُه، وأنا زعيمٌ لكم بشِفائه، وما بعد الوعيدِ إلّا الإيقاع.

(١) الخِطامُ: حبل يُجْعل في عنق البعير ويُثَنّى في خَطَمه أي في أنفه، والجمع خُطُمٌ.
(٢) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٩) بآختلاف يسير عما هنا.
(٣) سورة المائدة ٥، آية رقم ٣. ومعنى الآية: اتفق المسلمون بشتى فرقهم ومذاهبهم على أن هذه الآية دون سائر آيات «المائدة» نزلت في مكة السنة العاشرة للهجرة التي فيها حجَّ رسول الله ﷺ حجة الوداع، وأنه لما رجع جمع الناس وخطب فيهم خطبته التي ذكر فيها علي بن أبي طالب من دون الصحابة وأمر المسلمين بموالاته. أنظر التفسير المبين.

خطبة لداود بن عليّ أيضاً

لما قام أبو العبّاس في أوّل خِلافته على المنبر قام بوجهٍ كورقة المصحف فآستَحْياَ فلم يتكلّم؛ فنَهَض داودُ بن عليّ حتّى صَعِد المنبر؛ فقال المنصور: فقلت في شيخِنا وكبيرِنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليه آثنان، فآنتضَيْتُ سيفي وغَطَّيْتُ ثوبي وقلتُ: إن فَعَلَ ناجزْتُه؛ فلما رَقِي عَتَباً آستقبل الناسَ بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: أيها الناس، إن أمير المؤمنين يَكْرَه أن يتقدّم قولُه فعلَه، ولأَثَرُ الفِعال عليكم أجْدَى من تَشْقيق[1] المَقَال، وحَسْبُكُم بكتابِ الله مُمْتَثلاً فيكم، وآبنِ عمّ رسولِ الله خليفةً عليكم. والله قَسَماً بَرّاً لا أُريد إلّا اللّهَ به ما قام هذا المقامَ أحدُ بعد رسول الله أحقُّ به من عليّ بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا، فليَظُنَّ ظانُّكم وليَهْمِسْ هامسُكم. قال أبو جعفر: ثم نزل وشِمْتُ[2] سيفي.

خطبة[3] لأعرابيّ

أمّا بعد، فإن الدنيا دارُ بَلَاء والآخرةَ دارُ بقاء، فخُذُوا أيها الناس لمَقَرّكُم من مَمَرّكم، ولا تَهْتِكوا أستاركم عند من لا يَخْفَى عليه أسرارُكم، ففي الدنيا أُحْيِيْتُم ولغيرها خُلِقْتُم. أقول قولي هذا. والمستَغْفَرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان.

---

(١) تشقيق المقال أو الكلام: إخراجه أحسن مخرج.

(٢) شامَ سيْفَهُ: أَغْمَدَهُ، ويستعمل بمعنى سَلَّ.

(٣) وردت هذه الخطبة بزيادة عما هنا في الأمالي لأبي علي القالي (ج ١ ص ٢٥٠) والعقد الفريد (ج ٤ ص ١٥١).

خطبة[١] المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه، ومستوجبه على خَلْقه، أحمَدُه وأستعينهُ وأُومن به وأتوكَّل عليه، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَهُ لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولهُ، أرسله بالهُدَى ودِينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلِّه ولو كَرِهَ المُشركون. أُوصِيْكم عِبادَ الله بتقوى الله وحدَه، والعمل لما عنده، والتنجُّز لوعده، والخوفِ لوعيده؛ فإنه لا يسلَم إلا مَن آتّقاه ورَجَاه، وعَمِل له وأَرْضاه. فآتَّقوا اللَّهَ عبادَ الله وبادِرُوا آجالَكم بأعمالكم، وآبتاعُوا ما يبقَى بما يزولُ عنكم، وترحّلوا[٢] فقد جُدَّ بكم[٣]، وآستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وكُونوا قوماً صِيْحَ بهم فآنتبهُوا، وعلِموا أنَّ الدنيا ليستْ لهم بدار فآستَبْدلوا؛ فإنَّ الله لم يخلُقْكم عبثاً ولم يترُكْكُم سُدىً؛ ما بين أحدِكم وبين الجنّة والنار إلا الموتُ أنْ يَنزِلَ به. وإنَّ غايةً تنقصُها اللحظةُ وتهَدِمها الساعةُ الواحدةُ لجديرة بِقِصَر المُدّة، وإنَّ غائباً يحدُوه الجديدانِ الليلُ والنهارُ لَحَرِيٌّ[٤] بسُرعة الأَوْبة، وإنَّ قادماً يحُلّ بالفوز أو بالشَّقْوة لَمُسْتَحِقٌّ لأفضل العُدّة، فآتَّقى عبدٌ ربَّه، ونصح نفسَه، وقَدّم توبتَه، وغَلَب شهوتَه، فإنَّ أجلَه مستورٌ عنه، وأملَه خادعٌ له، والشيطان مُوكَّلٌ به: يُزَيِّنُ له المعصيةَ ليركبها، ويُمَنِّيه التوبةَ ليُسَوِّفَها، حتى تهجُمَ عليه منيَّتُه أغفلَ ما يكون عنها. فيا لها حَسْرَةً على ذي غَفْلة: أن يكون عمرُه عليه حُجّةً، أو تؤدِّيَه أيامُه[٥] إلى شِقْوة! نسألُ الله أن

---

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٤ ـ ١٠٥) كما هنا ولكن بآختلاف يسير جداً سنشير إليه.

(٢) في المصدر السابق ص ١٠٤: «وترحلوا عن الدنيا».

(٣) جُدَّ بكم: أي جَدَّ بكم السير؛ يقال: جَدَّ في سيره: إجتهد.

(٤) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٥): «لجديرٌ».

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة: «منيّته».

يَجْعَلَنا وإيّاكم ممن لا تُبطره نعمة، ولا تُقَصِّر به عن طاعته غفله، ولا تُحلّ به بعد الموت فَزْعة؛ إنه سميع الدعاء، وبيده الخيرُ، وإنه فعَّالٌ لما يُريد.

وفي خطبة[١] المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأوّل:

إنَّ يومكم هذا يومٌ أبانَ اللَّهُ فضلَه، وأوجبَ تشريفَه، وعَظَّم حُرْمته، ووَفَّق له من خَلقه صفوتَه، وٱبتَلَى فيه خليلَه، وفَدَى فيه من الذَّبْح نبيَّه، وجعله خاتمَ الأيامِ المعْلومات من العَشْر، ومتقدِّم الأيام المعدودات من النَّفْر[٢]؛ يومٌ حرامٌ من أيّام عِظام، في شهرٍ حَرَام، يومُ الحجِّ الأكبر، يومٌ دعا اللَّهُ إلى مَشهَده، ونَزَل القرآنُ بتعظيمه، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[٣] الآيات؛ فتقرّبوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم، وعَظِّموا شعائرَ الله وٱجعلوها من طَيِّبِ أموالكم وبصحّة التقوى من قلوبكم، فإنه يقول: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[٤]، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبيّ والوصية بالتقوى، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار: عَظُمَ قدرُ الدارين، وٱرتفع جزاءُ العَمَلَيْنِ[٥] وطالت مدّة الفريقين. اللَّهَ الله! فوالله إنه الجِدُّ لا ٱللّعِبُ، وإنه الحقُّ لا الكذِب، وما هو إلا الموت والبَعْث والمِيزان والحِساب والقِصَاص والصِّراط ثم العقاب والثَّواب، فمن نَجَا يومئذٍ فقد فاز،

(١) ٱنظر هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٥ - ١٠٦).
(٢) يوم النَّفْر: يومٌ ينفر الناس من مِنى.
(٣) سورة الحج ٢٢، آية ٢٧. والمعنى: نادِ أيها الناس حجُّوا إلى بيت الله الحرام. راجع التفسير المبين.
(٤) نفس السورة، آية ٣٧. والمعنى: لن يناله لأنه غنيٌّ عن كل شيء وإليه يفتقر كل شيء. ولكن يناله تعالى الرضى عنكم لأنه يريد من عبده أن يكون مرضيّاً لديه كما يريد الوالد من ولده أن يكون ناجحاً في دروسه وسلوكه، ويريد من عبده أن يكون كريماً. التفسير المبين.
(٥) المراد بالعملين عمل الخير وعمل الشرّ.

ومن هَوَى يومئذ فقد خاب. الخيرُ كلّه في الجنّة، والشرُّ كله في النار.

وفي خطبة[١] المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأوّل:

إنَّ يومكم هذا يومُ عِيدٍ وسُنَّة وآبتهال ورغبة، يومٌ خَتَم الله به صيامَ شهر رمضان وآفتتح به حَجَّ بيته الحَرَام، فجعله خاتمةَ الشهر وأوّلَ أيام شهور الحجّ، وجعله مُعقِّباً لمفروض صيامكم ومُتنفَّلِ قيامكم، أحلَّ فيه الطعامَ لكم وحَرَّم فيه الصيامَ عليكم؛ فآطلبوا إلى الله حوائجكَم وآستغفروه لتفريطكم، فإنه يُقال، لا كبيرَ مع آستغفار، ولا صغير مع إصرار. ثم التكبير والتحميد وذكر النبيّ عليه السلام والوصيّة بالتقوى. ثم قال: فآتقوا الله عبادَ الله وبادروا الأمرَ الذي آعتدَلَ فيه يقينُكم، ولم يحتضِر[٢] الشكُّ فيه أحداً منكم، وهو الموت المكتوبُ عليكم، فإنه لا تستقلُ بعدَه عَثْرةٌ، ولا تُحظَر قبله توبة. وآعلموا أنه لا شيءَ قبله إلا دونَه ولا شيءَ بعده إلا فوقه. ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزه[٣] وكُربه، ولا يُعين على القبر وظُلْمته وضِيقه ووَحْشته وهَوْل مَطْلَعه ومسألة ملائكته، إلا العملُ الصالحُ الذي أمر الله به. فمن زَلَّتْ عند الموت قَدَمُه، فقد ظهرت ندامتُه، وفاتته آستقالتُه، ودعا من الرَّجْعة إلى ما لا يجابُ إليه، وبذَلَ من الفدية ما لا يُقْبَلُ منه. فآلله اللَّهَ عبادَ الله! وكونوا قوماً سألوا الرَّجْعةَ فأُعْطُوها إذ مُنِعَهَا الذين حَذَّركم الله، وآتَّقوا اليومَ الذي يجمَعُكم الله فيه لوَضْع مَوَازينكم، ونَشْر صُحُفكم الحافظةِ لأعمالكم. فلينظُرْ عبدٌ ما يَضَعُ في مِيزانه مما يثقل به، وما يُمِلُّ[٤] في صحيفته الحافظةِ لما عليه وله؛

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٦ ـ ١٠٧) بآختلاف بسيط عما هنا.

(٢) في المصدر السابق ص ١٠٦: «ولم يَحْضر» وحضر مثل آحتضر.

(٣) العَلَز: ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة وآضطراب.

(٤) يُمِلُّ: يُمْلي.

فقد حكَى الله لكم ما قال المفرِّطون عندها إذ طال إعراضُهم عنها، قال: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[1] الآية. وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾[2]. ولستُ أَنْهَاكُم عن الدنيا بأعظمَ مما نَهَتْكم الدنيا عن نفسها، فإنه كلُّ ما لها ينهَى عنها، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها. وأعظمُ مما رأته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتابِ الله لها ونَهْيُ الله عنها، فإنه يقول: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[3] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[4] الآية. فآنتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها، وآعلَموا أنَّ قوماً من عباد الله أَدْرَكَتْهم عِصمةُ الله فحذِروا مَصَارِعَها، وجانَبُوا خدائعها، وآثروا طاعةَ الله فيها، فأدركوا الجنَّة بما تركوا منها.

كلامُ مَنْ أُرتِجَّ عليه

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا عيسى بن عمر قال: خَطَب أميرٌ مرّةً فآنقطع فخجِل، فبعث إلى قومٍ من القبائل عابوا ذلك ولَفَّهم[5] وفيهم يَرْبوعِيٌّ جَلْد، فقال: اخطُبُوا؛ فقام واحدٌ فمرّ في الخطبة، حتى إذا بلغ أما بعد قال: أما بعد أما بعد، ولم يدرِ ما يقول، ثم قال: فإنَّ آمرأتي طالقٌ ثلاثاً، لم أُرِد أن أجمع اليوم فمنعتني. وخطب آخر، فلما بلغ أما بعد بَقِي ونَظَر فإذا

---

(١) سورة الكهف ١٨، آية ٤٩. والمعنى: فترى المجرمين خائفين مما يعطي سبحانه كل مجرم صحيفةَ أعماله. انظر التفسير المبين.

(٢) سورة الأنبياء ٢١، آية ٤٧. وليس المراد بالموازين هنا ما لكل واحد منها كفّتان وعمود ولسان، بل المراد أحكام الله وشريعته.

(٣) سورة لُقمان ٣١، آية ٣٣. والغَرُوْرُ: الشيطان. والمعنى آحذروا كل شيطان رجيم يغريكم بمعصية الله ونقمته التفسير المبين.

(٤) سورة محمد ٤٧، الآية رقم ٣٦. والمعنى: الويل لمن آنصرف إلى الدنيا وآشتغل بها وتورَّط في الشبهات والمحرمات وإلاّ فدين الله ودنياه شيء واحد. التفسير المبين.

(٥) لفَّهم: جمعهم.

إنسان ينظر إليه، فقال: لعنك الله! ترى ما أنا فيه وتَلْمَحني ببصرك أيضاً!. قال: وقال أحدهم: رأيتُ القَرَاقير[١] من السُّفُن تجري بيني وبين الناس. قال: وصَعِد اليربوعيُّ فخطب فقال: أمّا بعدُ، فواللّهِ ما أدري ما أقولُ ولا فِيمَ أقمتموني، أقول ماذا؟ فقال بعضهم: قل في الزيت؛ فقال: الزيتُ مبارك، فكُلُوا منه وآدّهِنوا. قال: فهو قولُ الشُّطَّار[٢] اليوم إذا قيل: لم فعلت ذا، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت.

ولما أتى يزيدُ بن أبي سُفْيان الشام والياً لأبي بكر رضي الله عنه، خطب فأُرتج[٣] عليه، فعاد إلى الحمد لله فأُرتج عليه، فعاد إلى الحمد لله ثم أرتج عليه، فقال: يا أهل الشّام، عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسرا، ومن بعد عِيٍّ بيانا، وأنتم إلى إمامٍ عادل أحوجُ منكم إلى إمام قائل. ثم نزل. فبلغ ذلك عمرو بن العاص فآستحسنه.

صعِد ثابتُ قُطْنَة[٤] منبراً بسِجِسْتان فحمِد الله ثم أُرتج عليه، فنزل وهو يقول: [طويل]

فإلّا أكُنْ فيكُمْ خطيباً فإنّني ... بسيفي إذا جَدّ الوَغَى لَخَطِيْبُ

فقيل له: لو قلتَها على المنبر كنْتَ أخطبَ الناس.

وارتج على عبد الله بن عامر بالبَصْرة يومَ أَضْحَى، فمَكَث ساعةً ثم

(١) القراقير: السفن العظيمة، واحدتها قُرْقُور.
(٢) الشُّطّار: ج شاطر وهو من أعيا أهله خُبْثاً، والمراد بالشطار هنا: أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتنكيت والمضحكات.
(٣) أُرْتِجَ عليه: أصابه أضطرابٌ وعِيٌ.
(٤) ثابت قُطْنَة هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. شهد الوقائع في خراسان سنة ١٠٢ هـ. وأصيبت عينه فجعل عليها قُطْنة فعرف بها. توفي سنة ١١٠ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٩٨.

قال: واللّهِ ولا أجمَعُ عليكم عِيّاً ولُؤماً، من أخَذَ شاةً من السُّوق فهي له وثمنُها عليّ.

وارتج على خالد بن عبد الله القَسْرِيّ فقال: إنَّ هذا الكلامَ يجيء أحياناً ويعزُبُ[١] أحياناً، وربما طُلِب فأَبَى وكُوبِرَ فعسا[٢]، فالتّأنّي لمجيِّه، أَيْسَرُ من التَّعاطِي لأبِّيه؛ وقد يَختَلِط من الجريء جَنَانُه[٣]، وينقطعُ من الذَّرِب[٤] لسانُه، فلا يُبْطِره ذلك ولا يَكْسِره؛ وسأعودُ إن شاء الله.

وارتج على مَعن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال: فَتَى حُرُوبٍ لا فَتى مَنَابر.

وكان عبد ربِّه اليَشْكُرِيّ عاملاً لعيس بن موسى على المدائن، فصعِد المنبرَ فحمِد الله وارتج عليه فسكت، ثم قال: والله إني لأَكون في بيتي فتجيءُ على لساني ألفُ كلمة، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْري، ولقد كنْتُ وما في الأيّامِ يومٌ أحبُّ إليَّ من يوم الجمعة، فصِرْتَ وما في الأيام يومُ أبغضُ إليّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلاَّ لخطبتكم هذه.

صَعِدَ رَوْح بن حاتم المنبر، فلما رأى جَمْعَ الناسِ حَصِر[٥]، فقال: نَكِّسوا

(١) عَزَبَ الشيُء يَعْزُبُ: خفي وغاب.
(٢) عَسَا: اشتدَّ وصعب.
(٣) الجَنانُ: القلب أو رُوْعُه، والجمع أجنان. وأختلط قلبُ الرجل: إرتبك. يقال: إختلط الرجلُ: فَسَدَ عقله.
(٤) الذَّرِبُ: إزْميل الإسكاف أي حديدته التي يقطع بها؛ يقال: ذَرِبَ لسانُ الرجل يَذْرَبُ إذا فَسَد، ورجلٌ ذَرِبُ اللسان: حديدة أي فيه حِدَّةَ، والجمع ذُرْبٌ.
(٥) حَصِرَ: عَيِيَ في المنطق.

رؤوسَكم وغُضُّوا أبصاركم، فإنَّ أوّلَ مَرْكبٍ صَعْبٌ، وإذا يَسّر الله فَتْحَ قُفْل تيسّر.

ودُعِي رجلٌ ليخطب في نكاح فحَصِر، فقال: لَقِّنوا موتاكم شهادةَ أنْ لا إلهَ إلا الله؛ فقالت آمرأةٌ حضرتْ: ألهذا دعوناك! أماتك الله!.

قال عُبَيد الله بن زِياد: نِعْمَ الشيءُ الإمارةُ لولا قعقعةُ البريد والتشرُّف للخُطَب.

قيل لعبد الملك: عَجَّلَ عليك الشَّيبُ؛ فقال: كيف لا يُعجِّل عليّ وأنا أعرِض عقلي على الناس في كل جمعة مَرّةً أو مرتين.

ووَلِيَ رجلٌ من بني هاشم يُعْرَف بالدَّنْدَان بحرَ اليمامة، فلمّا صعِد المنبر أُرتج عليه، فقال: حَيّا الله هذه الوجوهَ وجعلني فِداءَها، إنِّي قد أَمرْتُ طائفي بالليل ألّا يرى أحداً إلا أتاني به ولو كنت أنا إياه ثم نزل.

المنابر

قال بعض المفسِّرين في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[1] إنّه المنبر، وقال الشاعر: [بسيط]

لنا المساجدُ نَبْنِيهَا ونَعْمُرُها ... وفي المنابر قَعْدانٌ لنا ذُلُلُ
فلا نَقِيلُ عليها حين نركَبُها ... ولا لهنَّ لنا من مَعْشرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْت يذكر بني أُميّة: [طويل]

مُصيبٌ على الأعوادِ يوم ركُوبِهِ ... لِمَا قال فيها، مُخطىءٌ حين ينزِلُ
يُشَبِّهها[2] الأشباهَ وهي نَصِيبُه ... له مَشْرَبٌ منها حرامٌ ومأكَلُ

---

(١) سورة الشعراء ٢٦، آية ٥٨. وكنوزٌ: أموال ظاهرة من الذهب والفضة. والمَقَامُ الكريمُ: هو مجلسٌ حَسِنٌ للأمراء والوزراء.
(٢) الضمير عائد للدنيا.

وقال بعض المُحْدَثين [طويل]

فما مِنْبَرٌ دَنَّسْتَهُ بآستِ أَفْكَلٍ[١] بِزَاكٍ ولو طهَّرْتَه بآبن طاهرِ

ومرّ الأُقَيْشِر[٢] بمَطَر بنَ نَاجِية اليربوعيّ حين غَلَبَ على الكُوفة في أيام الضَّحّاك بن قيس الشّارِي ومَطَرٌ يخطُبُ، فقال: [كامل]

إبني تَميم مـا لمنبرِ مُلْككُمْ لا يستمِرُّ قَعودُه يتَمرْمَرُ[٣]

إنَّ المنابرَ أنكرَتْ أشباهَكُمْ فآدعُوا خُزَيْمةَ يستقِرّ المنبرُ

خلعُوا أمِيرَ المؤمنين وبايَعُوا مَطَراً لَعَمْرُك بَيْعةً لا تظهرُ

وآستخلفوا مطراً فكان كقائلٍ بَدَلٌ بعمرُك من أُمَيّة أعورُ

خَطَب[٤] قُتَيْبة بن مُسْلم على منبر خُرَاسان فسَقَط القضِيبُ من يده، فتفاءل له عدوُّه بالشرّ وآغتمّ صديقُه، فعَرَف ذلك قُتَيبة فقال: ليس الأمرُ على ما ظَنّ العدوّ وخاف الصديقُ، ولكنه كما قال الشاعر: [طويل]

فألقتْ عَصَاها وآستقرَّ[٥] بها النَّوَى كما قَرَّ عَيناً بالإيابِ المُسافرُ

وقال واثلةُ بن خليفة السَّدُوسيّ يهجو عبد الملك بن المُهَلَّب[٦]: [طويل]

---

(١) الأَفْكَلُ: الذي ترتعد فرائِصُهُ.

(٢) الأُقَيْشِرُ هو المغيرة بن عبد الله الأسدي، الشاعر المشهور وأحد مُجّان الكوفة. هجا عبد الملك ورثى مصعب بن الزبير. انظر المؤتلف والمختلف ص ٥٦ ومعجم الشعراء ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣) يَتَمَرْمَرُ: يتحرَّك.

(٤) ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٠٣) ما يلي: «لمَّا قَدِمَ قتيبة بن مُسْلم والياً على خُراسان قام خطيباً فسقطت المِخْصرة من يده فتطيَّر بها أهلُ خراسان، فقال: أيها الناسُ، ليس كما ظننتم، ولكنه كما قال الشاعر» وأورد البيت المذكور.

(٥) في المصدر السابق: «واستقرّت».

(٦) عبد الملك بن المهلَّب بن أبي صفرة الأَزْدي من شجعان العرب وأشرافهم. خرج مع أخيه =

لقــد صَبَـرتْ للذُّلّ أعــوادُ منبـرٍ تقـوم عليهـا في يــديـك قضيبُ
بكى المنبرُ الغربيُّ إذْ قُمْتَ فـوقَه وكـادتْ مساميـرُ الحديـد تـذوبُ

تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد.

والحمـد لله رب العـالمين، وصـلاتـه على سيـدنـا محمـد النبي وآلـه أجمعين.

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبـه الفقير إلى رحمـة الله تعـالى إبـراهيم بن عمـر بن محمـد بن علي الواعظ الجزريّ، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

وقال بعضهم: بُني الإسلامُ على خمسة؛ التواضع عند الـدولة، والعفـو عند القدرة، والسخاء مع القِلّة، والعطيّة من غير مِنّة، والنصيحة للعامّة.

وقال بعض الشعراء في الصبر: [كامل]

وإذا ابتلِيْتَ بمِحْنَـةٍ فـٱلبَسْ لهــا ثـوبَ السكـوتِ فـإنَّ ذلـك أَسْلَمُ
لا تشكــوَنَّ إلى العبــاد فــإنمــا تشكو الرحيمَ إلى الـذي لا يَرْحَمُ

ويُرْوَى للشافعيّ رضي الله عنه: [وافر]

نَعِيـبُ زمـانَنــا والـعَيـبُ فينــا ومــا لــزمـانـنــا عَيـبٌ سِــوانــا

= يزيد على بني مروان وشهد الوقائع في العراق. قتل على أبواب قندابيل (مدينة بالسند تقدمت ترجمتها في الحاشية رقم ٢ من ص ١٩٩ من هذا الجزء) وتوفي سنة ١٠٢ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٦٥.

وقد نهجُو الزمانَ بغير جُرْمٍ ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التَّصَنُّعُ والترائي ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكل لحم ذئبٍ ويأكلُ بعضُنا بعضاً عِيانا

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

ما أوحى الله جل وعز الى انبيائه عليهم السلام

حدّثني محمد بن عُبَيد قال: حدّثنا خَلَف بن تَميم عن أبي عِصْمة الشاميّ عن آبن أخت وهب بن منبِّه عن وهب قال: أوحَى الله إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرْمِياء حين ظهرت فيهم المعاصي: أَنْ قُمْ بين ظَهْرانَيْ قومِك فأخبِرهم أنَّ لهم قلوباً ولا يفقهون، وأَعْيُناً ولا يبصرون، وآذاناً ولا يسمعون، وأنِّي تذكرْتُ صلاحَ آبائهم، فعطَّفني ذلك على أبنائهم، سَلْهُمْ كيف وجدوا غِبَّ طاعتي، وهل سعِد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي، وهل شقي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي! إنَّ الدوابَّ تذكُرُ أوطانَها فتنزِعُ إليها، وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمْتُ عليه آباءهم، وآلتمسوا الكرامةَ من غير وجهها. أما أحبارهم فأنكروا حقّي؛ وأما قُرَّاؤهم فعبدوا غيري؛ وأمّا نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما عُلِّمُوا من حكمتي؛ وأمّا وُلاتهم فكذَبوا عليّ وكذَّبوا رسلي، خزنوا المَكْر في قلوبهم، وعوّدوا الكذبَ ألسنتَهم؛ وإني أقسم بجلالي وعزتي لأهيِّجَنَّ عليهم جنوداً لا يفقهون ألسنتهم، ولا يعرفون وجوههم، ولا يرحمون بكاءهم؛ ولأبتعثنّ فيهم ملِكا جبّاراً قاسياً، له عساكر كقِطَع السحاب، ومواكبُ كأمثال العَجَاج، كأنَّ خفَقانَ راياتِه طَيَرانُ النسور، وكأنّ حملُ فُرسانه كرُّ

العِقبان، يعيدون العُمران خراباً، ويتركون القُرى وحشةً. فيا ويلَ إيلياء[1] وسَكُانها! كيف أُذلِّلهم للقتل، وأُسلِّطُ عليهم السِّباء، وأعيدُ بعد لَجَبِ الأعراس صُراخَ الهام، وبعد صهيل الخيل عُواءَ الذئاب، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع، وبعد ضوءِ الشُّرُج رَهَجَ العَجَاج. ولأبدلنَّ رِجالهم بتلاوةِ الكتابِ انتهارَ الأرباب، وبالعزّ الذلَّ، وبالنعمةِ العبوديَّةَ. ولأبدلنَّ نساءهم بالطِّيبِ الترابَ، وبالمشي على الزَّرَابيّ الخِبَبَ[2]؛ ولأجعلنَّ أجسادَهم زِبْلا للأرض، وعظامَهم ضاحيةً للشمس. وفي رواية أخرى: ولأدوسنَّهم بألوان العذاب، حتى لو كان الكائنُ خاتَماً في يميني لوصَلتِ الحربُ إليه؛ ثم لآمرنَّ السماءَ فلتكونَنَّ طبَقاً من حديد، والأرضَ فلتكونَنَّ سبيكة من نُحاس، فإن أمطرت السماءُ وأنبتت الأرضُ شيئاً في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم، ثم أحبِسه في زمن الزرع وأُرسله في زمن الحِصاد، فإنْ زرعوا خلال ذلك شيئاً سلّطْتُ عليه الآفةَ، فإن خلَص منه شيء نزعْتُ منه البركةَ، فإن دعَوْني لم أُجبهم، وإن سألوا لم أعطِهم، وإن بَكَوا لم أرحمهم، وإنْ تَضرّعوا صرفْتُ وجهي عنهم.

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب: أنَّ الله، عزَّ وجلَّ، أوحى إلى موسى بن مَنسى بن يوسف أن قُلْ لقومك: إني بريء ممن سَحَر أو سُحِر له، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له، أو تَطَيَّر أو تُطُيِّرَ له؛ من آمن بي صادقاً فليتوكّل عليّ صادقاً، فكفى بي مثيباً؛ ومن عدل عنّي ووثِق بغيري فإني

(١) إيْليا بهمزة مكسورة ثم ياء ثم لام مكسورة ثم ياء أخرى ثم ألف ممدود وهذا هو الأشهر، وقيل بالقصر، وقيل ألْياء بحذف الياء الأولى وسكون اللام والمدّ. وإيليا بيت المقدس ومعناه بيت الله. انظر تهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي (ج ١ ق ٢ ص ٢٠).

(٢) الزَّرَابِيُّ: البُسُط. والخِبَبُ: الخَلَقُ من الثياب.

خير شريك أردُّ عليه ما توسّل به إليّ، وأكِلُه إلى مَنْ توكل عليه؛ ومن وكَلَته إلى غيري فليستعدَّ للفتنة والبلاء.

وحدّثني بهذا الإسناد قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزَّبور: يا عبدي الشكور، إني قد وهبتُ لك الزَّبُورَ، وأتبعْتُه بنصح منّي من أعين السطور، ومن الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فاعبدْني به في الأيام والليالي والشهور؛ وأحبِبْني من كلّ قلبك، وحبِّبْني إلى خَلْقي، وأبغِضْ من عبادي كلَّ منافقٍ جهول، قال: يا ربّ كيف أُحَبِّبُكَ إلى خلقِك؟ قال: تُذكِّرهم آلائي.

وبهذا الإسناد قال: أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت صُحُفه أمثالاً وعِبراً وتسبيحاً وتمجيداً وتهليلاً، فكان فيها؛ أيها الملك المسلَّط المغرور المبتلَى، إني لم أبعثك لتجمعَ الدنيا بعضَها على بعض ولتبنيَ المدائنَ والحصونَ، ولكن بعثتك لتَرُدَّ عني دعوةَ المظلوم، فإني لا أرُدّها ولو كانت من كافر.

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشَعْيا: قُمْ في قومك أُوحِ على لسانك؛ فلما قام شَعْيا أنطق اللَّهُ لسانَه بالوحي، فقال: يا سماءُ آستمعي، يا أرضُ أنصتي، فأنصتت الأرضُ وآستمعت السماءُ؛ فقال: إن الله يقول لكم: إني آستقبلْتُ بني إسرائيلَ بالكرامةِ وهم كالغنم الضائعةِ لا راعيَ لها، فآويْتُ شاذَّتَها، وجمعتُ ضالتها، وجبَرْتُ كسيرها، وداويْتُ مريضَها، وأسمنْتُ مهزولَها؛ فبطِرَتْ فتناطحتْ، فقتل بعضُها بعضاً حتى لم يَبْقَ منها عظمٌ صحيح يُجبر إليه آخرُ كسيرٌ. إنّ الحمار مما يتذكر آرِيَّه[1] الذي شَبع عليه

(١) الآرِيُّ: محبس الدواب وحبلٌ تشد به في محبسها.

فيراجعه، وإنَّ الثور مما يتذكر مَرْجَه الذي يمن فيه فينتابه، وإنّ البعير مما يتذكر وطَنه الذي نُتج فيه فينزع إليه، وإنَّ هؤلاء القومَ لا يذكرون أنّي جاءهم الخيرُ وهم أهلُ الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبل ولا بقرٍ ولا حميرٍ، وإني ضاربٌ لهم مثلاً فأسمعوه: قل لهم: كيف تَرَوْن في أرضٍ كانت زماناً من زمانها خربةً مواتا لا حَرْثَ فيها، وكان لها ربٌّ قويٌّ حليم، فأحاط عليها سِياجاً وشيَّد فيها قصراً وأنبط فيها نهرا وصنَّف فيها غِراساً من الزيتون والرُّمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار، وولّى ذلك ذا رأيٍ وهمّةٍ حفيظاً قويّاً أميناً؛ فلما جاء إبَّانُ إثمارها أثمرت خَرُّوباً، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه؟ قالوا: كنا نقول: : بئْسَتِ الأرضُ أرضُك، ونشير عليه أن يقلَع سياجها، ويهدِمَ قصرها، ويدفِنَ نهرها، ويحرِق غرسَها حتى تعودَ خَرِبةً مَواتا لا عُمرانَ فيها؛ قال الله تعالى: قل لهم، إن السياجَ ذمتي، وإنّ القصرَ شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبيّ، وإن الغرسَ مثَلٌ لهم، والخرّوبَ أعمالُهم الخبيثةُ؛ وإني قد قضيْتُ عليهم قضاءَهم على أنفسهم، يتقرَّبون إليَّ بذبح الغنم والبقر وليس ينالني اللحمُ ولا آكله. ويَدَعون أن يتقرّبوا إليّ بالتقوى والكفِّ عن ذبح الأنفس التي حرَّمتُها ويُشيِّدون لي البيوتَ ويزوّقون لي المساجدَ؛ وأيّ حاجةٍ بي إلى تشييد البيوت ولستُ أسكنُها، وإلى تزويق المساجد ولست أدخلُها؛ إنما أمرْتُ برفعها لأُذكَرَ فيها وأُسَبَّحَ، ويُنَجِّسون أنفسهم وعقولَهم وقلوبهم ويخرِّبونها، يقولون: لو كان يقدِرُ على أن يجمعَ أُلفتَنا لجمعَها، ولو كان يقدر على أن يُفقِّه قلوبنا لفقَّهها. فاْعمِدْ إلى عودَين يابسَين فاْكتب فيهما كتاباً ثمَّ آئتِ ناديهم أجمعَ ما يكونون، فقل للعودين: إن الله يأمركما أن تعودا عُوداً واحداً؛ فقال لهما ذلك، فاْختلطا فصارا عُوداً واحداً، وصار الكتاب في طَرَفي العودِ كتاباً واحداً: يا معشَر القبائل، إن الله يقول لكم: إني قدرت على أن أفقِّه العيدان اليابسة وعلى أن أُؤلِّفَ بينها؛ فكيف لا أقدِرُ على أن أجمعَ

أُلفتكم إن شئت؟ أم كيف لا أقدِر على أن أؤلِّف قلوبكم؟ يقولـون: صُمْنا فلم يُرفَع صيامُنا وصلَّينا فلم تُنَوَّرْ صَلاتُنا وزكَّينا فلم تَزْكُ زكاتُنا، ودعَوْنا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عُواء الذئاب، في كلِّ ذلك كـلا يُسمَع منّـا ولا يُستجابُ لنـا؛ قال الله تبـارك وتعـالى: سَلْهُم لِمَ ذلـك؟ ومـا الـذي منعني أن أجيبَهم؟ ألسْتُ أسْمَـعَ السامعين وأبْصَـرَ الناظـرين وأقْرَبَ المجيبين وأرحم الـراحمين؟ ألِأنَّ خـزائني فَنِيَتْ؟ كيف ويداي مبسـوطتان بـالخير أُنفِق كيف أشـاء؟ أم لأن ذاتَ يدي قَلَّتْ؟ كيف ومفاتيح الخير بيدي لا يفتحها ولا يُغلقها غيري؟ أم لِأنَّ رحمتي ضـاقت؟ كيف ورحمتي وَسِعَتْ كـلَّ شيء؟ وإنمـا يتـراحم بفضلهـا المتـراحمون! أم لأنَّ البخـل يعتريني؟ كيف وأنـا النفاح بـالخيـرات أجـوَدُ مَن أعـطَى وأكرمُ من سُئـل؟ ولكن كيف أرفعُ صيـامَهم وهم يَلْبِسونـه بقول الـزور ويتقـوّون عليه بـطُعْمة الحـرام؟ كيف أُنوِّر صـلاتَهم وقلوبهم صـاغيَـةٌ إليّ من يُحَادُّني وينتهك محـارمي؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنمـا هو قـولٌ بألسنتهم والعملُ من ذلك بعيد؟ أم كيف تزكـو صدقـاتُهم وهي من أموال غيـرهم؟ إنما أُجزِي عليها المغصوبين. وإنَّ من علامة رضاي رِضا المساكين.

قال وهب: وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام: لا تُعجبْكما زينة ولا ما مُتِّع به، ولا تَمُدَّا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترَفين. ولو شِئْتُ أن أُزيِّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينـظر إليها أنَّ مقـدرته تَعجِـز عما أُوتيتما فَعَلْتُ، ولكنّي أرغبُ بكما عن ذلـك وأُزْوِيه[1] عنكمـا؛ وكذلـك أفعـل بأوليائي، إني لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيقُ غنمه عن مراتع الهلكة. وإني لأحميهم عيشها وسلوتها[2] كما يجنب الراعي الشفيق إبلَه مباركَ العُرِّ[3]، وما ذاك لَهَوانهم عليَّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي

(١) أُزوِيْه: أصرفه وأمنعه. (٢) السَّلْوَةُ: رخاء العيش. (٣) العُرُّ: ج أعرّ وهو الجمل الأجرب.

سالماً موفَّراً لم يَكْلِمْه الطمعُ ولم يَطبِّعْهُ[1] الهوى. وآعلم أنه لن يتزيَّنُ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندي من الزهد في الدنيا، إنما هي زينة الأبرار عندي، وأَنْقَى ما تَزَيَّنَ به العبادُ في عيني عليهم منها، لباسٌ يُعرَفون به من السكينة والخشوع، سيماهم النحولُ والسجود، أولئك أوليائي حقاً. فإذا لقيتَهم فآخفِضْ لهم جناحَك، وذلِّل لهم قلبَك ولسانَك.

وآعلم أنه من أهان لي وليّاً أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرَّضني لنفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نُصرة أوليائي، أفيظنّ الذي يحاربني فيهم أنهم يقوم لي؟ أم يظنّ الذي يعاديني فيهم أنه يُعْجِزني؟ أم يظنّ الذي يبادرني إليهم أنه يسبقني أو يفوتني؟ كيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نصرَهم إلى غيري؟

وفي التوراة: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء: يا موسى بن عمران صاحب جبل لُبنان، أنت عبدي وأنا إلهك الديّان؛ لا تستذلَّ الفقير، ولا تَغبِط الغنيَّ بشيء يسير؛ وكُنْ عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوة وَحْيي طَائعاً؛ أسمَعني لذاذةَ التوراة بصوت حزين.

وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أنزِلْني من نفسك كهمّك، وآجعلْني ذُخرَك في مَعادك، وتقرَّبْ إليَّ بالنوافل أُدْنِك، وتوكَّل عليّ أَكْفِك، ولا تَوَلَّ غيري فأخذُلك؛ اصبِرْ على البلاء، وآرضَ بالقضاء، وكُنْ كمسَرّتي فيك، فإنَّ مَسرّتي أن أُطاعُ، وأحْي ذكري بلسانك، وليكن وُدّي في قلبك؛ تيقَّظْ لي في ساعات الغفلة، وكن راهباً لي وراغباً إليّ. أَمِتْ قلبكَ بالخشية؛ راعِ الليلَ لتحرِّي مَسَرّتي، وآظمأْ لي نهارَك لليوم الذي عندي؛ نافِسْ في

(١) يُطَبِّعْهُ: ينجسه.

الخيرات جُهْدَك. قُمْ في الخليقة بعدلي، وآحكمْ فيهم بنصيحتي، فقد أنزلْتُ عليك شفاءَ وساوِس ما في الصدور من مرض الشيطان، وجلاءَ الأبصارِ من غشاء الكَلال؛ ولا تكن حِلْساً(١) كأنك مقبورٌ وأنت حيّ تتنفَّس. إكحَلْ عينيك بمُلمولِ(٢) الحزن إذا ضحِك البطّالون. إبكِ على نفسك أيّام الحياة بكاءَ مَنْ قد ودَّع الأهلَ وقَلَى الدنيا، وترك اللذاتِ لأهلها، وآرتفعتْ رغبتُه فيما عند إلهه. طُوبَى لك إنْ نالك ما وعدْتُ الصابرين! ترجَّ من الدنيا يوماً فيوماً، وآرضَ بالبُلْغَة، ولْيكفِك منها الخِشنُ. تَذَّوق مذاقةَ ما قد خلا أين طعمه! وما لم يأتِ أين لذّتُه! لو رأت عيناك ما أعددْتُ لأوليائي لَذابَ قَلْبُك وزهقَتْ نفسُك شوقاً إليه.

وفيما قال للحواريّين: بحقٍّ أقول لكم: إنَّ شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو، وكذلك القلوب بنور الحكمة تُبصِر وتَهتدي؛ بحقٍّ أقول لكم: إنه من ليس عليه دَينٌ أروحُ وأقلُّ همّاً ممن عليه دين وإنْ حَسُنَ قضاؤه، وكذلك من لم يعمَل الخطيئةَ أروحُ وأقلُّ هَمّاً ممن عمل بها وإنْ حَسُنَتْ توبتُه. إنَّ الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيراً، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً. إنَّ الجسد إذا صلَح كفاه القليلُ من الطعام، وإنَّ القلبَ إذا صحَّ كفاه القليلُ من الحكمة. كم مِن سراجٍ قد أطفأته الريحُ، وكم من عابد قد أفسده العُجْب. يا بني إسرائيل، استمعوا قولي، فإنَّ مَثَل من يستمع قولي ثم يعمَلُ به مَثَلُ رجلٍ حكيم أسس بنيانَه على الصَّفا(٣)، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وضربَتْه الرياحُ فثبت بنيانُه ولم يَخِرّ، ومَثَلُ الذي يستمعُ قولي

(١) الحِلْسُ: الذي يلزم بيته فلا يبرحه.
(٢) المُلْمُوْلُ: المِكْحالُ أي المِرْوَد.
(٣) الصَّفا: ج الصَّفاة، سرياني ومعناه الصخرة.

ثم لا يعمَل به مَثَلُ رجلٍ سفيهٍ أسّس بنيانَه على الرمل، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وهاجت الريحُ فضربَتْه فسقط بنيانُه. يا بني إسرائيل، ما يُغني عن الأعمَى سَعَةُ نورِ الشمس وهو لا يُبصرها! وما يغني عن العالمِ كثرةُ العلم وهو لا يعمَل به!. بحقٍّ أقول لكم: إنّ قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان، وأوْلاهما بها من حقّقها بعمله. بحقٍّ أقول لكم: لو وجدتم سراجا يتوقّد بالقَطِران في ليلة مظلمةٍ لاستضأتُمْ بنورهِ ولم يمنعكم منه نَتْنُ قَطِرَانه، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمةَ ممن وجدتموها عنده.

بلغني عن محمد بن فُضَيل عن عمران بن سليم قال: بلغني أنَّ عيسى ابن مريم قال لأصحابه: إنْ كنتم إخواني وأصحابي فوطِّنوا أنفسَكم على العداوة والبغضاء من الناس؛ إنكم لا تُدرِكون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تنالون ما تُحبّون إلا بالصبر على ما تكرهون. إياكم والنَّظْرةَ، فإنها تزرع في القلب الشهوةَ. طُوْبى لمن كان بصرُه في قلبه ولم يكن قلبه في بصره!

قال: وبلغني أنّ عيسى خرج على أصحابه وعليه جُبَّةٌ من صوف وكساءٌ وتُبَّانٌ[1] حافياً مجزوزَ الرأس والشارِبَيْنِ باكياً شَعِثا مصفَرَّ اللون من الجوع يابسَ الشَّفتين من العطش، طويلَ شعر الصدر والذراعين والساقين؛ فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلْتُ الدنيا منزلَها، ولا عَجبَ ولا فخر، أتدرون أين بيتي؟ قالوا: أين بيتك يا رُوحَ الله؟ قال: بيتي المساجد، وطيبي الماء، وإدامي الجوعُ، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمرُ، وصِلائي[2] في الشتاء مشارقُ الشمس، وطعامي ما تيسَّر، وفاكهتي ورَيْحاني بُقُولُ الأرض، ولباسي الصوفُ، وشِعاريِ الخوفُ، وجلسائي الزَّمْني[3] والمساكينُ، أُصبحُ

---

(١) التُّبَّان: سراويل صغير مقدار شِبْر يستر العورة المُغَلَّظة يكون للملاحين والمصارعين، معرَّب تُنبان بالفارسية.

(٢) الصِّلاء: الوقود أو النار العظيمة.

(٣) الزَّمْني: ج الزَّمِيْن وهو ذو الزَّمانة أي العاهة.

وليس لي شيء، وأُمْسي وليس لي شيء، وأنا طيّب النفس غنيّ مكثر، فمن أغنى وأربح مني!.

وقرأت في بعض الكتب: عبدي! ما يزال مَلَكٌ كريمٌ قد صعِد إليّ منك بعمل قبيح؛ أتقرّب إليك بالنّعم، وتَتَمقّت إليّ بالمعاصي؛ خيري إليك نازلٌ، وشرُّك إليّ صاعدٌ.

وفي التوراة: لعلّك يا إسرائيلُ إذا أنت خرجْتَ من البرِّيّة فدخْلتَ الأرضَ المقدّسة، أرضَ بني آبائك إبراهيم وإسحاقَ، فإنها تَفِيضُ بُرّاً وشعيراً ولبناً وعسلاً، فوَرِثْتَ بيوتاً بناها غيرُك وعصرْتَ كروماً غرسها غيرك، فأكلْتَ وشربْتَ وتنعَّمْتَ بشحم لُبابِ القمح، ضرّبتَ بيدك إلى صدرك ورمحْتَ كما ترمح الدابّةُ برجليها، وقلْتَ: بشدّتي وبقوّتي وبأسي ورِثْتُ هذه الأرضَ وغلَبْتُ أهلَها، ونسِيْتَ نعمتي عليك! فأقذف الرّعبَ في صدرك إذا أنت لقِيْتَ عدوَّك، وإذا هبَّتِ الريحُ فتقعقعَ لها ورقُ الشجر آنهزمْتَ، فأُقِلُّ رجالَك، وأُرمِّلُ نساءك، وأُيتّم أبناءك، وأجعلُ السماءَ عليك نُحاساً والأرضَ حديداً، فلا السماءُ تُمطِر ولا الأرضُ تُنبِت، وأُقِلُّ لك البركةَ حتى تجتمع نِسوةُ عَشْرٌ يختبزن في تنّورٍ واحدٍ.

بلغني عن عبد الرحمن المحاربيّ عن جعفر بن بُرْقان قال: بلغني عن وهب بن منبِّه قال: أجدُ في الكتاب أنَّ قوماً يتدّينون لغير العبادة، ويختِلون[1] الدنيابعمل الآخرة، يلبسون مُسُوك[2] الضأن على قلوب الذئاب، ألسنتهم

(١) أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة. قال في لسان العرب مادة (ختل): جاء في الحديث: «من أشراط الساعة أن تُعطَّل السيوفُ من الجهاد وأن تُخْتَلَ الدنيا بالدين» أي تُطْلَبَ بعمل الآخرة، من خَتَلَه إذا خدعه.

(٢) المُسُوكُ: ج مَسْك وهو الجلد.

أحلى من العسل وأنفُسهم أمرّ من الصبر، أبي يغترُّون! أم إياي يخادعون! أقسمْتُ لأبعثنّ عليهم فتنةً يعود الحليمُ فيها حَيْران.

وقرأت في الإنجيل: «لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسِدها السُّوسُ والدودُ وحيث ينقُبُ السراقُ، ولكنِ اجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم. إنَّ العينَ هي سِراجُ الجسد فإذا كانت عينك صحيحةً فإن جسدَك كلَّه مُضِيء. وإنه لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ لربَّيْن اثنيْن إلا أنْ يُحِبَّ أحدَهُما ويُبغِضَ الآخر، ويُوقِّر أحدهما ويُهينَ الآخرَ، فكذلك لا تستطيعون أن تعمَلوا لله وللمال. ولا يُهمَّنَّكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون، أليست النفسُ أفضل من الطعام، والجسدُ أفضلَ من اللباس؟ أنظروا إلى طَير السماءِ فإنهنّ لا يزرعن ولا يَحصدن ولا يَجمعنَ في الأهْراءِ(١)، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهُنَّ، أفلستم أفضلَ منهنَّ؟ وأيُّكم الذي إذا جهد قدر أن يزيدَ في طوله ذراعاً واحداً! فلِمَ تهتمون باللباس؟ اعتبروا بَسُوس(٢) البرِّيّة فإنه لا يعمَل ولا يغزِل، أنا أقولُ: إنَّ سليمانَ بوقاره(٣) لم يستطع أن يلبَس كواحدةٍ منه؛ فإذا كان الله يُلبِسُ عُشْبَ الأرض الذي ينبت اليوم ويُلقَى في النارِ غداً أفلستم يا قليلي الإيمانِ أفضلَ منه؟ ولا تهتمُّوا فتقولوا: ماذا نأكل وماذا نشربُ وماذا نلبَسُ، فإنه إنما يهتمُّ لذلك ابنُ الدنيا؛ وإنَّ أباكم الذي في السماء يَعْلم أنَّ ذلك ينبغي لكم؛ فابدأوا فالتمسوا ملَكوتَ الله وصِدِّيقيّته(٤)، فإنكم سوف تُكْفَون. ولا يُهمَّنّكم ما في غدٍ، فإنَّ غداً مكتفٍ بهمه، وحَسْبُ اليوم شرُّهُ. وكما تَدِينون تُدانون، وبالمكيال الذي

(١) الأهْراء: ج هُرْي وهو بيت كبير يُجْمَعُ فيه طعام السلطان.
(٢) البَسُوسُ: الناقة التي لا تَدُرُّ إلّا على الإبساس أي التلطُّف بأن يقال لها: بِسْ بِسْ تسكيناً لها.
(٣) الوَقار: العظمة.
(٤) الصِّدِّيقِيَّةُ: درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوّة.

تكيلون يُكال لكم. وكيف تُبصِر القذاةَ في عين أخيك ولا تُبصر الساريةَ في عينك؟ لا تُعطوا الكلاب القُدْسَ، ولا تُلقوا لؤلؤكم للخنازير. سَلُوا تُعْطَوا، وآبتغُوا تجِدُوا، وآستفتحُوا يُفتحْ لكم، وآنظروا الذي تُحبُّون أن يأتيَ الناسُ إليكم فآتوا إليهم مِثلَه. أُدخلوا البابَ الضيِّق، فإنَّ البابَ والطريقَ إلى الهَلَكةِ عَرِيضان، والذين يسلُكونَهما كثيرٌ. وما أضيقَ البابَ والطريقَ اللذين يُبلِّغان إلى الحياةِ! والذين يسلكونَهما قليلٌ».

وقال له رجل: أَتْبَعُكَ حيث ذهبْتَ؛ فقال له عيسى: للثعالبِ جحرَةٌ، ولطير السماء كِنَانٌ، وليس لابن الإنسان مكانٌ يُسنِدُ فيه رأسَه.

وقال له رجلٌ من الحَوارِيِّين: أتأذن لي أن أدفِنَ أبي؟ فقال له: دعِ الموتَى يَدفنون موتاهم وآتبَعْني. وقال للحوارِيّين: لا تَتزوَّدوا شيئاً، فإنَّ العائلَ محقوقٌ أنْ يُطْعَمَ قوتَه، وإني أُرسلُكم كالخِرفان بين الذئابِ، فكونوا حُلَماء كالحيّاتِ وبُلْهاً كالحَمام. وإذا دخلتم البيتَ فسلِّموا على البيتِ، فإن كان ذلك البيت أهلاً لسلامكم فليُصِبْهم، وإنْ لم يكن أهلاً لسلامكم فإنه يرجِع إليكم. ومن لم يُؤْوِكم ويسمَعْ لقولكم، فإذا خرجتم من قَريته فآنفُضُوا الغبارَ عن أرجُلِكم.

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وَهْب قال: كان فيما ناجَى به عُزَيرٌ[1] ربَّه: اللهمَّ فإنَّ لك من كلِّ خَلْقٍ خلقتَه خِيرَةً آخترْتَها، وإنك آخترْتَ من النبات الحُبْلَةَ[2]، ومن المواشي الضائنةَ، ومن الطير الحمامةَ، ومن

(١) عُزَيْرٌ: اسم نبي؛ قال في قاموس الكتاب المقدّس: «عزرا آسمٌ عبريٌّ معناه عون، والاسم نشأ كاختصار لاسم عزريا، وهو كاهنٌ عاد من بابل إلى القدس. قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وقالت اليهودُ عُزَيْرٌ آبن الله وقالت النصارى المسيح آبن الله﴾ سورة التوبة ٩، آية رقم ٣٠ وآنظر كذلك التفسير المبين لمحمد جواد مغنيّة.

(٢) الحُبْلَةُ: الكَرْم أو أصلٌ من أصوله، وثمر السَّلَم، والجمع حُبْلٌ وحُبَلٌ.

البيوت بيتَ إيلياء، ومن إيلياءَ بيتَ المقدِس، ومن جميع الخلائق آدمَ، ومن وَلَدِ آدمَ نوحا، ومن وَلَد نوحٍ إبراهيمَ، ومن وَلَد إبراهيمَ إسماعيلَ وإسحاقَ، ومن وَلَد إسحاقَ إسرائيلَ؛ اللهمَّ فأصبحَتْ خِيَرَتُك قد تمَّت ونفذَتْ في كلِّ ما آخترْتَ إلا ما كان من وَلَد خليلك إبراهيم، فإنّهم أصبحوا أَعْبُداً لأهل معصيتك وخَوَلا لأعدائك، فما الذي سَلَّط علينا ذلك؟ أمن أجل خطايانا؟ فالخاطئون ولَدونا، أو من أجل ضعفنا؟ فمن ضعفٍ خُلِقْنا؛ قال: فجاءني الملَكُ فكلّمني، فبينما أنا كذلك سمعْتُ صوتاً هالني فنظرْتُ، فإذا آمرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها، ناشرةٌ شعرَها، شاقَّةٌ جَيْبها، تَلطِمُ وجهها. وتصرُخُ بأعلى صوتِها، وتحثُو الترابَ على رأسها، فأقبلْتُ عليها وتركْتُ ما كنتُ فيه، فقلتُ لها: ما بالُكِ أيتّها المرأةُ وما الذي دهاكِ؟ أخبريني خبرَكِ، فقد أصابت المصائبُ غيرَك؛ قالتْ: إليك عنّي أيها الرجلُ، فإن ربّي هو الذي أبكاني، ومصيبتي أعظمُ مما ترى؛ فقلتُ: فإنَّ في الله عَزاءً من كلّ مصيبة، وخَلَفا من كلّ هالك، وعوضاً من كلّ فائتٍ، فإياه فآستعيني، وإلى نظره لك فآنظري؛ قالت: إني كنتُ آمرأةً كثيراً مالي، عظيماً شرَفي، وكنت عاقراً لا وَلَدَ لي، وكنتُ عند بعلٍ له نِسوةٌ معي وكلُّهن ولد له غيري، فملنَ به لحبِّ الولد فصرفَ وجهَه عنّي، فحزنْتُ وحزن أهلي وصديقي، فلما رأيتُ هواني عليه وسقوطَ منزلتي عنده، رغِبْتُ إلى ربي ودَعَوْتُه فأجابني، وآستوهَبْتُه غلاماً فوهبه لي، فقرَّتْ به عيني، وفرح أهلي، وعطّف اللّهُ به زوجي، وقطعَ عنّي ألسنةَ ضرائري، فربَّيْتُ غلاماً لم تحمِلْ أنثى مثلَه حُسناً وجمالاً ونَضرةً وتماماً، فلما بلَغ أشُدَّه وكَمَل به سروري خطبْتُ عليه عظيمةَ قومي، وبذلْتُ دونه مالي، وخرجْتُ من خُلْعتي[1]، وجمعْتُ رجالَ قومي، فخرج يَمشي بينهم حتَّى دخلَ

(١) الخُلْعَةُ بضم الخاء وكسرها: المال وخيار ما يخلع على الإنسان.

بيتَه، فلما قعدَ على سريره، خرَّ منه فآندقَّت عنقُه فمات آبني وضلَّ عملي وبطَلَ نصيبي وتلف مالي، فخرجْتُ إلى هذه البَرِّيَّة أبكيه فيها لا أريدُ أنْ أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه، ولن أبرَحَ أبكيه حتَّى أُلحقَ به. قال عُزَيرٌ: أُذكري ربَّك وراجعيه، فقد أصابت المصائبُ غيرَك أَمَا رأيْتِ هلاكَ إيلياءَ وهي سيِّدةُ المدائن وأمُّ القُرَى؟ أوَ ما رأيتِ مصيبة أهلها وهم الرجال؟ قالت: إيْ، رَحِمَكَ اللَّهُ! إن هذا ليس لي بعزاء وليستْ لي بشيء منه أُسوةٌ، إنما تبكي مدينةً خرِبَتْ، ولو تُعمَرُ عادتْ كما كانتْ، وإنما تبغِي قوماً وعدَهم اللَّهُ الكَرَّةَ على عدوِّهم، وأنا أبكي على أمرٍ قد فات، وعلى مُصيبة لا أستقيلُها[1]؛ قال عُزَيرٌ: فإنه خُلِقَ لما صار إليه، وكلّ شيء خُلِقَ للدنيا فلا بدَّ أنْ سيَفْنَى، أمَا رأيتِ مدينتنا أصبحتْ خاويةً على عروشها بعد عِمارتها، وأوحشتْ بعد أنسها وأثاثها؟ أَو ما رأيتِ مسجدَنا كيف غُيِّر حسنُه، وهُدِمَ حِصنُه، وأُطفىء نورُه؟ أَوَ ما رأيتِ عزَّ أهلها كيف ذَلَّ، وشرفَهم كيف خَمُلَ، ومجدَهم كيف سقَط، وفخرَهم كيف بَطل؟ أو ما رأيتِ كتاب الله كيف أُحْرِقَ، ووليَّ الله كيف رُفِعَ، وتابوتَ السكينةِ[2] كيف سُبي؟ أو ما رأيتِ نساءَ الملوك وبناتِهم في بُطونِ الأسواقِ حاسراتٍ عن السُّوق والوجوه والأشعار؟ أو ما رأيتِ الأشياخَ الذين على وجوههم النورُ والسكينةُ مُقَرَّنِين في الحبال والقِطار[3]! أو ما رأيت

---

(١) لا أستقيلها: لا أطلب منها آقالةً؛ لأن الطلب فيها غير مُجْدٍ.

(٢) ورد في دائرة المعارف للبستاني عند الكلام على التابوت ما ملخصه: وتابوت العهد أو الشهادة هو صَندوق من الخشب مُصَفَّحٌ من الداخل ومُذَهَّبٌ من الخارج، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان اليهود يعتبرون ذلك مُقَدَّساً وكانوا يحملونه بالإحتفال .أمامهم مسافرون إلى أرض الميعاد. والظاهر أنه فُقِدَ عندما هَدَمَ بختنصرُ الهيكلَ في القدس بإتلافه إيَّاه أو نقله إلى بابل. ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة وفي دائرة المعارف للبستاني (ج ٦ ص ٣).

(٣) القِطارُ: ج قَطْر وهو مصدر قَطَرَ؛ يقال: قَطَرَ الثوبَ: خاطَهُ.

الأحبارَ والرهبانَ مصفَّدين في الإسار؟ أو ما رأيتِ أبناء موسى وهارونَ تُضرب عليهم السِّهامُ ويقتسمهُم الأشرارُ، وولدانَ الملوك خَدَماً للكُفّار؟ أو ما رأيتِ قَتْلانا لم يوارِ أحداً منهم قبرٌ، ولم يَعهَدْ أحدٌ منهم إلى ولد؟ فالحكماء مبهوتون، والعلماء يموجون، والحلماء متحيّرون، وأهلُ الرأي مُلْقُون بأيديهم مُستسلِمون. قال: فبينا أنا أكلِّمها غشَّى وجهَها نورٌ مثلُ شعاع الشمس حال بيني وبين النظر إليها، فخمَّرْتُ من شدّته وجهي ورددْتُ يدي على بصري، ثم كشفْتُ وجهي فإذا أنا لا أَحِسّها ولا أرى مكانَها، وإذا مدينةٌ قد رُفعتْ لي حصينةٌ بسورها وأبوابها، فلما نظرْتُ إلى ذلك خَرَرْتُ صَعِقا، فجاءني المَلك فأخذ بضَبْعيَّ ونعّشني[1] وقال لي: ما أضعفك يا عُزَيْر! وقد زعمْتَ أنَّ بك من القوّة ما تخاطبُ به ربَّك وتُدلي بالعذر عن الخاطئين من بني إسرائيل؛ قال له عُزَيْر: مثل الذي رأيْتُ وعاينْتُ أضعفني وأذهب روحي؛ قال المَلَك: فإنَّ المرأةَ التي كلّمتْك هي المدينة التي تبكي عليها، صوّرها الله لك في صورة أنثى فكلّمتك، فٱفقَهْ عنها: أما قولها: أنها عُمِّرتْ زماناً من دهرها عاقراً لا ولد لها، فكذلك كانت إيلياءُ صعيداً من الأرض خراباً لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وأمّا قولها: إنَّ الله وهبَ لها غلاماً عند اليأس، فذلك حين أقبل الله عليها بالعُمران فٱبتعث اللَّهُ منها أنبياءه وأنزل كتابه. وأما قولها: إنه هلك ولدُها حين كمل في سرورُها، فذلك حين غيَّر أهلُها نعَم الله وبدّلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفساداً، فغيَّر الله ما بهم وسلّط عليهم عدوَّهم حتى أفناهم، وقد شفَّعك الله في قومِك وكتابك ومدينتك، وسيُعيدها الله عامرة كما رأيت: عليها حيطانُها وأبوابُها، وفيها مساجدُها وأنهارها

---

(١) الضَّبْعان: مثنى ضَبْع وهو العَضُد كلها أو بين الإبْط إلى نصف العَضُد من أعلان. ونَعَّشني: رفعني وأقامني.

وأشجارها .

وحدّثني بهذا الإسناد قال: لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاقَ عليهما السلام ويجعلَه قُرباناً، أسرَّ ذلك إلى خليل له يقال له: العازر؛ فقال له الصديق: إن الله لا يَبتلي بمثل هذا مثلَك، ولكنَّه يريد أن يُجرِّبك ويختبرَك، وقد علمْتَ أنه لم يَبْتَلِكَ بهذا لِيَفْتِنَكَ ولا لِيُضِلَّك ولا لِيُعْنِتَكَ ولا لينقُصَ به بصيرتَكَ وإيمانَك ويقينَك، ولا يُرَوِّعَنَّك هذا ولا تَسُوءنَّ بالله ظنَّك، وإنما رَفع الله اسمك في البلاء على جميع أهل البلاء، حتى كنت أعظمهم في نفسك وولدك، ليرفعَك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك. وليس هذا من وجوه البلاء الذي يبتلي اللَّهُ به أولياءه، لأن الله أكرمُ في نفسه وأعدلُ في حكمه وأعدل في عباده من أن يجعل ذبح الولد الطيّب بيد الوالد النبيّ المصطفى؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا منّي حتماً على الله أو ردّاً لأمره أو سُخْطاً لحكمه على عباده، ولكن هذا الرجاءُ فيه والظنّ به. فإنْ عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك؛ فإني أعلم أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء العظيم إلا لحُسن علمه بك وبصدقك وبصبرك، ليجعلك للناس إماماً؛ ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

وحدّثني بهذا الإسناد أنَّ يوسف عليه السلام لمّا لبِث في السجن سبعَ سنين أرسل اللَّهُ عز وجلّ إليه جبريلَ عليه السلام بالبشارة بخروجه، فقال له: أتعرفني أيها الصِّدّيق؟ قال له يوسف: أرى صورةً ظاهرةً وروحاً طيِّباً لا يشبه أرواح الخاطئين؛ قال جبريل: أنا الروح الأمين، رسول ربّ العالمين؛ قال يوسف: فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرّبين؟

قال جبريل: أَوَ لَمْ تعلم أيها الصدّيقُ أنّ الله يطهِّر البيوت بطُهر النبيّين، وأن البقعة التي يحلُّون بها هي أطهر الأرَضِين، وأنه قد طهَّر بك السجنَ وما حوله يا آبن الطاهرين؛ قال يوسف: كيف تشبّهني بالصالحين، وتسمّيني بأسماء الصدّيقين، وتَعُدّني مع آبائي المخلصين، وأنا أسيرٌ بين هؤلاء المجرمين! قال جبريلُ: لم يَكْلِمْ قلبَك الجَزَعُ، ولم يغيِّر خُلُقَك البلاءُ، ولم يتعاظمْك السِّجْنُ، ولم تطأ فراش سيّدك، ولم يُنْسِك بلاءُ الدنيا بلاءَ الآخرة، ولم تُنْسِك نفسُك أباك ولا أبوك ربَّك؛ وهذا الزمان الذي يفُكُّ الله به عُنُوَّك[1]. ويُعْتِق به رِقَّك، ويُبيِّن للناس فيه حكمتك، ويُصدّق رؤياك ويُنصفك ممن ظلمك، ويجمع إليك أَحِبَّتَك، ويَهبُ لك مُلك مصرَ: يملّكك مُلوكَها، ويُعبِّد لك جبابرتها، ويُذلّ لك أعزّتها، ويُصغِّر لك عظماءها، ويُخدِمُك سُوقتها، ويخوّلك خَولَها، ويرحَم بك مساكينَها، ويُلقي لك المودّةَ والهيبةَ في قلوبهم، ويجعل لك اليدَ العليا عليهم والأثَر الصالحَ فيهم، ويُرى فرعونَ حلْماً يفزَع منه ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يُسهرَه ويُذهبَ نومَه، ويُعمّي عليه تفسيره وعلى السحرة والكهنة ويعلّمك تأويلَه.

وفي بعض الكتب: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: إذا أردْتَ أن تسكنَ معي غداً في حظيرة القُدس فَكُنْ في الدنيا وحيداً فريداً مهموماً حزيناً، كالطائر الوحدانيّ يظلُّ بأرض الفلاة ويَرِدُ ماءَ العيون ويأكل من أطراف الشجر، فإذا جَنَّ عليه الليلُ أَوَى وحده آستيحاشاً من الطير وآستئناساً بربّه جلّ وعزّ.

لمّا قُتِلَ عبد الله بن الزُّبَير وجدَ الحجَّاجُ فيما ترك صُندوقاً عليه فقال

(١) العُنُوُّ: الذلُّ؛ يقال: عَنَا له يَعْنُو عُنُوّاً وعَنَاء (وواي) خضع وذلّ فهو عانٍ وَعنِيٌّ. وعَنا في القوم: صار أسيراً فيهم.

حديد، فتعجّب منه وقال: إنَّ في هذا شيئاً، ففتحه، فإذا صندوقٌ آخرُ عليه قُفْل ففتحه فإذا سَفَطٌ[١] فيه دُرج، ففتحه فإذا صحيفةٌ فيها: إذا كان الحديث خَلْفا[٢]، والميعادُ خُلْفا، والمِقْنبُ[٣] ألْفا، وكان الولُد غيظاً، والشتاءُ قيظا؛ وغاض الكرامُ غيضاً، وفاض اللئام فيضا، فَأَعْنُزٌ عُفْرةٌ[٤]، في جبل وعْر، خير من مُلك بني النّضر. حدّثني بذلك كعب الحِبر.

الدعاء[٥]

حدّثني أبو مسعود الدارميّ قال: حدّثنا جريرٌ عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال ربُّكم، عزّ وجلّ، ثلاثةٌ: واحدةٌ لي، وواحدةٌ لك يا آبن آدم، وواحدةٌ بيني وبينك، فأما التي لي فتُخلِصُ لي لا تُشرِك بي شيئاً، وأما التي لك فأحوجُ ما تكون إلى عملك أُوفِّيكه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاءُ وعليَّ الإجابة».

حدّثني عَبْدةُ بن عبد الله قال: أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال: حدّثنا معاوية قال: حدّثني أزهرُ بن سعيد عن عاصم بن حميد قال: سألْتُ عائشةَ رضي الله عنها، ما كان يفتتح به رسولُ الله ﷺ به صلاتَه في قيام الليل؟ قالت: كان يُكبِّر عَشْراً ويحمِّدُ عشرا ويسبِّح عشراً ويهلِّل عشراً ويستغفرُ الله عشراً، ثم

(١) السَّفَطُ: وعاءٌ كالقِفّة أو ما يُعَبّأ فيه الطِّيْب وما أشبهه من أدوات النساء كما يستعار للتابوت الصغير.
(٢) الخَلْفُ: يمين يُؤْخذ بها العهد ثم سمِّي به كل يمين.
(٣) المِقْنبُ: وعاء للصائد يُجْعَل فيه ما يصيده، ومن الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثماية، والجمع مقانب.
(٤) العُفْرُ: البيض، ج أعفر وعفراء، والعُفْرة: بياض ليس بالخالص.
(٥) انظر باب الدعاء في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢١٨ ـ ٢٢٧) إذ ورد فيه الكثير مما نراه هنا.

يقول: «اللهم آغفرْ لي وآهدني وآرزقني وعافني»، ويتعـوّذ من ضِيْق المقام يـوم القيامة.

حدّثنا حسين بن حسن المروزيّ قال: حـدّثنا الحُفَـافُ عن أبي الوَرْقـاء عن عبـد الله بن أبي أَوْفَى قال: كـان رسولُ الله ﷺ إذا أصبـح قال: «أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعظمةُ والخَلقُ والأمرُ والليلُ والنهارُ وما يسكن فيهما لله ربّ العـالمين وحده لا شـريك لـه. اللهمَّ آجعل أوّلَ هـذا النهار صـلاحـاً وأوسطه فلاحـاً وآخرَه نجـاحا. اللهمَّ إني أسـألك خيـرَ الدنيـا وخير الآخـرة يا أرحمَ الراحمين».

حـدّثنا إسحـاق بن رَاهْوَيْـه[1] قال: أخبـرنـا حسين بن عليّ الجُعْفِيّ عن إسـرائيل عن الحسين أنـه كان إذا آستسقى قـال: «اللهم آسقنـا سُقْيـا واسعـةً وادعـةً عامـةً نافعـةً غيرَ ضـارّة تعمُّ بها حـاضرَنـا وبادَينـا وتزيـد بهـا في رزقنـا وشكرنا. اللهمَّ آجعله رزقَ إيمان وعطاءَ إيمـانٍ إنَّ عطاءك لم يكن محـظوراً. اللهمَّ أنزل علينا في أرضنا سَكَنها[2]، وأنبِتْ فيها زينتها ومرعاها».

روى الكلبيّ عن أبي صالح أنَّ العباس قال يوم آستسقى عمر رضي الله عنه: «اللهم إنه لم ينزلْ بلاءٌ إلاَّ بـذنب، ولا يُكشَف إلا بتوبـةٍ، وقد تـوجّه بي القوم إليك لمكاني من نبيّك، وهذه أيدينـا إليك بـالذنـوب ونواصينـا بالتـوْبة، فآسقِنا الغيْث». فأرخت السماءُ شآبيب مثلَ الجبال بديمةٍ[3] مُطبِقَةٍ.

---

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مَخْلدَ بن مرة الحنظلي المَرْوَزِيّ المعـروف بآبن راهْوَيْهْ بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وبعدها ياء ساكنة ثم هاء ساكنة، وهو لقب أبيه إبراهيم، لقِّب بذلك لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية «راه» و «ويه» معناه: «وُجِدَ» فكأنه وُجد في الطريق. جمع إسحاق بين الحديث والفقه والورع، وكان أحـد أئمة الإسـلام، ولـه مسند مشهـور. تـوفي سنـة ٢٠٨ هـ، وقيـل: ٢٣٧ هـ، وقيـل: ٢٣٠ هـ. راجـع وفيـات الأعيان (ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠١).

(٢) السَّكَنُ: الرحمة والبركة وكل ما يُسْكَنُ إليه، والمراد هنا الغَيْثُ.

(٣) الدِّيْمَةُ: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا بَرْق. والشآبيب: ج شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال: سمعْتُ عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول: اللهمَّ زِدْ في إحسان محسنهم، وراجعْ بمسيئهم إلى التوبة، وحُطْ من ورائهم بالرحمة».

حدّثنا حسين بن حسين قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات: «اللهمَّ آقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به إلى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا، ومَتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا، وآجعل ذلك الوارثَ منا، وآنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلِّط علينا من لا يرحمنا».

بلغني عن يونس عن الأوزاعيّ عن حسّانَ بن عُطَيَّة قال: كان شدّاد بن أوْس في سفرٍ، فنزلنا منزلاً فقال لغلامه: إئتنا بالسفرة نَعبث بها؛ فأُنكرت منه، فقال ما تكلمْتُ بكلمة مذ أسلمْتُ إلا وأنا أخطِمها وأزمّها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها عني، وآحفظوا عني ما أقول لكم: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناسُ الذهبَ والفضّةَ فآكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهمَّ إني أسألك الثباتَ في الأمر والعزيمةَ في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسنَ عبادتك، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم، وأستغفرك لِما تعلم، إنك أنت علّام الغيوب».

بلغني عن الوليد بن مسلم قال: حدّثنا أبو سلمة الدوسيّ عن سالم بن عبد الله قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهمَّ آرزقني عينين هطّالتين

تبكيان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمرا».

حدّثني أبو سفيان الغنويّ قال: حدّثنا عمر بن عِمران قال: حدّثني الحارث بن عِنبة عن العلاء بن كثِير عن أبي الأسقع: أنه كان يحفظ من دعاء النبيّ ﷺ: «يا موضعَ كلِّ شكوى ويا شاهدَ كلّ نَجْوَى بكلِّ سبيل أنت مقيم تَرَى ولا تُرَى وأنت بالمنظَر الأعلى».

حدّثنا عبدالرحمن[1] عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: كان دعاء عيسى الذي يدعو به للمرضى والزَّمْنَى والعميان والمجانين وغيرهم: «اللهمّ أنت إله مَنْ في السماء وإله مَنْ في الأرض لا إله فيهما غيرُك، وأنت جبار مَنْ في السماء وجبّار من في الأرض لا جبّارَ فيهما غيرك، وأنت حَكَمُ مَنْ في السماء وحَكَمُ مَنْ في الأرض لا حَكَمَ فيهما غيرُك، وأنت مِلك مَنْ في السماء وملِك مَنْ في الأرض لا ملك فيهما غيرك؛ قُدْرَتُك في الأرض كقُدرتِك في السماء، وسلطانُك في الأرض كسلطانك في السماء؛ أسألك بآسمك الكريم ووجهِك المنير ومُلكِك القديم، إنك على كلّ شيء قدير». قال وهب: هذا يُقرأ للفزع على المجنون ويُكتب له ويُغسل ويُسقى، فيبرأ بإذن الله أيّ ذلك شاء فعل.

وحدثني أيضاً بهذا الإسناد قال: كان من دعاء المسِيح حين أخذه اليهود لِيَصلبُوه بزعمهم فرفعه الله إليه: «اللهمَّ أنت القريب في علّوك، المتعالي في دنوّك الرفيع على كل شيء من خَلْقك؛ أنت الذي نفذ بصرك في خلقك، وحَسِرَتِ الأبصارُ دون النظر إليك وعَشِيَتْ دونك، وشمخ بك العلوّ في النور؛

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله آبن أخي الأصمعي، ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن إدريس بن مناف بن أبنة وهب بن منبه.

أنت الـذي جَلّيْتَ الظُّلَمَ بنـورك فتباركت اللهمَّ خـالقُ الخلْق بقُدرتـك، مقـدِّر الأمور بحكمتك، مبتدِعَ الخلق بعظمتك، القاضي في كل شيء بعلمك؛ أنت الذي خلقتَ سبعاً في الهواء بكلماتك، مستوياتِ الطبـاق مذعناتٍ لطاعتـك، سمـا بهنَّ العلوُّ بسلطانك، فـأجبْنَ وهنَّ دخان من خـوفـك، فـأتيْنَ طـائعـاتٍ بأمرك، فيهنَّ ملائكتك يسبّحـون قُدسَـك بتقديسـك، وجعَلتَ فيهنّ نوراً يجلو الظلام، وضياء أضوأ من شمس النهار، وجعلْتَ فيهنّ مصـابيحَ يُهتـدى بها في ظلُمات البحر والبر ورجومـاً للشياطين، فتبـاركْتَ اللهمَّ في مفطور سمـواتك، وفيما دَحَوْتَ(١) من أرضك، دَحوتهـا على الماء، فـأذلَلْتَ لها المـاء المتـظاهر(٢) فذلّ لطاعتك وأذعن لأمرك، وخضع لقوّتـك أمواج البحـار، ففجّرْتَ فيهـا بعد البحار الأنهارَ، وبعد الأنهار العيونَ الغِزارَ والينابيعَ؛ ثم أخرجْتَ منها الأشجـارَ بـالثمار، ثم جعَلتَ على ظهـرها الجبـالَ أوتاداً فـأطاعتـك أطوادُهـا، فتباركْتَ اللهمَّ في صنعـك، فمن يبلغ صفـةَ قـدرتـك ومن يُنعَتُ نعتــك. تُنـزِل الغيث وتُنشِىء السحاب، وتفُكّ الرقابَ وتَقْضِي الحقّ وأنت خيـر الفاصلين. لا إلـه إلا أنت سبحانك أمرْتَ أن يستغفرك كلُّ خاطىء. لا إله إلا أنت إنما يخشـاك من عبادك العلماء الأكيـاس. أشهد أنـك لست بإلـه آستحدثنـاه، ولا ربٍّ يبيد ذِكرُه، ولا كان لك شركاءُ يقضون معـك فندعـوهم وندعُـك، ولا أعانـك أحدٌ على خَلْقِـك فنشكَّ فيـك. أشهدُ أنـك أحدٌ صمـدٌ لم تلِد ولم يكن لك كفـواً أحدٌ، ولم تتّخِذ صـاحبةً ولا ولـداً. إجعلْ لي من أمـري فرجـاً ومخرجاً»؛ قال وهب: وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقـة وغيرهـا من قولـك: أشهد أنـك لسْتَ بإلـهٍ آستحدثناه، إلى آخره.

---

(١) دَحَوْتَ من أرضك: بَسَطْتَ؛ يقال: دَحَا اللّهُ الأرضَ: بسطها.

(٢) المتظاهر: من تظاهر بمعنى تساند وتعاون، يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع بعضه بعضاً لقوّته.

حدّثني محمد بن عُبَيد قال: حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن آبن عباس قال: «الإخلاص هكذا، وبَسَطَ يده اليمنى وأشار فإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه إلى السماء، والإبتهال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورُهما إلى وجهه».

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: كان داود إذا دعا في جوف الليل قال: «اللهمَّ نامَتِ العيونُ وغارَتِ النجومُ وأنت حيّ قيّوم آغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيمٌ وإنما يغفر العظيمَ العظيمُ، إليك رفعْتُ رأسي عامرَ السماء نظرَ العبيد إلى أربابها. اللهمَّ تساقطتِ القُرَى وأُبطل ذِكْرُها وأنت دَائبُ الدهرَ مُعدٌّ كرسيَّ القضاء».

قال: وكان من تحميده: الحمد لله عددَ قَطر المطر، وورقَ الشجر، وتسبيح الملائكة، وعددَ ما في البرّ والبحر. والحمد لله عددَ أنفاس الخَلْق ولَفْظهم وطَرفهم وظِلالهم، وعددَ ما عن أيْمانِهم وشمائِلهم، وعددَ ما قهره ملكُه، ووسعه حِفظُه، وأحاطت به قُدرته، وأحصاه علمُه. والحمد لله عددَ ما تجري به الرياحُ، وتحمِله السحابُ، وعددَ ما يختلف به الليلُ والنهارُ، وتسير به الشمسُ والقمرُ والنجومُ. والحمدُ لله عددَ كلِّ شيء أدركه بصرُه، ونفذَ فيه علمُه، وبلغ فيه لطفُه. والحمد لله الذي أدعوه فيُجيبُني وإن كنْتُ بطيئاً حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنتُ بخيلاً حين يَستقرِضُني. والحمد لله الذي أستعفِيه فيُعافيني، وإن كنتُ متعرِّضاً لما يُهلِكني. والحمد لله الذي حَلُم في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لا ذنبَ لي، ولو يؤاخِذُني لم يظلِمني سيّدي. والحمد لله الذي أرجوه أيامَ حياتي، وهو ذُخْرِي في آخرتي، ولو رَجوْتُ غيره لانقطع رجائي. والحمد لله الذي تُمسِي أبواب الملوك مغلقةً دوني، وبابُه مفتوحٌ لكلّ ما شئْتُ من حاجاتي بغير شفيع

فيقضيها لي. والحمد لله الذي أخلو به في كل حاجاتي، وأضعُ عنده سرّي في أيّ ساعة شئْتُ من ساعاتي. والحمد لله الذي يتحبّب إليَّ وهو عنّي غنيٌّ فربّي أحمدُ شيء عندي وأحقُّه بحمدي».

وكان من دعاءيوسفَ: «يا عُدَّتي عند كُرْبتي، ويا صاحبي في وَحْدَتي، ويا غِياثي عند شدّتي، ومَفزَعي عند فاقتي، ورجائي إذا آنقطعَتْ حيلتي، يا إلهي وإله آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً وآقضِ حاجتي».

وكان بكّاءُ بني إسرائيل يقول: «اللهمَّ لا تؤدّبْني بعقوبتك، ولا تمكُرْ بي في حيلتك، ولا تؤاخذني بتقصيري عن رضاك، عظيمَ خطيئتي فآغفِرْ، ويسير عملي فتقبَّل، كما شئْتَ تكون مشيئتك، وإذا عزمْتَ يمضي عزمُك؛ فلا الذي أحسنَ آستغنى عنك وعن عَونك، ولا الذي أساء آستبدَّ بشيء يخرُج به من قُدرتك؛ فكيف لي بالنجاة ولا توجدُ إلا من قِبَلِك! إلهُ الأنبياء، ووليُّ الأنبياء، وبديعُ مرتبة الكرامة، جديدٌ لا يبلى، حفيظٌ لا يَنْسَى؛ دائمٌ لا يبيد، حيٌّ لا يموت، يقظانُ لا ينام؛ بل عَرَفْتُك، وبك آهتدَيتُ إليك، ولولا أنت لم أدْرِ ما أنتَ؛ فتباركتَ وتعاليتَ».

قال الأزديّ حُدِّثتُ عن محمّد بن النضر الحارثيّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تقطعوا الشهادة على أهل القبلة فإنه من يقطع الشهادةَ عليهم فأنا منه بريءٌ إنَّ الله كتمنا مايصنعبأهل القبلة». وقال: «من عَلّم آيةً من كتاب الله أو كلمةً من سِنَّة في دين الله حثا[1] الله له من الثواب حَثْوا».

قال: وقال الأوزاعيّ: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أسألك

(١) حَثَا له: أعطاه.

التوفيق لمَحابِّك من الأعمال وحسن الظنّ بك وصدق التوكل عليك».

محمد بن بشر العَبْدِي قال: حدثنا بعض أشياخنا قال: اعتمر عليٌّ عليه السلام فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يشغَلُه سمعٌ عن سمع، ولا تُغْلطه(١) المسائلُ، ولا يُبرمه(٢) إلحاحُ الملّحين؛ أَذِقْني بَرْدَ عفوك وحلاوةَ مغفرتك؛ فقال عليّ: والذي نفسي بيده، لو قلتها وعليك ملءُ السموات والأرضين ذنوباً لغُفِر لك.

دعا أعرابيّ عند الملتزَم(٣) فقال: اللهمَّ إنَّ لك عليَّ حقوقاً فتصدَّقْ بها عليَّ، وللناس قِبَلي تَبِعاتٍ فتحملها عنّي، وقد أوجبْتَ لكلّ ضيف قِرىً، وأنا ضيفُك فآجعلْ قِراي الليلة الجنةَ.

وقال آخر: اللهمَّ إليك خرجْتُ، وما عندك طلبْتُ، فلا تحرمني خيرَ ما عندك لشرّ ما عندي. اللهمَّ وإن كنْتَ لم ترحم نَصَبي وتَعَبي فلا تحرمْني أجْرَ المصابِ على مصيبته.

وقرأتُ في كتابٍ لشيخ لنا: اللهمَّ إنه مَنْ تهيّأ أو تعبّأ، وأعدّ وآستعدّ لوفادة مخلوقٍ رَجَاءَ رِفْدِه وطَلَبَ نَيلِه، فإنْ تهيّيء وتعبّيء وإعدادي وآستعدادي لك رجاءَ رِفْدك وطلبَ نائلك الذي لا خطَرَ(٤) له ولا مِثلَ. اللهمَّ إني لم آتِكَ بعملٍ صالح قدَّمْتُه، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوْتُهُ، أتيتك مُقِرّاً بالظُّلم والإساءة على نفسي، أتيتُك بأنّي لا حجّةَ لي، أرجو عظيمَ عفوك الذي عُدْتَ به على

(١) لا تُغْلِطُهُ: لا تُوْقِعُهُ في الغلط؛ وهو من قولهم: أغلطه إذا أوقعه في الغلط.
(٢) لا يُبْرِمُهُ: لا يملُّه ولا يضجره.
(٣) الملتزم: من التزمْتُه أي أعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أي يضمونه إلى صدورهم.
(٤) الخَطَرُ: المِثْلُ في العُلُوّ؛ يقال: ليس لك خَطَرٌ: أي مِثْل وعديل في العلو.

الخطَائين، ثم لم يمنعك عكوفُهم على عظيم الجُرمِ أن جُدْتَ لهم بالمغفرة. فيا مَنْ رحمتهُ واسعةٌ، وفضلُه عظيم آغفِرِ الذنبَ العظيم.

ابن عائشة قال: قال الفضل بن عيسى الرَّقاشِيّ: اللهمَّ لا تُدخِلْنا النارَ بعدُ إذ أسكنْتَ قلوبَنا توحيدَك؛ وإني لأرجو ألّا تفعلَ، ولئن فعلْتَ لتجمعنَّ بيننا وبين قومٍ عاديناهم فيك.

بلغني عن آبن عُيَيْنَةَ عن أبي حازم قال: لأَنامِنْ أنْ أُمنعَ الدعاءَ أخوفُ منّي من أن أُمنعَ الإجابةَ.

أنشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء في وصف دعوة[1]: [طويل]

وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض تبتغي ... مَحَلًّا ولم يقطعْ بها البِيْدَ قاطعُ
سَرَتْ حيث لم تَسْرِ الرِّكابُ ولم تُنَخْ ... لِوِرْدٍ ولم يَقصُرْ لها القَيْدَ مانعُ
تَحلّ وراءَ الليل والليلُ ساقطٌ ... بأرواقه[3] فيه سميرٌ وهاجعُ
تَفَتَّحُ أبوابُ السماء ودونَها[4] ... إذا قَرَعَ الأبوابَ منهنَّ قارعُ
إذا أَوْفَدَتْ لم يَرْدُدِ اللّهُ وفدَها[5] ... على أهلها واللّهُ راءٍ وسامعُ
وإني لأرجو اللّهَ حتّى كأنني[6] ... أرى بجميلِ الظنِّ ما الله صانعُ

وقال آخر: [طويل]

وإني لأدعو اللّهَ والأمرُ ضيِّقٌ ... عليّ فما ينفكُّ أنْ يتفرَّجا

(١) وردت هذه الأبيات جميعاً في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٧) وينسبها ابن عبد ربه لأعرابي يصف دعوة دون أن يذكر آسمه.
(٢) في نفس المصدر السابق: «تظلُّ».
(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «بأوراقه» وأوراق الليل: ظلمته.
(٤) في نفس المصدر السابق والصفحة: «لِوَفْدِها».
(٥) في نفس المصدر السابق والصفحة: «إذا سألت لم يَرْدُدِ اللّهُ سُؤْلَها... الخ».
(٦) في نفس المصدر السابق والصفحة: «حتى كأنما».

وَرُبَّ فتىً سُـدَّتْ عليـه وجـوهُـهُ   أصـاب لـه في دعـوةِ الله مَخْـرَجَـا

ونحوه: [بسيط]

إذا تضـايقَ أمـرٌ فـآنتـظرْ فـرجـا   فـأضيقُ الأمـر أدنـاه من الفـرجِ

أُخِذَ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتبَ إلى آخذِه: يـا هذا، إنَّ الـرجلَ ينـام على الثُّكْل، ولا ينام على الحَرَبِ[1]؛ فإمّـا رَدَدْتَه، وإمّـا عرضْتُ آسمَـك على الله تعالى كلَّ يومٍ وليلةٍ خَمْسَ مرّاتٍ.

قال عبد الرحمن بن زياد: اشتكَى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن يدعُوَ له، فكتب إليه بكر: يحقّ لمن عمِل ذنباً لا عُذرَ له فيه، وتـوقَّع مـوتاً لا بدّ له منه، أن يكون وَجِلاً مُشفِقاً، سـأدعو لـك، ولسْتُ أرجو أن يُستجـابَ لي بقوّةٍ في عملٍ، ولا براءةٍ من ذنبٍ، والسلام.

خلفُ بنُ تميم عن عبـد الجبّار بن كُلَيب قـال: قال لنـا إبراهيم بن أدهم حين عَرض لنا السَّبُعُ: قولوا: اللهمَّ آحْرُسنـا بعينك التي لا تنـامُ، وآجعلنا في كَنفـك الذي لا يُـرام، وارحمنا بقـدرتك علينـا، لا نَهلِكُ وأنت رجاؤنـا؛ قال خلَف: فما زلْتُ أقولُها مذ سمعتُها، فما عَرضَ لي قطُّ لِصٌّ ولا غيرُهُ.

قال أعرابيّ: من أقام بأرضنـا فليُكثر من الإستغفـار، فإنَّ مـع الإستغفار القُطَارَ[2].

بلغني عن مـوسى بن مسعود النَّهْـديّ عن سفيان الثـوريّ عن قُدامـة بن حَماطَة الضِّبيّ عن خالد بن مِنْجاب عن زياد بن حُـدَير الأسـديّ أن العلاء بن

(١) الحَرَبُ: مصدر حَرَبَ؛ يقال: حَرَهَ يَحْرُبُه حَرَباً: أخذ ماله أي سلبه وتركه بلا شيء.
(٢) القُطَارُ بضم القاف وفتح الطاء: السَّحَابُ العظيم القَطْر.

الحضرَميّ عبرَ إلى أهـل دَارِينَ[1] البحرَ بهـذه الكلمات: يـا حليمُ يا حكيمُ يـا عليُّ يا عظيمُ.

حـدّثني محمـد بن عُبَيـد قـال: حـدّثنـا يـزيـد بن هـارون عن هشـام الـدَّسْتَوائيّ[2] عن حمّـاد عن إبراهيم عن عبـد الله في الرجـل إذا أراد الحاجـةَ صلَّى ركعتين ثم قـال: اللهمَّ إنّي أستخيـرك بعلمـك، وأستقـدِرُكَ بقُـدرتـك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتملِك ولا أملِك، وتعلَمُ ولا أعلَمُ، إن كان هذا الأمـرُ الذي أريـده ـ وتُسمّيه ـ خيـراً لي في دِيني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخِيَرَةَ فيَسِّرْهُ لي وبارِكْ لي فيه، وإن كان شرّاً لي في دِيني وشرّاً لي في معيشتي وشرّاً لي فيما أبتغي فيه الخير فاْصرِفْهُ عنيّ ويسِّرْ لي الخيرَ حيث كان ثم رَضِّنِي به.

ومن دعاء بعض الصالحين: اللهمَّ إنِّي أستغفرك من كلّ ذنبٍ قَوِيَ عليه بـدني بعافيتـك، ونالتـه يدي بفضـل نعمتك، واْنبسـطْتُ إليـه بسَعَـة رزقـك، واْحتجبْتُ فيه عن الناس بِسَتْرك، واْتّكَلْتُ فيه على أنـاتِكَ وحلمـك، وعوّلْتُ فيه على كريم عفوك.

الأوزاعيّ قـال: من قال: «اللهمَّ إني أستغفـرك لمَـا تبْتُ إليـك منـه ثم عدْتُ فيه، وأستغفِرُك لمَا وعدتُك من نفسي وأخلفتُك، وأستغفرك لمَا أردتُ به وجهَك فخالَـطَه ما ليس لـكَ، وأستغفرك للنِّعم التي أنعمْتَ بهـا عليّ فتقوّيْتُ

---

(١) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهنـد. معجم البلدان. وقال ابن خلكـان في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤١): دارين موضع الطِّيْب، والنسبة إليه الداريّ.

(٢) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله البكري البصري الدَّسْتَوائي بفتح الـدال وسكون السين وفتـح التـاء نسبة إلى دَسْتَـوا بالقصـر وتُمدُّ أيضـاً. ودستوا كـورة من كـور الأهـواز كمـا في معجم ياقوت.

بها على معصيتك، وآستغفرك لكلّ ذنبٍ أذنبتُه أو معصيةٍ آرتكبتُها» غفر اللَّهُ له ولو كانت ذنوبُه عَدَدَ ورق الشجر، ورملِ عالج(١)، وقَطْرِ السماء.

وكان مُطَرِّف يقول: اللهمَّ إني أعوذُ بك من شرّ السلطان، ومن شرّ ما تجري به أقلامُهم، وأعوذ بك أن أقولَ قولاً حقّاً فيه رضاك ألتمسُ به أحداً سواك، وأعوذ بك أن أتزيَّن للناس بشيءٍ يَشينُني، وأعوذ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ من خَلْقك، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقك أسعدَ بما علَمتَني منّي، وأعوذ بك أنْ أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يُصيبني.

الأزديّ عن عبد الواحد بن زيد قال: شهدْتُ مالِكَ بن دينار يوماً وقيل له: يا أبا يحيى، أدْعُ اللَّهَ أن يَسقيَنا، قال: تستبطِئون المطرَ! قالوا: نعم؛ قال: إنني والله أستبطىءُ الحجارةَ.

قال أبو كعب: سمعْتُ عطاءً السُّلَمِيّ يقول: اللهمَّ آرَحمْ غُرْبتي في الدنيا، ومَصرعي عند الموت، ووَحْدتي في القبور، ومُقامي بين يديك.

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدّثنا زُهير عن زُبيد اليامي(٢) عن مُرَّةَ عن عبد الله قال: إن الله تعالى قسمَ بينكم أخلاقَكم كما قسمَ بينكم أرزاقَكم، إنَّ الله يُؤتي المالَ مَنْ يحبُّ ومن لا يحبّ، ولا يؤتي الإيمانَ إلا من يُحِب. فمن ضنَّ بالمال أن يُنفقه، وهاب العدوَّ أن يُجاهدَه، والليلَ أنْ يكابدَه فليُكثِرْ من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا اللَّهُ واللَّهُ أكبر».

---

(١) رَمْلٌ عالج: جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء (الفلاة وأرض نجد لبني تميم). ويتّسع آتّساعاً كثيراً حتى يقال: رملٌ عالجٌ يحيط بأكثر أرض العرب.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٧٩ من هذا الجزء.

ومن جامِع الدعاء: اللهمَّ أغنني بالعلم، وزيِّني بالحلم، وجمِّلني بالعافية، وأكرمْني بالتقوى.

وكان من دعاء أبي المجيب: اللهمَّ لا تَكِلْنا إلى أنفسنا فنعجِزَ، ولا إلى الناس فنَضِيعَ، اللهمَّ آجعلْ خيرَ عملي ما قاربَ أجلي.

ومن دعاء عمرو بن عبيد: اللهمَّ أغنِني بالإفتقار إليك، ولا تُغنِني بالإستغناء عنك.

ابن عائشة عن سلّام بن أبي مُطِيع قال: سمعت آبن عون يقول: كانوا يستحِبُّون من الدعاء: اللهمَّ عبدُك وآبنُ عبدك وآبنُ أمتِك لعبيدك وإمائك، أنا الذليلُ ولا أنتصر، وأنا الظالم، ولا أعتذر، عملْتُ سوءاً وظلمْتُ نفسي وإلاّ تغفرْ لي وترحمْني أكنْ من الخاسرين، فما أتَّمها آبن عون حتى أجهشَ[٢] بالبكاء.

ومن دعاء النبيّ ﷺ: «اجْعَلْني لك سَكَّاراً، لك ذَكّاراً، لك رَهّاباً، لك مطيعاً، إليك مُخبِتاً، لك أوّاها مُنيباً، ربِّ تقبّلْ توبتي وآغسِلْ حَوْبتي وأجِبْ دعوتي وثبِّتْ حجّتي وآهدِ قلبي وسَدِّدْ لساني».

المناجاة

حدّثني عبدُ الله بن هارون عن سُلَيم بن منصور عن أبيه قال: كنتُ بالكوفة فخرجْتُ في بعض الليل لحاجةٍ وأنا أظنُّ أنّي قد أصبحْتُ فإذا عليَّ ليلٌ فمِلْتُ إلى بعض أبوابها أنتظر الصبحَ فسمعْتُ من وراء الباب كلامَ رجلٍ وهو يقول: فَوَعِزَّتك وجَلالِك ما أردْتُ بمعصيتي مخالفتَكَ، وما عصيْتُك إذ

(٢) أجهش بالبكاء: هَمَّ به وتهيَّأ له.

عصيْتُك وأنا بِنَكالِكَ جاهلٌ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مُستخِفٌّ، ولكنْ سوَّلَتْ لي نفسي، وأعانني على ذلك شِقوَتي، وغرّني سِتْرُك المرخَى عليّ، فعصيْتُك بجهلٍ وخالفْتُك بجهلٍ، فالآنَ من عذابك مَنْ يستنقِذُني وبحبلِ مَنْ أعْتصِمُ إن قطعْتَ حبلَك عنّي، فواسَوأتاه من الوقوف بين يديك غدا! إذا قيل للمُخِفِّيْنَ: جُوزُوا وللمُثْقِلِين: حُطُّوا؛ أفمع المثقلين أَحُطُّ أم مع المخفِّين أجُوز؟ ويلي! كلّما كَبِرَتْ سِنّي كَثُرتْ ذنوبي؛ ويلي! كُلّما طال عمري كثُرَتْ مَعاصِيَّ فمِنْ كَمْ أتوبُ! وفي كم-أعودُ! أما آن لي أن أستحيَ من رَبِّي؟

بلغني عن الوليد بن مُسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان داودُ النبيُّ عليه السلامُ يقول في مُناجاتِه: سبحانَك إلهي! إذا ذكرْتُ خطيئتي ضاقتْ عليَّ الأرضُ برُحْبِها، وإذا ذكرْتُ رحمتَك آرتدَّ إليَّ رُوحي، سبحانك إلهي! أتيْتُ أطِبَّاءَ عبادك ليُداووا لي خطيئتي فكلّهم عليك يَدُلُّني.

حدَّثني بعضُ أشياخنا قال: كان داودُ الطائيّ يقول: همُّك عطَّلَ عليَّ الهمومَ، وحالفَ بيني وبين السُّهادِ، وشدّةُ الشفَق من لقائك أوبقَ[1] عليَّ الشهواتِ، ومنعني اللذّاتِ، فأنا في طلبك أيها الكريمُ مطلوبٌ. وقال: تعبَّدَ ضيْغَمُ قائماً حتى أقعِدَ، وقاعداً حتى آستلقَى، ومُستلقياً حتى أُفْحِم؛ فلما جَهِدَ رفع بصرَه إلى السماء وقال: سبحانك، عجباً للخليقة كيف أرادتْ بك بَدلا؟ وسبحانك، عجبا للخليقة كيف آستنارت قلوبُها بذكر غيرك؟ وعجباً للخليقة كيف أُنِسَتْ بسواك؟

عُتبة أبو الوليد قال: كانت آمرأة من التابعين تقول:

سبحانك، ما أضيقَ الطريقَ على من لم تكن دليلَه! سبحانك ما أوحشَ

(١) أَوْبَقَ عليَّ الشهوات: حَبَسها.

الطريقَ على من لم تكن أنيسَه!.

أبو الحسن قال: كان عُروة بن الزُّبير يقول في مناجاته بعد أن قُطِعَتْ رجلُه ومات ٱبنُه: كانوا أربعةً، يعني بَنِيهُ، فأخذْتَ واحداً وأبقيْتَ ثلاثةً، وكنَّ أربعاً يعني يديهْ ورِجليْه، فأخذْتَ واحدةً وأبقيْتَ ثلاثاً، لَيُمْنُكَ[1] لئن كنتَ أخذْتَ لقد أبقيْتَ، ولئن كنْتَ ٱبتليْتَ لقد عافيْتَ.

وفي حديث بني إسرائيل أنَّ يونُسَ عليه السلامُ قال لجبريلَ عليه السلام: دُلَّني على أعبدِ أهل الأرض فدلَّه على رجلٍ قد قَطَع الجُذامُ يديه ورِجليْه، وذهب ببصرِه، فسمِعه يقول: مَتَّعْتَني ما شئْتَ، وَسَلَبْتَني حين شئْتَ، وأبقيْتَ لي فيك الأملَ يا بارُّ يا وَصُولُ.

ومن دعاء بعض الصالحين: اللهمَّ ٱقطع حوائجي من الدنيا بالشوق إلى لقائك، وٱجعل قُرَّةَ عيني في عبادتك، وٱرزقني غَمَّ خوفِ الوعيدِ، وشوقَ رجاءِ الموعود، أللهمَّ إنك تعلم ما يصلِحُني في دنياي وآخرتي فكن بي خَفِيّاً[2].

باب البكاء

حدّثني أبو مسعود الدارِميّ قال: حدّثني جَدّي عن أَنَس بن مالك قال: جاء فتىً من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وقال: إنَّ أمّي تُكثر البكاءَ وأخاف على بصرها أن يذهب؛ فلو أتيْتَها فوعَظْتَها! فذهب معه فدخل فقال لها في ذلك؛ فقالت: يا رسول الله، أرأيْتَ إنْ ذَهَبَ بصري في الدنيا ثم صِرْتُ إلى الجنة، أيُبدِلني الله خيراً منه؟ قال: «نعم» قالت: فإنْ ذهب بصري في الدنيا

(١) لَيُمْنُكَ: تستعمل في المخاطبة بمعنى قولهم: يمين الله.

(٢) الحَفِيُّ: اللطيفُ البارُّ المُبالِغُ في الإكرام.

ثم صِرْتُ إلى النار، أَفَيُعِيد اللَّهُ بصري؟ فقال النبيّ عليه السلام للفتى: «إنَّ أمَّك صِدِّيقةٌ».

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعيّ عن ثابت بن سعيد قال: ثلاث أَعْيُنٍ لا تمسُّها النار؛ عينٌ حَرَسَتْ في سبيل الله؛ وعينٌ سَهِرَتْ في كتاب الله؛ وعينٌ بَكَتْ في سواد الليل من خشية الله.

أبو حاتم عن العُتبيّ قال: حدّثنا أبو إبراهيم قال: لا يكون البكاءُ إلا من فضلٍ فإذا آشتدَّ الحزنُ ذهب البكاءُ، وأنشد: [كامل]

فَلَئِنْ بكيناه يَحِقُّ لنا ... ولئن تَرَكْنا ذاك للكِبْرِ
فلمثله جَرَتِ العيونُ دَماً ... ولمثله جَمَدَتْ فلم تَجْرِ

بلغني عن أبي الحارث الليث بن سعد عن أبيه عن آبن لَهِيعَة عن أبي قَبيلٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: دخل يحيى بن زكريّا بيت المقدس وهو آبنُ ثَماني حجج، فنظر إلى عُبَّادِ بيت المقدس قد لبِسُوا مدارعَ الشَّعَر، وبَرانسَ الصوف، ونظر إلى متهجِّديهم أو قال مجتهديهم قد خرقوا التراقيَ، وسلكوا فيها السلاسلَ، وشدّوها إلى حنايا بيت المقدس، فهاله ذلك؛ فرجع إلى أَبَوَيْه فمرّ بصبيانٍ يلعبون فقالوا: يا يحيى، هلمَّ فَلْنَلْعَبْ قال: إني لم أُخلَق للَّعب، فذلك قول الله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمَ صبيّا﴾[1] فأتى أبويه فسألهما أن يُدَرِّعاه الشَّعَرَ ففعلا، ثم رجع إلى بيت المقدس فكان يخدُمه نهاراً ويَصيحُ فيه ليلاً، حتى أتت له خمسَ عشرةَ سنة، وأتاه الخوفُ فساح ولزم أطرافَ الأرض وغِيْرانَ[2] الشِّعاب، وخرج أبواه في طلَبه فوجداه

(١) سورة مريم ١٩، الآية رقم ١٢. أي آتيناه التَّفَقُّه في الدين رحمة بعباد الله. راجع التفسير المبين.
(٢) غِيْران: ج غار وهو الكهف أو الحُجْر يأوي إليه الوحشيُّ أو ما ينحت في الجبل كالمغارة فإذا =

حين نزلا من جبال التِّيهِ على بُحيرة الأردنّ وقد قعد على شَفِيـر البُحَيرة وأنقـعَ قدميه في المـاء، وقد كـاد العطشُ يـذبحُه وهـو يقول: وعـزَّتِك لا أذوقُ بـاردَ الشراب حتى أعلمَ أين مكاني منك! فسأله أبواه أن يأكلَ قُرصاً كـان معهما من شَعير، ويشربَ من الماء ففعلَ وكفَّر عن يمينه فمُدِحَ بالبِرّ؛ قال الله عـز وجل: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ ولَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً﴾[1] وردّه أبواه إلى بيت المقدس، فكـان إذا قام في صلاته بكى، ويبكي زكريّا لبكائه حتى يُغمَى عليه، فلم يزل كذلك حتى خرقتْ دموعُه لَحْمَ خَدّيه، وبدَتْ أضراسُه، فقالت له أمه: يا يحيى، لـو أذنْتَ لي آتخـذْتُ لك لِبْـداً[2] ليواريَ إضـراسَـك عن النـاظـرين؛ قـال: أنتِ وذاكِ، فعَمَـدَتْ إلى قِـطْعَتيْ لُبـودٍ فـألصقتهمـا على خـدّيــه، فكـان إذا بكى آستنقعَتْ دموعُه في القطعتين فتقومُ إليه أمُّهُ فتعصِرُهما بيـديها، فكـان إذا نظر إلى دموعه تجـري على ذراعَيْ أمِّهِ قـال: اللهمَّ، هذه دمـوعي وهذه أُمِّي وأنـا عبدُك وأنت أرحمُ الراحمين.

بلَغني عن أبي معـاويـة عن أبي إسحـاق الخَمِيْسيّ قـال: كـان يـزيـدُ الـرَّقاشِيّ يقـول: ويحك يـا يزيـدُ! مَن يصومُ عنـك! مَن يصلِّي عنك! ومن ذا يترضَّى لك ربَّك من بعدك! ثم يقول: يا معشر مَنِ الموتُ موعدُه، والقَبرُ بيتُه ألا تبكون؟ قال: فكان يبكي حتى تسقطَ أشفارُ[3] عينيه.

بلَغني عن محمّد بن فُضَيل عن العلاء بن المسيَّب عن الحَسن قال: قـال النبيّ ﷺ: «مَا مِنْ قطرةٍ أحبُّ إلى اللَّهِ مِنْ قطرةِ دمٍ في سبيله وقطرةِ دمعٍ في

= آتّسع قيل له: كهف. والشّعاب: ج شِعْب وهو الطريق في الجبل.

(١) سورة مريم ١٩، الآيـة رقم ١٤. وبَرّاً بـوالديـه أي محسناً إليهمـا. وجبّاراً: مكتبِّراً، وعَصِيّا: عاصياً لربه.

(٢) اللِّبْدُ: كل شعر أو صوف متلبِّدٌ سمِّي به لِلُصُوْق بعضه ببعض والجمع أَلْباد ولُبُوْد.

(٣) الأشفار: ج شُفْر وهو أصل منبت الشعر في حرف الجفن، مذكّر.

جوف الليل من خشيته، وما من جَرْعةٍ أحبُّ إلى الله من جَرْعةِ مصيبةٍ مُوجِعةٍ ردّها بصبرٍ وحُسن عزاؤه، وجرْعِة غيظٍ كظَم عليها».

مُعتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال: كان في وَجْنَتَيْ آبن عباس خطّان من أثر الدموع.

حدّثني محمّدُ بن داود عن سعيد بن نُصَيْر قال: حدّثنا سَيّار عن جعفرٍ قال: كنتُ إذا أحسسْتُ من قلبي بقسوةٍ أتيْتُ محمدَ بن واسعٍ فنظرْتُ إليه نظرةً: قال: وكنْت إذا رأيْتُ وجهَه حسبتُه وجهَ ثَكلَى.

وكان يقال: أخوك مَنْ وعَظَك برؤيته قبلَ أن يعظَك بكلامه.

تكلّم الحسَن يوماً حتى أبْكَى مَنْ حولَه فقال: عَجيجٌ[1] كعجيج النساء ولا عزم، وخدعةٌ كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يبكون.

أبو عاصم قال: فقَدَ مالكُ بن دينار مصحفَه في مجلسه؛ فنظر إليهم كلِّهم يبكون؛ فقال: كلُّكم يبكي! فمن سَرق المصحف؟.

قال عبد العزيز بن مرزوق: الكمد أبقَى للحزن؛ وكانت له شُعَيراتٌ في مُقدَّم صُدْغه فإذا رقّ نتفها أو مدَّها إلى فوق فتقلَّص دمعُه.

قيل لغالب بن عُبَيْد الله: إنا نخاف على عينك العَمَى من طول البكاء؛ فقال: هُوَ لها شهادة؛ قال بعض الشعراء: [طويل]

سأبكيك حتى تُنْفِدَ العَيْنُ ماءَها ... ويَشفِيَ منّي الدمعُ ما أتوجَّعُ

وقال بعض الكتّابِ في مثله: [سريع]

إبْكِ فَمِنْ أنفعِ ما في البُكا ... أنّه للأحزان تسهيلُ

(١) العجيج: الصياح ورفع الصوت.

وَهْـوَ إذا أنـت تـأمّلْتَـه   حُزْنٌ على الخدَّيْن محلول

قيل لعُفَيْرةَ العابدة: ألا تسأمِين من طول البكـاء؟ فبكت ثم قالت: كيف يسأم ذو داءٍ من شيءٍ يرجو أن يكونَ له فيه من دائه شفاء؟

قال ٱبن أبي الحوَاريّ: رأيت أبا سليمان الدارانيّ يبكي، فقلت له: مـا يُبكيك؟ فقال: إنما أبكي لذلك الغَمِّ الذي ليس فيه فرحٌ، وذلـك الأمدِ الـذي ليس له ٱنقطاعٌ.

قال بعضهم: أتيتُ الشامَ، فمررْتُ بدير حَرْمَلَة، وبـه راهبٌ كأنَّ عينيـهْ عِدْلاَ مَزادٍ[1]؛ فقلتُ: ما يُبكيك؟ فقال: يا مسلِم، أبكي على ما فرَّطْتُ فيه من عمري، وعلى يوم ٍ مضى من أجلي لم يَتبيَّنْ فيه عملي. قال: ثم مـررْتُ بعد ذلك فسألْتُ عنه؛ فقالوا: أسلمَ وغَزَا فقُتِل في بلاد الروم.

أشعث قال: دخلْتُ على يزيد الرَّقَاشيّ فقال لي: يا أشعَثُ، تعالَ حتى نبكيَ على الماء البارد في يوم الظمأ، ثم قال: والهفاه! سبقني العابدون وقُطِعَ بي؛ وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة.

زيد الحميريّ قـال: قلتُ لثوبـانَ الراهب: أخبـرني عن لُبْس النصارى هـذا السوادَ، مـا المعنى فيه؟ قـال: هو أشبـه بلباس أهـل المصـائب؛ قـال: فقلْتُ: وكلّكم معشـرَ الرهبـان قد أُصيْبَ بمصيبـة؟ فقال: يـرحمك الله! وأيّ مصيبةٍ أعظمُ من مصائب الذنوب على أهلها؟ قال زيد: فلا أذكر قولَه ذلك إلا أبكاني.

ابن أبي الحوَاريّ قال: دخلْتُ على أبي سليمـان وهو يبكي؛ فقلت: ما

(١) العِدْلُ: نصف الحِمْل. والمزاد: الفَرْدَةُ التي يحتقبها الراكب برحله، والجمع المزايد.

يُبكيك؟ قال: يا أحمد، إنه إذا جَنّ الليلُ وهدأتِ العيونُ وأنِسَ كلُّ خليلٍ بخليله، فرش أهلُ المحبة أقدامَهم، وجرتْ دموعُهم على خدودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم، وقد أشرف الجليلُ عليهم فقال: بعيني مَنْ تلذَّذَ بكلامي وآستراح إليّ، فما هذا البكاء الذي أراه منكم؟ هل أخبركم أحدٌ أنَّ حبيباً يُعَذِّبُ أحِبَاءَه؟ أم كيف أبيِّتُ قوماً، وعند البيات أجدهم وقوفاً يتملّقونني! فبي حلفْتُ أن أكشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهي ينظرون إليّ.

قالت خنساء: كنْتُ أبكي لصخرٍ من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار.

قال عمر بن ذَرٍّ لأبيه: يا أبتِ، مالَكَ إذا تكلَّمْتَ أبكيْتَ الناسَ، وإذا تكلّمَ غيرُك لم يُبكهم؟ فقال: يا بنيّ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجَرة.

وفي بعض ما أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه: هبْ لي من قلبك الخشوعَ، ومن بَدَنك الخضوعَ، ومن عينك الدموعَ، وآدعُني، فإني قريب.

وكان عمر يقول: استغزروا العيون بالتذكّر.

التهجد

حدّثنا حسين بن حسن المَروَزِيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرني مَعْمَر والأوزاعيُّ عن يحيى بن أبي كَثِير[1] عن أبي سلمَة عن أبي زَمْعة بن كعب الأسلمي قال: كنتُ أبيتُ عند حُجرة النبيّ ﷺ فكنت أسمعُ، إذا قام من الليل، «سبحان اللّهِ ربِّ العالمين»الهَوِيَّ[1] من الليل، ثم يقول:

---

(١) الهَوِيُّ من الليل: الهَزِيْعُ منه.

«سبحانَ اللَّهِ وبحمـدِه» الهَوِيَّ.

حـدثنا حسين قـال: حدّثنـا سفيان بن عُيَينـة عن زياد بن عِـلاَقَـة قـال: سمعْتُ المُغيرةَ بن شُعْبة يقول: قام رسول الله ﷺ حتى تورّمت قَدَماه؛ فقيل: يا رسول الله، قد غَفَرَ اللَّهُ لك ما تقـدّم من ذنبك ومـا تأخّـر؛ قال: «أفـلا أكون عبداً شكورا؟».

حدّثنا حسين قـال: حدّثنـا عبد الله بن المبـارك قال: أخبـرنا حمّـاد بن سلَمة عن ثابت البُنَانِيّ عن مُطَرِّف بن عبـد الله عن أبيه قـال: أتيْتُ رسولَ الله ﷺ وهو يصلّي ولجوفِه أزيزٌ كأزيز المِرْجَل.

بلغني عن رَبَاح عن مُعْتمِر عن رجلٍ قد سمّاه قال: قال يزيد الرَّقَاشِيّ: إذا أنـا نمْتُ ثم آستيقـظْتُ ثم نمْتُ فـلا نـامت عينـايَ، وعلى المـاءِ البـاردِ السلامُ. يعني بالنهار.

وروى جَرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيـدة بن هلال الثّقفي: لا يشهد عليّ ليلٌ بنـومٍ ولا شمسٌ بإفـطارٍ؛ فبلغ ذلك عمـرَ فأقسم عليـه ليُفطرنَّ العِيدَين.

وروى حمَّاد بن سَلَمة عن أبي جعفر الخَطميّ عن جـدّه عُمَير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: يآهلاه، الدُّلْجَةَ الدُّلْجَةَ، إنه من يسبِق إلى الماء يظمأ؛ يآهلاً، الدُّلجةَ الدُّلجةَ، إنه من يسبق إلى الظلّ يَضْحَى.

قال أبو سليمـان الداراني: أهـلُ الليل في ليلهم ألَـذُّ من أهل اللهـو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببْتُ البقاء.

خـرج عيسى عليـه السـلام على الحـواريّين، وعليهم العَبَـاءُ(١) وعلى

(١) العَبَاء بفتح العين والباء معاً: كِساءٌ من صوف مفتوح من قدّام يلبس فوق الثياب.

وجوههم النور، فقال: يا أبناءَ الآخرة، ما تنعَّم المتنعِّمون إلا بفضل نعيمكم.

وقيل للحسن: ما بالُ المتهجِّدين من أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: إنهم خَلَوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره.

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال: كان رجلٌ يقال له هُمَام يقول: اللهمَّ آشفني من النوم باليسير، وآرزقني سهراً في طاعتك. وكان يُصبح وجُمَّتُه[1] مُرَجَّلة؛ فيقول بعضُهم لبعض: إن جُمَّةَ همام تخبركم أنه لم يتوسَّدْها الليلة.

قال عبد الله بن داود: كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَه. وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر إلى الفجر قال: «عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى»[2].

حدّثنا حسين بن حسن قال: أخذ الفُضَيل بن عياض بيدي ثم قال: يا حسين، يقول الله: كذَبَ من آدّعى محبتي وإذا أجَنَّه الليلُ نام عني، أليس كلّ حبيبٍ يُحبّ خلوةَ حبيبه؟ هأنذا مُطَّلِعٌ على أحبّائي، إذا أجَنَّهُم الليلُ جعلْتُ أبصارَهم في قلوبهم، ومثَّلْتُ نفسي بين أعينهم، فخاطَبوني على المشاهدة وكلَّموني على الحضور.

الوليد بن مسلم قال: حدّثني عبد الرحمن بن يزيد قال: كنّا نُقاريءُ[3] عطاء الخُراسانيّ فكان يُحيي الليلَ صلاةً، فإذا مضى من الليل ثُلثُهُ أو أكثرُ نادانا ونحنُ في فِسطاطنا[4]: يا عبدَ الرحمن بن يزيد، ويا يزيد بن يزيد، ويا

(١) الجُمَّةُ بضم الجيم وفتح الميم مشدّدة: مجتمع شعر الرأس. ومُرَجَّلَةٌ مسرّحه.
(٢) السُّرَى: السير ليلاً. وهذا مثل يُضْرَب للرجل يحتمل المشقّة رجاء الراحة. وأيضاً لما يُنال بالمشقّة ويوصل إليه بالتعب. راجع المنجد في اللغة والأعلام مادة (صباح).
(٣) نُقاريء: من قارأه مقارأة إذا دارسه أي شاركه في الدرس.

هشام بن الغازي، قوموا فتوضَّأوا وصلُّوا. فإنّ قيام هذا الليل وصيامَ هذا النهار أيسرُ من شرب الصديدِ ومن مُقطّعات الحديد؛ فالوَحَا الوحا ثم النجاءَ النجاءَ؛ ويُقبل على صلاتِهِ.

مالك بن مِغْوَل عن رجل من جُعْفِيّ[1] عن السديّ عن أبي أراكة قال: صَلَّى عليٌّ الغداةَ ثم جلس حتى آرتفعتِ الشمسُ كأنّ عليه كآبةً، ثم قال: والله، لقد رأيتُ أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يُشبِهُهم، والله إن كانوا لَيُصْبحون شُعْثاً غُبْرا صُفْرا، بين أعينهم مثل رُكَبِ المِعْزَى، قد باتوا يَتْلُون كتابَ الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يميدُ الشجر في يوم ريحٍ، وآنهملتْ أعينُهم حتى تُبَلَّ ثيابَهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين. يريد أنهم يستقلّون ذلك.

المحاربيّ عن الإفريقيّ قال: حدّثنا أبو عَلْقَمَة عن أبي هريرة قال: إنَّ أهلَ السماء لَيَرَوْن بيوتَ أهلِ الذكر تُضِيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهلِ الأرض.

يَعْلَى بن عُبَيْد عن محمّد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال: كونوا ينا بيعَ العلم، مفاتيحَ الهدى، أحلاسَ[2] البيوت، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرَفوا في أهل السماء، وتَخْفَوا في أهل الأرض.

---

(١) هو جُعْفِيُّ بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَد بن كهلان بن سَبَأ، من كندة ينسب إليه أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور. راجع جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٧ و ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) الأَحْلاس: ج حِلْس بكسر الحاء وسكون اللام وهو من يلازم البيت ولا يبرحه، ومنه الحديث الشريف: «كونوا أحلاس بيوتكم» أي آلزَمُوها.

حدّثني محمد بن داود قال: حدثنا أبو الربيع الزَّهْرانيّ قال: حدّثنا أبو عَوَانة عن المغيرة عن إبراهيم: في الرجل يرى الضوءَ بالليل؛ قال: هو من الشيطان، لو كان هذا فضلاً لأُوثِر به أهلُ بدر.

الموت

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال: نظرْتُ إلى عمر بن عبد العزيز فأدَمْتُ النظرَ إليه؛ قال: ما تنظرُ يا محمد؟ قلت: أنظر إلى ما ابيضَّ من شعرك، ونحَلَ من جسمك، وتغيّر من لونك؛ فقال: أَمَا والله لو رأيتني في القبر بعد ثالثة؛ وقد سالتْ حدقتاي على وجنتيَّ، وسال مِنْخراي صديداً ودودا، لكنتَ أشدَّ نَكرةً[1].

وقال الأصمعيّ: دخلْتُ بعضَ الجَبَابين[2]، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سنينَ، وهي تقول: [متقارب]

عَدِمْتُ الحياةَ ولا نِلْتُها ... إذا كنْتَ في القبر قد أُلْحِدْوكَا
وكيف أذوق لذيذ الكرى ... وأنت بِيُمنَاك قد وسَّدوكا

قال الأزديّ: بلغني أنَّ داود الطائيّ مرَّ بامرأة تبكي عند قبرٍ وهي تقول: يا أخاه! ليت شعري: [سريع]

بأيِّ خَدَّيْكَ تبدَّى البِلى ... وأيُّ عينيْكَ إذاً سالا

فصعِق مكانه ثم تعبَّد.

حدّثني محمد بن مرزوق قال: حدّثنا محمد بن نصر المعلّم قال:

(١) النَكَرَةُ (بفتح النون والكاف والراء): اسم من الإنكار.
(٢) الجبابين: ج جَبّانة وهي المقبرة.

حدّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال: [متقارب]

أتـيْتُ الـقبـورَ فـنـادَ يْتُـهُـنْـ ـنَ أين المعـظمُ والمُحْتَقَرْ؟

وأيـن الـمُـدِلُّ بـسـلطانـه؟ وأين المُـزَكِّي إذا مـا آفتخَرْ؟

قال: فنوديْتُ من بينها ولا أرى أحداً: [متقارب]

تفـانَـوْا جميعـاً فمـا مُخبِـرٌ ومـاتـوا جميعـاً ومـاتَ الخبَـرْ

تـراوحُ وتغـدو بنـاتُ الثـرى[1] فَتَمْحُـو محـاسنَ تلك الصُّـوَرْ

فيـا سائلي عن أنـاسٍ مَضَـوْا أَمَـا لـك فيمـا تـرى مُعتبر ؟

قال: فرجعْتُ وأنا أبكي.

بلغني أنه قرىء على قبرٍ بالشام: [بسيط]

باتوا على قُلَلِ[2] الأجبال تحرُسُهُمْ غُلْبُ الرجالِ فلم تنفعهُمُ القُلَلُ

وآستُنْزِلـوا بعـد عِزٍّ من معـاقلهمْ فـأُسكِنـوا حُفْـرةً يـا بِئْسَ مـا نَـزَلُـوا

نـاداهُمُ وصـارخٌ من بعـد مـا دُفِنـوا أيـن الأسـرَّةُ والتيجـانُ والـحُلَلُ؟

أين الـوجـوهُ التي كـانت مُحجَّبـةً من دونهـا تُضـرَبُ الأستـارُ والكِلَلُ[3] ؟

فـأفصـحَ القبـرُ عنهُمْ حين سـاءلهمْ تلك الـوجـوهُ عليهـا الـدودُ تقتتـلُ

قـد طـال مـا أكلوا دهـراً ومـا نَعِمـوا فـأصبحوا بعـد طول الأكـل قد أُكِلُوا

وقال آخر: [رمل]

رُبَّ قـوم عَبَـروا من عيشهمْ فـي نـعـيـم وسـرورٍ وغَـدَقْ

سكتَ الـدهـرُ زمـانـا عنهُمُ ثم أبكـاهُمْ دمـاً حين نَـطَقْ،

---

(١) بنات الثَّرىَ: الدود.

(٢) القُلَلُ: ج قُلَّة وهي أعلى الجبل.

(٣) الكِلَلُ: ج كِلَّة وهي الستر الرقيق وغشاء رقيق يُخاط كالبيت يُتَوَقَّى به من البعوض ويعـرف عند العامة بالناموسيَّة.

نزل النُّعمان ومعه عِديُّ بن زيد في ظلِّ شجرةٍ عظيمةٍ ليلهُوَا؛ فقال له عدي بن زيد: أتدري ما تقولُ هذه الشجرةُ؟ قال: لا؛ قال تقول: [رمل]

رُبَّ شَرْبٍ[1] قد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالِ
ثم أضْحَوْا لَعِبَ الدهرُ بهمْ وكذاك الدهرُ حالاً بعد حالِ

وقال إبراهيم بن المهدي[2]: [بسيط]

بالله ربِّك كم بَيْتٍ مررْتَ به قد كان يُعْمَرُ باللذّات والطرَبِ
طارتْ عُقابُ المنايا في سقائفه فصار من بعدها للويلِ والحَرَبِ[3]

أنشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد العروضيّ: [كامل]

كُنْ كيف شئْتَ فَقَصْرُكَ الموتُ لا مَزْحَلٌ عنه ولا فَوْتُ[4]
بَيْنَا غِنَى بيتٍ وبهجتُه زال الغنَى وتقوَّضَ البيتُ

حدّثني يزداد بن أسد عن الطَّنافسيِّ قال: حدّثنا أبو محمد قال: كان مالك بن دينار يخرج إلى القبور كلَّ خميس على حِمار قوطرانيّ ويقول:

[وافر]

ألا حَيِّ القبورَ ومن بِهِنَّهْ وجوهٌ في القبورِ أحِبّهنَّهْ

---

(١) الشَّرْبُ: ج شارب، والمقصود هنا شارب الخمر.
(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٢٩ من هذا الجزء، كما ورد أربعة أبيات في نفس الصفحة المذكورة من الجزء المذكور تنتمي إلى نفس القصيدة التي ينسب إليها هذان البيتان، كذلك وردا البيتان المذكوران في البيان والتبين (ج ٣ ص ٤٧٨) مع اختلاف في الكلمات.
(٣) الحَرَبُ: السَّلْبُ، يقال: حَرَبَهُ يَحْرُبُه حَرَباً: أخذ ماله أي سلبه وتركه بلا شيء.
(٤) قَصْرُكَ الموتُ: قُصاراك، والقُصارى: الجهد والغاية. لا مَزْحَلٌ عنه: لا مفرٌّ؛ يقال: لك من هذا الأمر مَزْحَلٌ: لك مُنْتَدَح ومَنْدُوحه أي سعةٌ وفُسْحة.

فلو أنّ القبورَ سمعْنَ صوتي إذاً لأجبْنَني مِنْ وَجْدِهِنَّهْ
ولكنَّ القبورَ صمَتْنَ عنّي فأُبْتُ بحسرةٍ من عندِهِنَّهْ

ثم يبكي ونبكي.

قال معاوية بن أبي سفيان لعُبَيد بن شرية الجُرْهُميّ: أخبِرْني بأعجبِ شيءٍ رأيتَه في الجاهليَّة؛ فقال: إني نزلْتُ بحيٍّ من قُضاعة فخرجوا بجنازةِ رجلٍ من عُذَرةَ يقال له حُرَيث وخرجتُ معهم، حتى إذا وارَوْه في حفرته انتبذْتُ جانباً عن القوم وعيناي تَذْرِفان ثم تمثَّلْتُ بأبياتِ شعرٍ كنتُ أُرويها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ: [بسيط]

تجري أمورٌ ولا تَدْرِي أوائلُها خَيْرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدرِ اللّهَ خيرا وارضَيَنَّ به فبينما العُسْرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطاً إذ صار في الرَّمْس[1] تعفوه الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحيّ مسرورُ

قال: وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول، فقال لي: يا عبدَ الله، هل لك علمٌ بقائِل هذه الأبيات؟ قلتُ: لا والله؛ إلا أنّي أُرويها منذُ زمانٍ؛ فقال: والذي تحلِفُ به إنَّ قائلَها لصاحبُنا الذي دفنّاه آنفاً، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسرّ الناس بموته، وإنك لغريبٌ وتبكي عليه كما وصفْتَ؛ فعجَبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته، فقلت: «إنّ البلاء موكَّلٌ بالقول»؛ فذهبَتْ مَثَلاً.

قال أعرابيٌّ: خيرٌ من الحياة ما أذا فقدْتَه أبغضْتَ لفقده الحياةَ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحبَبْتَ لنزوله الموت

---

(١) الرَّمْس: القبر.

وقال أبو زُبَيد[١]: [خفيف]

يَملِكُ المرءُ بالـرجاءِ ويُضْحي غِـرَضـا للمنـون نَصْبَ العـودِ
كـلّ يومٍ تـرميـه منهـا بـرَشْقٍ فمصيبٌ أَوْصـافَ غيْرَ بعيـد[٢]

وقال أبو العتاهية: [مجزوء الكامل]

وَعَـظَتْـكَ إِجْـداثٌ صُمُتْ ونَـعَـتْـك أزمنـةٌ خُـفُـتْ
وتـكـلَّمـتْ عـن أوجـهٍ تَـبْلى وعن صـورٍ شُـتُـتْ
وأرَتْـكَ قبرَكَ في القبـو رِ وأنت حيٌّ لم تمُتْ

وقال أعرابيٌّ: أَبْعَدَ سَفَرٌ أوّلُ مَنْقَلةٍ[٣] منه الموتُ. وقيـل لأعرابيّ: مـات فـلانٌ أصحَّ مـا كان؛ فقـال: أوَ صحيـحٌ مَن المـوتُ في عُنقِـه؟ وقـال بعض المحدَثين: [سريع]

اسمَـع فقد أَسْمَعَكَ الصـوتُ إنْ لـم تبـادرْ فَـهُـوَ آلفَـوْتُ
بل كُلْ إذا شئْتَ وعِشْ نـاعما آخـرُ هـذا كـلّه الـمـوتُ

وكان صالح المرّيّ يقول في قَصَصه: [متقارب]

مـؤمِّـلُ دنـيـا لِـتَـبْـقَى لـه فمـاتَ المؤمِّـلُ قبـلَ الأَمَـلْ
وباتَ يُروِّي أصـولَ الفَسِيْلِ[٤] فعـاش الفسيْلُ ومـات الرجُـلْ

وقال مسلم بن الوليد: [رمل]

(١) أبو زبيد هو المنذر بن حَرْمَلَة الطائي القحطاني، عاش زمناً في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم. إستعمله عمر على صدقات قومه. قال البغدادي: ولم يستعمل نصرانياً غيره. توفي نحو ٦٢ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٩٣.
(٢) الرَّشْق: الشوط من الرمي. وصافَ السَّهْمُ عن الهدف: عَدَلَ عنه ولم يُصِبْه.
(٣) المَنْقَلَةُ: المرحلة من مراحل السفر.
(٤) الفسيل: صغار النخل.

كم رأينـا من أنـاسٍ هلكـوا — وبـكَى أحبَـابُهُـمْ ثم بُـكُـوا
تـركـوا الـدنيـا لِمَنْ بَعْـدَهُمْ — وُدُّهُمْ لـو قـدّمـوا مـا تـركـوا
كم رأينـا مـن ملوكٍ سُـوقـةً — ورأينـا سُـوْقـةً قـد مَلَكـوا
قَلَبَ الـدهـرُ عليـهم وَرِكـا — فـآستـداروا حيث دار الفلَكُ

حـدّثني أبي عن أبي العتاهيـة أنه قـرىء له بيتـان على جـدارٍ من جُـدُر كنيسة القسطنطينية: [منسرح]

مـا آختلف الليـلُ والنهـارُ ولا — دارتْ نجومُ السماءِ في الفَلَكِ
إلا بنقــلِ السلطانِ عن مَلِكٍ — كـان يحبُّ الـدنيـا إلى مَلِكِ

وقال آخر: [منسرح]

مـا أنـزل المـوتَ حقَّ منـزِلِـهِ — مَنْ عَدَّ يومـاً لم يأتِ من أجَلِهْ
والصّـدقُ والصّبرُ يبلُغـان بمن — كـانـا قَـرِيْنَيْـه منتهَى أَمَـلِهْ
عليـك صدقَ اللسـان مجتهدا — فـإنَّ جُـلَّ الهـلاك في زَلَلِهْ

وقال الطِّرِمَّاح(١): [طويل]

فيـا ربِّ لا تجعـلْ وفـاتيَ إنْ أتتْ — على شَرْجَعٍ(٢) يُعْلَى برُكنٍ(٣) المطارِف
ولكن أجِـزْ يَـومي شهيـداً وعُصْبـةً — يصابون في فـجٍّ من الأرض خائفِ(٤)

(١) هـو الطِّرْمـاح بن حكيم بن الحكم، من طيء، وشاعـر إسلامي فحـل. ولد ونشـأ في الشام، وآنتقـل إلى الكوفـة. تـوفي نحـو ١٢٥ هـ. المختلف والمؤتلف ص ١٤٨ والأعـلام ج ٣ ص ٢٢٥. ولقد ورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٥) بيتان إلى جانب هذه الأبيات الثـلاثة ولكن بآختلاف بعض الكلمات عّما هنا.

(٢) الشَّرْجَعُ: النعش.

(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٥): «بِخُضْرٍ».

(٤) ورد صدر هذا البيت في نفس الصفحة من المصدر السابق هكذا:

ولـكـنْ شـهـيـداً ثـاويـاً فـي عـصـابـة.

عصـائبُ من شتَّى يؤلِّفُ بينهُمْ هُدى اللّهِ نزَّالون عند المواقِف
إذا فارقوا دنياهُمو فارقوا الأذى وصاروا إلى[1] موعودها في المصاحِف
فأُقْتلُ قَعْصاً ثم يُرمَى بأَعْظُمي كضِغْثِ الخَلاَ بين الرياح العواصِف[2]
ويُصبِح لَحْمي بَطْنَ طير[3] مَقِيْلُهُ دُوَينَ السماء في نسورٍ عوائِف[4]

وُهَيب بن الوَرْد قال: اتّخذ نُوْح بيتاً من خُصٍّ[5]، فقيل له: لو بنيْتَ بيتاً؟ فقال: هذا لمن يموت كثيرٌ.

بلغني عن إسماعيل بن عَيّاش عن شُرَحْبيل بن مسلم أن أبا الدَّرداء كان إذا رأى جنازةً قال: إغْدِي فإنّا رائحون، أو قال: روحي فإنا غادون. وهذا مثل قول لَبِيْد[6]: [طويل]

وإنا وإخواناً لنا قد تتابعوا لكالمغتدي والرائح المتهجِّرِ

بلغني عن وَكِيع عن شَريك عن منصور عن هلال بن إساف قال: ما من

---

(١) في نفس المصدر السابق والصفحة: «إلى موعود ما في».
(٢) ورد عجز هذا البيت في نفس الصفحة من المصدر السابق هكذا:
مُفَرَّقَةً أوصالُها في التنائف
والتنائف: ج تنوفة وهي المفازة. ومات قَعْصاً: أصابته ضربة أو رَجْفة فمات مكانه. والضِّغْثُ: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس.
(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «بطن نَسْرٍ».
(٤) ورد عجز هذا البيت في نفس الصفحة من المصدر السابق هكذا:
بجوِّ السماء في نسورٍ عواكف
والعوائف من الطير: التي تستدير على الشيء أو الماء أو الجِيَف أو التي تحوم عليه تتردّد ولا تمضي تريد الوقوع، مفردها عَوْف.
(٥) الخُصُّ: القصب؛ ويقال البيت من القصب كبيت دود القزّ أو البيت يُسْقَفُ بخشبة، والجمع خِصاص وخُصُوْص.
(٦) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ١٤٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب. كما سيذكر بيته في ص ٦١ من الجزء الثالث.

مولود يولد إلا وفي سرّته من تُربة الأرض التي يموت فيها. قال الأصمعيّ: أوّل شعر قيل في ذمّ الدنيا قول آبن خذّاق[١]: [بسيط]

هل للفتى من بناتِ الدهر[٢] من راقي ... أم هل له من حِمَام الموت من واقي؟
قد رجَّلوني وما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ ... وألبسوني ثياباً غيرَ أخلاقِ[٣]
وطيَّبوني وقالوا إيّما رجلٍ ... وأدرجوني كأنّي طيُّ مخراقِ[٤]
هوِّنْ عليك ولا تُولَعْ بإشفاقِ ... فإنما مالُنا للوارث الباقي

محمد بن فُضَيل عن عُبيد الله بن عُمَير قال: جاء رجل إلى النبيّ عليه السلام فقال: يا نبيَّ الله، مالي لا أحبُّ الموت؟ فقال له: «هل لك مال»؟ قال: نعم؛ قال: «قدِّمْه بين يديك»؛ قال: لا أُطيْق ذلك؛ قال: فقال النبيُّ عليه السلام: «إنّ المرءَ مع ماله إنْ قدَّمَهُ أحبَّ أن يَلْحَقَ به وإن أخَّره أحَبَّ أن يتخلّف معه».

المحاربيّ عن عبد الملك بن عُمَير قال: قيل للربيع بن خَيْثم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: أنظِروني؛ ثم فكر فقال: ﴿وَعَاداً وثَمُودًا وأصحابَ الرَّسِّ وقُرُوناً بينَ ذلكَ كثيراً﴾[٥] قد كانت فيهم أطباءُ، فما أرى المداوِي بَقي ولا المُداوَى؛ هلك الناعتُ والمنعوتُ له، لا تدعوا لي طبيباً.

(١) لم أقف على ترجمة له، ولكن ورد آسمه في لسان العرب مادة (خذق) دون أن يترجم له.

(٢) بنات الدهر: شدائده.

(٣) رَجَّلوني: سَرَّحوا شعري. والشَّعَثُ: الشعر الأشعث أي المتلبِّدُ. وثياب غير أخلاق: ثياب جديدة؛ يقال: ثوبٌ أخرقٌ كما يقال: ثيابٌ أخلاقٌ أي بالية، من خَلِقَ الثوبُ وخَلُقَ: بلي.

(٤) المِخْراقُ: المنديل يُلَفُّ ليُضْرَبَ به، والجمع مخاريق.

(٥) سورة الفُرْقان ٢٥، الآية رقم ٣٨. وعاد قوم هود. وثمود قوم صالح. وأصحاب الرَّسِّ: اسم بئر وأصحابه قوم شعيب كانوا قعوداً حولها فآنهارتْ بهم وبمنازلهم. وقروناً: أقواماً. وبين ذلك كثيراً: أي بين عاد وأصحاب الرس، والمعنى: أهْلَكْنا من الأمم أضعاف من ذكرنا؛ لأنهم كذبوا الأنبياء والمرسلين. راجع التفسير المبين.

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال: كان عمر بن عبد العزيز ليس له هِجِّيْرِي[١] إلا أن يقول: [طويل]

تُسَـرُّ بمـا يَبْلَى وتفـرَحُ بـالمنى كما اْغترَّ باللذّاتِ في النوم حالمُ
نهـارُك، يا مغـرورُ، سهـوٌ وغَفْلَةٌ وليلُك نـومٌ والـردَى لـك لازمُ
وَسَعْيُـك فيمـا سـوف تكـره غِبَّـهُ كـذلك في الـدنيا تعيشُ البهـائمُ

كم من مستقبِـلٍ يومـا ليس بمستكمله، ومنتظِرٍ غـدا ليس من أجله؛ لو رأيتم الأجل ومسيرَه، وبغضتم اْلأملَ وغرورَه[٢]. [كامل]

لا يلبث القُـرَنـاءُ أن يتفـرّقـوا ليـلٌ يَكُـرُّ عليهـمـو ونهـارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وَرْد عن سالم ابن بَشير بن حَجَل عن أبي هريرة: أنه بكى في مرضه فقال: أمَا إنّي لا أبكي على دنياكم ولكنّي أبكي على بعد سفري وقلّة زادي، وأني أمسيْتُ في صُعودٍ مهبِطُه على جنةٍ أو نار، ولا أدري على أيِّهما يؤخذ بي!.

أبو جَنَابٍ قال: لما اْحتُضِـر معاذٌ قـال لجاريتـه: ويحكِ! هـل أصبحنا؟ قالت: لا؛ ثم تركها ساعـةً ثم قال لهـا: أنظُري! فقـالت: نعم؛ فقال: أعـوذ بالله من صباح إلى النار! ثم قال: مرحبا بالموت، مرحبا بزائر جاء على فاقـةٍ، لا أفلَح مَنْ نَدِم! اللهمَّ إنك تعلم أنّي لم أكن أُحِبُّ البقـاءَ في الدنيـا لكَرْي[٣] الأنهـارِ ولا لغرس الأشجـارِ، ولكن كنْتُ أُحبُّ البقاءَ لمكـابدة الليـل الطويـل ولظمأ الهواجر في الحرِّ الشديد ولمزاحمةِ العلماءِ بالرُّكَبِ في حِلَق الذِّكر

(١) الهِجِّيْرِيَ: الدأب والعادة.
(٢) هذا البيت لجرير قالـه في أمرأتـه مع بيت آخـر وردا في صحيفة ٣١٦ من هـذا الجزء. والقُـرَناء: ج قرين وهو الزوج.
(٣) كَرَى النهرَ يَكْريْه: حفر فيه حفرة جديدة.

أبو اليَقْظان قال: لما آحتُضِر عمرُو بن العاص جعل يدَه في موضع الغل من عنقه ثم قال: اللهمَّ إنك أمرْتَنا ففرَّطْنا، ونَهيتَنا فركِبْنا، اللهمَّ إنه لا يسَعُنا إلا رحمتُك؛ فلم يزل ذلك هِجِّيرَاه حتى قُبِضَ.

قيل لآزاذ مَرْد بن الهِزْبِذ حين آحتُضِر؛ ما حالُك؟ فقال: ما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد، وينزلُ حفرةً من الأرض مُوحِشةً بلا مؤنس، ويَقْدَمُ على ملكٍ جبّارٍ قد قَدّم إليه العذرَ بلا حُجّة!

حدّثني عَبْدَةُ الصفَّارُ قال: حدّثني العَلاء بن الفضل قال: حدّثني محمد ابن إسماعيل عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه قال: سمعْتُ أميّةَ بن أبي الصَّلْت عند وفاته وأُغميَ عليه طويلاً ثم أفاق، ورفع رأسه إلى سقف البيت وقال: لبيّكما لبيّكما، ها أنذا لديكما، لا عشيرتي تَحميني، ولا مالي يَفديني، ثم أُغميَ عليه طويلاً ثم أفاق فقال: [خفيف]

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دهرا صائرٌ مرّةً إلى أنْ يزولا
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرْعَى الوُعُولا

ثم فاضت نفسُه.

الحكَم بن عثمان قال: قال المنصور عند موته: اللهمَّ إن كنْتَ تعلمَ أني قد آرتكبْتُ الأمورَ العظامَ جُرأَةً منّي عليك، فإنك تعلم أني قد أطعْتُك في أحبّ الأشياء إليك شهادةِ أن لا إله إلا أنت، مَنّاً مِنْك لا مَنّاً عليك. وكان سببُ إحرامه من الخضراء[1] أنه كان يوماً نائماً، فأتاه آتٍ في منامه فقال: [طويل]

كأنّي بهذا القصر قد بادَ أهلُه وعُرِّيَ منه أهلُه ومنازلُه

(١) الخضراء: السماء.

وصار عميدُ القوم من بعد نعمةٍ إلى جَدث تُبنَى عليه جنادِلُهْ
فلم يَبْقَ إلا رَسْمُهُ وحديثُه تُبكّي عليه مُعْوِلاتٍ حلائلُهْ

فاستيقظ مرعوباً ثم نام فأتاه لآتي فقال: [طويل]

أبا جعفرٍ، حانت وفاتُك وانقضتْ سنُوكَ وأمرُ الله لا بدّ واقعُ
فهل كاهنٌ أعددْتَه أو منجِّم أبا جعفرٍ عنك المنيةَ دافعُ

فقال: يا ربيع، ائتني بطَهوري، فقام واغتسل وصلّى ولبّى وتجهّز للحجّ، فلما صار في الثلث الأوّل اشتدّت علّته، فجعل يقول: يا ربيع، ألْقِني في حرم الله، فمات ببئر ميمون[1].

حدّثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال: قال الربيع بن بَرَّة: كنتُ بالشام فسمعْتُ رجلاً وهو في الموت يقال له: قل لا إله إلا الله، فقال: اشربْ واسقني. ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له: قل لا إلهَ إلا اللَّهُ؛ فقال: ده يا ذده، وده دوازده[2]. وقيل لرجل بالبصرة: قل لا إله إلا الله؛ قال: [بسيط]

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقد لَغِبَتْ كيف الطريقُ إلى حمَّام مِنجابِ[3]

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن معمر عن أبيه قال: لقِّنْ مَيِّتَك، فإذا قاله فَدَعْهُ يتكلَّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه.

---

(١) بئر ميمون بئر بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرميّ.
(٢) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها: عشرة أحد عشر، ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر. وهي كلمات أجراها على لسانه هذيان الإحتضار.
(٣) حَمَّامُ مِنْجاب (بكسر الميم وسكون النون) ينسب إلى مِنْجاب بن راشد الضبّي. ولَغِبَتْ: تعبت وأعْيَتْ أشدَّ الإعياء.

قال مالك بن ضيغم: لما آحتُضِر أبي قلنا لـه: ألا تُوصِي؟ قـال: بلى، أُوصيكم بمـا أوصى به إبـراهيمُ بنيه ويعقـوبُ: ﴿يَا بَنِّي إنَّ آللَّهَ آصْـطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُـوتُنَّ إلاّ وأنتُم مُسْلِمُونَ﴾(١) وأوصيكم بصلة الـرحم وحسنِ الجوار وفعلِ ما آستطعتم من المعروف، وآدفنوني مع المساكين.

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه: كيف تَجِـدُك؟ قال: في المـوت؛ قال: لأن تكونَ في ميزاني أحبّ إليَّ من أن أكون في ميزانـك، قال: وأنـا والله لأن يكون ما تُحبّ أَحَبّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبّ.

احتضر سيبويـه النحويّ فـوضع رأسـه في حجر أخيـه فقطَرت قَـطرةٌ من دموعِ أخيه على خدّه، فأفاق من غشيته وقال: [طويل]

أُخَيَّين كـنّـا فـرَّق الـدهْـرُ بيـنـنـا ... إلى الأمد الأقصى ومَنْ يأمن الدهرا؟

أبـو أسامـة عن سليمان بن المغيـرة عن حميد بن هـلال: قيل لهَـرِم بن حِبّان: أَوْصِ؛ فقال: قد صدَقَتْني نفسي في الحياة، ما لي شيء أُوصِي فيه، ولكن أُوصيكم بخواتيم سورة النحل.

قال الشاعر: [منسرح]

مـا آرتـدَّ طـرفُ آمـرئٍ بلحـظتِـهِ ... إلَّا وشـيءُ يـمـوتُ مـن جـسـدِهْ

وقال آخر: [بيسط]

المـرء يشقَى بمـا يسعَى لـوارثـه ... وآلقَبْـرُ وارثُ مـا يسعى لـه الـرجُـلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاويـة عن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيّان التيميّ عن أبيه قال: أَوصَى الربيعُ بن خيثم وأشهدَ على نفسه وكفَى بالله

---

(١) سورة البقرة ٢، آيـة ١٣٢. ومعنى الآية: إن الله أعـطاكم صفوة الأديـان، وهو دين الإسـلام فاثبتوا عليه حتى الموت.

شهيدا وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً: إني رَضِيْت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً، وأُوصِي نفسي، ومن أطاعني أن يَعْبُدَ الله في العابدين ويحمَده في الحامدين وينصحَ لجماعة المسلمين؛ وأَوصَى أهله: أَلَّا تُشعِروا بي أحداً وسُلُّوني إلى ربّي سَلاً.

حدّثني محمد بن أحمد بن يونس قال: سمعتُ عمر بن جرير المهاجريّ يقول: لما مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قال لأصحابه: الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به بارّاً)؛ فسمعها الشيخُ فقال: أَنّي أضيع واللَّهُ حيٌّ لا يموت؟ فلما واراه الترابَ وقف على قبره وقال: رحمك الله يا ذرّ! ما علينا بعدك من خصاصةٍ وما بنا إلى أحدٍ مع الله حاجةٌ، وما يسرُّني أنِّي كنت المقدَّمَ قبلَك، ولولا هولُ المطَّلَع لتمنَّيْتُ أن أكون مكانَك، لقد شغلني الحزنُ لك عن الحزن عليك، فيا ليت شعري ما ذا قلْتَ وما قيل لك! ثم رفع رأسَه إلى السماء فقال: اللهمَّ إنّي قد وهبْتُ حقيِّ فيما بيني وبينه له، فَهَبْ حقَّك فيما بينك وبينه له. ثم قال عند آنصرافه: مضينا وتركناك، ولو أَقَمنا ما نفعناك.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا شُرَيح بن النُعمان عن عبد العزيز بن أبي سَلَمة الماجِشُون عن عبد الواحد بن أبي عَوْن عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «تُوفِّي رسولُ الله ﷺ فوالله لو نزل بآلجبالِ الراسياتِ ما نزل بأبي لهاضَها[1]، إشرأبَّ النفاقُ بالمدينة وآرتدّت العربُ، فوالله ما آختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغَنائها في الإسلام». وكانت مع هذا تقول: «من رأى عمرَ بن الخطاب عرفَ أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسلام، كان، والله، أَحْوَزِيّاً[2] نسيجَ وحدِه، قد أعدّ للأمور أقرانَها». وقالت عند قبره:

(١) هاضها: كسرها؛ يقال: هاض فلانٌ العظَم: كسره بعد الجبور، وهاض الطائرُ: سلح.

(٢) الأَحْوزيُّ: الحسن السياقة للأمور.

«رحِمكَ الله يا أبتِ! لقد قُمْتَ بالدين حين وهي شَعْبُه[1] وتفاقم صَدْعُه ورجفتْ جوانبُه؛ انقبَضْتَ مما أصغَوْا إليه[2]، وشمَّرْتَ[3] فيما وَنُوا فيه واستخففْتَ من دنياك ما استوطنوا وصغَّرْتَ منها ما عظَّموا ورعَيْتَ دينك فيما أغفلوا، أطالوا عِنان الأمن واقتعدْتَ مطِيَّ الحذر، ولم تهضِمْ دينك ولم تَشِنْ غدَك ففاز عند المساهمة قِدْحُك وخفَّ مما استوزروا ظهرُك». وقالت أيضاً عند قبره: «نضَّر الله وجهك يا أبتِ! فلقد كنتَ للدنيا مُذِلّاً بإدبارك عنها، وللآخرة معِزا بإقبالك عليها؛ ولئن كان أجلَّ الرزايا بعد رسول الله ﷺ، رُزْؤك وأكبرَ المصائبِ فَقْدُك، إنَّ كتابَ الله لَيَعِدُ بجميلِ العزاءِ عند أحسنِ العَوضِ منك، فأنا أتنجَّز من الله مَوعودَه فيك بالصبر عليك، واستعيضُه منك بالاستغفار لك؛ عليك سلامُ الله ورحمتُه، توديعَ غير قاليةٍ لحياتك ولا زاريةٍ على القضاء فيك».

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن: «رحِمكَ اللَّهُ أبا محمد! إن كنتَ لَتُباصِرُ الحقَّ مَظَانَّه، وتُؤثِر اللَّهَ عند مَداحض[4] الباطِل في مواطن التقيّة بحسن الرويّة، وتستشِفُّ جليلَ مَعاظم الدنيا بعينٍ لها حاقرةٍ، وتُفيضُ عليها يداً ظاهرةَ الأطرافِ نقيَّةَ الأسرَّةِ[5]، وتردَعُ بادرةَ غربِ أعدائك بأيسر المؤونة عليك؛ ولا غَرْوَ وأنت ابن سلالة النبوّة ورضيعُ لِبان الحكمةِ؛ فإلى رَوْح وريحانٍ وجنَّةِ نعيم؛ أعظمَ اللَّهُ لنا ولكم الأجرَ عليه، ووهبَ لنا ولكم السّلوةَ

(١) وَهَى ووهِيَ شعبه: تمزّق وتفرّق جمعه.
(٢) أصْغَوا إليه: مالوا إليه.
(٣) شَمَّر: جدَّ.
(٤) المداحض: ج مَدْحَضَة وهي المزلّة؛ يقال: هذا مَدْحضة القوم أي مَزَلَّتهم.
(٥) الأسرَّةُ: ج سِرار وهي خطوط الكف والجبهة.

وحُسْنَ الأُسَى[1] عنه».

حدّثني عبد الرحمن بن الحسين السعيديّ عن محمد بن مُصْعَب أنَّ آبن السمَّاك قال يوم مات داودُ الطائيّ في كلامٍ له: إن داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته، فأعشَى بصرُ القلب بصرَ العين، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجَبون وهو منكم يعجَب، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلَتِ الدنيا عقولَكم وأماتت بحبّها قلوبَكم آستوحش منكم، فكنْتُ إذا نظرتُ إليه نظرت إلى حيٍّ وسطَ أمواتٍ. يا داود، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك! أهَنْتَ نفسَكْ وإنما تريد إكرامَها، وأتعَبتَها، وإنما تريد راحتَها، أخشنْتَ المطعم وإنما تريد طِيْبَه وأخشنْتَ الملبسَ وإنما تريد لِيْنَه، ثم أَمَتَّ نفسَك قبل أن تموتَ، وقبَرْتَها قبلَ أن تُقْبَر، وعذَّبْتها ولمّا تُعذَّبْ، وأغنيْتَها عن الدنيا لكيلا تُذكَر، رغبتْ نفْسُك عن الدنيا فلم تَرهَا لك قدْراً إلى الآخرة، فما أظنُّك إلا وقد ظَفِرْت بما طالبْتَ؛ كان سيماك في سرِّك ولم يكن سيماك في علانيتك، تفقَّهْتَ في دينك وتركْتَ الناس يُغنُّون، وسمعْتَ الحديثَ وتركتهم يُحدِّثُون، وخَرِسْتَ عن القول وتركْتَهُم ينطقون، لا تَحسُد الأخيارَ، ولا تعيبُ الأشرارَ، ولا تقبل من السلطان عطيّة، ولا من الإخوان هدّية؛ آنسُ ما تكون إذا كنْتَ بالله خالياً، وأوحشُ ما تكون آنسُ ما يكون الناس؛ فمن سمِع بمثلك وصبرَ صبرَك وعزَم عزمَك! لا أحسَبُك إلا وقد أتعبْتَ العابدين بعدَك، سجنْتَ نفسَك في بيتك فلا مُحدِّثَ لك ولا جليسَ معك ولا فراشَ تحتك ولا سترَ على بابك ولا قُلَّةَ يُبَرَّدُ فيها ماؤك ولا صحفةَ يكون فيها غَداؤك وعَشاؤك، مِطْهَرَتُك قلبُك

(١) الأَسَى: ج أُسْوَة وهي ما يأتسي به الحزين أي يَتَعَزَّى.

وقَصْعتُك تَوْرُك[١]. داود، ما كنْتَ تشتهي من الماء بارِدَه ولا من الطعام طيِّبَهُ ولا من اللباس ليِّنَه، بلى! ولكن زَهِدْتَ فيه لما بين يديك؛ فما أصغرَ ما بذلْتَ، وما أحقرَ ما تركْتَ في جنب ما أمَّلْتَ، فلما مِتَّ شَهرَكَ ربُّك بموتك، وألبسَك رداءَ عملك، وأكثرَ تبعَك، فلو رأيْتَ من حضرَك عَرفْتَ أنَّ ربَّك قد أكرمك وشرَّفك، فَلْتتكلّم اليومَ عشيرتُك بكلِّ ألسنتها، فقد أوضحَ ربُّك فضلَها بك، وواللّهِ لو لم يَدْعُ عبداً إلى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النَّشر من كثرة هذا التّبعَ، لقد كان حقيقا بالإجتهاد والجهد لمن لا يُضيع مُطيعاً ولا ينسى صنيعاً شاكراً ومُثيباً.

وقف محمد بن سليمان على قبر آبنه فقال: اللهمَّ إني أرجوك له وأخافك عليه، فحقق رجائي وآمن خوفي.

مات آبنٌ لأنس بن مالك فقال أنسٌ عند قبره: اللهمَّ عبدُك وولدُ عبدك وقد رُدَّ إليك، فآرأَفْ به وآرحَمْه، وجافِ الأرضَ عن بدنه، وآفتحْ أبوابَ السماء لرُوحه وتقبَّلْه بقولٍ حسنٍ. ثم رجع فأكلَ وشربَ وآدّهن وأصاب من أهله. وقال جرير في آمرأته: [كامل]

لا يلبَثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا ... ليلٌ يَكُرُّ عليهمو ونهارُ[٢]
صلّى الملائكةُ الذين تُخيِّرُوا ... والطيّبون عليكِ والأبرارُ

وقفتْ أعرابيّة على قبر آبنها فقالت: والله ما كان مالُكَ لِعرسك، ولا همُّكَ لنفسك، وما كنْتَ إلا كما قال القائل: [طويل]

رحيبُ الذراع بالتي لا تَشِيْنُه ... وإن كانت الفحشاءُ ضَاقَ بها ذَرْعا[٣]

(١) التَّوْرُ: إناء صغير يُتَوَضَّأ به أو يُشْرَبُ فيه.
(٢) ورد هذا البيت دون الآخر في صحيفة ٣٠٩ من هذا الجزء.
(٣) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٣) كما ورد بالتفصيل خبر هذه المرأة في نفس

حدّثني محمد بن داود عن الصَّلْت بن مسعود قال: كان سفيان بن عُيَينة يستحسن شعرَ عديّ بن زيد[١]: [خفيف]

أين أهلُ الديار من قوم ِ نوح ٍ ثم عادٌ من بعدهمْ وثمُوْدُ؟
بينما هُمْ على الأسرَّة والأنْـ ـماط أفضتْ إلى التراب الخدودُ
ثم لم يَنْقَضِ الحديثُ ولكن بعد ذال الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطِبّاءُ بعدَهُمْ لَحِقُوْهُمْ ضلَّ عنهمْ سَعُوطُهُمْ واللَّدُود[٢]
وصحيحٌ أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

أخذه عليّ بن الجهم[٣] فقال: [كامل]

كم من عليل قد تخطّاه الردى فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ

حَدّثني عَبْدة بن عبد الله قال: أخبرنا عُبَيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عُمَير عن رِبْعِيّ بن حِراش قال: أتيْتُ أهلي فقيل لي: مات أخوك، فوجدْتُ أخي مُسَجًّى عليه بثوب، فأنا عند رأسه أترحَّم عليه وأدعو له إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال: السلام عليكم، فقلنا: وعليكَ السلام، سبحان الله! بعد الموت! فقال: إني تُلقِّيْتُ بَروْح ٍ ورَيحان وربٍّ غيرِ غضبان، وكساني ثياباً من سندس ٍ واسْتَبْرَق[٤]، وإني وجدْتُ الأمرَ

= المصدر والصفحة.

(١) هو عَدِيُّ بن الرِّقاع، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٥٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) السَّعُوْط: الدواء الذي يُصَبُّ في الأنف. واللَّدُوْدُ: ما يُصَبُّ من الداء في أحد شِقَّيْ الفم، والجمع ألِدَّةٌ.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٠١ من هذا الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) الإسْتَبْرَقُ: الديباج الغليظ أو ديباج يُعْمل بالذهب أو ثياب حرير صِفاقٌ نحو الديباج، معرَّب إسْتَرْوَه.

أيسرَ مما تظنّون ولا تتّكِلوا؛ إني آستأذنْتُ ربيّ أن أخبركم وأبشّركم، احملوني إلى رسول الله، فقد عُهِد إليّ ألاّ أبْرَحَ حتى ألقاه ثم طَفِيء[1].

حدّثني أبو سهل عن عليّ بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة إبن زاذان عن ثابت أنَّ مُطرِّفا كان يغدو على دابّته بين المقام فأغفى فإذا أهلُ القبور جلوسٌ على أشفاء[2] قبورهم يقولون: هذا مُطَرِّفٌ يروح إلى الجُمعة؛ قلتُ: هل تعرفون يومَ الجمعة؟ قالوا: نعم، وما تقول الطَيرُ في جوف السماء، يقولون: سلامٌ، يومٌ صالحٌ.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا سُفيان بن عُيَينة عن أبي الزُّبير عن جابر قال: لما أراد معاوية أن تَجرِيَ العينُ التي حفرها ـ قال سفيان: تُسمَّى عينَ أبي زياد ـ نادَوْا بالمدينة: من كان له قتيلٌ فليأتِ قتيلَه؛ قال جابر: فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابا يتثَنّون، وأصابت المِسحَاة رِجْلَ رَجُلٍ منهم فآنفطَرَتْ[3] دماً. قال أبو سعيد الخدريّ: لا يُنكِرُ بعدَ هذا مُنكِرٌ أبداً.

حدّثني محمد بن عُبيد قال: حدّثنا آبن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عُبَيد بن عُمَير قال: أهلُ القبور يتوَكَّفُون[4] الأخبارَ فإذا أتاهم المَيْتُ سألوه: ما فعل فلانٌ؟ فيقول: ألم يأتكم! فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، سُلِكَ به غيرُ سبيلنا.

حدّثني عبد الرحمن العَبْديّ عن جعفر بن أبي جعفر قال: حدّثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صَبِيح قال: شهِدْتُ ثابتاً البُنَانيّ يوم مات وشهِده

---

(١) طَفِيء: همد وسكن.
(٢) أشْفاءُ: ج شَفَا وهو حرف كل شيء وحَدُّه.
(٣) انفطرت دماً: سالت.
(٤) يَتوكَّفُوْن الإخبارَ: ينتظرونها ويسألون عنها.

أهلُ البَصرة، فدخلْتُ قبرَه أنا وحُمَيْدٌ الطويلُ وأبو جعفر حسن مما يلي رأسَه فلما ذهبْتُ أُسَوِّي عليه اللَّبِنةَ سقطَتْ من يدي فلم أرَ في اللحد أحداً، وأصغى إليَّ حُميدٌ أن آختطِفَ صاحبُنا وضجَّ الناسُ فسوَّينا على اللحد وَحَثَوْنا الترابَ؛ فلم يكن لحُميدٍ هِمَّةٌ حتى أتى سليمانَ بن عليّ وهو أميرٌ على البَصرة فأخبره، فقال: ما يُنكُر للَّهِ قدرةٌ! إلا أني أُنكِر أن يكون أحدٌ من أهل زمانِنا يُفْعَلُ هذا به، فهل علم به أحدٌ سواك؟ قال: نعم، الربيع بن صَبيح وحَسَن؛ قال: عَدْلان مَرْضِيّان، فبعث أمناءَ جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره.

وحدّثني أيضاً عن أعرابيّة كان يُقال لها أمّ غَسّان مكفوفةٍ وكانت تعيشُ بمغزَلها وتقول: الحمدُ لله على ما قضى وآرتضى، رضيْتُ من الله ما رضِيَ لي، وأستعينُ اللَّهَ على بيتٍ ضيِّقِ الفِناء قليلِ الكُواءِ[1] وأستعين الله على ما يُطالعَ من نواحيه. وماتت جارةٌ لها فقيل لها: ما فَعَلَتْ جارتُك؟ فقالت: [متقارب]

تَقَسَّمَ جاراتُها بَيْتَها ... وصارت إلى بيتها الأتلدِ[2]

وقالت يوماً: إنْ تقبَّلَ اللَّهُ مني صلاةً لم يعذِّبْني، فقيل لها: كيف ذلك؟ قالت: لأنّ الله، عزَّ وجلَّ، لا يثني في رحمتِه وحلمِهِ، قال: وكنتُ سمعْتُ حديثَ معاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخلَ الجنّةَ» ولم أدْرِ ما تفسيره حتى سمعْتُ أمّ غسانَ تقول هذا، فعرفت تأويلَه.

الكِبَرُ والمَشِيب

حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطيّة عن

(١) الكواء (بضم الكاف وكسرها): ج كُوَّة وهي الخَرْقُ في الحائط.
(٢) الأَتْلَدُ: القديم، وهو نقيض الطارف.

شَهْر بن حَوْشَب عن عمرو بن عَنْبَسَةَ قال: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ شابَ شَيبةً في الإسلام كانت له نوراً يومَ القيامة ما لم يَخْضِبْها أو يَنتِفْها».

أبوحاتم عن الأصمعيّ عن شيخ من بني فَزارة قال: مررْتُ بالبادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شفِيرِ قبرٍ، وإذا في القبور رجالٌ كأنهم الرِّماحُ يدفِنُون رجُلاً والشيخُ يقول: [رجز]

أُحْثُوا على الدَّيْسَمِ من بَرْد الثَّرَى قِدْماً أبَى ربُّك إلا ما تَرَى[1]

فقلت له: مَن المَيتُ؟ فقال: إبني، فقلت له: مَن الذين يَدفِنونه؟ قال: بنوه.

حدّثنا أبو عبد الرحمن قال: دخل يونس بن حبيب المسجدَ يُهادَى[2] بين آثنين من الكبر فقال له رجلٌ كان يَتَّهِمه على مودّته: بلغْتَ ما أرى يا أبا عبد الرحمن! قال: هو ما تَرَى فلا بَلَغْتَه. ونحوه قولُ الشاعر: [مخلع البسيط]

يا عائبَ الشَّيْبِ لا بَلَغْتَه

ويقال في الزبور: «من بلغ السبعينَ آشتكَى من غير عِلّة». وقال محمد ابن حسّان النبطِيّ: لا تسأل نفسَك العام ما أعطتْكَ في العام الماضي.

رأى ضرار بن عمرٍو الضبيّ له ثلاثةَ عشر ذكراً قد بلغوا فقال: من سرّه بنوه ساءته نفسُه.

قال آبن أبي فَنَنٍ: [بسيط]

---

(١) الدَّيْسَمُ: الثعلب أو ولد الذئب من الكلبة. وفي اللسان مادة (دسم) ينسب ابن منظور هذا البيت لابن دريد على النحو التالي:

أَحْثي على دَيْسَمَ من بَرْد الثَّرَى أبى قضاءُ الله إلّا ما تَرَى

ودَيْسَمُ هنا آسمٌ.

(٢) يُهادَى: يمشي بينهما معتمداً عليهما لضعفه.

من عاش أخلقتِ الأيامُ جِدَّته وخانه الثِّقتانِ السَّمْعُ والبَصَرُ
قالت عَهِدْتُك مجنوناً فقلت لها إنَّ الشبابَ جنونٌ بُرْؤه[1] الكِبَرُ

أبو عبيدة قال: قيل لشيخ: ما بقيَ منك؟ قال: يسبِقُني مَنْ بين يَديَّ، ويُدرِكني مَنْ خَلْفي، وأنسى الحديثَ، وأذكُر القديمَ، وأنعُسُ في الملا، وأسهَرُ في الخلا، وإذا قمْتُ قُربتِ الأرضُ منّي، وإذا قعدْتُ تباعدتْ عنّي؛ قال الشاعر: [بسيط]

قالت عَهِدْتُك مجنوناً فقلتُ لها إنَّ الشبابَ جنونٌ بُرْؤه الكِبَرُ[2]

قال عبد الملك بن مروان للعُريان[3] بن الهَيثم: كيف تَجِدُك؟[4] قال: أَجِدُني قد ٱبيضَّ منّي ما كنْتُ أُحِبُّ أن يسودَّ وٱسودَّ منّي ما كنْتُ أُحبُّ أنْ يَبْيَضَّ وٱشتدَّ منّي ما أُحبُّ أن يلين ولان منّي ما أُحِبّ أنْ يشتدَّ وقال: [رجز]

سَلْني أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ نومُ العِشاء وسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النوم إذا الليلُ ٱعتكَرْ وقِلّةُ الطعم إذا الزادُ حَضَرْ
وسرعةُ الطَّرْفِ وتَحميجُ النظرْ وتركُكَ الحسناءَ في قُبْلِ الطُّهُرْ[5]
والناس يَبْلَون كما تَبلَى الشَّجَرْ

وقال حميد بن ثور[6]: [طويل]

(١) بُرْؤه: سفاؤه.
(٢) هو نفس بيت ابن أبي فَنَن السابق الذكر.
(٣) لم أقف للعريان على ترجمة.
(٤) أي كيف تجد نفسك.
(٥) التحميج: تصغير العين لتمكينها من النظر أو إدامة النظر مع فتح العينين. والقُبُلُ: نقيض الدُّبُر، سمّي به لأن صاحبه يقابل به غيره. والطُّهر: نقيض النجاسة؛ طَهُرَت المرأةُ وطَهَرَتْ: إنقطع دمها وٱغتسلت من الحيض وغيره.
(٦) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٨٢ من هذا الجزء، كما تقدم ذكر بيته الشعري في صحيفة ١٩١ من الجزء المذكور.

أرى بصري قد رابني بعدَ صحّة ... وحَسْبُك داءً أن تصِحَّ وتَسلما

وقال الكميْتُ[1]: [منسرح]

لا تَغبطِ المرءَ أنْ يُقالَ له ... أمسى فلانٌ لِسِنِّه حَكَما

إنْ سرَّه طولُ عمره فلقد ... أضحَى على الوجه طولُ ما سَلما

وقال النَّمِر بن تَوْلب[2]: [طويل]

يَوَدّ الفتى طولَ السلامة والغنَى ... فكيف تُرى طولَ السلامةِ يَفعَلُ؟

وقال آخر: [كامل]

كانت قناتي لا تَلينُ لغامزٍ ... فألأنَها الإصباحُ والإمساءُ

ودعوْتُ ربِّي بالسلامة جاهداً ... لِيُصِحَّني فإذا السّلامةُ داءُ[3]

وقال أبو العتاهية: [رجز]

أسرعَ في نقص آمرىءٍ تمامُهُ[4]

وقال عبد الحميد الكاتب[5]: [متقارب]

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٢٣٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ٣ ص ٥٨) ونسبهما المحقق لعمرو بن قميئة، معتمداً في ذلك على كتاب زهر الآداب. وقد ترجم له في المؤتلف والمختلف ص ١٦٨ فقال: هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، الشاعر المشهور. دخل بلد الروم مع امرىء القيس بن جحر فهلك فقيل له عمرو الضائع.

(٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٥٨) أن هذا الشعر يروي أيضاً للقُطاميّ.

(٥) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، عالم بالأداب وأحد أئمة الكتّاب عرف بالكاتب وضرب به المثل في البلاغة. إختص بمزوان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق. ويقال: «فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. قتل هو ومروان بن محمد على يد العباسيين سنة ١٣٢ هـ. راجع الأعلام ج ٣ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

تــرحَّـلَ مــا ليس بـالقــافِـل وأعْـقَبَ مــا لـيس بــالآئــلِ
فلهفـي من الـخلَف الـنــازل ولهفي على السَّلَف الـراحـلِ
أبـكِّي عـلى ذا وأبـكـي لــذا بكــاءَ المـولَّـهـة الشـاكـلِ
تُبَكِّي مِن آبْـنٍ لهــا قــاطـعٍ وتَبْكي على آبنٍ لهــا واصـلِ
تقضَّتْ غَـوايـاتُ سُكـر الصبا وردَّ التُّقـى عَنْـدَ الـبـاطـلِ

محمد بن سلّام الجُمحِيّ عن عبد القاهر بن السريّ قال: كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم: إني نظرتُ في سنِّك فوجدتُك لِدَتي[1] وقد بلغت الخمسين وإنَّ آمرأً سار إلى منهل خمسين عاماً لقريبٌ منه. فسمع به الحجاج ابن يوسف التيميّ فقال: [طويل]

إذا كانت السبعون سِنَّك لم يكن لــدائــك إلا أنْ تمــوتَ طبـيْبُ
وإنَّ آمـرأً قـد سـار سبعين حِجَّة إلـى منهـلٍ من وِرْده لـقــريبُ
إذا ما خلوْتَ الدهر يوماً فلا تقلْ خـلوْتُ ولكـن قـل عليَّ رقـيـبُ
إذا ما آنقضى القَرْن الذي أنت منهُمُ وخُلِّفْتَ في قَـرْنٍ فـأنت غـريبُ

وقال لبيد[2]: [طويل]

أليس ورائي إنْ تـراخـتْ مَنِيَّتي لُزُومُ العصا تُحْنَى عليها الأصابـعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القـرونِ التي مضت[3] أدِبُّ[4] كـأني كلّمـا قمْتُ راكـعُ

وقال آخرون مثله: [وافر]

حنتني حـانيـات الـدهـر حتى كـأني خـاتـل يـدنـو لصيـد

(١) لِدَةُ الرجل: تِرْبُهُ وهو الذي وُلِدَ معك.
(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ١٤٥ من الجزء الأول من هـذا الكتاب. وقـال ابن عبد ربه في العقـد (ج ٢ ص ٧٨) إن لبيد قـال هذا الشعـر عندمـا بلغ من العمر عشـراً ومائـة سنة.
(٣) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٧٨): «التي خلت».
(٤) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٧٨): «أنوء».

وقيل لرجل مِن الحكماء: مالك تُدْمِنُ إمساكَ العصا ولسْت بكبيرٍ ولا مريض؟ فقال: لأذكرَ أني مسافر؛ قال الشاعر: [طويل]

حملْتُ العصالا الضعْفُ أوجبَ حملَها عليّ ولا أني تحنَّيْتُ مِن كبر
ولكنّني ألزمْتُ نفسيَ حَمَلها لأُعلِمها أنَّ المقيْمَ على سَفَرْ

ومرَّ شيخ من العرب بغلامٍ فقال له الغلام: أَحْصَدْتَ[1] يا عمّاه فقال: يا بنيّ، وتُخْتَضَرُوْن[2].

قال الحسنُ في موعظة له: يا معشر الشيوخ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصْنَعُ به؟ قالوا: يُحصد قال: يا معشر الشباب، كم مِنْ زرعٍ لم يبلغ أدركَتْهُ آفةٌ، قال الشاعر: [كامل]

الدّهر أبلاني وما أَبْلَيْتُه والدّهرُ غيّرني وما يَتغيَّرُ
والدّهر قيّدني بخيطٍ مُبْرَمٍ فمشيْتُ فيه وكلُّ يومٍ يَقصُرُ

وقال عُمَارة[3] بن عَقِيل: [طويل]

وأدركْتُ مِلءَ الأرضِ ناسا فأصبحوا كأهل الدّيار قَوَّضوا فتحمَّلوا
وما نحن إلا رُفقةٌ قد ترحَّلت وأخرَى تُقَضِّي حاجَها وتَرَحَّلُ[4]

ذكر أعرابيٌّ الشَّيْبَ فقال: والله لقد كنتُ أُنكر الشعرةَ البيضاء فقد صرْتُ أُنكر السوداء، فيا خير بَدَلٍ ويا شرَّ مبدول. وقال بعض الشعراء: [خفيف]

---

(١) أَحْصَدْتَ: آن لك أن تحصد.

(٢) يُخْتَضَرُوْنَ: تموتون؛ يقال: اختضر الشابُ: مات في شبابه وريعانه كما يُخْتَضَرُ العود. انظر لسان العرب مادة (خضر).

(٣) عُمَارة بن عقيل اليربوعي شاعر فصيح، قدم من اليمامة فمدح خلفاء بني العباس ولا سيما المأمون، وبقي إلى أيام الواثق ومدحه. وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه. توفي سنة ٢٣٩ هـ. راجع معجم الشعراء ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ والأعلام ج ٥ ص ٣٧.

(٤) ورد هذا الشعر في معجم الشعراء ص ٢٤٧ وجاء فيه: «ثم تَرَحَّلُ» بدل «وتَرَحَّل».

شابَ رأسي وما رأيتُ مشيْبَ الـرَّ أسِ إلاّ من فضل شَيْب الفؤادِ
وكذاك القلوب في كلّ بؤسٍ ونعيمٍ طلائعُ الأجسادِ
طال إنكاريَ البياض فإنْ عُـ ـمِرْتُ شيئاً أنكرْتُ لون السوادِ

رأى إياس بن قَتادة شَعرة بيضاءَ في لحيته، فقال: أرى الموتَ يطلبني وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا ربِّ من فُجَاءاتِ الأمور، يا بني سعد، قد وهبْتُ لكم شَبابي فهبوا لي شيبتي، ولزم بيتَه.

قال قيس بن عاصم: الشيب خِطام[1] المنيّة.

قال آخر: الشيبُ بريدُ الحِمام.

قال آخر: الشيب تَوأم الموت.

قال آخر: الشيب تاريخ الموت.

قال آخر: الشيب أوّل مراحل الموت.

قال آخر: الشَّيب تمهيد الحِمام.

قال آخر: الشيب عنوان الكِبَر.

قال عَبِيدُ[2] بن الأبرصَ: [مخلع البسيط]

والشَّيْبُ شيْنٌ لمن يشيب

ويقال: شَيْب الشَّعَر موتُ الشَّعَر، وموتُ الشعَرِ عِلَّةُ موتِ البشر. قال الشاعر: [طويل]

وكان الشباب الغَضُّ لي فيه لذةٌ فَوَقَّرني عنه المشيْبُ وأدَّبا
فسَقْياً ورَعْياً للشبابِ الذي مضى وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا

---

(١) خِطام المنيّة: حبل الموت.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٧٢ من هذا الجزء.

وقال أعرابيٌّ ـ ويقال هي لأبي دُلَف[١] ـ: [بسيط]

في كل يوم من الأيام نابتةٌ كأنما نبتَتْ فيه على بَصَري
لئن قَرَضْتُكِ بالمقراض عن بصري لما قرضْتُكِ عن همِّي ولا فِكري

وقال أعرابيّ: [طويل]

أَرَى الشَّيْبَ مذ جاوزْتُ خمسين دائباً يَدِبُّ دبيْبَ الصبح في غَسَق الظُّلَمْ
هو السُّمُّ إلا أنه غيرُ مُؤلمٍ ولم أَرَ مثلَ الشيب سُمّاً بلا أَلَمْ

وقال آخر[٢]: [كامل]

قَصَر الحوادِثُ[٣] خطوَهُ فتدانَى وحَنَيْنَ صدرَ[٤] قَناتِه فتحَانَى
صحِبَ الزمانَ على آختلاف فُنُونه فأراه منه شِدَّةً ولَيَانَا
ما بالُ شيخٍ[٥] قد تخدَّد لحمُه أنضى[٦] ثلاثَ عمائمٍ ألوانَا
سوداءَ داجيةً[٧] وسَحْقَ مُفَوَّفٍ وأجدَّ أُخرى[٨] بعد ذاك هِجَانَا
ثم المماتُ وراء ذلك كلِّهِ وكأنما يُعْنَى بذاك سِوانَ[٩]

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٦ من ص ١٩٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
(٢) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٥٩) أربعة أبيات من هذا الشعر.
(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «الليالي» بدل «الحوادث».
(٤) في نفس المصدر السابق والصفحة: «قائمَ صُلْبه» بدل «صدر قناته».
(٥) في نفس المصدر السابق والصفحة: «يا من لشيخٍ» بدل «ما بالُ شيخ».
وتخدَّد لحمه: هزل ونقص.
(٦) في نفس المصدر السابق والصفحة: «أفنى» بدل «أنضى» وهما بمعنى واحد؛ أي أَبْلَى وأَخْلَقَ.
(٧) في نفس المصدر السابق والصفحة: «حالكة» بدل «داجية». والسَّحْقُ: الثوب البالي. والمُفَوَّف من البرود: ما فيه خطوط بيض يُشَبَّه به شعر الرأس حين يخالط سواده بياض الشيب أول ما يبدو.
(٨) في نفس المصدر السابق والصفحة: «لوناً» بدل «أخرى». والهِجانُ: الخالص البياض.
(٩) في نفس المصدر السابق والصفحة: ورد صدر هذا البيت هكذا:
والموتُ يأتي بعد ذلك كلِّه.

وقال آخر يذكر الشبابَ: [بسيط]

لما مضى ظاعِناً[1] عنا فودَّعنا ... وكان كالميْتِ لم يترك له عَقِبَا
عُدْنا إلى حالةٍ لا نستطيعُ لها ... وَصْلَ الغواني وعابَ الشيْبُ مَنْ لَعِبا

وقال محمود الورّاق[2]: [مجزوء المتقارب]

بكيْتُ لقُرب الأجلْ ... وبُعْدِ فوات الأملْ
ووافدِ شيْبٍ طَرَا[3] ... بَعُقْب شبابٍ رَحَلْ
شبَابٌ كأنْ لم يكن ... وشيْبٌ كأن لم يَزَلْ
طَوَاكَ بشيرُ البقا[4] ... وجاء بشيرُ الأجَلْ
طَوَى صاحبٌ صاحباً ... كذاك آنتقالُ الدُّوَلْ[5]

وقال أبو الأسود[6] يذمُّ الشبابَ: [طويل]

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا ... وكان كجارٍ بانَ يوماً فوَدّعا
فقلْتُ له فآذهَبْ ذميماً فليتَني ... قتلْتُك عِلماً قبل أن تتصدّعا
جنيْتَ عليّ الذنبَ ثم خذلْتَني ... عليه فبئْسَ الخَلَّتانِ هُمَا معًا
وكنتَ سَراباً ما ضَحَا[7] إذ تركْتَني ... رَهِينةَ ما أجني من الشرِّ أجمعَا

وقال آخر: [كامل]

اسْتَنْكَرَتْ شيبي فقلتُ لها ... ليس المشيبُ بناقصٍ عُمْري

---

(١) ظاعناً: سائراً؛ يقال: ظعن الرجل يَظْعَنُ: سار.
(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٨٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
(٣) طَرَا: أتى من مكان بعيد؛ قيل: أصله طَرَأ بالهمزة.
(٤) طواك: جاوزك. والبقا: البقاء فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.
(٥) وردت هذه الأبيات، خلا الأخير في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤١ - ٤٢).
(٦) هو أبو الأسود الدؤلي وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٧ من هذا الجزء.
(٧) ما ضَحَا: ما بَدَا وظهر.

وتَـنفَّسَتْ بـيْ هِمَّـةُ وَصَـلَتْ أملي بكـلّ رفيعـةِ الـذِّكْـرِ

روى عبـد الله بن حَفْص الطاجِي عن زكـريا بن يحيى بن نـافـع الأزديّ عن أبيه أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اخْضِبُوا بـالسّواد، فـإنه أُنسٌ للنساء وهَيبةٌ للعدوّ. قال عمرُ بن المبارك[1] الخزاعيّ: [مجزوء الرمل]

مَـنْ لأُذْنِي بِـمَـلامِ ولِـكَـفّـي بِـمُـدَامِ
دَقَّ عَـظْمُ الجهـلِ منّي وآنثنى سِنُّ عُـرَامـي[2]
وتمشّى الفَـذُّ مـن شَيـ ـبي إلى الشَّيب التُّؤام[3]
نَـظْمَـكَ الـدُّرَّ إلى الـدُّ رّة فـي سِلْكِ الـنِّـظامِ

وقال أبو العتاهيةِ: [متقارب]

نَعى لـك ظـلَّ الشبـابِ المَشِيْبُ ونـادتْك بـآسم سِواك الخُـطوبُ
فكُنْ مُستعـدّا لـداعي المنـون فـكـلُّ الـذي هـو آتٍ قَـريبُ
وقبلكَ داوَى المـريضَ الـطبيبُ فعـاشَ المـريضُ ومـات الـطبيبُ
يخَـافُ على نفسـه مَـنْ يتـوبُ فكيف تـرى حـال مَن لا يتـوبُ؟

محمدُ بن سلاّم قال: سمعتُ يونَس بن حبيب يقـول: لا يأمنُ مَنْ قـطع في خمسةِ دراهم خيرَ عُضوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غداً.

الدنيا

حـدّثني أبو مسعـود الدارميّ قـال: حـدّثني جَـدّي خِـراشٌ عن أنس بن

---

(١) لم أقف له على ترجمة.
(٢) العُرَامُ: الشدّة والقوة..
(٣) الفَذُّ: الفرد. والتُّؤَامُ: ج تَوْأم، وأصله المولـود مع غيـره في بطن، ويستعـار للمزدوجـات كما وقع في هذا البيت.

مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أصبحت الدنيا همَّه وسَدَمه[1] نَزَع اللَّهُ الغِنَى من قلبه، وصيَّر الفقرَ بين عينيْه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن أصبحتِ الآخرةُ همَّه وسَدَمه نزعَ اللَّهُ الفقْرَ من قلبه وصَيَّر الغِنَى بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغِمةٌ».

حدّثني محمد بن داود قال؛ حدّثنا أبو الربيع عن حمّاد عن عليّ بن زيد عن الحسن أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان: «ما طَعامكَ؟» قال: اللحمُ واللبنُ، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: ثم يصيرُ إلى ما قد عَلِمْتَ، قال: «فإن اللَّهَ ضربَ ما يخرجُ من آبن آدم مثلاً للدّنيا» قال: وكان بشيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه: انطلقوا حتى أُرِيَكم الدّنيا، فيجي فيقفُ بهم على السُّوقِ، وهي يومئذ مَزْبَلَةٌ، فيقول: انظروا إلى عَسَلهم وسَمْنِهم وإلى دَجَاجهم وبطّهم صار إلى ما تَرَوْن.

حدّثني هارون بن موسى قال: حدّثنا محمد بن سعيد القُزويني عن عمر آبن أبي قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرّة قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن قول الله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾[2] فقال: «إذا دخل النورُ القلبَ وآنفسحَ شُرِح لذلك الصدرُ»؛ قالوا: يا نبيّ الله، هل لِذلكَ آيةٌ يُعْرفُ بها؟ قال: «نعم الإنابَةُ إلى دار الخلود والتَّجافي عن دار الغرور والاستعدادُ للموت قبل نُزول الموتِ».

بلغني عن العُتبيّ عن حبيب العَدَويّ عن وهب بن منبِّه قال: رأينا ورقةً يَهفُو بها الريحُ فأرسَلْنا بعضَ الفِتيانِ فأتانا بها فإذا فيها: الدنيا دارُ لا يُسلَمُ منها

---

(١) السَّدَمُ: الولوع بالشيء.

(٢) سورة الأنعام ٦، آية ١٢٥. أي أن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ومن يهتدي إلى الإسلام يأخذ الله بيده.

إلا فيها، ما أخذَ أهلُها منها لها خرجوا منه ثم حُوسِبوا به، وما أخَذَ منهـا أهلُها لغيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه، وكأن قوماً من أهل الدنيا ليسوا من أهلها، هم فيها كمن ليس فيها، عمِلوا بما يُبصِرون وبادَرُوا ما يحذَرون، تتقلّبُ أجسادُهم بين ظهـرَانَيْ أهل الـدنيـا، وتتقلّبُ قلوبهم بين ظهـرانَيْ أهـل الآخـرة، يَـرَوْن الناسَ يُعظّمون وفاةَ أجسامهم وهم أشدّ تعظيماً لموت قلوب أحيائهم. فسألت عن الكلام فلم أجد مَنْ يعرفه.

وقال المسيح عليه السلام: «الدّنيا قنطرةٌ فآعبُرُوها ولا تعمُرُوها»

وفي بعض الكتب: أن الله تعـالى أوحى إلى الـدنيـا «مَنْ خَـدَمَني فآخدُمِيه، ومَنْ خَدَمِك فآستخْدِميه».

قال بعضُ العابدين يَذكُر الدنيا: [طويل]

لقـد غرَّتِ الـدنيا رجـالاً فـأصبحـوا ... بمنـزلـةٍ مـا بعـدهـا مُتـحَـوَّلُ[1]
فـسـاخِطُ أمـرٍ لا يُبَـدَّلُ غـيـرَه ... وراضٍ بـأمـرٍ غـيـرَه سَيُـبَـدَّل
وبـالـغُ أمـرٍ كـان يـأمُـلُ دونـه ... ومختَلَجٌ[2] من دون مـا كـان يـأمُـلُ

وقال آخرُ يذكر الدنيا: [بسيط]

حُتـوفُهـا رَصَـدٌ وعيشُهـا رَنق ... وكَـرُّهـا نَكـدٌ ومُلْكُهَـا دُوَلُ[3]

وقال آخر[4]: [طويل]

(١) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٥).
(٢) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «ومُخْتَرَمٌ» بدل «ومُخْتَلَجٌ».
(٣) رَصَدٌ: مترصِّدة مترقِّبة. ورَنَقٌ: كدر.
(٤) أورد ابن عبد ربه هذا الشعر في العقـد الفريـد (ج ٣ ص ١٧٦) وقال: «ومـا سمعْتُ من صفة الدنيا والسبب الذي يحبها الناسُ لأجله بأبلغ من قول القائل» وذكر البيتين. والمعنى: يريد أن الناس بنو الدنيا وأنهم منها، ولهذا كانت محبَّبة إليهم.

نُراعُ لذكر الموت ساعةَ ذكـره وتَعتَرِض الدنيا فَنَلْهُو ونلعبُ[1]
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنا لغيـرها وما كُنْتَ منه فهو شيء مُحَبَّبُ

وقال يحيى بن خالد: دخلنا في الدنيا دُخولاً أخرجَنَا منها.

ذمَّ رجلٌ الدنيا عند عليّ بن أبي طـالب رضي الله عنه، فقـال عليّ عليه السلام: الدنيـا دارُ صِدقٍ لمن صَـدّقها، ودارُ نَجـاة لمن فَهِم عنها، ودارُ غِنىً لمن تَـزوَّد منها، مَهْبِطُ وحي الله، ومُصلَّى مـلائكته، ومَسجِـدُ أنبيائـه، ومَتْجَرُ أوليائه، رَبِحُـوا منها الـرحمَةَ وآحْتَسبُـوا فيها الجنـةَ؛ فمن ذا يذمُّهـا وقد آذَنَتْ ببينها ونادَتْ بفِراقها وشَبَّهَتْ بسرُورها السّرورَ وببلائهـا البلاءَ تـرغيباً وتـرهيباً؛ فيأيها الذامُّ الدنيا المعلّلُ نفسَه، متى خَدَّعَتْك الدنيا أم متى آستذمَّت[2] إليك؟ أبمصارع آبائك في البِلَى أم بمضاجع أمهاتك في الثَّرى؟ كم مَرّضت بيديك، وعَلَّلت بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستـوصفُ له الأطبـاءَ، غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك.

كان إبراهيم[3] بن أدهم العِجليّ يقول: [طويل]

نُـرَقِّـع دنيـانـا بتَمـزِيق دِيْننـا فـلاديْنُنـايبقَى ولا مـانُـرَقِّـعُ[4]

قال أبو حازم: وما الدنيا! أمّا ما مضى فحُلْمٌ وأمّا ما بقي فَأمانيّ.

قال سفيانُ:

(١) ورد صدر هذا البيت في نفس المصدر السابق والصفحة هكذا:
نُـزاعُ بـذكـر الـمـوت فـي حـيـن ذِكْـرِهِ

(٢) اسْتَذَمَّتْ إليك: فعلت ما تُذَمُّ عليه.

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي زاهد مشهور، تـوفي سنة ١٦١ هـ. الأعـلام ج ١ ص ٣١.

(٤) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٦).

أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء «اتَّخِذِ الدنيا ظِئْراً[١] والآخرةَ أُمّاً».

قال الشعبي: [٢] ما أعلم لنا وللدنيا مثلا إلا ما قال كُثَيِّرٌ. [طويل]

أَسِيئي بنا أو أَحْسِني لا مَلُومَةً لَدَيْنَا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ[٣]

قال بكر بن عبد الله: المستغني عن الدنيا بالدنيا كالمطفىء النارَ بالتِّبْنِ.

قال ابن مسعود: الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها مِن سرورٍ فهو ربح.

قال محمد بن الحنفية: مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانت عليه الدنيا.

وقال بعضُ الحكماء: مَثَلُ الدنيا والآخرةِ مَثَلُ رجل له ضَرَّتان إنْ أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

قال سفيان: ترك لكم الملوكَ الحكمةَ فاتركوا لهم الدنيا.

وقال آخر: إن الدنيا قد استودَقَتْ وأنعظَ الناسُ[٤].

قال وُهَيبُ بن الورد: مَنْ أرادَ الدنيا فَلْيتهيّأ للذلّ.

قيل لمحمد بن واسع: إنك لَترضَى بالدُّون؛ فقال: إنما رضِيَ بالدُّونِ مَنْ رضي بالدنيا.

قيل لعليّ بن الحسين: مَنْ أعظمُ الناس خَطَراً؟ فقال: مَنْ لم يَرَ الدنيا خَطراً لنفسه.

كان يقال: لأَنْ تُطلَبَ الدنيا بأقبحِ ما تُطلَبُ به الدنيا أحسنُ مِنْ أنْ تُطلَبَ بأحسن ما تُطلَبُ به الآخرةُ.

---

(١) الظِئْرُ: العاطفة على ولد غيرها المُرْضِعَةَ له من الناس والإبل.

(٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٦): «وقال الشعبي: ما رأيتُ مَثَلَنا ومَثَلَ الدنيا إلاّ كما قال كُثَيِّر عَزَّة» وأورد البيت المذكور.

(٣) تَقَلَّتْ: تَبَغَّضَتْ، وفيه التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة.

(٤) يقال: وَدَقَتِ الفرسُ تَدِقُ وَدْقاً واستودقت إذا طلبت الفحلَ. وأَنْعَظَ الناسُ: قاموا وانتشروا؛ يقال: أَنْعَظَتِ المرأةُ: شَبِقَتْ واشتهت أن تجامع.

قالتِ آمرأةٌ لبعلها ورأته مهموماً: مِمَّ هَمُّكَ؟ أَبالدّنيا فقد فرغ اللَّهُ منها أم بالآخرة فزادك اللَّهُ همّاً!.

الثوريّ قال: قال المسيحُ: «حبُّ الدنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ والمالُ فيها داءٌ كثيرٌ؛ قيل: ما داؤه؟ قال: لا يَسلمُ صاحبه من الفخر والكبر؛ قيل: وإن سَلم؟ قال: يَشْغَلُه إصلاحُه عن ذكر الله».

بلغني عن محمد بن فُضَيلٍ قال: حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال: يأهل حِمْصَ، مالي أراكم تجمعونَ كثيراً، وتبنُونَ شَديداً، وتأمُلُون بعيداً؟ إنّ مَنْ قبلكم جمعوا كثيراً وبَنَوْا شديداً وأمَلوا بعيداً فصار جمعهم بُورا وصارتْ مساكنُهم قبوراً وأملُهم غُرورا. وفي رواية أخرى: يأهل دمشق، مالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأمُلُون ما لا تُدركون؟ ألا إن عادا وثمودَ كانوا قد ملؤا ما بين بُصرَى وعَدَن أموالاً وأولاداً ونعَماً، فمنْ يَشتَري مِنّي ما تركوا بدرهمين؟

بلغني[1] عن داود بن المحبّر عن عبد الواحد بن الخطّاب قال: أقبلنا قافلين من بلاد الروم نُريدُ البصرةَ، حتى إذا كنا بين الرُّصَافة وحِمْص، سمعْنا[2] صائحاً يصيحُ من بين تلك الرمالِ ـ سَمِعَتْهُ الآذانُ ولم تَرَهُ العيونُ ـ يقول: يا مستورُ يا محفوظُ، اعْقِلْ[3] في سِتْر مَنْ أنتَ! فإن كنتَ لا تعقِلُ مَنْ أنتَ في ستْره فاتّقِ الدنيا فإنها حِمَى الله؛ فإن كنْتَ لا تعقِلُ كيف تتَّقِيها فصَيِّرْها شوكاً ثم آنظر أين تضَعُ قدميكَ منها!.

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٤) بآختصار وآختلاف عما هنا.
(٢) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «سمعنا صوتاً من تلك الجبال، تسمعه آذاننا ولا تُبْصِرُهُ أبصارُنا».
(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «انظرْ» بدل «اعْقِلْ».

قال المأمون[1]: لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أحسَنَتْ أن تصفَ نفسَها صِفَةَ أبي نُواسٍ في هذا البيت: [طويل]

إذا آختبَر الدنيا لَبيبٌ تكشَّفَتْ لـه عن عَدُوٍّ في ثياب صَدِيقِ

قال المسيحُ عليه السلام: «أنا الذي كَفَأْتُ الدنيا على وجهها، فليسَتْ لي زوجةٌ تموتُ ولا بيتٌ يَخرَبُ».

قال أبو العتاهية: [بسيط]

يا مَنْ ترفَّعَ للدُّنيا وزِينتِها ليس الترفّع رَفْعَ الطّينِ بالطينِ
إذا أردْتَ شريفَ الناس كُلَّهمِ فآنظُر إلى مَلِكٍ في زِيِّ مسكينِ

وقال آخر وذكر الدنيا: [متقارب]

إذا تَمَّ أمرٌ دنا نَقْصُه تَوقَّعْ زوالاً إذا قيل تَمّ

وقال آخر: [سريع]

لا تَبْكِ للدُّنيا ولا أهلِها وآبكِ ليومٍ تسكُنُ الحافرهْ[2]
وآبْكِ إذا صِيْحَ بأهل الثرى فآجتمَعوا في ساحة السَّاهِرَة[3]

---

(١) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «وقال هارون الرشيد: لو قيل للدنيا صِفي لنا نَفْسَكِ، وكانت ممن ينطق، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس:

إذا آمتحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ له من عدوٍ في ثياب صديقِ
وما الناس إلَّا هالكٌ وآبن هالكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكين عريقِ

وفي ديوان أبي نواس (ص ٦٢١) تحت عنوان (في التراب): «إذا امتحن الدنيا» وجاء البيت الثاني هكذا:

أرى كلَّ حيٍّ هالكاً وابن هالكٍ وذا نسبٌ في الهالكين عريقِ

(٢) الحافرة: الأرض التي تحفر فيها قبورهم، سمّاها بذلك والمراد المحفورة.

(٣) الساهرة: الأرض البيضاء، وقيل: اسم لجهنم، وهذا أقرب لقول الله تعالى في سورة النازعات ٧٩ الآية رقم ١٤ ﴿فإذا هُمْ بالساهرة﴾ أي أنكروا جهنَّمَ فإذا هم منها في الأعماق. راجع التفسير المبين لمحمد جواد مغنيّة. وقال ابن منظور في لسان العرب مادة (سهر): الساهرة هي الأرض التي لم تُوْطَأ، وقيل؛ هي أرض يجدِّدها اللّهُ يوم القيامة.

ويْلَكِ يـا دنيـا لـقـد قصَّـرَتْ آمالَ مَنْ يسكُنُـكِ الآخـرة

مقامات الزُّهَّاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهديّ

قام[1] فقال: إنه لمّا سَهُلَ علينا ما توعَّـرَ على غيرنـا من الوصـول إليك، قُمْنا مَقَام الأداء عنهم وعن رسول الله ﷺ بإظهار ما في أعناقنا من فَريضةِ الأمر والنَّهي عنـد ٱنقطاع عُـذر الكِتْمانِ، ولا سِيَّمـا حتى ٱتَّسَمْتَ بِمِيْسَم التواضـع، ووَعَدْتَ الله وحَمَلَةَ كتابه إيثار الحقّ على مـا سواه، فجمَعَنـا وإياكَ مَشْهـدُ من مشاهَد التمحيص لِيُتمَّ مُؤَدِّيْنا على موعود الأداء وقابِلُنَـا على موعـود القبول، أو يَزيدنا تَمحِيصُ الله إيانا في ٱختلاف السـرِّ والعلانية، ويُحَلِّينا حِليـةَ الكذّابين، فقد كان أصحـاب رسول الله ﷺ يقـولون: مَنْ[2] حجبَ اللَّهُ عنـه العلمَ عذَّبـه على الجهل، وأشَدُّ منه عذابا مَنْ أقبل إليه العلمُ وأدبَر عنه، ومن أهد اللَّهُ إليه علما فلم يعمَل به فقد رَغِبَ عن هديّة الله وقَصَّر بها، فٱقبلْ ما أهدَى الله إليكَ من ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ لا قبولَ سمعةٍ ورياءٍ، فإنه لا يعدَمك منَّـا إعلامٌ لما تَجهَلُ أو مواطأةٌ على مـا تعلمُ أو تذكيـرٌ من غفلةٍ؛ فقد وطَّنَ الله عـزّ وجلّ نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات وتحصيناً من التمـادي ودلالةً على المخـرَج، فقال: ﴿وإمَّـا يَنْزَغَنَّـكَ مِن الشَّيطَانِ نَـزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِاللَّهِ إنـه سميـع

(١) ورد خبر صالـح بن عبد الجليـل بين يديْ المهـدي في العقد الفـريد (ج ٣ ص ١٥٨ ـ ١٥٩). أكثر ٱختصاراً عمّا هنا.

(٢) في المصـدر السابق ص ١٥٨: «وقـد جـاء في الأثـر: من حَجبَ الله... الـخ» أي أن جملة «وقد جاء في الأثر» مزيدة.

عليم﴾(١)؛ فأطْلِعِ الله على قلبكَ بما يُنَوِّره مِنْ إيثار الحقِّ ومُنَابذةِ(٢) الأهواء. ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

مقامُ رجل من الزهّاد(٣) بين يدي المنصور

بينما المنصورُ يطوفُ(٤) ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: اللّهمَّ إني أشكو إليكَ ظهورَ البغي والفسادِ في الأرض، وما يحولُ بين الحقّ وأهله من الطمع. فخرجَ المنصورُ فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعوه. فصلّى الرجلُ ركعتين وآستلمَ الركنَ وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصورُ: ما الذي سمعتُكَ تذكُر من ظهور البغي(٥) والفساد في الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامِعي ما أرمَضَني(٦): قال(٧): يا أمير المؤمنين، إنْ أمَّنتَني على نفسي أنبأتُك بالأمور من أصولها، وإلا آحتجزْتُ منكَ وآقتصرْتُ على نفسي ففيها(٨) لي شاغِلٌ، فقال: أنتَ آمنٌ

(١) سورة الأعراف ٧، الآية رقم ٢٠٠. وإمّا: فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة. (وينْزَغَنَّك من الشيطان نَزْغٌ): أي إنْ يصرفك عما أمرت به صارفٌ (فآستعذ بالله) وهذه جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك إنه سميع للقول عليم بالفعل. وبمعنى آخر: إذا رأيت منكراً من سفيه، أو معصية من فاسق، وغضبْتَ لله فلا يذهبن الغضب بحلمك، فآصبر وآستعذْ بالله وخاطِبْه بالحسنى عسى أن يستجيب لك. راجع تفسير الجلالين، والتفسير المبين.

(٢) منابذة الأهواء: تسكينها وركودها.

(٣) ورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٩): «مقامُ رجلٍ من العُبّاد عند المنصور» وقد ورد هذا الخبر بآختلاف يسير عما هنا.

(٤) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «بينما المنصور في الطَّواف بالبيت ليلاً... الخ».

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٩): «تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض؟ وما الذي يَحُوْل بين الحق وأهله من الطمع؟».

(٦) أرْمضني: أوجعني وآلمني.

(٧) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٩): «فقال أَمَّنْتَني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور... الخ».

(٨) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «فلي فيها شاغلٌ».

على نفسك فقل؛ فقال[١]: إنَّ الذي دخله الطمعُ حتى حـال بينه وبين مـا ظهر من البغي والفسـاد لأنتَ؛ قـال: ويحـك وكيف يـدخلُني الـطمـعُ والصفـراءُ والبيضاءُ في قبضتي والحلو والحامض عندي؟ قال: وهل دخل أحدٌ من الطمع ما دخلكَ؟ إنَّ الله تبارك وتعالى آسترعاك المسلمينَ وأموالهَم فـأغفلْتَ أمورهم وآهتممْتَ بجمـع أموالهِم، وجعلْتَ بينـك وبينهم حجـابـاً من الجصّ والآجُـرِّ وأبواباً من الحديد وحجَبَةً معهم السلاحُ ثم سجنْتَ نفسَـكَ فيها عنهم، وبعثْتَ عُمَّـالَكَ في جبـاية الأمـوال وجمعها وقَـوَّيْتَهم بالـرجـال والسـلاح والكُـراع[٢]، وأمرتَ بألّا يدخُلَ عليـك من الناس إلا فـلانٌ وفلانٌ نفـرٌ سمَّيْتَهم، ولم تأمـر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيفِ الفقير، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المـال حقٌّ، فلما رآك هؤلاء النفـر الذين آستخلصْتَهم لنفسـك وآثـرْتَهم على رعيّتكَ وأمـرْتَ ألّا يُحجَبُوا عنـك، تَجْبي الأمـوال وتجمعُهـا ولا تَقسِمُها قالوا: هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه؟ فَـأتمروا بألّا يصلَ إليك مِنْ علم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا، ولا يخرجَ لك عـاملٌ فيخالفَ أمرَهُم إلا قصبوه[٣] عندك ونَفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه ويَصْغُرَ قـدرُه، فلما آنتشر ذلكَ عنـكَ وعنهم، أعظمَهُم النـاسُ وهابـوهم، فكان أوّلَ مَنْ صـانَعهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بها على ظلم رَعيّتكَ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا بـه ظلمَ من دونهم، فآمتـلأت بلادُ الله بـالطمـع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شُركاءك في سلطانك وأنت غـافل فـإن جاء مُتـظلّم حِيْلَ بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيْتَ عن ذلكَ، وأوقفْتَ للناس رجلاً ينظر في مظالمهم فإنْ جاء ذلك الـرجل

---

(١) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «يا أمير المؤمنين: إن الذي دخله الطمع... الخ».

(٢) الكُراع: الخيل.

(٣) قصبوه: عابوه وشتموه.

فبلَغَ بطانَتكَ خبرُه سألوا صاحبَ المظالم ألّا يرفعَ مَظْلِمَتَه إليك، فـإنَّ المتظلِّم منه له بهم حُرمةٌ، فأجابهم خوفاً منهم؛ فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه، فـإذا أُجهِدَ وأُحـرِجَ وظَهَرْتَ، صَـرَخَ بين يديك، فضُرِبَ ضَرْباً مُبَرّحـاً، ليكون نكـالاً لغيره، وأنت تَنـظر فلا تُنكِـر، فمـا بقاءُ الإسـلام على هـذا؟ وقـد كنتُ يـا أميـر المؤمنين أسـافـر إلى الصِّين فقَدِمْتُها مرَّةً وقد أُصِيْبَ مَلِكُها بسمعه، فبكى يوماً بكـاء شديـداً فحثه جلسـاؤه على الصبر فقال: أَمَا إني لست أبكي للبليَّة النـازلة بي، ولكني أبكي لمـظلوم بـالباب يصـرُخُ ولا أسمعُ صـوتَه ثم قـال: أمّا إذ ذهب سمعي فـإنَّ بصري لم يذهب نادُوا في النـاس ألَّا يلبَسَ ثوبـاً أحمرَ إلا متـظلّمٌ، ثم كان يـركب الفيل طرفَيْ نهاره، وينظر هل يرى مظلوماً. فهذا يـا أمير المؤمنين مُشـركٌ بالله غلبتْ رأفتُـه بالمشـركين شُحَّ نفسـه، وأنت مؤمنٌ بالله ثم من أهـل بيت نبيه لا تغلب رأفتُكَ بالمسلمين على شحّ نفسك! فإن كنت إنما تجمـع المال لـولدك، فقـد أراك الله عبرا في الطِّفل يسقط من بطن أمـه ومالـه على الأرض مالٌ، ومـا من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الـطفل حتى تعـظُمَ رغبةُ الناس إليه، ولسْتَ بالـذي تُعطي بـل الله يعطي من يشـاء ما يشـاء، وإن قلْتَ إنما أجمعُ المال لتَشديد السلطان فقد أراك الله عبرا في بني أميةَ ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدّوا من الرجـال والسلاح والكُـرَاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلْتَ إنما أجمـع المالَ لـطلب غايـةٍ هي أجسمُ من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلـةٌ لا تُدركُ إلا بخـلاف ما أنتَ عليـه يا أميرَ المؤمنين، هـل تُعـاقبُ من عصـاك بـأشـدّ من القتـل؟ قـال المنصـور: لا، قال: فكيف تصنـع بالملِكِ الـذي خوّلـك مُلْكَ الدنيـا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى ما قد عُقِدَ

عليـه قلبك وعَمِلته جوارحُـك ونظر إليـه بصـرُك واجترحَتْه يـداكَ ومشت إليـه رجلاك، هل يُغْني عنك ما شَحَحْتَ عليـه من مُلك الدنيـا إذا آنتزعَـه من يدك ودعاكَ إلى الحسابِ؟ فبكى المنصور وقال: يا ليتني لم أُخْلَقْ! ويحكَ! فكيف أحتـال لنفسي؟ قال: يـا أمير المؤمنين، إنّ للنـاس أعلامـاً يفـزعـون إليهم في دينهم ويرضَوْن بهم فآجعلهم بطانَتكَ يُرشدُوكَ، وشاورْهم في أمـركَ يُسَدِّدوك، قال: قد بعثت إليهم فهربوا مني، قال: خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ولكنِ آفتَـحْ بـابـكَ وسَهِّـل حجـابَـك وآنصُـرِ المـظلومَ وآقمَـعِ الـظالمَ وخـذِ الفيءَ والصدقاتِ مما حلّ وطابَ وآقسِمه بالحقّ والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يـأتوكَ ويُسْعِـدوك على صلاح الأمـة. وجاء المؤذنـون فسلموا عليـه فصلى وعاد إلى مجلسه وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ.

مقام آخر والمنصور يخطب

خَطبَ المنصورُ بحمِد الله ومضى في كلامـه، فلما آنتهى إلى أشهـد أن لا إلـه إلا اللَّهُ وثَبَ رجل من أقصى المسجـد فقـال أذَكِّـرك مَنْ تـذكـرُ، فقـال المنصور: سمعاً لمن فَهِم عن الله وذكَّرَ به وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عصِيّاً وأن تـأخذني العـزةُ بالإثم لقـد ضَلَلتُ إذاً وما أنـا من المهتـدين، وأنتَ واللَّهِ أيهـا القائل ما أردْتَ بها اللَّهَ ولكن حاولتَ أن يقال: قام فقال فعوقِبَ فصَبرَ، وأَهوِنْ بقائلها لو هَممْتُ، فاهتَبِلهـا[1] ويلكَ إذ عفوْتُ؛ وآيـاكم معشرَ النـاس وأختَها؛ فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا آنبثّتْ فرُدُّوا الأمر إلى أهله يُصْدِرُوه كما أوردوه؛ ثم رجع إلى خطبته فقال: وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.

---

(١) فآهتبلها: أي آغتنمها؛ والإهتبال هو الإغتنام وانتهاز الفرصة.

مقام[١] عمرو بن عُبَيد بين يدي المنصور

قال للمنصور[٢]: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فآشترِ نفسك ببعضها، وآذكر ليلةً تَمَخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعده؛ فوجَمَ أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو، غمَمْتَ أمير المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صَحِبَكَ عشرين سنة لم يَرَ لك عليه أن يَنْصحَكَ يوماً واحداً وما عَمِلَ وراءَ بابك بشيء من كتاب الله ولا سنّة نبيّه؛ قال أبو جعفر: فما أصنع؟ قد قلْتُ لكَ: خاتمي في يديك فتعالَ وأصحابك فآكفِني؛ قال عمرو: : أدعُنا بعدلك تَسْخُ أنفسُنا بعونك؛ ببابك ألف مَظلِمةٍ آردُدْ منها شيئاً نعْلَمْ أنك صادقٌ.

مقام[٣] أعرابيّ بين يدي سليمان

قام فقال: إني مُكَلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنين بكلام فيه بعض الغِلظة فآحتَمِلْهُ إن كرهْتَه، فإنَّ وراءه ما تُحبّه إنْ قبلْتَه؛ قال: هاتِ يا أعرابيّ؛ قال: فإني سأُطلِقُ لساني بما خرست عنه الألسُنُ من عِظَتكَ تأديةً لِحقِّ الله وحقِّ إمامتك، إنه قد آكتنفَكَ رجال أساءوا الاختيارَ لأنفسهم، فآبتاعوا دنياكَ بدينهم ورِضَاكَ بسخط ربّهم، خافوكَ في الله ولم يخافوا اللّهَ فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِلْمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما آئتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا الأمانة تضييعا والأمة عَسْفاً وخسفاً، وأنت مسؤول عما آجترحوا وليسوا مسؤولين عما

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٦٤ ـ ١٦٥) بآختلاف كثير عما هنا، وإن كان يحمل هذا العنوان: «كلام عمرو بن عُبَيْد عند المنصور».

(٢) في نفس المصدر السابق ص ١٦٤: «قال: يا أمير المؤمنين، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فآشتر نفسك منه ببعضها». وهذه العبارة هي المطابقة فقط لما ورد في كتابنا؛ لأن ما جاء بعدها في العقد الفريد يختلف كثيراً عما هنا.

(٣) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص١٦٦) بآختلاف يسير عن كتابنا.

آجترحت، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخـرتكَ، فـإنّ أعظم النـاس غَبْناً مَنْ بـاع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: أمّا أنت يـا أعرابيّ فقـد سلَلْتَ لسانـكَ، وهو أقطعُ سيفيكَ؛ فقال: أجلْ، لكَ لا عليكَ.

مقام أعرابيّ بين يدي هشام

قال: أتتْ على الناس سِنُـون، أما الأولى فَلَحَتِ(١) اللحمَ، وأمـا الثانيـة فأكلتِ الشَّحْم، وأما الثـالثةُ فهـاضَتِ(٢) العظمَ، وعنـدكم فضولُ أمـوالٍ، فإن كانت لِلّهِ فـآقسِمُوهـا بين عباده، وإن كـانت لهم ففيمَ تُحظَرُ عنهم؟ وإن كـانت لكم فتصدّقوا عليهم بها فإنَّ الله يَجْـزِي المتصدّقينَ؛ فـأمر هشـامٌ بمالٍ فقُسِم بين الناس وأمرَ للأعرابيّ بمالٍ؛ فقال: أكلّ المسلمين له مثـل هذا؟ قـالوا: لا ولا يقـوم بذلـك بيتُ مالِ المسلمين؛ قـال: فلا حـاجةَ لي فيمـا يبعثُ لائمَـةَ الناسِ على أمير المؤمنين.

مقام(٣) الأوزاعيّ بين يدي المنصور

ذكره(٤) عبدُ الله بن المبـارك عن رجل من أهـل الشام قـال: دخلْتُ عليه فقال: ما الذي بَطّأ بك عنّي؟ قلتُ: يا أميـرَ المؤمنين، وما الـذي تريـد مني؟ فقال: الاقتباسُ منك؛ قلتُ: انظر ما تقول، فإنَّ مَكْحولاً حدّثني عن عطيَّة بن بَشير(٥) أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ بلَغه عن الله نصيحةٌ في دينِه فهي رحمـةٌ من

---

(١) لَحَتِ اللحَم: من لحَوْتُ الشجرةَ إذا أخذْتُ لحاءها وهو قِشْرها.
(٢) هاضَ العظمَ يهيضه هيْضاً فآنهاضَ: كسره بعد الجبور فهو مهيض.
(٣) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٦٢ ـ ١٦٣).
(٤) في المصـدر السابق ص ١٦٢: «قـال الأوزاعي: دخلت عليه فقـال لي: ما الذي بطّأ بك عني؟ ... الخ».
(٥) في المصدر السابق ص ١٦٢: «عطيّة بن بُسْر».

الله سِيقَتْ إليـه، فإنْ قَبِلَهـا من الله بشكـرٍ وإلّا كـانتْ حجّـةً من الله عليـه، ليـزداد إثمـاً ولِيَـزْدادَ الله عليـه غضبـاً، وإنْ بلغـه شيءٌ من الحق فـرضِيَ فله الرضا، وإنْ سَخِط فله السخطُ، ومن كـرهَه فقـد كره اللَّهَ، لأنَّ الله هـو الحق المبين[1] »، فلا تجهَلَنّ؛ قال: وكيف أجهل؟ قال: تسمع ولا تعمل بما تسمَعُ.

قـال الأوزاعيّ: فسلَّ عليّ الـربيعُ السيْفَ وقـال: تقـول لأمير المؤمنين هـذا! فٱنتهرَه المنصورُ وقال: أمسِكْ. ثم كلّمه الأوزاعيّ، وكـان في كلامـه أن قال: إنـك قد أصبحت من هـذهِ الخـلافـة بـالـذي أصبحت بـه، والله سَـائِلُكَ عن صغيرها وكبيرها وفتيلهـا ونقيرهـا، ولقد حـدّثني عُروةُ بن رُوَيْمٍ أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «ما مِنْ راعٍ يبيتُ غاشّاً لِرعيّته إلا حَرَّمَ اللَّهُ عليه رائحةَ الجنةِ»، فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً، ولِمَا ٱستطاعَ من عَوراتهم ساتِراً، وبالقِسط فيما بينهم قائماً، لا يتخوّف محسنُهم منه رهَقا ولا مسيئهم عدوانا؛ فقـد كانت بيد رسول الله ﷺ جريدةٌ يستَاكُ بها ويردَعُ عنه المنافقينَ؛ فأتـاه جبريـلُ فقال: «يـا محمدُ، مـا هذه الجـريدةُ بيـدكَ؟ إقذِفْهـا لا تملأ قلوبَهم رُعباً». فكيف مَنْ سفكَ دماءهم وشَقَّقَ أبشارهم وأنهبَ أموالهم؟ يا أمير المؤمنين، إنَّ المغفورَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القِصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيّاً لم يتعمَّده، فهبط جبريـل فقال: «يـا محمد، إن الله لم يَبْعَثْـكَ جبّاراً تكسِـرُ قرونَ أمتك». وٱعلم أنَّ كلّ ما في يدك لا يعدِلُ شربـةً من شراب الجنـة ولا ثمرةً من ثمارها؛ قال رسول الله ﷺ: «لَقَابُ قوسٍ أحـدكم من الجنة أو قُـذَّةٌ[2] خَيْرٌ لـه من الدنيا بأسرها». إنّ الدنيا تنقطِعُ ويـزولُ نعيمها، ولـو بقي الملكُ لمن قبلكَ

---

(١) إلى هنا يتفق المقام، مع اختلاف يسير، مع مـا جاء في المصـدر السابق، ثم هـو بعد ذلـك مختلف عما في العقد ٱختلافاً كبيراً.

(٢) قابُ القوسِ: ما بين مقبضها وسِيَتِها، وسِيَةُ القوس: ما عُطِف من طرفيهـا، والجمع سِيـات. والقُذَّةُ: ريش السهم.

لم يصِل إليكَ. يا أمير المؤمنين، ولو أنَّ ثوباً من ثيابَ أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يتقمَّصُه؟ ولو أن ذَنُوباً[1] من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجَنَه[2] فكيف بمن يتجرّعُهُ؟ ولو أنَّ حَلقةً من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب، فكيف مَنْ سُلِكَ فيها ويُرَدُّ فضلُها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: «لا يُقَوِّم أمرَ الناس إلا حَصيفُ العقدة، بعيدُ العِزّة، لا يَطَّلِعُ الناسُ منه على عَورةٍ، ولا يُحنِقُ في الحقّ على جِرَّةٍ[3]، ولا تأخُذُهُ في الله لومةُ لائم».

وٱعلم أنّ السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ[4] نفسَه وعُمّالَه، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله وصلاتُه سبعونَ ألفَ صلاةٍ ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ؛ وأمير رتَعَ ورتَع عُمَّالُه. فذاك يحمِلُ أثقالَه وأثقالاً مع أثقاله؛ وأمير يَظْلِفُ نَفسَه ويرتَعُ عُمَّالُه، فذاكَ الذي باع آخرتَه بدنيا غيرِه؛ وأميرٌ يرتَعُ ويَظْلِفُ عُمَّالَهُ، فذاكَ شرُّ الأكياسِ.

وٱعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ٱبتُلِيْتَ بأمرٍ عظيم عُرِضَ على السَّمواتِ والأرض والجِبال فأبينَ أن يحملنه وأَشفَقنَ منه؛ وقد جاء عن جَدِّكَ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلّا أحصاها﴾[5]: أنّ الصغيرة التّبسّمُ، والكبيرةَ الضّحكُ، وقال: فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي؟

---

(١) الذَّنُوبُ: الدَّلْوُ التي دون المَلْك، تذكر وتؤنّث.

(٢) آجَنَه: جعله آجناً أي متغيّر الطعم واللون.

(٣) لا يُحْنِقُ في الحق على جِرَّةٍ: لا ينطوي على حقد ودَغَل؛ وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصليب والتصاقه به. والجِصرةُ: ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه. فكنى عمر بن الخطاب بعدم الإخناق على الجِرَّة عن عدم إضمار الحقد والغيرة.

(٤) يَظْلِفُ نَفْسَهُ: يكفُّها.

(٥) سورة الكهف ١٨، الآية رقم ٤٩. أي أن كتاب الله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا إلّا عدَّها وأثبتها، فتعجب المجرمون منه في ذلك. راجع التفسير المبين.

فأُعيذك بالله أن يُخَيَّل إليك أنَّ قرابتك برسول الله ﷺ تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «يا صفية عمَّة محمد ويا فاطمة بنت محمد، استوهبا أنفسكما من الله إني لا أُغني عنكما من الله شيئاً». وكان جدّك الأكبر سأل رسولَ الله ﷺ إمارةً؛ فقال: «أي عمّ نفسٌ تُحيِيها خيرٌ لك من إمارة لا تُحصِيها»، نظراً لعمه وشفقة عليه أن يليَ فيجورَ عن سنته جناحَ بعوضة، فلا يستطيعَ له نفعاً ولا عنه دفعاً. هذه نصيحتي إن قبلْتَها فلنفسك عملْتَ، وإن ردَدتها فنفسك بَخسْتَ، والله الموفق للخير والمعينُ عليه؛ قال بلى! نقبلها ونشكرُ عليها، وبالله نستعينُ.

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد: وفدْتُ عليه فوجدْته قد بدأ يشربُ الدُّهنَ، وذلك في عام باكرَ وَسْمِيُّه وتتابعَ وَلِيُّه[1] وأخذت الأرضُ زُخرُفَها، فهي كالزَّرَابيِّ المبثوثةِ والقُبَاطيِّ[2] المنشورة، وثراها كالكافور لو وُضِعَتْ به بَضْعة[3] ولم تُتَرَّبْ، وقد ضُربَتْ له سُرادقاتُ حِبَرٍ[4] بعث بها إليه يوسفُ بن عمر من اليمن تتلألأ كالعِقْيان، فأرسل إليّ فدخلْتُ عليه، ولم أزل واقفاً، ثم نظر إليّ كالمستنطِق لي؛ فقلْتُ: يا أمير المؤمنين، أتمّ الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه؛ هذا مَقامٌ زَيَّنَ الله به ذكري وأطاب به نشري، إذ أراني وجه أمير

(١) الوَسْمِيُّ: مطر الربيع الأول سمّي بذلك لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات. والوليُّ: المطر بعد الوسميّ.
(٢) الزَّرَابِيّ: البُسُطُ الملونة. والقُباطِيُّ (بضم أوله وتشديد آخره أو بفتح الأول مع تخفيف الأخير): ج قُبْطِيَّة (بضم القاف) وهي ثياب كتّان بيض رقاق تعمل في مصر.
(٣) البَضْعَةُ (بفتح الباء وكسرها): القطعة من اللحم.
(٤) الحِبَرُ (بكسر الحاء وفتح الباء): ج حِبْرة وهي المخيط من البُرُود.

المؤمنين، ولا أرى لمقامي هذا شيئاً هو أفضل من أن أنبِّه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمَدَ الله علي ما أعطاه، ولا شيء أحضرُ من حديث أسلف لملك من ملوك العجم إنْ أذن لي فيه حدّثته به؛ قال: هات؛ قلتُ: كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فَتَاءُ[1] السِّنّ وصِحّةُ الطِّباع وسَعَةُ المُلك وكثرةُ المال، وذلك بالخَوَرْنَق[2]، فأشرف يوماً فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحداً أُوتي مثلَ الذي أوتيتُ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلة الحجة: إن أذِنت لي تكلَّمْتُ؛ فقال: قُلْ، فقال: أرأيْتَ ما جُمِعَ لك؟ أشيءٌ هو لك لم يزل ولا يزولُ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يَزُولُ عنك؟ قال: لا! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول عنّي؛ قال: فسررت بشيءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتهُ، تكون فيه قليلاً وتُرْتَهن به طويلاً؛ فبكى وقال: أين المهربُ؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقِيمَ في مُلكك فتعملَ فيه بطاعة ربّكَ وإما أن تُلقِي عليك أمساحاً[3] ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربك حتى يأتي عليك أجلُكَ؛ قال: فمالي إذا أنا فعلت ذلك؟ قال: حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبلى؛ فأتى جبلاً فكان فيه حتى مات. وأنشده قول عديّ بن زيد:

وتَفَكَّـرْ رَبَّ الخـوَرْنَقِ إذ أصـ ـبحَ يـومـاً وللهُـدَى تَفْكِيـرُ
سَـرَّه حـالُـه وكثـرةُ مـا يَمْـ ـلكُ والبحرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ[4]

(١) الفَتَاءُ: الشباب.
(٢) الخَوَرْنَقُ: قصر بالعراق بناه سِنِّمار على باب الحميرة للنعمان الأكبر ابن امرىء القيس ملك الحيرة. انظر وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٣١١).
(٣) الأمساح: ج مِسْح (بكسر الميم) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان.
(٤) مُعْرِضاً: من أعرض الشيء إذا ظهر وبرز. والسَّدِيْرُ: قصر بناه الملك النعمان الأكبر ابن امرىء القيس بن أوس، أحد عمالقة آل محرِّق أصحاب القصور الشامخة في العراق. وفيهم يقول الأَسْوَدُ بن يَعْفُر (كامل).

فـآرعَـوَى قلبُـه فقـال ومـا غِبـ ـطةُ حيّ إلى الممـات يصيـرُ

فبكى هشـام وقام ودخـل؛ فقال لي حـاجبه: لقـد كسبت نفسَك شـرّاً، دعاك أمير المؤمنين لِتحدِّثَه وتُلهِيَه وقد عرَفْتَ علّتَه فما زِدْتَ على أن نَعيْتَ إليه نَفْسَه. فأقَمتُ أياماً أتوقَّعُ الشرَّ، ثم أتاني حاجبُه فقال: قد أمر لك بجـائزةٍ وأنَ لك في الانصراف.

مقام محمد بن كعب القرظيّ بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال: إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق، فمنها خرج الناسُ بما ينفعهم وبمـا يضـرّهم، وكم من قومٍ قـد غرهم مثـلُ الذي أصبحْنـا فيه حتى أتـاهم الموتُ فآستوعبَهم فخرجوا من الدنيا مُرمِلينَ[1] لم يأخـذوا لِما أحبّـوا من الآخرة عُـدَّةً ولا لما كرهـوا جُنَّةً[2]، وآقتسم مـا جمعوا من لم يحمَـدْهم وصاروا إلى من لا يعذِرُهم. فآنظر الذي تُحبُّ أن يكون معك إذا قدِمْتَ، فقَدِّمه بين يديـك حتى تخرجَ إليه؛ وآنظر الذي تكره أن يكون معك إذا قدِمْتَ، فآبتغ بـه البدلَ حيث يجوز البدلُ؛ ولا تذهَبنَّ إلى سِلْعةٍ قد بارت على غيرك ترجو جوازَها عنك. يا أمير المؤمنين، افتح الأبوابَ، وسَهِّل الحجابَ، وآنصُر المظلومَ.

= مـاذا أُؤَمِّـلُ بـعـد آلِ مُـحَـرِّقٍ، تـركـوا منـازلَهُـمْ، وبعـد إيـادِ؟
أرضُ الخَـوَرْنَقِ والسَّـديْـرِ وبـارقٍ، والقصـرِ ذي الشُّـرُفـات من سِنْـداد

ولقد أورد ابن منظور هذين البيتين في لسان العرب مادة (برق) بعد أن قال: «وبارق: مـوضع قريب من الكوفة». وفي مادة (سدر) قال: «والسدير بنـاءٌ، وهو بـالفارسيـة سِهْدلِّي أي ثـلاث شعب أو ثلاث مداخلات». وأضاف قائلاً: والسدير: نهر، ويقال: قصـر، وهو معـرَّب وأصله بالفارسية: سِهْ دِلَّهْ أي فيه قبـابٌ مُداخَلَةٌ. وفي مـادة (سند) قـال ابن منظور أيضـاً: «وسِنْداد: اسم نهـر، ومنه قـول الأسود بن يَعْفُـر: والقصرِ ذي الشُّـرُفات من سِنْـدادِ» راجع أيضـاً محيط المحيط للبستاني مادة (سدر).

(١) مُرْمِلِيْنَ: مُهَرْولين؛ يقال: رَمَلَ فلانٌ رَمَلاً ورَمَلاناً ومَرْملاً: هَرْوَلَ.

(٢) الجُنَّةُ: السُّتْرة وكل ما وقى من سلاح.

مقام الحسن عند عمر بن هُبَيرة

كتبَ آبنُ هُبيرةَ إلى الحسن وآبن سِيرين والشعبيّ فقُدِم بهم عليه، فقال لهم: إن أميـر المؤمنين يكتب إليّ في الأمر، إن فعلْتُـه خفْتُ على ديني، وإن لم أفعله خفتُ على نفسي؛ فقال له آبنُ سيرين والشعبيّ قَولا رَقَّقَا فيه، وقـال له الحسن: يا بن هبيرة، إن اللَّهَ يمنعُك من يـزيدَ، وإنَّ يـزيد لا يمنعُـكَ من الله. يا بن هبيرة، خَفِ الله في يـزيد ولا تخفْ يـزيدَ في الله. يـا بن هبيرة، إنه يُوشِكُ أنْ يبعثَ اللَّهُ إليك مَلَكاً فيُنزلَـكَ عن سريـرك إلى سَعَةِ قصـرك، ثم يخـرجك من سعـةِ قصرك إلى ضِيْقِ قبـرك، ثم لا يُنْجِيك إلَّا عملُكَ. يـا بن هبيرة، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ فـأمر لـه بأربعـة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبيّ بألفين؛ فقالا: رَفَّقْنا فرقَّق لنا.

باب من المواعظ

كلام للحسن

قـال في كـلام لـه: أُمتكُم آخـرُ الأمم وأنتم آخـرُ أمتكم، وقـد أُسْـرِعَ، بخياركم فماذا تنتـظرون! المعاينـة؟ فكأن قـد. هيهات هيهـات! ذهبت الدنيـا بحـال بمالهـا، وبقيت الأعمالُ أطـواقاً في أعنـاق بني آدم؛ فيا لهـا موعـظةً لو وافقَتْ من القلوب حياةً! إنه والله لا أمّـةَ بعد أمتكم، ولا نبيّ بعـد نبيكم، ولا كتابَ بعد كتابكم؛ أنتم تسُوقون الناسَ والساعةُ تسـوقكم؛ وإنما يُنتـظَر بأوّلكم أن يلحَقَ آخِركم. مَنْ رأى محمداً ﷺ فقد رآه غاديـاً رائحاً لم يضـع لَبِنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة، رُفِعَ له علمٌ فشمَّر إليه؛ فالوحَى الوحَى[1]، والنجـاءَ النجـاء. علام تعـرّجون؟ أُسـرِعَ بخيـاركم وأنتم كـلّ يومٍ تـرْذَلُـون[2]. لقـد

---

(١) الوَحَي الوحى: البدار البدار.

(٢) تَرْذَلُونَ: تصيرون أرْذالاً (ج رَذْل وهو الدون من الناس).

صحبْتُ أقواماً كانت صحبتهم قرَّةَ العين وجَلاَءَ الصدور، وكانوا من حسناتهم أن تُردَّ عليهم أشفقَ منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها، وكانوا فيما أحلَّ الله لهم من الدنيا أزهدَ منكم فيما حرَّم اللَّهُ عليكم. إني أسمع حسيساً[1]، ولا أرى أنيساً؛ ذهب الناسُ، وبقِيتُ في النَّسناس؛ لو تكاشفتم ما تدافنتم؛ تَهاديتُم الأطباقَ ولم تَهادُوا النصائحَ. يا بن آدم، إنَّ دين الله ليس بالتحلّي ولا بالتمني، ولكنه ما وقَر في القلوب وصدقته الأعمالُ.

كلام لبعض الزُّهّاد

لا تغتـرّنَّ بطول السلامة مع تضييع الشكر، ولا تُعْمِلنَّ نعمةَ اللَّهِ في معصيته؛ فإنَّ أقلّ ما يَجِبُ لمهدِيها ألا تجعلَها ذريعةً إلى مخالفته. وآستدع شاردَ النِّعم بالتوبةِ، وآستَدِم الراهنَ منها بكرم الجِوَارِ، وآستفتِح بابَ المزيد بحُسن التوكّل. أو ما عَلِمْتَ أنَّ المستشعرَ لِذُلِّ الخطيئةِ المخرجَ نفسَه من كُلَف الطاعة نَطِفُ الثَّناءِ، زَمِرُ[2] المروءةِ، قَصيُّ المجلس، لا يُشاوَرْ وهو ذو بَزْلاَءَ[3]، ولا يُصَدَّرُ وهو جميل الرُّوَاءِ، غامضُ الشّخص ضئيلُ الصوتِ نَزْرُ الكلام يتوقّع الإسكاتَ عند كلِّ كلمةٍ، وهو يَرى فضلَ مزيّته وصريحَ لُبِّهِ وحسنَ تَفضِيلهِ، ولكن قَطعه سوءُ ما جنى على نفسه، ولو لم تَطَّلِعْ عليه عيونُ الخليقة لهجسَت العقولُ بإدهانه[4]. وكيف يمتنع من سُقوط القَدْرِ وظَنِّ المتفرّس مَنْ عُرِّيَ مِن حِلْيَة التقوى وسُلِبَ طبائعَ الهُدَى؟ ولو لم يَتَفَشَّ ثوبَ سريرته وقبيحَ ما أجنَّ من مخالفة ربه لَقَطَعَهُ العلمُ بقبيح ما قارفَ عن آقتدار

---

(١) الحسيس: الصوت يُحَسُّ به.
(٢) نَطِفُ الثناء: قليله. وزَمِرَ المروءة: قليلها.
(٣) البَزْلاءُ: الرأي الجيّد.
(٤) بإدهانِهِ: أي بالمصانعة له.

ذوي الطهارة في الكلام وإدلال أهل البراعة في النديّ.

كلام لغيلان

إن التراجعَ في المواعظ يُوشِكُ أن يُذْهِبَ يومَها ويأتي يومُ الصاخّة[1]، كلُّ الخلقِ يومئذ مُصِيخٌ يستمعُ ما يُقالُ له ويُقضَي عليه، وخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ للرَّحمنِ فلا تسمَعُ إلا هَمساً. فآصمُتِ اليوم عما يُصْمِتكَ يومئذ، وتَعَلَّمْ ذلك حتى تعلَمَه، وآبتغِه حتى تَجدَه، وبادِرْ قبل أن تفجأَكَ دعوةُ الموت؛ فإنها عَنيفةٌ إلا بِمَنْ رحم اللَّهُ، فيُقْحِمكَ في دار تسمعُ فيها الأصواتَ بالحسرة والويل والثّبور، ثم لا يُقالُون ولا يُستعتَبونَ. إني رأيتُ قلوب العِباد في الدنيا تخشَعُ لأيسر من هذا وتَقسُو عند هذا، فآنظر إلى نفسك أعَبْدُ الله أنت أم عَدوُّه؟ فيا رُبَّ مُتعبّدٍ لله بلسانه، مُعادٍ له بفعله ذلولٌ في الانسياق إلى عذاب السعير[2] في أُمنيّة أضغاثِ أحلامٍ يَعْبُرها بالأماني والظّنون. فآعرِفْ نفسَكَ وسَلْ عنها الكتابَ المنيرَ، سُؤالَ مَنْ يُحِبّ أن يعلم، وعِلْم من يحب أن يعمَلَ، فإنَّ الربّ جلّ ثناؤه لا يعذِر بالتعذير والتغرير، ولكن يعذِرُ بالجِدّ والتشمير. اكْتَسِ نصيحتي؛ فإنها كُسوَةُ تقوَى ودليلٌ على مفاتح الخير، ولا تكن كعلماء زمن الْهَرْج إن وُعِظُوا أنِفُوا، وإنْ وَعَظُوا عَنُفُوا. والله المستعان.

كتاب رجل إلى بعض الزهّاد

كتب إليه: إنَّ لي نفساً تُحِبُّ الدَّعةَ، وقلباً يألف اللذاتِ، وهمةً تَسْتثقِلُ الطاعةَ؛ وقد وهَّمْتُ نفسي الآفاتِ، وحَذَّرْتُ قلبي الموتَ، وزجرْتُ هِمَّتي عن

---

(1) يومُ الصَّاخَّة: يوم القيامه.
(2) السعير: النار ولهبها.

التقصير؛ فلم أرْضَ ما رجع إليَّ منهنَّ، فأَهْدِ لي ـ رحمك الله ـ ما أستعينُ به على ما شكوْتُ إليك؛ فقد خفْتُ الموت قبلَ الاستعدادِ.

فكتب إليه: كثر تعجُّبي من قلبٍ يألَفُ الذنبَ، ونفسٍ تطمئنُّ إلى البقاء، والساعاتُ تَنقُلُنا والأيامُ تَطوي أعمارَنا؛ فكيف يألف قلبٌ ما لاثباتَ له؟ وكيف تنام عينٌ لا تدرِي؟ لعلها لا تطرِفُ بعد رَقْدَتها إلا بين يدي الله! والسلام.

وكتب رجل من العبّاد إلى صديق له:

إني لمّا رأيتُ الناسَ في اليقين متفقين، وفي العمل متفاوتين، ورأيت الحجةَ واجبة، فلم أَرَ في يقين قَصَّرَ بصاحبه عن عملٍ حجةً، ولا في عملٍ كان بغيرِ يقينٍ منفعةً؛ ورأيتُ من تقصيرِ أنفسنا في السعي لمرجوّ ما وُعِدَتْ والهرَبِ من مَخُوف ما حُذِّرَتْ، حتى أسلمها ذلك إلى أن ضَعُفَتْ منها النيّةُ وقلّ التحفّظُ وآستولى عليها السَّقَط(١) والإغفالُ وآشتَعلَتْ منها الشّهوةُ، ودعاها ذلك إلى التمرّغ في فضائح اللذّاتِ، وهي تعلم أن عاقبتَها الندمُ، وثمرتَها العقوبةُ، ومصيرَها إلى النار إن لم يَعْفُ اللّهُ ـ عجبْتُ لعملِ آمرىءٍ كيف لا يشبِهُ يقينَه، ولعلِمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا إليه والرهبةُ منه إلا له. وزادني عجباً أنّني رأيت طالب الدنيا أجدَّ من طالب الآخرة، وخائفَها أتعبَ من خائف الآخرةِ، وهو يعلم يقيناً أنه رُبَّ مطلوبٍ في الدنيا قد صار حين نِيْلَ حتفاً لطالبه، وأنه رُبَّ مَخُوفٍ فيها قد لَحِقَ كَرْهاً بالهارب منه فصار حظّاً له، وأن المطلوبَ إليه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ إلى ربه مَملوكٌ عليه مالُه مخزونةٌ عنه قدرتُه. وآعلم أن جِمَاعَ ما

(١) السَّقَطُ: الخطأ من القول والفعل.

يسعى لـه الطالبُ ويَهـرُبُ منه الهـاربُ أمران: أحـدهما أجلُه، والآخـر رزقُه، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملِكُه إلا الذي خلقه. فلم أَدْرِ حين صار هذا اليقينُ في موضع الإيمان يقيناً لا شكّ فيه، كيف صار في موضع العمل شبيهـاً بـالشك الـذي لا يقينَ فيه! وكيف، حين آختُلِفَ في أمـر الآخـرة، لم يُختَلَف في أمر الدنيا، فيكون خائفُ الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبـراً له على تجشُّم المكروه، وتجرّعـاً منه لُغصَصِ الغيظ، وآحتمـالاً منه لفـادح النّصَب، وعملاً له بالسخرة، وتحفّظاً من أن يُضمِرَ له غشّ أو يَهُمَّ له بخلاف؛ ولو فعـل ذلك ما علمه منه حتى يَظهَرَ له بقولٍ أو فعلٍ؛ ولو علمه منا قَدَر له على قـطع أجـل لم يَفْنَ ورزقٍ لم ينفَـدْ؛ فـإنِ آبتُلِيَ بـالسَّخَطِ من سلطانـه فكيف حـزنُـه ووحشتُه، وإن أنِسَ منه رِضاً عنه فكيف سُرورُه واختيالُه؟ فإنْ قـارفَ ذنباً إليـه فكيف تضعضُعُه وآستخذاؤه[1]؟ فـإنْ ندبـه لأمر فكيف خِفَّتـه ونشاطـه؟ وإنْ نهاه عنه فكيف حَذَرُه واتّعاظُه؟ وهو يعلم أن خالِقَه ورازقَه يعلَمُ سِرَّه وجهرَه، ويـراه في متقلّبه ومثواه، ويُعاينُه في فضائحه وعـورته، فلم يَـزعْه عنهـا حياءٌ منـه ولا تقيّةٌ له، قد أمره فلم يأتمر، وزجَره فلم يزدجر، وحَذّره فلم يَحذَر، ووعده فلم يرغبْ، وأعطاه فلم يشكر، وستره فلم يَزدَدْ بالستر إلا تعرّضاً للفضائـح، وكفاه فلم يقنع بالكفـاية، وضَمِنَ لـه في رزقه مـا هو في طَلَبِـه مُشيحٌ[2]، ويقَّظَه من أجله لما هو عنه لاهٍ، وفرّغه من العمل لما هو عنه بغيره مشغولٌ؛ فسبحان من وَسِعَ ذلك حلمـه وتغمَّده من عبـاده عفوهُ؛ ولـو شاء مـا فعلوه: ولا يُسأَلُ عمـا يفعل وهم يُسْأَلُونَ.

فأجابه: إني رأيتُ الله تبارك وتعـالى جعلَ اليقينَ بـأعظمِ المـواضع في

(١) إستخذاؤه: خضوعه.
(٢) مُشِيْحٌ: جادٌ في الأمر.

أمر الدنيا والدين، فهو غايةُ علمِ العالم وبصرِ البصير وفهمِ السامعِ، ليس كسائر الأشياء التي تدخلها الشبهاتُ ويَجرَحُها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ؛ وذلك أنَّ الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ؛ وأغصانه العملَ، وثمرتَه الثوابَ. وإنما جَعَلَ القلبَ لليقين مَغرِساً، لأنه جعل الخمسَ الجوالب لعلم الأشياء كلّها إلى القلب: السمعَ والبصرَ والمجَسَّةَ والمَذَاقَةَ والاسترواحَ. فإذا صارت الأشياء إليه مَيَّز بينها العقلُ، ثم صارت بأجمعها إلى اليقين، فكان هو المثبتَ لها والموجِّه كلّ واحدةٍ منهن جهتَها. ولولا معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك، لم يفرُقْ سمعٌ بين صوتينِ مختلفينِ، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين، ولا مجسَّةٌ بين شيئين غير متشابهين. ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَفُ بها حالُ الضارّ والنافع في العاقبة عند الله تعالى. فلما صار اليقينُ في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب، أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتاً بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتةً بلا أصلٍ، فكذلك لا يكون العمل نافعاً إلا بيقين؛ وكما أنه لا تُخلِفُ الثمرةُ في الطيب والكثرةِ إذا كان الأصل نابتاً والأغصانُ ملتفَّةً، فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحَسُنَ عمله. وقد تعرِضُ للأعمال عوارضُ من العِلل؛ منهنّ الأملُ المثبِّطُ[1]، والنفسُ الأمّارةُ بالسوء، والهوى المزيِّنُ للباطل، والشيطانُ الجارِي من آبن آدم مجرَى الدم، يضررن بالعمل والثواب، ولا يبلغ ضررُهن اليقين، فيكون ذلك كبعضِ ما يَعرِضُ للشجرة من عوارض الآفات فَتُذْوِي أغصانها وتَنثُر ورقَها وتَمنع ثمرتَها والأصل ثابتٌ؛ فإذا تجلّت الآفةُ عادت إلى حال صلاحها. فإذا يُعجبك من عمل آمرىءٍ لا يشبه يقينَه وأنَّ يقينَه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه؟ فإنما العجب

(١) الأملُ المُثَبِّطُ: الأمل الضعيف؛ يقال: ثَعبطَه وثَبَّطه: عَوَّقَه.

من خلاف ذلك! ولَعَمْري لو أشبهَ عملُ آمرىء يقينَه فكان في خوفه ورجائه كالمعايِن لِمَا يُعايِنه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر إلى ما وعَد وأوعَدَ، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلاً له عن الرّجاء، حتى يأتيَ على نفسه أوّلَ لحظةٍ ينظر بها إلى النار خوفاً لها أو إلى الجنة أسفاً عليها إذا حُرِمَها، وإذاً لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاين له يوم القيامة. وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقلَ فضلاً عن أن يعملَ؟ وأما قولك: «كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه؟»، فإن الله عزّ وجلّ خلق الإنسان ضعيفاً وجعله عجولاً، فهو لضعفه موكَّل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره، وهو بعجلته موكل بحبّ الأعجل فالأعجل مما يشتهي؛ وزاده حِرصاً على المخلَصِ من المكروه وطلباً للمحبوب حاجتُه إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طُبِعَ عليه القلبُ من حبّه وسَهُل على المخلوقين من طلبه، لما آنتفع بالدنيا مُنتفعُ ولا عاش فيها عائشٌ. ومع ذلك إنَّ مكاره الدنيا ومحابّها عند آبن آدم على وجهين، إما المكروه فيقول فيه: عسى أن أكون آبتلِيْتُ به لذنبٍ سلف منّي، وإما المحبوب فيقول فيه: عسى أن أكون رُزِقْتُه بحسنةٍ كانت مني فهو ثوابٌ عُجِّلَ؛ وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين إلى الضّيق، وأن قلوبَ أكثر مُسَلِّطِيهم إلى القسوة، وأن العيبَ عنهم مستورٌ، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتفتُ من آمرىءٍ إلى صلاح سريرته دون صلاح علانيته. ومن طباع الإنسان اللؤمُ، فليس يَرْضَى إذا خِيْفَ إلا بأن يُذِلّ، ولا إذا رُجِيَ إلا بأن يُتعِبَ، ولا إذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له، ولا إذا أمرَ إلا بأن يُنفَّذَ أمرهُ، ولا ينتفع المتشفعُ بإحسانه عنده إذا أساء ولا المطيعُ بكثرة طاعته في المعصية الواحدة إذا عصى، ولا يَرى الثوابَ لازماً له ولا العقابَ محجوراً عليه، فإنْ عاقب لم يَستَبْقِ، وإن غَضِبَ

لم يثَبَّتْ، وإنْ أساء لم يَعتذِرْ، وإنْ أذنبَ إليه مذنبٌ لم يَغفر؛ واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفِرُ بها العلانيةَ، ويمحو بالحسنة عشراً من السيئات، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام، إنْ دُعِيَ أجاب، وإنِ اسْتُغفِر غَفَر، وإنْ أُطيعَ شكر، وإنْ عُصِيَ عَفَا، ومِن وراءِ عبده بعد هذا كله ثلاث: رحمتُه التي وسعت كلَّ شيء، وشهادةُ الحق التي لا يزكو إلا بها عمل، وشفاعة النبيّ ﷺ؛ وهذا كله مثبتٌ لليقين باسطٌ للأمل مُثَبِّطٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليلٌ ماهُمْ فلا تَحمِلْ نَطَفَ[1] عملك على صحة يقينك فتُوهِنَ إيمانَك، ولا تُرخِّصْ لنفسك في مُقارفة الذنوب، فيكونَ يقينُك خصماً لك وحُجّةً عليك؛ وكَذِّبْ أملَك وجاهِدْ شهوتَك، فإنهما داءاك المخوفان على دينك المُعْتَونانِ[2] على هلْكتكَ. وأسأل الله الغنيمة لنا ولك.

موعظة مستعملة

وكيع عن مِسْعَر عن زيد العَمِّيّ عن عون بن عبد الله قال: كان أهل الخيرِ يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات: مَنْ مَلَّ[3] لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلحَ ما بينه وبين الله أصلح اللَّهُ ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرتَه أصلح الله له علانيتَه.

موعظة لعمرو بن عتبة

العتبيّ عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال:

(١) النَّطَف: العيب والشرُّ والفساد.
(٢) المُعْتَونان: المتعاونان.
(٣) مَلَّ يَمِلُّ: أخذ المِلّةَ وهي الشريعة والدين.

كان أبونا لا يرفعُ المواعظَ عن أسماعنا، أراد مرَّةً سفراً فقال: يا بَنيَّ تألَّفوا النعم بحسن مُجاوَرتها، وآلتمِسُوا المزيدَ فيها بالشكر عليها، وآعلموا أنَّ النفوسَ أقبلُ شيءٍ لما أُعطِيَتْ وأعْطى شيءٍ لما سُئِلَتْ، فآحمِلوها على مطيَّةٍ لا تُبطِىء إذا رُكِبَتْ، ولا تُسبَقُ وإنْ تُقُدِّمَتْ، عليها نجا مَنْ هرب من النار، وأدرك من سابقَ إلى الجنة؛ فقال الأصاغرُ: يا أبانا، ما هذه المطيَّةُ؟ قال: التوبة.

صفات الزُّهّاد

حدّثني عبد الرحمن العبديّ عن يحيى بن سعد السعديّ قال:

سأل الحواريّون عيسى عليه السلام فقالوا: يا رُوحَ الله، مَنْ أولياءُ الله؟ قال: هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناسُ إلى ظاهرها، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناسُ إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتَهم وتركوا منها ما علموا أنْ سيتركُهُم، فصار آستكثارُهم منها آستقلالاً، وفرحُهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحقّ وضَعوه، فهم أعداء ما سالَم الناسُ وسِلْمُ ما عادَوْا، خَلُقَت[1] الدنيا عندهم فليسوا يعمُرونها، وماتت في قُلوبهم فليسوا يُحبونَها، يَهْدِمُونها ويبنونها بها آخرتهم، ويبيعونها ويشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا إلى أهلها صَرْعَى قد خلت منهم المَثُلاتُ[2] فأحيَوْا ذكر الموت وأماتوا ذكرَ الحياة، بهم نطق الكتابُ وبه نطقوا، وبهم عُلِمَ الكتب وبه عَمِلوا، لا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أمناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

---

(١) خَلُقَت الدنيا (بضم اللام وفتحها): بليت.

(٢) المَثُلاتُ: ج مَثُلة (بفتح الميم وضم التاء) وهي العقوبة، وعِبَرٌ يعتبر بها.

وحدّثني أيضاً عن أنس بن مصلح عن أبي سعيد المصّيصي:

إن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرض، فإذا فيهم شابٌّ ذابلٌ ناحلٌ، فقال له عمر: يا فَتَى، ما الذي بلغ بك ما أَرَى؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، أمراضٌ وأسقام، فقال عمر: لَتَصْدُقَنِّي؛ قال: يا أمير المؤمنين، ذُقْتُ حلاوة الدنيا فوجدْتُها مرّة فصغُر في عيني زهرتها وحلاوتُها، وآستوى عندي حَجَرُها وَذَهَبُها، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى الناس يُساقُون إلى الجنة وإلى النار، فأظمأْتُ لذلك نهاري وأسهرْتُ له ليلي، وقليلٌ حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وجنب عقابه.

بلغني عن إسحاق بن سليمان عن أخيه عن الفياض عن زبيد اليامي[1] عن معاذ بن جبل.

أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنْ الله يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ الذين إذا غابوا لم يُفتقَدُوا وإذا حَضَرُوا لم يُعرفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدى يخرجون من كل غبراء مُظلِمَةٍ».

وعن وكيع عن عمرو بن منبّه عن أوفَى بن دلهم قال:

قال عليّ عليه السلام: تعلّموا العلمَ تُعرَفُوا به وآعمَلُوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمانٌ يُنكِر فيه الحقَّ تِسعةُ أعشِرَائهم[2] لا ينجو فيه إلا كلّ نُوَمَةٍ؛ يعني الميّتَ الذكر، أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم ليسوا بالعُجْلِ المذاييع البُذُرِ[3]. وقال عليٌّ عليه السلام أيضاً: إنَّ الدنيا قد آرتحلت

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٧٩ من هذا الجزء.

(٢) ج عشير وهو جزء من عشرة كالعُشْر.

(٣) المذاييع: ج مِذْياع وهو الذي لا يكتم السرَّ. والبُذُر: ج بَذُور (بفتح الباء وضم الذال) وهو النَّمَّام ومن لا يستطيع كتم السرّ فيفشيه بين الناس.

مُدبِرةً وإنَّ الآخـرةَ قد آرتحلَتْ مُقْبِلةً، ولكـلٍ واحـدة منهما بَنُـون، فكونـوا من أبنـاء الآخرة ولا تكـونوا من أبنـاء الدنيـا، أَلَا إن الزاهـدين في الدنيـا آتخذوا الأرض بساطاً والتـرابَ فِرَاشـاً والماء طِيبـاً. أَلَا مَنِ آشتاق إلى الجنـة سَلَا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجَع عن الحُرمات، ومَنْ زهد في الدنيا هـانت عليه المصيبات. أَلَا إنَّ لله عباداً كمن رأى أهلَ الجنة في الجنة مخلَّدين وأهلَ النار في النار مُعَذَّبين، شرورهم مأمونـة، وقلوبهم محزونـة، وأنفسُهم عفيفةٌ، وحوائجهم خَفِيفَةٌ، صبَـرُوا أيامـاً قليلةً لعقبى راحةٍ طـويلة؛ أمَّا بـالليل فصـافّو أقدامَهم، تجري دُموعُهم على خدودهم، يجأرُون إلى الله: ربَّنا ربَّنـا يطلبُـون فَكَاكَ رِقَابهم؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ برَرةٌ أتقيـاء كأنهم القِـدَاحُ ينظُر إليهمُ الناظر فيقول: مَرْضَى، وما بالقوم من مرضٍ، ويقول: خُولِـطُوا، ولقد خـالط القومَ أمرٌ عظيم.

حدّثنا إسحاق المعروفُ بآبن رَاهَوَيْـهِ أنَّ عون بن عبـد الله بن عتبة كـان يقول: يا بُنيّ ممّن نأى به عمّن نأى عنه يقينٌ ونزاهة، ودنا به ممن دنا منه لينٌ رحمةٌ، ليس نأيه تكبرا ولا عـظمة، ولا دنـوّة بِخَدْعٍ ولا خِـلَابَةٍ، يَقتَـدِي بمن قبله، وهو إمامُ مَنْ بعده، لا يعجل فيمن رابه[1] ويعفو إذا تبيَن لـه، ينقصُ في الذي له ويزيد في الـذي عليه، لا يعـزُبُ حِلمُه ولا يحضُـرُ جهلُه، الخير منـه مأمول والشرّ منه مأمونٌ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ وآستغفرَ لما لا يعلمون، إنْ عصتـه نفسُه فيمـا كرِهَتْ لم يُـطِعهـا فيمـا أحبت، يَصمُتُ ليسلَمَ ويخلو ليغنَم وينـطِقُ ليفْهَمَ ويُخـالطُ لِيعْلَم. ولا تكن يـا بُنيّ ممن يُعْجَبُ بـاليقين من نفسـه فيمـا ذهبَ وينسَى اليقينَ فيما رجـا وطلبَ، يقـول فيمـا ذهب: لـو قُـدّر شيء كان، ويقول فيما بقي: ابتغِ أيها الإنسانُ؛ تغلبه نفسُه على ما يظنّ ولا يغلبُها

(١) رابه: شكَّكه وأوجب الريبة عنده.

على ما يستيقِنُ، طال عليه الأملُ ففتَر، وطال عليه الأمدُ فاغترّ؛ وأُعذِرَ إليه فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّر بِمُعْذِرٍ[1]، عُمِّر فيما يتذكر فيه من تذكّر، فهو من الذنب والنعمة مُوقَر، إنْ أُعطِيَ لم يشكر، وإن مُنِعَ لم يَعذِرْ، يُحبّ الصالحينَ ولا يعمل عملَهم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدُهم، يرجو الأجرَ في البغض على ظنّه ولا يخشَى اليقينَ من نفسه، يخشى الخلقَ في ربه ولا يخشَى الربّ في خلقه، يَعوذ بالله ممن هو فوقه، ولا يريد أن يُعيذَ اللَّهُ منه مَنْ هو تحته، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله، يُبصر العورةَ من غيره ويُغْفِلها من نفسه، إنْ صلّى آعترض[2]، وإن ركع رَبض، وإن سجد نَقَر، وإن جَلس شَعَرَ، وإن سألَ الحفَ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ، وإن حَدّثَ أخلَفَ[3]. وإن وُعِظَ كَلَح[4]، وإن مُدِحَ فَرِحَ، يَحسُدُ أن يُفْضَلَ، ويزهَدُ أن يَفضُلَ، إن أفِيضَ في الخير بَرِمَ[5] وضَعُفَ وآستسلمَ وقال: الصمتُ حُكْم[6]، وهذا ما ليس لي به عِلم؛ وإنْ أُفِيضَ في الشرّ قال: يُحسَبُ بي عِيٌّ، فتكلّم يجمَع بين الأراوِي[7] والنعام وبين الخال والعمّ ولاءَمَ ما لا يتلاءم؛ يتعلّم للمِراءِ، ويتفقّه للرياء، ويبادِرُ ما يفنَى، ويُواكِلُ ما يبقى.

حدّثني محمد بن داود عن أبي شُرَيح الخُوارَزْمي قال: سمعت أبا الرّبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول:

---

(١) أُعْذِرَ إليه: أي أعذر اللَّهُ؛ يقال: أعذر الله إلى من بلغ الستين من العمر، أي لم يُبْقِ فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة. ويقال: ما أُعْذِرِ فلانٌ أي لم يثبت له عذرٌ.

(٢) إعترض: تكلّف؛ يقال؛ اعتراض فلانٌ الشيء: تكلّفه.

(٣) الاخلاف في المستقبل كالكذب في الماضي، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله.

(٤) كَلَحَ: كَشَّر في عبوس.

(٥) بَرِمَ: سَئِمَ وضجر.

(٦) حُكْمٌ: حكمة.

(٧) الأرَاويُّ: ج أُرْوِيَّة (بضم الهمزة وكسرها) وهي أنثى الوعول.

قال الحسنُ بن عليّ: ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني، وكان رأسُ ما عَظُم به في عيني صِغَرَ الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطانِ بطنه فلا يَتَشَهَّى ما لا يحلّ ولا يكثِرُ إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يَمُدّ يداً إلا على ثقةٍ لمنفعة، كان لا يتشَكَّى ولا يتبرَّمُ، كان أكثرَ دهرِه صامتاً، فإذا قال بَذَّ القائلين، كان ضعيفاً مستضعَفاً فإذا جاء الجِدُّ فهو الليث عادياً، كان إذا جامع العلماء على أن يسمع أحرصَ منه على أن يقولَ، كان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعَل ما لا يقول، كان إذا عَرَض له أمران لا يدري أيّهما أقربُ إلى الحق نظر أقربَهما من هواه فخالفه، كان لا يلومُ أحداً على ما قد يَقَع العذرُ في مثله. زادني غيره: كان لا يقول حتى يرى قاضياً عَدْلاً وشهوداً عدولاً.

وفي كلام علي رضي الله عنه لكُمَيْل حين ذكر حُجَجَ الله في الأرض فقال: هَجَم بهم العلمُ على حقائق الأمور، فباشروا رَوْحَ اليقين، وآستلانوا ما استَوْعر المُتْرَفُون، وأَنِسوا بما آستَوْحش منه الجاهلون، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمَحَلّ الأعلى؛ هَاهْ[1] شوقاً إلى رؤيتهم.

قال رجلٌ ليونس بن عُبَيد: تَعْلُم أحداً يعمل بعمل الحسن؟ قال: والله ما أعرِف أحداً يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله! قيل: فصِفْه لنا؛ قال: كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دَفْن حَمِيمه، وإذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِر بضرْب عُنُقه، وإذا ذُكِرت النارُ فكأنها لم تُخْلَق إلّا له.

حدّثنا حِسين بن حسن المَرْوَزيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا مَعْمَر عن الأعمش عن شقيق بن سَلَمة قال: ما مَثَلُ قُرّاء هذا الزمان

(١) هاهْ: كلمة تقال للتوجّع، والهاء الأولى مبدلة من همزة «آه»، وبذلك تكون آسم فعل مضارع بمعنى أتوجّع.

إلا كَمَثَل غنمٍ ضوائنَ[١] ذاتِ صُوفٍ عجافٍ أكلتْ من الحَمْض[٢] وشَرِبت من الماء حتى انتفخت خواصرها، فمرّت برجل فأعجبتْه، فقام إليها فعَبَط منها شاةً فإذا هي لا تُنْقي[٣]، ثم عَبَط أخرى فإذا هي كذلك، فقال: أُفٍّ لكِ، سائر اليوم.

حدّثنا حسين قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال: إذا شئْتَ لَقِيْتَه أبيض بضّاً[٤] حديد النظر مَيْتَ القلبِ والعمل، أنت أبصرُ به من نفسه؛ تَرَى أبداناً ولا قلوب، وتسمع الصوتَ ولا أُنس، أخصبُ ألسنةٍ وأجدبُ قلوب.

حدّثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال:

قال سُفْيان: الزهدُ في الدنيا قِصرُ الأمل، ليس بأكل الغَلِيظ ولا لُبْس الغَلِيظ. قال: وقال يوسف بن أسباط: لو أنَّ رجلاً في ترك الدنيا مثلُ أبي ذرّ وأبي الدَّرْداء وسَلْمان، ما قلنا له: إنك زاهد، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المَحْض، والحلالُ المحض لا نعرفه اليوم، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُبُهات؛ فالحلالُ حسابٌ، والحرام عذابٌ، والشبهات عتابٌ؛ فأنزلِ الدنيا منزلةَ المَيْتة خُذْ منها ما يُقِيمك، فإنْ كان ذلك حلالاً كُنْتَ زاهداً فيها،

(١) الغنمُ الضوائن: الضعيفة، ومفردها ضائن وضائنة.

(٢) الحَمْض: ما مَلُحَ وأمرَّ من النبات.

(٣) عَبَطَ الذبيحةَ يَعْبِطُها عَبْطاً: نحرها من غير علّة وهي سمينة فتيّة. ولا تُنْقي: ليس لها نِقْيٌ لضعفها وهزالها، والنِقْيُ: المُخّ. وقد ورد حديث أبي وائل في لسان العرب مادة (نقا): «فَعَبَط منها شاةً فإذا هي لا تُنْقي».

(٤) لم يتقدّم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله «لقيته» وفي لسان العرب مادة (بضّ): وفي حديث الحسن: «تَلْقَى أَحَدَهُمْ أبيضَ بَضّاً» والبَضّ: من البَضَاضة وهي رقة اللون وصفاؤه الذي يؤثر فيه أدنى شيء.

وإنْ كان حراماً لم تكن أخذْتَ منها إلا ما يُقِيْمك كما يأخذ المضطرُّ من الميتة، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً. ومثله قولُ بعضهم: ليس الزهد بتركِ كلّ الدنيا، ولكن الزهدَ التهاونُ بها وأخذُ البَلاغِ منها. قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[1]، فأخبر أنهم زَهِدوا فيه وقد أخذوا له ثمناً.

قال أبو سليما الداراني: الرضا عن الله والرحمةُ للخَلْق درجةُ المرسَلين، وما تعرف الملائكةُ المقرّبون حدّ الرضا. وقال: أرجو أن أكون قد نِلْتُ من الرضا طَرَفا، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضياً. قال: وليس الحمد له أن تَحْمده بلسانك وقلبُك مُقتصِرٌ على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبُك مسلّمٌ راضٍ.

وقال أبو أبي الحَوَاريّ: قلت لأبي سليمان: بلغني في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2] أنه الذي يلقى ربَّه وليس فيه أحدٌ غيرُه؛ فبكى وقال: ما سمعْتُ مذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا. وقال: كلّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط. قال: وما في الأرض أحدٌ أجِدُ له محبّةً ولكن رحمة. وقال: ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء، فإذا غَلَب الرجاءُ على الخوف فَسَد القلبُ.

وقال الفُضَيْل بن عياض: أصل الزهد الرضا عن الله.

---

(١) سورة يوسف ١٢، آية رقم ٢٠. وشَرَوْهُ: باعوه منهم، أي باعوا يوسف بثمن ناقص. والدراهم المعدودة تقدّر بعشرين أو آثنين وعشرين وكانوا: أي إخوته. ومن الزاهدين: أي جاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي آشتراه بعشرين ديناراً وزوجِيْ نعل وثوبين. راجع التفسير المبين.

(٢) سورة الشعراء ٢٦، آية ٨٩. ومعنى الآية: لا دين ولا إيمان ولا أخلاق ولا إنسانية إلّا بسلامة من الحقد والنفاق وكل دنيَّة ورذيلة. المرجع السابق.

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبجر: أنَّ رجلاً يُكنى أبا سعيد كان يقـول: والله ما رأيتُ قُـرّاءَ زمان قطُّ أغلظَ رقـاباً ولا أدقَّ ثِيـابـاً ولا آكـلَ لمُـخّ العيش منكم.

أبو أُسامة عن حمّاد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال.

قال مطرّف: انظروا قوماً إذا ذُكِروا بالقراءة فـلا تكونـوا منهم، وقومـاً إذا ذُكروا ذُكروا بالفُجُور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء.

أوصى آبن مُحَيْرِيز رجلاً فقال: إنِ آستطعْتَ أن تعرِف ولا تُعْرَف وتَسأل ولا تُسْأَل وتمشِي ولا يُمْشَى إليك، فآفعل.

قال أيّوب: ما أحبَّ الله عبداً إلا أحبَّ ألَّا يُشْعَر به.

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمـان قال: جـاء شُرَيـح بن عبيد إلى أبي عائذ الأزديَ فقال: يا أبا عبد الله،لـو أحييْتَ سنّةً قـد تركهـا الناس: إرخاء طَرَف العِمامة من الجانب الأيسر! قال: يـا بن أخي ، ما كـان أحسنها! تـركها الناس فتركْناها، ما أحِبُّ أنْ أُعرَفَ في خيرٍ ولا شرّ.

كلام من كلام الزُّهّاد

حدّثنا حسين بن حسن المروزيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قـال: أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز قال:

قال عبد الرحمن بن يزيـد بن معاويـة لرجـل: يا فـلانُ، هل أنت على حـالٍ أنت فيهـا مستعـدّ للمـوت؟ قـال: لا؛ قـال: فهـل أنت مُجْمِـعٌ[1] على التحوّل إلى حال ترضى بها؟ قال: ما شَخَصتْ نفسي لذلك؛ قـال: فهل بعـد

(١) مُجْمِعٌ: عازم.

الموت دارٌ فيها مُسْتَعْتَبٌ؟[١] قال: لا؛ قال: فهل تأمنُ الموت أن يأتيَك؟ قال: لا؛ قال فهل رضي بمثل هذا الحال عاقل؟.

حدثنا حسين قال: حدّثنا عبد الله بن مبارك قال: حدّثني غير واحد عن مُعاوية بن قُرّة قال:

قال أبو الدرداء: أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ: أضحكني مؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ مِلْءَ فيه ولا يدري أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه. وأبكاني فِراق الأحبّة: محمدٍ وحِزْبه، وهَوْلُ المُطَّلَع، والوقوفُ بين يدي الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار.

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ يقول: تضحَكُ ولعل أكفانَك قد خرجَتْ من القَصّار[٢]. قال: وقال الفُضَيل: أصلُ الزهد الرضا عن الله، وقال: ألا تراه كيف يَزْوِيها عنه ويُمَرْمِرُها[٣] عليه بالعُرْي مرَةً وبالجُوع مرة وبالحاجة مرة، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها: تسقيه مرّةً صَبِراً[٤] ومرة حُضَضاً[٥]، وإنما تريد بذلك ما هو خير له.

وقال السريّ: ليس من أعلام الحبّ أن تُحبّ ما يُبْغضه حبيبُك. أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: أَمّا زهدُك في الدنيا فتَعَجُّلك الراحةَ لنفسك، وأمّا ٱنقطاعُك إليَّ فتعزُّزك بي، ولكن هل عاديْتَ لي عدوّاً أو واليْتَ لي وليّاً؟

---

(١) المُسْتَعْتَبُ: الطلب إلى المسيء أن يرجع عن إساءته.

(٢) القَصّارُ: مُحَوِّر الثياب، سمي بذلك لأنه يدقُّها بالقَصَرَة (بفتح القاف والصاد والراء) التي هي قطعة من الخشب.

(٣) يُمَرْمِرُها: يجيزها ويعذّبُها.

(٤) الصَّبِرُ: عصارة شجر مرّ.

(٥) الحُضَضُ (بضم الحاء وضم ثانية أو فتحه): دواء يُتّخذ من أبوال الإبل.

قال مالك بن دينار: بلغَنا أن حَبْراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغَمَز بعضُ بنيه النساءَ، فرآهم فقال: مَهْلاً يا بَنيَّ مهلاً! قال: فسَقَط عن سريره فآنقطع نُخَاعه[1] وأسقطت آمرأتُه وقُتِل بنوه في الجيوش. وقيل له: ما يكونُ من جنسك حِبْرٌ أبداً، ما كان غضبُك لي إلا أن قلْتَ يا بنيّ مَهْلاً يا بنيّ مهلا.

ضَمْرة بن ربيعة قال: سمعْتُ إبراهيم بن أدهم يقول: ارضَ بالله صاحباً ودَعِ الناس جانباً.

كان بِشْر بن الحارث يقول: أربعةٌ رفعهم الله بغير كبيرِ عملٍ في الظّاهر إلا بِطِيب المَطْعم: إبراهيم بن أدهم وسالمٍ الخوّاص ووُهَيْب المكّي ويوسف آبن أسباط.

وحدّثني أبو حاتم أو غيره عن العُتْبيِّ قال: سمعْت آبن عُيَينة يقول: أربعٌ ليس عليك في واحدةٍ منهنّ حسابٌ: سَدُّ الجَوْعة، وبَرْدُ العَطْشة، وستر العورة، والاستكنان؛ ثم تلا: ﴿إنّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تظمأ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[2].

بلغني عن يَعْلى عن سُفْيان: قال عليٌّ عليه السلام لرجل: كيف أنتم؟ قال: نرجو ونخاف؛ قال: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هَرَب منه، ما أدري ما خوفُ رجلٍ عَرَضت له شهوة فلم يَدَعْها لما يخاف؟ وما أدري ما رجاءُ رجل نزل به بلاءٌ فلم يصبِر عليه لما يرجو؟.

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعيّ عن مكحول قال: إنْ كان

(١) النخاع: الخيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعّب منه شعب في الجسم.
(٢) سورة طه ٢٠، الآيتان ١١٨ و ١١٩. ولا تَظْمأ: لا تعطش. ولا تَضْحَى: لا يحصل لك حَرُّ شمس الضحى لآنتفاء الشمس في الجنة. التفسير المبين.

الفضلُ في الجماعة فإن السلامةَ في العزلة. وبلغ الفُضَيلَ هذا فقال: سمعتم كلاماً أحسن منه!

قال ابن المبارك: رَكِبْتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثيّ السفينةَ فقلتُ: بأيّ شيء أستخرج منه الكلام؟ فقلت: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي المبادَرة؛ فجاءني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعبيّ.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال: قيل لأبي حازم: ما مالُك؟ فقال: الثقةُ بما في يد الله واليأسُ مما في أيدي الناس. وقال أبو حازم: إنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم، فآثِرْ نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على ولدك، وآعلم إنما تُخلف مالك في يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصيه الله فتشقَى بما جمعْتَ له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعَدَ بما شَقِيْتَ له؛ فآرجُ لمن قدّمْتَ منهم رحمةَ الله، وثِقْ لمن خَلّفت منهم برزق الله.

وقال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يَكفيك ففي أدناها ما يكفيك، وإنْ كنْتَ لا ترضَى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك.

ونظر أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال: موعدُك الجنّة. ومرَّ بالجزّارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمينٌ فآشترِ منه؛ قال: ليس عندي ثمنه؛ قال: أنا أنظرُك؛ ففكّر ساعة ثم قال: أنا أنظرُ نفسي.

قال سُفيان: حَلَف أبو حازم لجلسائه: إني لأرضى أن يَبْقى أحدُكم على دِينه كما يبقى على نَعْله.

حدّثني محمد بن زياد الزياديّ قال: حدّثنا عيسى بن يونس عن عبد الله ابن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن آبن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «الصحّةُ والفَرَاغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس».

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا أبو ربيعة فَهْد بن عَوْن عن حمّاد بن سَلَمة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: ابنَ آدم، إنما أنت عَدَدٌ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضُك.

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهميّ عن الحسن بن ذَكْوان رَفَعَ الحديثَ إلى النبي ﷺ قال: «أوصاني ربّي بتسعِ خصالٍ وإني مُوصِيكم بها: بالإخلاص في السرّ والعَلاَنية، والعَدْلِ في الرضا والغَضَب، والقَصْد في الفقر والغنىَ، وأنْ أعفوَ عمّن ظَلَمني، وأصِلَ مَنْ قطعني وأُعطي مَنْ حَرَمني، وأن يكون صَمْتي تَفَكُّراً، ومَنْطِقي ذِكْراً، ونَظَري عِبَرا».

مسلم بن إبراهيم عن حمّاد بن سَلَمة عن حُمَيد قال: كان ٱبن عمر يقول: البِرُّ شيء هَيِّنٌ: وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّن.

جعفر بن سليمان قال: سمعْتُ مالكاً يقول: اتّقُوا السّحّارة، فإنها تسحَرُ قلوبَ العلماء. قال: وسمعْتُه يقول: وَدِدْتُ أنَّ رزقي في جَصَاة أمصّها حتى أموت، ولقد ٱختلفْتُ إلى الخَلاَء حتى ٱستحيَيْتُ من ربّي.

بِشْر بن مُصلح عن أبي سعيد المصّيصيّ عن أُسد بن موسى قال: في الجُوع ثلاثَ خلال: حياةُ القلب، ومَذَلَّة النفس، ويُورث العقلَ الدقيق السماويّ.

سالم بن سالم البَلخيّ عن السريّ بن يحيى قال: كان الحسن إذا عاد مريضاً لم ننتفع به يوماً وليلة، وإذا شيّع جنازةً لم ينتفع به أهلُه ووَلَدُه وإخوانُه ثلاثاً.

خَلَف بن تميم قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، أُحبّ أن تقبَلَ مني هذه الجُبّة كُسوةً؛ قال إبراهيم: إن كنْتَ غنيّاً قَبِلتُها منك، وإن

كنْتَ فقيراً لم أقبَلْها؛ قال: فإني غنيٌّ؛ قال: كم عندك؟ قال: ألفان؛ قال: فيَسُرُّك أن تكون أربعة آلاف؟ قال: نعم؛ قال: أنت فقير، لا أقبَلها».

قال عُبَيد الله بن عمر: دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفُضَيل نعودُه؛ فقال: زَوَّجَك وخوّلك وصَرَف وجوهَ الناس إليك وأنت تشغلك عنه مَنْ أنت وما أنت! ثم شَهَق شَهقةً، وأضجعه رجل كان عنده وغَطّى عليه ثوباً وهو لا يعقِل، ونزلنا.

بكّار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال:

قال أبو حازم: السّرُّ أملكُ بالعَلاَنِيَة من العَلانية بالسرّ، والفعلُ أملكُ بالقول من القول بالفعل، فإذا كنْتَ في زمانٍ يُرْضَى فيه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم، فأنت في شرِّ زمان وشرّ أناس.

ابن أبي الحواريّ قال: ذكرْتُ لأبي سليمان امرأتي والشغلَ بها، فقال: إنْ علم اللّهُ من قلبك أنك تُريد الفراغَ له فرّغك، وإن كنت إنما تريد الراحة منها لتستبدل بها، فهذه حماقة. قال: ورأيته حين أراد الإحرام فلم يُلَبِّ حتى سِرْنا مليّاً وأخذه كالغَشْي وجعل رأسَه عند رُكبته فجعل مَحْمِله يَخِفّ ومحمِلي يثقُلُ حتى سِرْنا هَوِيّاً[1]، ثم أفاق فقال: يا أحمد، بَلَغني أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام «يا موسى مُرْ ظَلَمةَ بني إسرائيل أن يُقِلُّوا من ذكري، فإني أذكُر مَنْ ذَكَرني منهم بلعنة حتى يسكت». ويحك يا أحمد بلغني أنه من حجّ من غير حِلّه ثم لبّى، قال له تبارك وتعالى: لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْكَ حتى تردّ ما في يديك؛ فما يؤمِّننا أن يقال لنا ذلك. قال: وقال أبو سليمان:

---

(١) هَوِيّاً: ساعة من الليل.

يجيئك وأنت في شيء من الخير فيُشير لك إلى شيء من الخير دونه ليَرْبح عليك شَعِيرةً؛ يعني إبليسَ.

قال المسيح لأصحابه: بحقٍ أقول لكم، إنَّ مَنْ طلب الفردوسَ فخبزُ الشعير له والنومُ في المزابل مع الكلاب كثير.

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال: كنا أجنّةً في بطون أُمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِي، ثم كنا مَرَاضع[1] فَهَلك منا من هلك وبَقِي من بقي، وكنا أيفاعاً، وذكر مثل ذلك، ثم صِرنا شبّاناً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل إليها.

قال: وقال مكحول: الجنين في بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَل سُرّته، وغذاؤه في بطن أمه في دم حيضها، فمن ثَمّ لا تَحيض الحامل، فإذا سقط آستَهلّ آستهلالة إنكاراً لمكانه، وقُطِعت سُرّته وحَوّل الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوّله إلى الشيء يُصْنع له ويَتناوله بكفّه، حتى إذا آشتدّ وعَقَلَ قال: أين لي بالرزق؟ يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حِجْرها تُرزقَ حتى إذا عَقَلْتَ وشَبَبْتَ قلتَ: هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق؟ ثم قرأ: ﴿يَعْلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[2].

عبد الملك بن عبد العزيز قال: كان محمد بن النَّضْر الحارثيّ إذا لم يكن في صلاة آستقبل القِبْلةَ، فقَعَدنا إليه بعد العصر فقال: بلغني أنه مَنْ

(١) مراضِعُ: ج مَرْضَع (بفتح الضاد) وهو الرضيع.

(٢) سورة الرعد ١٣، آية ٨. والمعنى: إن الله يعلم ما تحمل كل أنثى من ذكر أو أنثى وما تنقص الأرحام عن مدة الحمل بحيث تلد أو تسقط لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد عن التسعة. ولقد اتفقت المذاهب الإسلامية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وآختلفوا في أقصاها. راجع التفسير المبين.

قال: : لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريك له لـه الملكُ وله الحمـدُ وهو على كـلّ شيء قدير، ألفَ مرةٍ في دُبُر صـلاة العصر، رُفِـع له عمـلُ نَبيٍّ؛ ثم قال: قـد أكثرت الكلام.

وقال سعيد بن عمر الكِنْديّ: دخل رجلٌ على دَاود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بلّه في الماء بِملْحٍ جَرِيشٍ[1]، فقال له: كيف تشتهي هذا؟ قال: أدعُه حتّى أشتهيـه. ونحو هـذا قول هشام بن عبد الملك لسـالم: مـا أُدْمُـك[2]؟ قـال: الزيت؛ قال: أما تَأجِمه[3]؟ قال: إذا أجمته تركْتُه حتى أشتهيه. قـال: وكان مـاء داود في دَنٍّ مُقيّـر[4] في الصّيف والشتاء، فقـال له بعض أصحـابه: لـو بَـرّدْتَ المـــاء! فقـال داود: إذا أصبْتَ في مثـــل هـذا اليـــوم مـاءً بـــارداً فمتى تُحِبّ الموت؟.

سعيد بن عمرو عن رجل قال: قـال محمد بن واسـع: لو كـان للذنوب رِيحٌ ما جلس إليَّ منكم اثنان. وقال محمد بن واسـع: لا يطيبُ المَـالُ إلا من أربع: سهم في فَيء المسلمين، أو عطيّة عن ظَهْر يدٍ، أو إرثٍ بكتاب الله، أو تجارة من حلال؛ ولا يُقْتل مسلم إلا بهذه الخِصَـال: كفر بعـد إسلام، أو زنـا بعد إحصان، أو قَتَل فيُقْتل، أو حارب الله ورسولَه وقَطَع الطريقَ.

قـال سليمان بن المُغِيـر: سمعْتُ ثابتـاً يقـول: واللَّهِ لَحَمـلُ الكَـارَات أهونُ من العبادة. قال: ولا يُسَمَّى الرجلُ عابـداً وإن كانت فيـه خَصْلَةٌ من كلّ خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ، فإنهما من لحمه ودمه.

---

(١) ملح جَرِيْش: ملح لم يُطَيَّب.
(٢) الأُدْمُ: ما يُؤْكل بالخبز أي الشيء كان؛ يقال: أَدَمَ الخبزَ يَأْدِمُهُ أَدْماً: خلطه بالأدم (بضم الهمزة وسكون الدال).
(٣) تَأجِمُهُ: تكرهه وتملُّه.
(٤) مُقَيَّرٌ: مَطْليٌّ بالقار وهو شيء أسود تُطْلَى به السفنُ، وقيل هو الزفت.

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حَيّان قال: كان عيسى بن عُقْبة يسجُد حتى أنَّ العصافير ليَقعنْ على ظَهْره وينزِلْن، ما يحسَبْنه إلاّ جِرْمَ حائط.

حدّثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال: شكا أهل مكة إلى الفُضَيل القَحْطَ؛ فقال: أمدبِّراً غير الله تريدون؟. قال: وسمعته يقول: استخيروا اللّهَ ولا تَخيّروا عليه، فكم من عبد تخيّر لنفسه أمراً كان.هلاكه فيه! أمَا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ[1] فأُعطِيَها فأَسِرَ فصار نَصْرانياً؟.

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال: قال وكيع: أبو يونس، ومن أبو يونس؟ بَكَى حتى عَمِي، وطاف حتى أُقْعِد، وصلّى حتى حَدِب.

حدّثني محمد بن عبيد قال: محمد بن عبد الله الأنصاريّ عن بَهْز بن حكيم قال: صلّى بنا زُرارةُ بن أوفى الغَداةَ، فقرأ الإمامُ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[2]، فخر مَغْشِيّاً عليه، فحملناه ميّتاً.

ابن أبي الحَوَاريّ قال: سمعْتُ عمر بن عبد العزيز يقول: الصلاةُ تبلِّغك نصفَ الطريق، والصومُ يبلّغك بابَ الملك، والصَّدَقةُ تُدْخِلك عليه.

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال: رحمه الله ـ ثلاثاً ـ لقد قَدِم المدينةَ

---

(١) طَرَسُوْس (بفتح الطاء والراء وضم السين وسكون الواو) بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وكان الزهّاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ هـ وتنصَّر وقتئذ بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام. راجع معجم البلدان. وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١ ص ٦٨ ـ ٦٩): طرطوس مدينة في الثغور الرومية عند المِصِّيْصَة وأَذَنَة، وبها قبر المأمون بن هارون الرشيد. وقد تقدم الحديث عن المِصِّيْصَة في الحاشية رقم ٢ من ص ٢١٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) سورة المُدَّثِّر ٧٤، الآيات رقم ٨ و ٩ و ١٠. ومعنى الآيات: إذا نفخ في الصور وخرج الأموات من القبور سيكون وقت النقر يوماً عسيراً على الطغاة والعصاة. راجع التفسير المبين.

مرَّةً وأنا بها، فقلْتُ: لأقعُدنَّ له، لعلِّي أتعلّق عليه بسَقْطة، فقام من القبر مَقاماً ما ذكرْتُه قطّ إلا ٱقشعرَّ جِلْدي.

روى ٱبنُ عيّاش عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ قال: حجّ الحجّاج فنزل بعضَ المِياه ودعا بالغَدَاء، فقال لحاجبه: انظر من يَتَغدّى معي وٱسأله عن بعض الأمر؛ فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين شَمْلتين من شَعَرٍ نائم، فضربه برجله وقال: ائت الأميرَ فأتاه؛ فقال له الحجاج: اغسِلْ يدك وتَغدَّ معي؛ قال: إنه دعاني مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته؛ فقال له الحجاج: من الذي دعاك؟. قال: اللّٰهُ تعالى دعاني إلى الصوم فَصُمْتُ؛ قال: في هذا اليوم الحارّ؟ قال: نعم، صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه؛ قال: فأفطِر وتصوم غداً؛ قال: إنْ ضمنتَ لي البقاءَ إلى غد؛ قال: ليس ذاك إليّ؛ قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدِر عليه؛ قال: إنه طعامٌ طيِّب؛ قال: إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبّاز، ولكن طيّبته العافية.

ونحو هذا حدّث الأصمعيّ عن شَبيب بن شيبة قال: كنّا في طريق مكة فجاء أعرابيٌّ في يومٍ صائفٍ شديدَ الحرّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ، فقال: أفيكم كاتب؟ قلنا: نعم؛ وحضر غداؤنا فقلنا: لو دخلْتَ أصبت من الطعام! قال: إني صائم؛ قلنا: في الحرّ وشِدّته وجَفَاء البادية؟ فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، ولا أُحِبّ أنْ أغْبَنَ أيّامي، ثم نبذ إلينا الصحيفة، وقال: أُكْتُبْ ولا تزيدنّ على ما أقول حرفاً: هذا ما أعتق عبدُ الله ابن عقيل الكلابيّ، أعتق جاريةً له سوداءَ يقال لها لؤلؤة، ٱبتغاءَ وجه الله تعالى وجوازِ العَقَبة، وإنه لا سبيلَ له عليها إلا سبيلَ الوَلَاء، المِنّةُ لله عليها وعليه واحدة. قال الأصمعيّ: فحدّثت بها الرشيدَ، فأمر أن يُعتَقَ عنه ألفُ نَسَمةٍ أو مائةُ نسمة، ويُكتَبَ لهم هذا الكتاب.

قال خالد بن صَفْوان: بِتُّ أتَمَنّى ليلتي كلَّها، فكَبَسْتُ البحر الأخضرَ بالذهب الأحمر، فإذا الذي يَكفيني من ذاك رغيفان وكُوزان وطِمْران!.

رأى رجلٌ رجلا من وَلَد مُعاوية يعمَل على بعيرٍ له، فقال: هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا! فقال: رحمك الله، ما فَقَدْنا إلا الفضولَ.

سمعتُ بعضَ العبّاد يقول: علامةُ التَّوبة الخروجُ من الجهل، والنَّدَمُ على الذنب، والتَّجافِي عن الشهوة، وآعتقادُ مَقْتِ نفسك المسوِّلة، وإخراجُ المَظلمة، وإصلاحُ الكَسْرة، وتركُ الكذب، وقطعُ الغِيبة، والانتهاءُ عن خِدْن[1] السَّوْء.

لَقِي زاهدٌ زاهداً فقال له: يا أخي، إني لأُحبّك في الله؛ قال الآخر: لو علمْتَ منّي ما أعلم من نفسي لأبغضتَني في الله؛ قال له الأوّل: لو علمْتُ منك ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شُغْلٌ عن بُغْضك.

كان الثَّوريّ مستخفياً بالبَصْرة، فورد عليه كتابٌ من أهله، وفيه: قد بَلَغ بنا الجَهْد إلى أن نأخُذَ النَّوَى فنرضَّه ثم نخلِطَه مع التبن فنأكلَه؛ فحرّك ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب إلى أخ له؛ فقرأه فدَمَعتْ عينُه، ثم قال: يا أبا عبد الله، لو أنّك حدّثْتَ الناس آتّسَعت واتّسع هؤلاء! فأطرق مَلِيّاً ثم رفع رأسه وقال: اسمعْ حديثاً أُحدِّثُكَ به ثم لا أُكلِّمك بعده سنة؛ رُئِيَ نُورٌ في الجنّة تَجدّد، فقيل: ما هذا النور؟ فقيل: حَوْراءُ ضَحِكتْ في وجه زوجها فبَدَتْ ثناياها؛ فتَرَى لي أن أُغرَّرَ بتلك وأصيرَ إلى ما تقول!.

أراد قومٌ سفراً فحادوا عن الطريق وآنتهَوْا إلى راهبٍ منفردٍ في ناحية،

---

(١) الخِدْن: الصاحب والرفيق. والسَّوْءُ: الشيء المنكر؛ يقال: رجلُ سَوْء، وقال الأخفش: ولا يقال: الرجلُ السَّوْءُ.

فنادَوْه فأشرف عليهم، فقالوا: إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ؟ قال لهم: ها هنا، وأومأ إلى السماء، فعلِموا الذي أراد، فقالوا: إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت؟ قال: سَلوا ولا تُكثروا، فإنَّ النهار لن يرجِع والعُمْرَ لن يعود والطالبَ حثيثٌ في طلبه ذو آجتهاد؛ قالوا: ما الخلقُ عليه غداً عند مليكهم؟ فقال: على نِيّاتهم؛ فقالوا: فإلامَ الموئلُ؟ قال: إلى المُقَدَّم؛ قالوا: أَوْصِنا؛ قال: تَزَوَّدوا على قدر سفركم، فإنَّ خيرَ الزاد ما بَلَّغ المحَلَّ؛ ثم أرشدهم إلى المَحَجَّة وآنقمع[1].

وقال آخر: قلت لراهب: عِظْني عِظَةً نافعة؛ فقال: جميعُ المواعظ منتظمةٌ في حرف واحد؛ قلت: ما هو؟ قال: تُجمِعُ على طاعته، فإذا أنت قد حَوَيْتَ المواعظ والأذكار.

الأصمعيّ: قيل لأعرابيٍّ معه ماشيةٌ: لمن هذه الماشية؟ قال: لله عندي.

كان آبن السماك يقول في كلامه: لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيُون من الله من طول ما لا تستحيُون؟.

قال بكر بن عبد الله: اجتهدوا في العَمَل، فإنْ قَصَّر بكم ضعفٌ فكُفُّوا عن المعاصي.

كان مالك بن دينار يقول في قَصَصه: ما أَشَدَّ فِطامَ الكبير[2]!

ويُنشد: [كامل]

وتَروضُ عِرْسَك بعد ما هَرِمَتْ ... ومن العَناءِ رياضةُ الهَرِمِ[3]

---

(١) انقمع المَرْءُ: جلس وحده.

(٢) ورد هذا القول في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٨٥).

(٣) العِرْسُ: الزوجة. وقد ذكر ابن عبد ربه هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٩٧) بعد أن قال: «وقالوا: ما أشدَّ فطام الكبير... وقالوا من العَناء رياضة الهَرِمِ. قال الشاعر». وأورد =

كان أعرابيٌّ يسرِق الإبلَ يُسَمَّى يزيدَ، ثم تاب وقال: [طويل]

ألَا قُلْ لرُعْيان المَخَائِض[1] أَهْمِلُوا فقد تاب، مما تعلمون، يزيدُ
وإنَّ آمرأً ينجو من النار بعد ما تَزَوَّدَ من أعمالها لَسَعِيدُ[2]

وقال نَصِيْحُ الأسديّ: [طويل]

كفى نَطَفاً[3] بالمرء يا أمَّ صالح ركوبُ المعاصي عامداً وآحتقارُها

كان خالد بن مَعْدَان[4] يقول: [طويل]

إذا أنتَ لم تزرَعْ وأبصرْتَ حاصداً نَدِمْتَ على التفريطِ في زمن البَذْرِ

قال منصور بن عَمّار: ما أرى إساءةً تكبُرُ عن عفو الله فلا تَأْيَس، ربما أخذ الله على الصغير فلا تأمن.

وروَى وَكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيبة بن سِمْعان عن مُسَيْكَة عن عائشة رضي الله عنها أنها أتتْ رسولَ الله ﷺ بصَحْفة فيها خبزُ شعيرٍ

= البيت المذكور أعلاه. ولقد سبقه إلى هذا المعنى أحد الشعراء (طويل).
إذا المرءُ أعْيَتْهُ المروءةُ ناشئاً فَمَطْلَبُها كهلاً عليه شديدُ
انظر العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٥).

(١) المخائض: الإبل التي تخوض في الماء، أي تمشي فيه.

(٢) قائل هذين البيتين هو يزيد بن الصَّقْيل العُقَيْلي، أحد اللصوص المشهورة بالباديه، وكان قد تاب. ولقد ذكر ابن منظور هذين البيتين في لسان العرب مادة (بعر) وقال: ألا قُلْ لِرُعْيانِ الأباعرِ... الخ والأباعر: جمع أَبْعِرَة، وأبعرة ج بعير وهو الجمل البازل. وأضاف ابن منظور قائلاً: البيت الثاني كثيراً ما يتمثل به الناس ولا يعرفون قائله، وكان سبب توبة يزيد هذا أن عثمان بن عفّان وجّه إلى الشام جيشاً غازياً، وكان يزيد في بعض بوادي الحجاز يسرق الشاة والبعير وإذا طُلِبَ لم يوجد، فلما أبصر الجيشَ متوجِّهاً إلى الغزو أخلص التوبة وسار معهم.

(٣) النَّطَفُ: العيب.

(٤) خالد بن مَعْدان الكلاعي تابعيٌّ، أصله من اليمن، تولّى شرطة يزيد بن معاوية. اشتهر بالعبادة وتوفي سنة ١٠٤ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٩٩.

وقطعةٌ من الكَرِش، فقالت: يا رسول الله، ذَبَحْنا اليوم شاةً فما أمسكْنا منها إلا هذا؛ قال: بل كلّها أمسكتم إلا هذا.

استقبل عامرَ بن عبد قيس رجلٌ في يوم حَلْبة، فقال: من سَبَق يا شيخ؟ فقال: المقرّبون. وأُتي به عثمان أُقْعِد في دهليزه، فلما خرج رأى شيخاً ثَطَاً[1] في عباءة، فأنكر مكانه، فقال: يا أعرابيّ، أين ربُّك؟ قال: بالمِرْصاد.

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما بالُنا نَكْرَهُ الموت؟ قال: لأنكم عَمَّرْتم الدنيا وأخرَبْتُم الآخرة، فأنتم تكرهون أنْ تنتقلوا من العُمْران إلى الخراب.

قال الحسن نِعَمُ اللّهِ أكثرُ من أن تُشْكَر إلا ما أعانَ عليه، وذُنوبُ آبن آدم أكثرُ من أن يُسْلَم منها إلا ما عفا الله عنه.

وقالَ الحسن: تتفق دِينَك في شَهْوتك سَرَفا، وتمنَعُ في حق الله درهما، ستعلَم يا لُكَعُ[2].

خرج المسيح من بيت مُومسةٍ، فقيل له: يا رُوح الله، ما تصنَع عند هذه؟ فقال: إنما يأتي الطبيبُ إلى المَرْضى. ومرّ بقوم شَتَموه فقال خيراً، ومرَّ بآخرين شتموه فقال خيراً؛ فقال رجل من الحوارِيِّين: كلما زادوك شرّاً زِدْت خيراً، كأنك تُغْريهم بنفسك! فقال: كل إنسان يُعطِي مما عنده.

أخبر أبو حازم سليمانَ بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين؛ فقال سليمانُ: فأين رحمةُ الله؟ قال: قريبٌ من المحسنين.

---

(١) الثَّطأ: الإفراط في الحمق.

(٢) يا لُكَعُ: يا لئيمُ، ولنداء الإثنين نقول: يا ذَوَيْ لُكَعَ إذ لا يصرف في المعرفة لأنه معدول عن أَلْكَع.

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب: عِظْني: فقال: لا أرضى نفسي لك، إني لأُصَلِّي بين الغنيّ والفقير، فأَمِيل على الفقير وأُوسِّع للغنيّ.

نظرتِ آمرأةٌ إلى أخرى وحولهَا عشرةٌ من وَلَدها كأنهم الصقور، فقالت: لقد وَلَدتْ أُمّكم حزناً طويلاً.

أُحتُضِر فتىً كان فيه زهوٌ، فرَفَع رأسَه فإذا أبواه يَبكيان، فقال لهما: ما يُبكيكما؟ قالا: الخوفُ عليك لإسرافك على نفسك؛ فقال: لا تَبْكيا، فوالله ما يَسُرُّني أنَّ الذي بيد الله من الرحمة بأيديكما.

قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهَه: يا آبن آدم، لا تحمِلْ همَّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه، فإنْ يكُ من أجلك يأتِ فيه رزقُك، وآعلم أنك لا تَكسِبُ من المال شيئاً فوق قُوتِك إلا كنْتَ فيه خازناً لغيرك. قال النابغةُ في نحوه: [وافر]

ولستُ بحابسٍ لِغَدٍ طعاماً — حِذَارَ غدٍ لكلِّ غدٍ طعامُ

تذاكر حُذَيْفة وسَلْمان أمرَ الدّنيا، فقال سَلْمان: ومن أعجب ما تذاكَرْنا صعود غُنَيْمات الغامديّ(١) سريرَ كِسْرَى، وكان أعرابيٌّ من غامدٍ يَرْعَى شُوَيْهاتٍ(٢) له، فإذا كان الليلُ صَيّرها إلى عَرْصة إيوان كسرى، وفي العرصه سريرُ رُخامٍ كان يجلِس عليه كسرى، فتَصْعَد غُنَيمات الغامديّ إلى ذلك السرير.

دخل أبو حازم المسجدَ فوَسْوَس إليه الشيطانُ: إنك قد أحدثْتَ بعد

(١) نسبة إلى قبيلة غامد ابن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كَعْب. أنظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٧.

(٢) الشُّوَيْهاتُ: ج شُوَيْهة، وهي تصغير شَوَهَة (بفتح الشين والواو والهاء) والشَّوَهَةُ والشاهَةُ هي الشَّاةُ.

وُضُوئك، فقال: وقد بَلَغ هذا من نصحك!.

قال الزبير: يكفينا[١] من خَضْمكم القَضْمُ، ومن نَصِّكم العَنَقُ. قال رجلٌ لأمِّ الدَّرداء: إني لأجد في قلبي داءً لا أجد له دواء، أجد قَسْوةً شديدة وأملاً بعيداً؛ قال: اطلع في القبور وآشهَدِ الموتى.

قيل للربيع بن خَيْثَم: لو أرحْتَ نفسَك! قال: راحتَها أُريد.

قال رجل من الصالحين: لو أنزل الله كتاباً أنه معذِّبٌ رجلاً واحداً لخِفْتُ أن أكونَه، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجَوتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذِّبي لا محالةَ ما آزددْتُ إلا آجتهاداً لئلا أرجِعَ على نفسي بلائمة.

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة، فقال لهم: دَعُونا من الثّناء، وأمِدُّونا بالدعاء.

قيل لبعض العُبّاد: مَنْ شَرُّ الناس؟ قال: من لا يُبالي أنْ يراه الناسُ مسيئاً.

قال المِسور بن مَخْرَمة: لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني معكم لاستحييْتُ منهم.

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: عجبْتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه؛ قيل: وما هي؟ قال: الإستغفار.

كان فتىً يُجالس سُفْيان الثوريَّ ولا يتكلّم، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه، فمرَّ به يوماً فقال له: يا فتى، إنَّ من كان قبلَنا مرّوا على خيل

---

(١) الخَضْمُ: الأكل بأقصى الأضراس. والقَضْمُ: الأكل بأطراف الأسنان. والعَنَقُ (بفتح العين والنون معاً): سَيْرٌ فسيْحٌ واسع للإبل والدابة، وهو آسمٌ من الإعْناق؛ يقال: عانقتِ الإبلُ: سارت العَنَقَ.

وبَقِيْنا على حمير دَبِرة؛ فقال الفتى: يا أبا عبد الله، إنْ كنّا على الطريق فما أسرع لحُقُوقَنا بالقوم!.

قال الحسن: إنْ خَفَق النعالُ خلف الرجال قلَّ ما تَلْبَث الحمْقى. وذكر عنده الذين يَلْبَسون الصوفَ، فقال: ما لهم تفاقدوا[1]! - ثلاثا - أكَنّوا الكِبْرَ في قلوبهم وأظهروا التواضُعَ في لباسهم، والله لأحدُهم أشدُّ عُجْباً بكسائه من صاحب المِطْرَف بمطرفه. ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قِدْرٍ طَيِّبة، فقال: يا أبا سعيد، إنَّ قِدْرَك لطيِّبة؛ قال: نعم لا رغيفي مالك وصحناه فرقد.

طُلِب أبو قِلَابة للقضاء فلَحِق بالشام هَرَبا، فأقام حيناً ثم قَدِم البَصْرة؛ قال أيّوب؛ فقلت له: لو أنك وَلِيْتَ القضاءَ وعَدَلْتَ بين الناس رَجَوْتُ لكَ في ذلك أجراً؛ قال لي: يا أيوب، إذا وَقَع السابح في البحر فكم عسى أن يَسْبَح؟.

قالت آمرأة أبي حازم يوماً له: يا أبا حازم، هذا الشتاء قد هَجَم ولا بدّ لنا مما يُصلحنا فيه، فذكرتِ الثياب والطعامَ والحَطَب؛ فقال: مِنْ هذا كله بُدٌّ، ولكن خُذي ما لا بدّ منه: الموتَ ثم البعثَ ثم الوقوفَ بين يَدَي الله تعالى ثم الجنّةَ أو النارَ.

قال أبو العَتَاهِية: [مجزوء الرمل]

أطِع اللّهَ بجُهْدِكْ عامداً أو دون جهدِكْ
أعطِ مَوْلاك كما تطـ ـلب من طاعة عبدِكْ

وقال أيضاً: [بسيط]

(١) تفاقدوا: دعاءٌ عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً.

أرى أُناساً بأدنى الدِّين قد قَنِعوا ولا أراهُمْ رَضُوا في العيش بالدُّونِ
فاستغنِ بالدِّين عن دُنيا الملوكِ كما استغنى الملوكُ بدنياهُمْ عن الدِّينِ

وقال محمد بن حازم[1]: [منسرح]

ما الفقرُ عارٌ ولا الغِنَى شرفُ ولا سَخَاءٌ في طاعةٍ سَرَفُ
ما لَكَ إلاَّ شيءٌ تُقَدِّمُه وكلُّ شيء أخَّرْتَه تَلَفُ
تَرْكُكَ مالاً لوارث يَتَهَنْنَاه وتَصْلى بحرِّه أسفُ

وقال أبو العَتَاهِيَة: [طويل]

ألا إنما التَّقْوى هي العِزُّ والكَرَمْ وحبُّكَ للدنيا هو الذُّلُّ والندمْ
وليس على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا صَحَّحَ التقوى وإن حَاكَ أو حَجَمْ

قال عليّ بن الحسين: الرضا بمكروه القضاء أرفعُ درجات اليقين.

قيل لابن سيرين: ما أشدَّ الورَعَ! قال: ما أيسَرَه! إذا شككْتَ في شيء فدَعْه.

قال رجل لحُذَيْفة: أخشى أن أكونَ منافقاً؛ فقال لو كنْتَ مُنافقاً لم تَخْشَ.

وقال محمود[2] الورّاق: [كامل]

يا ناظراً[3] يرنو بعيني راقدٍ ومُشاهِداً للأمر غير مُشاهِدِ
تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وتَرْتَجِي دَرَكَ الجِنَانِ بها وفَوْزَ العابدِ
ونَسِيتَ أنَّ الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ

---

(١) هو محمد بن حازن الباهلي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٢٤٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب كما وردت هذه الأبيات في نفس الصفحة من الجزء المذكور.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٨٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب. وقد وردت أبياته هذه في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٩) وفي الكامل للمبرد (ج ١ ص ٢٣٥).

(٣) في المصدر السابق وفي نفس الصفحة) «يا غافلاً ترنو... الخ».

وقال وَضَّاح[1] اليمن: [منسرح]

مَـالَـكَ، وَضَّـاحُ، دائـمَ الغَـزَلِ ... ألـسْتَ تـخـشَـى تـقـارُبَ الأجـلِ
يـا مـوتُ، مـا إن تـزالُ معتـرضـاً ... لآمـلٍ دون مـنـتـهـى الأمـلِ
تـنـال كَـفَّـاك كـلَّ مُـسْـهِـلةٍ ... وحُـوْتَ بحـرٍ ومَعْقِـلَ الـوَعِـلِ
صَـلِّ لـذي العـرشِ واتّخِـذْ قَـدَمـاً ... تُنْجِـيْـك بعـد العِثَـار والـزَّلَـلِ

قيل ليوسف عليه السلام: مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبَع فأنسَى الجائعَ.

وقال أُميّة بن أبي الصَّلْت[2]: [منسرح]

همـا طـريقـان فـائـزٌ دخـلَ الـ ... ـجنّـة حَفَّـتْ بـه حـدائقُـهـا
وفِـرقـةٌ في الجحيم مَـعْ فِـرَق الشَّـ ... ـيـطان يَـشـقَـى بـهـا مُـرَافـقُـهـا
تـعـرِف هـذا الـقـلـوبُ حـقّـاً إذا ... هَـمَّتْ بـخـيـرٍ فـمـا عـوائـقُـهـا
وصـدُّهـا لـلشقـاء عـن طـلب الـ ... ـجنّـة دنيـا والـلَّهُ مـا حِـقُـهـا
عـبـدٌ دعـا نـفـسَـه فـعـاتـبـهـا ... يـعـلم أنَّ الـبـصـيـرَ رامقُـهـا
إقـتـرب الـوعـدُ والـقـلـوبُ إلـى الّـلـهـو وحـبُّ الـحـيـاة سـائـقُـهـا
مـا رغبـةُ النفس في الـبقـاء وأنْ ... تـحيـا قـليـلاً والمـوتُ لاحـقُهـا

---

(١) وضاح اليمن هو عبد الرحمن بن إسماعيل الحميري الخولاني. قيل: إنه من الفرس الذين قدموا اليمن. وكان يهوى امرأة من اليمن آسمها روضة وكان يشبِّب بها في شعره، إذ المعروف عنه أنه رقيق الغزل عجيب النسيب. لمّا آستأذنت أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان زَوْجَها الخليفةَ الوليدَ بن عبد الملك في الحجِّ أذن لها، وهناك وقعت عينُها على وضّاح اليمن فهويته وأنفذت إلى كُثَيِّر عَزَّة ووضّاح اليمن أن يقولا فيها شعراً، فكره ذلك كُثَيِّرٌ. وأما وضّاح اليمن فإنه صَرَّح فبلغ ذلك الوليد فقتله سنة ٩٠هـ. راجع في ذلك فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣) والأعلام ج ٣ ص ٢٩٩.

(٢) أمية بن عبد الله أبي الصَّلْت الثقفي شاعر جاهلي حكيم ومن أهل الطائف شعره من الطبقة الأولى. توفي سنة ٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٣.

أَمَـامـهـا قـائـدٌ إلـيـه وَيَـحْـ ـدُوها حثيثـاً إليـه سائـقـهـا
قـد أيقنت أنـهـا تـصيـر كـمـا كـان يـراهـا بـالأمسِ خـالقُهـا
وأنَّ مـا جَـمَّـعـتْ وأعـجـبـهـا مـن عيـشـةٍ مُـرّةٍ مُـفـارِقُـهـا
مَنْ لم يَمُتْ عَبْطةً[1] يمت هَـرَمـاً لـلمـوتِ كـأسٌ والمـرءُ ذائـقُـهـا

قال بعض الزهّاد: إنَّ صفاء الزهد في الدنيا وكمالَه ألّا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا تتركه إلا لله، فإذا كنت كذلك كان أخْذُكَ تركاً ومعاملتُك لله فيها رِبحاً، وإنَّ صفاء الرغبة في الدنيا وكمالَها ألّا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها، فإذا كنت كذلك كان تركُكَ أخذاً وفوتُ ما فات عليك منها حسرةً.

حَبَس بعضُ الملوك رجلاً ثم غَفَل عنه إلى أن مَضَى عليه زمان؛ فقال للموكَّل به: قل له: إنَّ كلّ يوم يمضِي من نعيمك يمضي من بؤسي، والأمرُ قريبٌ والحَكَمُ الله عزّ وجلّ. والسلام.

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه:

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان. والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين.

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزريّ، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد، وليست من تأليف آبن قتيبة.

---

(١) يقال: مات عَبْطَةً إذا مات شاباً صحيحاً.

مصادر الكتاب ومراجعه

١ - الأعلام (١ - ٧) للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، طبعة خامسة.

٢ - الأغاني (١ - ٢٢) للأصفهاني، طبعة بولاق وطبعة القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٥٤.

٣ - أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت ١٩٧٩.

٤ - أدب الدنيا والدين، ط. بولاق.

٥ - البيان والتبيين (١ - ٣) للجاحظ، دار صعب - بيروت ١٩٦٨.

٦ - بلوغ الأرب في أحوال العرب للآلوسي.

٧ - التفسير المبين لمحمد جواد معنيه، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٧٨.

٨ - تفسير الجلالين، دار الفكر؛ بيروت.

٩ - تهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي، الجزء الأول من القسم الثاني، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠ - تاج العروس، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦ هـ.

١١ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

١٢ - جذوة المقتبس للحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.

١٣ - ديوان حسان بن ثابت.

١٤ - ديوان أبي تمام (١ - ٤) شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

١٥ - ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٦ - ديوان أمرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط. ثالثة.

١٧ - ديوان الفرزدق، طبع باريس سنة ١٨٧٠.

١٨ - ديوان أبي العتاهية، طبع بيروت.

١٩ - ديوان الحطيئة، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه، القاهرة ١٩٥٨.

٢٠ - ديوان جرير (١ - ٢) تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر ١٩٧١.

٢١ - ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد العراق ١٩٨٠.

٢٢ - دائرة المعارف (١ - ١١) لفؤاد أفرام البستاني، مطبعة المعارف، بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠.

٢٣ - ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي، دار الآفاق الجديدة؛ بيروت.

٢٤ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ألّفه اليتفاشي وهذّبه ابن منظور، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.

٢٥ - الشعر والشعراء (١ - ٢) لابن قتيبة، دار الثقافة - بيروت، ط. ثانية ١٩٦٩.

٢٦ - العقد الفريد (١ - ٧) لابن عبد ربه، شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ - ١٩٦٥.

٢٧ - العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢.

٢٨ ـ في أدب الفرس وحضارتهم للدكتور محمد عبد السلام كفافي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٠.
٢٩ ـ فجر الإسلام لأحمد أمين، دار الكتاب العربي ـ بيروت. الطبعة العاشرة ١٩٦٩.
٣٠ ـ فوات الوفيات (١ ـ ٥) للكبتي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.
٣١ ـ قرآن كريم، دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٣.
٣٢ ـ كتاب الفهرست للنديم، تحقيق رضا ـ تجدّد طهران ١٩٧١.
٣٣ ـ الكامل في التاريخ (١ ـ ١٣) لابن الأثير، دار صادر ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧.
٣٤ ـ الكامل في اللغة والأدب (١ ـ ٢) للمبرّد، مكتبة المعارف ـ بيروت.
٣٥ ـ كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، طبعة الأستانة، ١٣١٩ هـ.
٣٦ ـ كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، وبهامشه كتاب بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، مجلد في جزأين، مطبعة بولاق ١٢٧٤ هـ.
٣٧ ـ كتاب الأمالي (١ ـ ٢) لأبي علي القالي، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤.
٣٨ ـ لسان العرب (١ ـ ١٥) لابن منظور، دار صادر ـ بيروت.
٣٩ ـ محيط المحيط لبطرس البستاني، مكتبة لبنان، ١٩٧٧.
٤٠ ـ معجم ما آستعجم لأبي عبيد الله البكري، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥.
٤١ ـ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٧٨.
٤٢ ـ معجم البلدان (١ ـ ٥) لياقوت الحموي، طبع أوروبا.
٤٣ ـ معجم الشعراء للمرزباني ومعه المؤتلف والمختلف للأمدي، تصحيح الدكتور ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٩٨٢.
٤٤ ـ معجم شعراء الحماسة للدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض دار المريخ ١٤٠٢ هـ.

٤٥ ـ مجمع الأمثال (١ ـ ٢) للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥.

٤٦ ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي. طبعة أوروبا.

٤٧ ـ الملل والنحل للشهرستاني، طبع ليبسج.

٤٨ ـ نهاية الأرب للنويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر،

٤٩ ـ نهج البلاغة للإمام علي، أربعة أجزاء في مجلد واحد، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة ـ بيروت.

٥٠ ـ وفيات الأعيان (١ ـ ٨) لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

٥١ البخلاء للجاحظ، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف بمصر.

٥٢ ـ كتاب الحيوان (١ ـ ٧) للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار التراث العربي ـ بيروت.

٥٣ ـ دائرة المعارف الإسلامية.

٥٤ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

٥٥ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣.

٥٦ ـ كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.

فهرس

الجزء الثاني من كتاب عيون الأخبار
لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

كتاب العلم والبيان

كتاب الزهد

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

باب من المواعظ